بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالى
جامعة أم القرى



الرقم :..........................
التاريخ :..........................
المشفوعات :..........................

نموذج رقم (٨)

أجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد اجراء التعديلات

الاسم (رباعى) / **خليفه بن عبدالرحمن بن خليفه المسعود** / كلية الشريعة والدراسات الإسلامية / قسم / **الدراسات العليا التاريخيه والحضاريه** الأطروحه مقدمة لنيل درجة / **دكتوراه** ./ في تخصص / **تاريخ حديث**

عنوان الأطروحة / (**موقف القوى المناوئة من الدولة السعودية الثانية – ١٢٣٤-١٢٨٢هـ / ١٨١٨-١٨٦٦م) (دراسه تاريخيه وثائقيه)**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

فبناء على توصيه اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤ / ٧ / ١٤٢١ هـ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبه قد تم عمل اللازم فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ,,

أعضاء اللجنة

المشرف / د. عايض بن خزام الروقي
التوقيع / ....

المناقش أ. د/.عبداللطيف بن محمد الحميد
التوقيع / ....

المناقش /أ. د. يوسف بن على الثقفى
التوقيع / ....

رئيس قسم الدراسات العليا التاريخيه والحضاريه

أ. د/ ضيف الله بن يحي الزهراني

يوضع هذا النموذج امام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحه في كل نسخة من الرسالة

ع/فطاني

Umm AL - Qura University
Makkah Al Mukarramah P.O. Box 715
Cable Gameat Umm Al - Qura, Makkah
Telex 540026 Jammka SJ
Faxemely 5564560
Tel - 02 - 5574644 (10 Lines)

جامعة أم القرى
مكة المكرمة ص . ب : ٧١٥
برقيا : جامعة أم القرى مكة
تلكس عربي ٥٤٠٠٤١ م . ك جامعة
فاكسميلي : ٥٥٦٤٥٦٠
تليفون : ٥٥٧٤٦٤٤ ـ ٠٢ (١٠ خطوط)

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

موقف القوى المناوئة من الدولة السعودية الثانية

(١٢٣٤ـ ١٢٨٢هـ / ١٨١٨ـ ١٨٦٦م)

((دراسة تاريخية وثائقية))

﴿رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث﴾

إعداد
خليفه بن عبد الرحمن بن خليفه المسعود

إشـراف
الدكتور/ عايض بن خزّام الروقي

العام الجامعي
١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م


بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

إلى الوالدين حفظهما الله تعالى ، وإلى الأهل ، وإلى جميع من كان له فضـل في مسـيرتي العلميـة، ممـن لايتسـع المجـال لذكرهم.

أهدي هذا العمل،،

ملخص

عنوان البحث موقف القوى المناوئة من الدولة السعودية الثانية ١٢٣٤-١٢٨٢هـ/ ١٨١٨-١٨٦٦م ويتناول بالدراسة موقف الدولة العثمانية وأمراء الحجاز وأمراء بني خالد من قيام الدولة السعودية الثانية وماقامت به كل قوة من تلك القوى المناوئة من جهود لوأد محاولات إقامة الدولة ثم مناصبتها العداء بعد قيامها والعمل بشكل متحد على إسقاطها بكل وسيلة ممكنة.

وقد تم تقسيم الموضوع إلى تمهيد تناول موقف تلك القوى من الدولة السعودية الأولى ودورها في إنهاء هذه الدولة وماترتب عليه من نتائج، ثم جاء الفصل الأول ليوضح دور هذه القوى في شن الحملات المتتابعة لوأد محاولات إقامة الدولة السعودية الثانية ومحاولاتها لتتبع الإمام تركي بن عبد الله بن محمد ابن سعود الممثل للأسرة الحاكمة للتخلص منه لضمان عدم إقامة الدولة، ثم جاء الفصل الثاني موضحاً الفشل الذريع الذي لازم تلك المحاولات المناوئة في التخلص من الإمام تركي الذي تمكن بنجاح تام من التغلب على الحاميات العثمانية وإقامة الدولة السعودية الثانية، ثم عمل على تثبيت حكمه وبناء دولته رغم التحديات التي واجهها من قبل تلك القوى المناوئة. ولعل نجاحه بالإفادة من النزاع الداخلي بين قوتين مناوئتين هما الدولة العثمانية وواليها في مصر محمد علي باشا ومأدى له ذلك من تقليص العداء ضده فعمل على التخلص من سلطة أمراء بني خالد الذين حاولوا مع أمراء الحجاز تقويض دولته بشتى السبل، أما الفصل الثالث فقد أوضح الدور الذي قام به كل من محمد علي باشا وأمراء الحجاز وأمراء بني خالد للتخلص من الإمام فيصل ابن تركي الذي خلف والده في تحمل مهمة بناء الدولة السعودية ومواصلة الكفاح الذي بدأه من قبل، وحين نجحت محاولات تلك القوى بإنهاء حكم الإمام فيصل فشلت بالحفاظ على سيطرتها في أراضي الدولة السعودية وانتهى الأمر بخروج مهين لقوات محمد علي باشا من تلك الأراضي ليأتي الفصل الرابع مبيناً الواقع الجديد الذي فرض على الدولة العثمانية المساهمة بإعادة الإمام فيصل إلى بلاده ليتولى الحكم فيها ويعمل على بنائها من جديد متصدياً بنجاح للمحاولات المناوئة التي استهدفت دولته حتى وفاته سنة ١٢٨٢هـ.

ومن أهم النتائج التي أتى بها البحث: إيضاح المراسلات الخفية بين تلك القوى عبر ماتم الوصول إليه من وثائق جديدة، إضافة إلى الكشف عن مقتل الأمير مشاري بن سعود في سجن عنيزة على يد قادة محمد علي باشا خلافاً لما كان يعتقد بوفاته طبيعياً داخل السجن، وكذلك الكشف عن مراسلات الإمام تركي ابن عبد الله مع ولاة العراق إبان إقامة الدولة، بجانب إيضاح الدعم الذي قدمه محمد عي باشا لمشاري ابن عبد الرحمن للتخلص من الإمام تركي، ثم محاولاته الجادة للعودة بنشاطه العسكري للبلاد، ومن الجديد في هذه الدراسة معرفة موقف الدولة العثمانية من حكم خالد بن سعود وعبد الله بن ثنيان في نجد عبر المراسلات المتبادلة بين الطرفين. وحين أدرك السلطان العثماني فشل كل منهما إدارة الحكم لم يجد بداً من الموافقة على خروج الإمام فيصل من سجنه بمصر والعودة لحكم البلاد، وهذا استنتاج جديد لم يسبق أن توصل إليه بحث من قبل، كما كشف البحث عن الأسباب الحقيقة التي دعت أمراء الحجاز لإبداء النشاط المناوئ للإمام فيصل بعد ذلك ومحاولاتهم إعادة تنصيب خالد بن سعود أميراً في القصيم، كما كشف البحث أيضاً عن المحاولات العثمانية للإفادة من وفاة الإمام فيصل لإنهاء الدولة السعودية الثانية، وماعدا ذلك من نتائج كثيرة جاءت في ثنايا البحث. وا لله الموفق.

الطالب	المشرف	عميد كلية الشريعة
خليفة بن عبد الرحمن المسعود	د. عايض بن خزام الروقي	أ.د. محمد بن علي العقلا

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الوطنية بالرياض فتمكنت من الحصول على مجموعة من الوثائق العثمانية جاوزت ستين وثيقة فعملت على ترجمة ما لم يترجم منها، ونظراً لأن تلك الوثائق لم تصنف بعد لأنها جديدة و لم توفر إلا في الفترة الأخيرة فقد وضعتها تحت تصنيفها الرئيس الذي أخذت منه سواء في الأرشيف العثماني باستانبول، أو دار الوثائق القومية بالقاهرة.

كما استفدت من بعض الوثائق التي نشرها الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم في كتابه **من وثائق شبه الجزيرة العربية في عهد محمد علي (الجزء الأول)** والتي أغنتني عن الاطلاع عليها في مصادرها الأصلية .

من هذا يكون البحث مدعماً بهذا العدد الكبير من الوثائق التاريخية الغير منشورة في مجملها والمنشورة في البعض الآخر .

وبجانب هذه الوثائق استفدت من مصادر عثمانية أخرى من أهمها: **تاريخ جودت** لمؤلفه أحمد جودت باشا (ت ١٣١٣هـ) وكذلك **تاريخ لطفي** لمؤلفه أحمد لطفي أفندي (ت ١٣٢٥هـ) وكلاهما مكتوب باللغة العثمانية ذات الأحرف العربية، إضافة إلى مخطوط **حجاز سياحتنامة** لمؤلفه سلو يلمز أوغلو سليمان شفيق والذي قام بدراسته وتحقيقه الدكتور عبد الفتاح أبو علية، وغيرها من المصادر العثمانية أو المؤيده لوجهة النظر العثمانية مثل **خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق** لمؤلفه أمين الحلواني وهو مختصر لكتاب **مطالع السعود بطيّب أخبار الوالي داود** لمؤلفه الشيخ عثمان بن سند البصري (ت حوالي ١٢٥٠هـ)، وحوى هذا المصدر معلومات مهمة عن علاقات الدولة السعودية الثانية الخارجيه، وكذلك **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام** لمؤلفه أحمد ابن زيني دحلان والذي كتبه بتأثير من الولاة العثمانيين ومن أمراء الحجاز فظهر تحيزه واضحاً لموقفهم.

وبعد ذلك قمت بفرز ماورد في تلك المصادر من معلومات ومقارنته بما ورد في المصادر المحلية من وثائق ومخطوطات وكتب مطبوعة وغيرها؛ فمن أبرز المخطوطات التي استفدت منها في هذا الجانب **شذا الند في تاريخ نجد** لمطلق بن صالح بن مطلق (ت ١٣٢٢هـ)، **وتاريخ إبراهيم القاضي** لمؤلفه إبراهيم بن محمد القاضي (ت حوالي

١٣٤١هـ)، **وتحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق** لمصنفه عبد الله بن محمد البسام (ت ١٣٤٨هـ) ومخطوطتي مقبل بن عبد العزيز الذكير (ت١٣٦٣هـ) **العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية** وتاريخ مقبل الذكير المسمى **(مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود)** وغيرها من المخطوطات الأخرى، إضافة إلى ماكان مخطوطاً فطبع ومن أبرزها تاريخ حسين بن غنام (ت ١٢٢٥هـ) المسمى **روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام** وتاريخ الفاخري المسمى **الأخبار النجدية** لمؤلفه محمد بن عمر الفاخري (ت ١٢٧٧هـ) وكذلك تاريخ ابن بشر المسمى **عنوان المجد في تاريخ نجد** لمؤلفه عثمان بن بشر (ت ١٢٨٠هـ) إضافة إلى كتابي إبراهيم ابن عيسى (ت ١٣٤٣هـ) **تاريخ بعض الحوادث في نجد** و **عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر.**

أما الكتب الحديثة الموثقة في هذا الجانب فكان من أبرزها كتاب **محمد علي وشبه الجزيرة العربية** للدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم وكتاب **تاريخ المملكة العربية السعودية** بجزأيه للدكتور عبد الله العثيمين، وكتاب **حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية** للدكتور عايض الروقي، وكتاب **الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية** للدكتور محمد السلمان، وكتاب **تاريخ الدولة السعودية الثانية** للدكتور عبد الفتاح أبو علية، وكتاب **تاريخ الأحساء السياسي** للدكتور محمد عرابي نخلة، إضافة إلى كثير من البحوث التي نشرت في بعض الدوريات ومنها على سبيل المثال **مجلة العرب، ومجلة الدارة، ومجلة كلية الآداب بجامعة الكويت ومجلة المؤرخ العربي** وغيرها.

وحيث أن الرسائل العلمية من أوثق المراجع وأدقها فقد استفدت من عدد من الرسائل الجامعية في الجامعات السعودية وغيرها ومنها: **سياسة محمد علي في شبه الجزيرة العربية (١٢٢٦هـ-١٢٥٦هـ)** وهي رسالة دكتوراه للدكتور مالك محمد رشوان، وكذلك رسالة ماجستير للباحثة هناء العوهلي بعنوان: **الأحوال السياسية في الفترة الأولى من حكم الإمام فيصل بن تركي**، ورسالة ماجستير بعنوان: **الفترة الثانية لحكم**

الإمام فيصل بن تركي للباحثة مضاوي الهطلاني، ورسالة ماجستير بعنوان: **علاقات الدولة السعودية الثانية بمشيخات الخليج خلال الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل ابن تركي** للباحثة دلال السعيد، ورسالة ماجستير بعنوان: **علاقة آل سعود بالدولة العثمانية** للباحث مستور الجابري، بالإضافة إلى عدد آخر من الرسائل العلمية التي أوردتها في قائمة المصادر والمراجع.

أما المراجع الأجنبية فقد استفدت من بعض الكتب والرسائل الجامعية ومنها كتاب الباحث Bayly Winder وهو بعنوان: **Saudi Arabia in the Nineteenth Century** وكذلك كتاب **Saudi Arabia** لمؤلفه H.S.J.Philpy وكتاب: **The Hejaz Under Ottoman Rul: 1869-1914** للدكتور صالح العمرو، ورسالة دكتوراه بعنوان: **Turkish and Egyptian Rule in Arabia** للدكتور عبد الحميد البطريق، أما المصادر والمراجع الأجنبية المترجمة من أبرزها كتاب **مواد لتاريخ الوهابيين** لجوهان لودفيج بوركهارت، وكتاب **الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر** لمؤلفه أدوارد نولده، وكتاب لويس بلي **رحلة إلى الرياض**، وكتاب موريس تاميزيه **رحلة في بلاد العرب** وجميعها مصادر معاصرة لأحداث الفترة التاريخية للدراسة، بجانب عدد آخر من المصادر والمراجع المترجمة، كما حاولت الاستفادة من الأشعار الشعبية للشعراء المعاصرين لتلك الفترة والتي حوت كثيراً من أحداثها التاريخية، ومقارنتها بما ورد في المصادر والمراجع.

وعلى الرغم من غزارة المادة العلمية في كثير من جوانب البحث إلا أن تناقض المعلومات خاصة فيما بين الوثائق والمصادر المحلية كان من أبرز الصعوبات التي واجهتني، إضافة إلى نقص المعلومات في بعض جوانب البحث رغم وفرتها بشكل كبير في جوانب أخرى، وقد حاولت جاهداً التوفيق بين روايات الوثائق والمصادر والجمع بينها ما أمكن، وترجيح بعضها على البعض الآخر في أحيان أخرى خاصة أن كلاً من الوثائق والمصادر هي أساس المادة العلمية للبحوث التاريخية، كما أن الوثائق صدرت من صناع الحدث أنفسهم مما يجعلها هي الأهم والأبرز في هذا الجانب.

وقد قمت بتقسيم البحث إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة على النحو التالي:

تناولت في التمهيد أهم القوى المناوئة للدولة السعودية الأولى وهي الدولة العثمانية وأمراء الحجاز وأمراء بني خالد، ودورها في إسقاط تلك الدولة، وماأعقب ذلك من استغلالها لأوضاع البلاد السيئة لتمكين نفوذها وإبعاد كل مامن شأنه إعادة البناء من جديد وإقامة الدولة السعودية مرة ثانية.

وجاء **الفصل الأول** بعنوان: الأنشطة المناوئة للدولة السعودية الثانية خلال محاولات التكوين (١٢٣٤-١٢٣٩هـ/ ١٨١٨-١٨٢٤م)، وفيه تمت دراسة الأعمال التي قامت بها القوى المناوئة والحملات التي سيرتها لوأد أية محاولة لتكوين وحدة سياسية أو دولة سعودية في نجد، حيث تظافرت رغبات تلك القوى للتعاون على تسيير الحملات العسكرية ودعمها فجاءت الحملات المتتابعة من قبل أمراء بني خالد والدولة العثمانية ممثلة بواليها في مصر والمدعمة من أمراء الحجاز، وكانت تلك الحملات متتابعة بشكل سنوي بدءاً من حملة ماجد بن عريعر سنة ١٢٣٥هـ ثم حملة عبوش أغا في نفس السنة وحملة حسين بك سنة ١٢٣٦هـ ومن بعدها حملة حسن أبي ظاهر سنة ١٢٣٧هـ، وكلها كانت تعمل لهدف واحد يتمثل بمنع إقامة الدولة السعودية الثانية وهو ماكان يعمل لتحقيقه الإمام تركي بن عبد الله الذي كان مستهدفاً من قبل تلك الحملات.

أما **الفصل الثاني** والذي حمل عنوان: قيام الدولة السعودية الثانية (١٢٤٠-١٢٤٩هـ/ ١٨٢٥-١٨٣٣م) وموقف القوى المناوئة فقد بين الدور الذي قام به الإمام تركي بن عبد الله من أجل إقامة الدولة السعودية الثانية وكيف تمكن من طرد الحاميات العثمانية متحدياً تلك الحملات، ليبدأ في بناء الدولة بناء شاملاً ومباتعرض له أثناء ذلك من عداء محمد علي باشا وأمراء الحجاز وأمراء بني خالد لوقف ذلك البناء، غير أنه استمر في مسيرته بلاتوقف ساعده في ذلك ماحدث من ظروف مستجدة أنهت نشاط أمراء بني خالد وأوقفت نشاط محمد علي باشا وأمراء الحجاز عسكرياً ضد دولته إلى أجل.

أما **الفصل الثالث** فقد كان عن الحملات المناوئة للدولة السعودية الثانية خلال الفترة الأولى من حكم الإمام فيصل بن تركي (١٢٥٠- ١٢٥٩هـ/ ١٨٣٤-١٨٤٣م) وفيه تم الحديث عن عودة النشاط العسكري لمحمد علي باشا وأعوانه ضد الدولة

السعودية الثانية ومآأدى إليه ذلك من تتابع الحملات العسكرية من جديد فجاءت حملة إسماعيل بك وخالد بن سعود سنة ١٢٥٢هـ، وتبعتها حملة خورشيد باشا التي تمكنت سنة ١٢٥٤هـ من إنهاء الفترة الأولى من حكم الإمام فيصل بن تركي، ومأأعقب ذلك من سيطرة قوات محمد علي باشا على نجد حتى جاءت معاهدة لندن سنة ١٢٥٦هـ لتنهي تلك السيطرة، وتتعدد المحاولات للظفر بإمارة نجد بين خالد بن سعود وعبد الله ابن ثنيان مما أتاح المجال للإمام فيصل بن تركي للعودة مجدداً لاستلام الإمارة، وإعادة بناء الدولة السعودية الثانية.

بينما تحدث **الفصل الرابع** عن ولاية الإمام فيصل بن تركي الثانية وموقف القوى المناوئة منها (١٢٥٩-١٢٨٢هـ/ ١٨٤٣-١٨٦٦م) وتناول خروج الإمام فيصل ابن تركي من مصر وموقف الأطراف المعنية من ذلك الحدث سواء محمد علي باشا أو ولاة الدولة العثمانية في الحجاز والذين ثبت دورهم في دعم إعادة الإمام فيصل بن تركي من مصر إلى الحكم في دولته، وهو ماعارضه أمراء الحجاز الذين امتدت آثار موقفهم إلى الفترات اللاحقة؛ حيث شهدت سنة ١٢٦٣هـ حملة عسكرية من قبل محمد بن عون ضد نجد من أجل اقتطاع القصيم وإعطاء إمارتها لخالد بن سعود، ومآأعقب ذلك من تحسن في علاقات الدولة السعودية الثانية بالقوى المناوئة، خاصة مع الدولة العثمانية التي ساندته في الدفاع عن بلاده ضد بعض القوى الخارجية والداخلية، وكيف احتفظ الإمام فيصل ابن تركي بموقفه المؤيد لأهالي عسير ورفض مساندة العثمانيين ضدهم.

وحين توفي الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٨٢هـ حدث النزاع داخل دولته فاستغلت القوى المناوئة خاصة الدولة العثمانية ذلك الوضع وعادت بأطماعها إلى أراضي الدولة السعودية الثانية، ووجدت المساندة من أمراء بني خالد وعناصر أخرى عملت متحدة للقضاء على الدولة السعودية الثانية والسيطرة على أراضيها.

لتجيء الخاتمة مبينة أهم نتائج هذه الدراسة كوحدة موضوعية لموقف القوى المناوئة من الدولة السعودية الثانية، وماتم التوصل إليه في هذا الموضوع وبيان أبرز المستجدات فيه حيث تبين من خلال الدراسة أن الدولة العثمانية سعت منذ سقوط الدولة السعودية الأولى إلى دعم بعض أمراء بلدان نجد وقبائلها بالأسلحة والمال لتضمن

ولاءهم لها.

وتُبيِّن الدراسة جهود الإمام تركي بن عبد الله لإقامة الدولة السعودية الثانية وموقف حاميات الدولة العثمانية في الرياض ومنفوحة من ذلك، كما كشفت الدراسة عن أدلة جديدة لتورط محمد علي باشا في عملية اغتيال الإمام تركي بن عبد الله، وأبرزت الدراسة أن السبب الرئيس في حملة محمد بن عون على القصيم سنة ١٢٦٣هـ كان الرغبة في اقتطاعها من الدولة السعودية الثانية ومنح إمارتها لخالد بن سعود، كما كشفت الدراسة عن محاولات عبد الله بن محمد بن عون للتدخل في نزاعات الدولة السعودية مع بعض بلدانها، وكيف تصدى الإمام فيصل لتلك المحاولات واستمر محافظاً على تماسك دولته، بالإضافة إلى كثير من النتائج الجديدة التي أظهرتها الرسالة.

وفي نهاية الرسالة تم إيراد عدد من الملاحق مما له أهمية فيما ورد في ثنايا البحث.

وفي الختام لايسعني إلا أن أتقدم بوافر الشكر -بعد شكر الله تعالى- إلى أستاذي المشرف على الرسالة سعادة الدكتور عايض الروقي الذي بذل جهده في متابعة هذا العمل منذ مرحلة جمع مادته العلمية في الأرشيف العثماني باستانبول، حيث وقف معي وساندني وأرشدني للوصول إلى الجديد من الوثائق والمصادر الأخرى، وأعطاني جل وقته لقراءة فصول الرسالة وإبداء توجيهاته السديدة حيالها رغم مشاغله ومسؤولياته، وكنت أجد لديه كل ترحيب للمناقشة وإبداء الرأي.

كما أشكر جميع المسؤولين في مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض الذين أطلعوني على مالديهم من وثائق رغم أنها لم تصنف بعد، وكذلك أشكر المسؤولين في دارة الملك عبد العزيز بالرياض، ودار الوثائق القومية بالقاهرة، والأرشيف العثماني في استانبول، على مساعدتهم لي بالحصول على عدد كبير من الوثائق المحفوظة في تلك الأماكن.

والشكر موصول إلى جميع المسؤولين في جامعة أم القرى وأخص سعادة عميد الدراسات العليا الأستاذ الدكتور أحمد الناصر الحمد، وفضيلة عميد كلية الشريعة الأستاذ الدكتور محمد العقلا، وإلى قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية برئاسة سعادة

الأستاذ الدكتور ضيف الله الزهراني وزملائه الكرام.

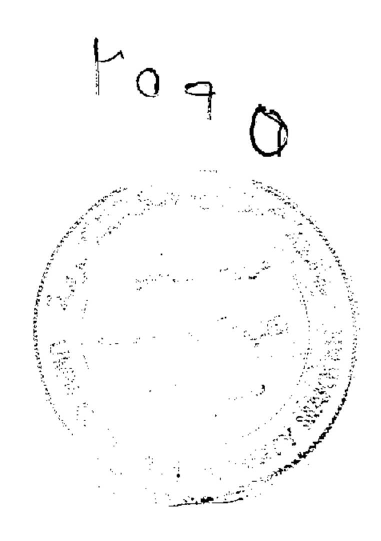
ولاأنسى أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى سعادة الدكتور عبد العزيز السلومي من قسم الحضارة والنظم، وإلى سعادة الدكتور عبد الرحمن الغفيلي عميد كلية المعلمين في الرس على ماأبدياه من دعم وتشجيع منذ تسجيلي في مرحلة الدكتوراة.

كما أتوجه بوافر الشكر إلى لجنة المناقشة متمثلة بكل من الأستاذ الدكتور يوسف الثقفي والأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحميد اللذين تكرما بالموافقة على فحص الرسالة ومناقشتها وسيكون لذلك الأثر الكبير في الاستفادة من آرائهما وتوجيهاتهما حيال هذه الرسالة ومادتها العلمية.

وأخيراً فإني استبيح الجميع عذراً عما يعتري هذا العمل من نقص وثلب، وهو مالايخلو منه عمل البشر، وحسبي أني بذلت الجهد، والله من وراء القصد.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

خليفه بن عبد الرحمن المسعود



تمهيد

أ ـ أهم القوى المناوئة للدولة السعودية الأولى :

١) أمراء بني خالد .

٢) أمراء الحجاز .

٣) الدولة العثمانية .

ب ـ أحوال نجد بعد نهاية الدولة السعودية الأولى .

أ ـ أهم القوى المناوئة للدولة السعودية الأولى:

وضعت نواة الدولة السعودية الأولى منذ أن تم عقد اتفاق الدرعية التاريخي بين الإمام محمد بن سعود * والشيخ محمد بن عبد الوهاب ** سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م (١).

---

* محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع بن ربيعة المريدي، ويذهب البعض إلى أنه من رؤساء قبيلة عنزة بن أسد بن نزار بن معد بن عدنان. وهذا هو الشائع غير أن هناك روايات تؤكد على انتسابه إلى بني حنيفة كما ذكر ذلك الأمير عبد الله ابن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي. تولى الإمارة في الدرعية سنة ١١٣٩هـ، وفي سنة ١١٥٧هـ وفد إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب قادماً من العيينة فآواه ونصره وجاهد لنشر دعوته لما يقارب إحدى وعشرين سنة حتى توفي رحمه الله سنة ١١٧٩هـ. عثمان بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد. ج١، تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ. الطبعة الثالثة، الرياض: وزارة المعارف، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص ٦٣، ٢/ ١٥، عبد الله بن صالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية. ج١، ط٨، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨/ ١٩٩٧م، ص٨٠.

** محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف الوهبي التميمي، ولد سنة ١١١٥هـ في العيينة، وكان بيته بيت علم وفضل، وقد طلب العلم على يد والده، ثم سافر إلى الحج، وفي طريق عودته مر بالمدينة المنورة فمكث بها شهرين ثم عاد إلى العيينة، حيث تزوج واستمر في طلب العلم، ولذلك سافر إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومن أبرز مشايخه في المدينة المنورة الشيخ محمد حياة السندي والشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف النجدي، ثم رحل إلى البصرة فقرأ على علمائها ومنهم الشيخ محمد المجموعي. وهناك ألف (كتاب التوحيد) كما أنكر مارآه من الأعمال الشركية والبدعية، فآذاه بعض العامة، فخرج إلى الأحساء، وقرأ على علمائها، ثم عاد إلى نجد وقصد حريملاء والتي كان والده فيها، وهناك بدأ الشيخ دعوته، وبعد وفاة والده تعرض لمحاولة قتله، فعاد إلى العيينة من جديد فسانده أميرها عثمان بن حمد بن عبد الله بن معمر، وزاد نشاط الدعوة وبدأ بتطبيق الحدود الشرعية مما أدى إلى خوف أمير الأحساء سليمان بن محمد بن غرير الخالدي الذي طلب مهدداً من ابن معمر إخراج الشيخ من البلدة، فأُخرج منها واتجه إلى الدرعية حيث رحب به أميرها محمد بن سعود، وتم عقد اتفاق الدرعية التاريخي بينهما، فأظهر الله أمر الدعوة، ونمت إمارة الدرعية لتصبح دولة مترامية الأطراف منذ سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م. وقد توفي الشيخ محمد سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م. عبد الله بن عبد الرحمن البسام: علماء نجد خلال ستة قرون، ج١، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الخدمات الطباعية، ١٣٩٨هـ، ص ص ٢٥-٣٣ .

(١) حسين بن غنام: روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، ج٢،=

ومنذ ذلك الوقت حمل قادة الدولة السعودية مسؤولية نشر ومؤازرة الدعوة السلفية داخل نجد وخارجها بل وخارج شبه الجزيرة العربية[١]، وذلك باتخاذ أسلوب سلمي لنشر مباديء تلك الدعوة عن طريق مكاتبة علماء وأمراء المدن والبلدان والمناطق المجاورة ودعوتهم للانضمام إلى الدولة الجديدة، وبعدما استنفدت الدرعية الوسائل السلمية قررت خوض الحرب ضد أعداء الدعوة لإدخالهم في طاعتها بعد سنتين من عمر الدولة الجديدة[٢]، حيث أمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب باستخدام الجهاد المسلح ضد خصوم الدولة الذين وقفوا موقفاً معادياً من الدعوة السلفية [٣].

ولاشك أن تلك الخطوة كانت نقطة تحول حاسمة في تاريخ الدولة السعودية الأولى إذ مالبثت أن واجهت خصوماً وأعداءً وقوى مناوئة من داخل الجزيرة العربية وخارجها أصبحوا يعملون جاهدين لوضع العراقيل في طريق الدولة الناشئة والتي رأوا فيها خطراً على سيادتهم ونفوذهم ومراكزهم السياسية[٤].

وظهرت على السطح مواقف عدائية من تلك القوى التي أصبحت مناوئة للدولة السعودية حاملة لواء الدعوة السلفية، وبدأت هذه القوى في العمل متفرقة ومتحدة للحيلولة دون ظهور هذه الدولة وانتشار تلك الدعوة.

وللحديث عن أهم القوى التي كان لها وجود سياسي سواء داخل الجزيرة العربية أو خارجها والتي عملت على مجاهرة الدولة السعودية بالعداء لابد من تحديد أهم القوى التي اتخذت مواقف سياسية وعسكرية عدائية ضد الدولة السعودية والتي ارتبطت مواقفها لتحديد ذلك الهدف، ومن أهم هذه القوى الدولة العثمانية صاحبة النفوذ السياسي في

= الطبعة الأولى، القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ص ٤. عثمان بن بشر: المصدر السابق، ٢٥/١ .

(١) عبد الفتاح أبو علية: محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى. الطبعة الثانية، الرياض: دار المريخ، ١٤١٩هـ، ص ٢٢ .

(٢) عبد الله العثيمين: المرجع السابق ٨٩/١ - ٩٠ .

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق، ٢٦/١ .

(٤) عبد العزيز بن عبد الله بن باز: الإمام محمد بن عبد الوهاب (دعوته وسيرته). الطبعة الثالثة، الرياض: مكتبة دار السلام، ١٤١٢هـ، ص ٤١ .

شرق الجزيرة العربية وغربها، ومايتبع هذه الدولة من إمارات عربية تخضع لها بالولاء مثـل أمراء الحجاز وأمراء بني خالد، وسيكون الحديث عـن هـذه القـوى وفـق الـترتيب الزمـني لموقفها من الدولة السعودية بصرف النظر عن مكانة وأهمية قوة دون أخرى.

١) أمراء بني خالد [(١)]:

استوطن بنو خالد منطقة الأحساء بشكل مكثف منذ القرن العاشر الهجري لكن مكانتهم السياسية لم تظهر بشكل واضح وجلي إلا بعد منتصف القرن الحادي عشر الهجري؛ حين تمكن آل حميد بزعامة براك بن غرير من الاستيلاء على الأحساء وذلك

---

(١) بنو خالد إحدى القبائل العدنانية، وينتسبون إلى عقيل بن عامر بن ربيعة، من بني عبد القيس، ويتفرع منهم خوالد الحجاز وخوالد حمص في الشام، ومن خوالد الحجاز ظهر آل حميد ومنهم آل غرير الذين انتقلوا إلى شرقي الجزيرة العربية، وسيطروا على حكم الأحساء والقطيف فيما بعد، وقد خالط قبيلة بني خالد فروع من قبائل مختلفة، ولهذا أشار الشيخ أحمد بن مشرف التميمي الأحسائي (ت ١٢٨٥هـ) إلى ذلك بقوله:

ولاتنس جمع الخالدي فإنهم قبائل شتى من عقيل بن عامر

وقد تحضر قسم كبير من بني خالد، واستوطنوا الأحساء واتسع نفوذ هذه القبيلة منذ القرن العاشر الهجري. إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أواخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر. تحقيق: عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، الطبعة الثالثة، الرياض: وزارة المعارف، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص ٣٥. حمد بن محمد بن لعبون: تاريخ حمد ابن محمد بن لعبون. الطبعة الثانية، الطائف: مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ، ص ٣٨، محمد بن عبد الله الأحسائي: تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، ج١، الطبعة الثانية، الرياض: مكتبة المعارف في الأحساء: مكتبة الأحساء الأهلية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ١٢٣. أحمد بن مشرف: ديوان ابن مشرف، الرياض: دار الشبل، د.ت.ن، ص ٦٤. عبد الله الشباط: صفحات من تاريخ الأحساء، ط١، الخبر: الدار الوطنية الجديدة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٢٤٢. حمد الجاسر: جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ج١، الطبعة الثانية، الرياض: دار اليمامة، ١٤٠٩هـ، ص ص ١٨٧-١٩٢. عبد الفتاح أبو علية: دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر. الرياض: دار المريخ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٥٣-٥٤. فائز بن موسى الحربي: من أخبار القبائل في نجد، ج١، الطبعة الأولى، الرياض: دار البدراني للنشر، ١٤١٥هـ، ص ٢٤٤.

ويذهب بعض المؤرخين إلى أنهم ينتسبون إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه. أيوب صبري باشا: مرآة جزيرة العرب. ترجمة أحمد فؤاد متولي والصفاقسي أحمد المرسي، ج٢، الطبعة الأولى، الرياض: دار الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٣١٧. ولكن الأرجح أن خالداً رضي الله عنه توفي ونص علماء النسب على انقطاع عقبه. حمد الجاسر: المرجع السابق ١/١٩٦.

سنة ١٠٨٠هـ/ ١٦٧٠م [١]، مستغلاً ضعف الحامية العثمانية فيها وقلة اهتمام الدولة العثمانية بالأحساء، وذلك بسبب انشغالها بحروب متعددة [٢]، إضافة إلى النزاعات بين ولاتها في كل من البصرة وبغداد والتي امتدت بآثارها إلى الأحساء نفسها [٣]، كما أن براكاً قد وجد الدعم والمساندة من العناصر المحلية [٤] في المنطقة مما مكنه من التصدي لهجمات آل شبيب بزعامة راشد بن مغامس الموالي للعثمانيين، وإلحاق الهزيمة بقوات ابن مغامس الذي قُتِل خلال ذلك وتفرقت قواته [٥]، الأمر الذي انتهى باستقلال بني خالد بحكم الأحساء وطرد عمر باشا آخر ولاة الدولة العثمانية منها [٦].

وقد تمكن بنو خالد من مد سيطرتهم إلى أجزاء متفرقة من شرقي الجزيرة العربية وتأسيس إمارة قوية بها[٧]، ساعدهم في ذلك الانتعاش التجاري والرخاء الزراعي اللذان تتميز بهما الأحساء ومنهما تكتسب أهميتها [٨]، تلك الأهمية التي جعلت ارتباط الأحساء بنجد وثيقاً حيث التبادل التجاري والفرص المعيشية والمجال الحيوي لهجرات النجديين حتى ذهب البعض إلى اعتبار الأحساء أحد أقاليم نجد[٩]؛ الأمر الذي جعل

---

(١) محمد الأحسائي: المرجع السابق١/٢٣. عبد الله صالح العثيمين: محاضرات وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، د.م.ن، مكتبة التوبة، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص ٣٨-٣٩، ٢١٤. محمد عرابي نخلة: تاريخ الأحساء السياسي، الكويت: ذات السلاسل، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٢٦ .

(٢) محمد الأحسائي: المرجع السابق ١/٢٣ .

(٣) عبد الله العثيمين: محاضرات...، ص ٣٩ .

(٤) جمال زكريا قاسم: الخليج العربي (١٥٠٧-١٨٤٠م). القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت.ن، ص ٣٦١.

(٥) محمد الأحسائي: المرجع السابق ١/٢٣، عبد الله الشباط: المرجع السابق، ص ٢٤٣ .

(٦) محمود شاكر: شبه الجزيرة العربية (نجد). بيروت: المكتب الاسلامي، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص ١٧١.

(٧) محمد نخلة: المرجع السابق، ص ٢٦.

(٨) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص ٣٦١ - ٣٦٢ .

(٩) عبد الله العثيمين: محاضرات...، ص٣٩-٤٠. محمد نخلة: المرجع السابق، ص ٣١ .

لأمراء بني خالد سيطرة على بعض المناطق النجدية قبل قيام الدولة السعودية الأولى، حيث كان بعض أمراء بلدان نجد على علاقات وطيدة بحكام الأحساء الذين كانوا يشنون الهجمات ضد من يناصبهم العداء من أولئك الأمراء [١].

وحين استتب الأمر لبراك اتجه بتفكيره نحو نجد وبدأ بمهاجمة بلدانها منذ سنة ١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م، وبعد وفاته سنة ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م، سار خلفاؤه على نهجه حتى أن سعدون بن محمد بن غرير (١١٣٠هـ - ١١٣٥هـ) استطاع أن يكسب أمير العيينه عبد الله بن معمر * إلى جانبه ليسانده في هجماته ضد بلدان نجد [٢].

ومن الملفت للانتباه سوء علاقات سعدون بن غرير بإمارة الدرعية التي يحكمها آل سعود وقيامه بمهاجمتها سنة ١١٣٣هـ/ ١٧٢١م مبتدئاً سلسلة طويلة من الصراع بين الطرفين و لم يكن السعوديون هم المبادرين بالعداء [٣]، ولعل هذا الموقف العدائي من قبل أمراء بني خالد ناتج عن رفض الدرعية الخضوع لهم إذ كانت من بلدان نجد القلائل التي اتخذت هذا الموقف الشجاع [٤].

وعلى الرغم من الخلافات التي دبت في صفوف أمراء بني خالد بعد وفاة سعدون سنة ١١٣٥هـ/ ١٧١٧م للنزاع على الإمارة وماصاحب ذلك من ضعف في جانبهم، ووفاة حليفهم أمير العيينة عبد الله بن معمر سنة ١١٣٨هـ [٥]/ ١٧٢٥م، إلا أنهم سرعان مااستعادوا قوتهم حين تولى الإمارة سليمان بن محمد بن غرير (١١٤٣هـ - ١١٦٦هـ) والذي شهدت فترة حكمه ظهور الدعوة السلفية وبداية مرحلة جديدة من

---

(١) جمال زكريا قاسم : المرجع السابق، ص ٣٦٤ .

* عبد الله بن محمد بن حمد بن معمر، تولى إمارة العيينة سنة ١٠٩٦هـ؛ وصار لها في عهده شهرة كبيرة، فأصبحت من أقوى بلدان نجد وأعظمها شهرة، وقد بقي عبد الله في الإمارة حتى وفاته سنة ١١٣٨هـ، بوباء حل في العيينة في تلك السنة. عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٢١٦، ٢٣٦ .

(٢) عبد الله العثيمين: محاضرات...، ص ٣٩-٤٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٠، ٢١٧ .

(٤) منير العجلاني: الإمام تركي بن عبد الله. الرياض: دار الشبل، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ١٥٧.

(٥) عبد الله العثيمين: محاضرات...، ص ٤١، عبد الله الشباط: المرجع السابق، ص ٢٤٥ .

الصراع معها [(١)]، ويذهب بعض الباحثين إلى أن من أسباب ذلك الصراع الخلاف المذهبي بين الجانبين[(٢)]، غير أن هذا أمر مستبعد إذ أن أمراء بني خالد يعتنقون المذهب السني[(٣)] السائد في الدولة السعودية.

على أن من أبرز الأسباب التي أدت إلى احتدام النزاع بين الجانبين هو ظهور الدعوة السلفية [(٤)] في نجد وماصاحب ذلك من تخوف كثير من الأمراء على مناصبهم وخوف البعض في نجد من ضياع مكانتهم في نفوس العامة مما دعاهم لمعارضة الدعوة، والاستنجاد بزعيم بني خالد سليمان بن محمد ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب خاصة بعد قيامه بتطبيق الحدود الشرعية [(٥)].

وعلى الرغم من إجماع المصادر التاريخية [(٦)] على أن زعيم بني خالد قد مارس التهديد والوعيد ضد عثمان بن معمر رغم مابينهما من الصلة الوثيقة، وتهديده إياه بقطع ريع نخيله في الأحساء إن لم يخرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب من العيينة إلا أن بعض الباحثين [(٧)] ينفي هذا الموقف، لكن الواقع التاريخي لايؤيد هذا الاتجاه خاصة في ظل تزامن موقف الزعيم الخالدي هذا مع إقامة الشيخ محمد الحد على المرأة الزانية في العيينة، وماتذكره بعض المصادر بما فيها المناوئة للدعوة من ولع هذا الرجل بالفسق وانحرافه

---

(١) عبد الله العثيمين: محاضرات...، ص ٤١ .

(٢) مالك رشوان: سياسة محمد علي في شبه الجزيرة العربية (١٢٢٦-١٢٥٦هـ/ ١٨١١-١٨٤٠م) رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٩٧٨م، ص ٣١ .

(٣) أيوب صبري باشا: المصدر السابق ٣١٨/٢، عبد الفتاح أبو علية: دراسات...، ص ٣٥٥ .

(٤) EL-Batrik. Abdul - Hamid: Turkish And Egyptian Rule in Arabia (1810-1841) Thesis for Thedegree Of Ph.D, University Of London. 1947. P. 146.

(٥) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٣٣/١، عبد العزيز بن باز: المرجع السابق، ص ٤١.

(٦) حسين بن غنام: المصدر السابق ٢/٢-٣. عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٣/١، عبد الله العثيمين: محاضرات...، ص ٤٢، منير العجلاني: المرجع السابق، ص ١٥٧. جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص ٣٦٤ .

(٧) عبد الله الشباط: المرجع السابق، ص ٢٤٧ .

الأخلاقي؛ الأمر الذي أدى إلى طرده من الإمارة ووفاته هارباً في الصحراء [١] سنة ١١٦٦هـ/ ١٧٥٣م.

إن موقف أمراء بني خالد تجاه الدعوة السلفية وضد الدرعية التي احتضنتها يؤكد مناوأتهم للدعوة، وهذا ما أدى بدوره إلى زيادة العداء واستمراره بين الجانبين في عهد عريعر بن دجين الذي يعتبر أكثر أمراء بني خالد على الإطلاق مناوأة للدعوة والدولة السعودية الأولى، ومما زاد من عداء عريعر للدولة السعودية تضامنها مع الدعوة السلفية الأمر الذي جعل الخطر على سيادة أمراء بني خالد مضاعفاً؛ فاتخذ عريعر موقفاً رافضاً لقيام الدولة السعودية [٢].

ولقد كان أول تدخل خارجي في شؤون الدولة السعودية الناشئة من قبل أمراء بني خالد[٣]؛ حيث قاد عريعر بن دجين سنة ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م هجوماً على نجد اتجه به إلى الجبيلة * فحاصرها، لكنها وبمساعدة من الدرعية تمكنت من الصمود أمام هذا الهجوم، فعادت الحملة إلى الأحساء دون تحقيق أي انتصار[٤].

وكان من نتائج تلك الحملة بداية الصراع المسلح بين الأحساء والدرعية التي بدت واثقة من نفسها وقدرتها على صد العدوان الخارجي مما جعل بعض المعارضين لها في نجد يبادرون في الانضمام إليها [٥].

على أن أبرز نتائج تلك الحملة تحول موقف الدولة السعودية من الدفاع إلى الهجوم، فقد شهدت سنة ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م هجوماً سعودياً على الأحساء بقيادة الأمير

---

(١) مؤلف مجهول: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب. تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ. الرياض: دارة الملك عبد العزيز، د.ت.ن، ص ١٦٧ .

(٢) محمد نخلة: المرجع السابق، ص ٣١ .

(٣) عبد الله العثيمين: محاضرات...، ص ٤٥ .

* الجبيلة: قرية تقع إلى الشمال الغربي من الرياض على بعد ٥٠ كيلاً، وقد قامت على أنقاض بلدة عقرباء القديمة. محمد بن عمر الفاخري: الأخبار النجدية. تحقيق عبد الله يوسف الشبل. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ت.ن، ص ٦٢ .

(٤) حسين بن غنام : المصدر السابق ٢/٥٥. عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٥١ .

(٥) عبد الله العثيمين: محاضرات...، ص ٤٦ .

عبد العزيز بن محمد بن سعود * توغل به داخل المنطقة وحقق بعض الانتصارات العسكرية[(١)].

وعندما أحس عريعر بن دجين بالتفوق السعودي بدأ العمل لتكوين تحالف مضاد؛ فتقدم في سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م بقواته من الأحساء للإنضمام إلى القوات التي يقودها حسن بن هبة الله المكرمي ** لمهاجمة الدرعية بالتعاون مع بعض القوى المحلية في نجد، ولكن القيادة السعودية تمكنت من إقناع المكرمي بالعودة وعقد الصلح معه، فبقي عريعر دون مساعدات تذكر، ومع ذلك قام بحصار الدرعية، فَقُتِل من أتباعه خمسين رجلاً ثم عاد إلى الأحساء دون تحقيق شيء من أهدافه[(٢)]، واستفادت الدولة السعودية من تلك الحملة فوائد مهمة حيث تبيّن لها على الساحة قوى مناوئة جديدة هي قوة أمير نجران، وكذلك قوة أمراء الحجاز الذين قاموا بإرسال الأسلحة لأمير الأحساء مساعدة له ضد الدرعية، كما دخلت الدولة العثمانية كقوة مناوئة جديدة للدولة السعودية الأولى حين أكدت رضاها عن مشروع تعاون المكرمي وأمراء الحجاز ضدها، كما أنها حثت واليها في بغداد على علاج الموقف، والعمل للقضاء على الدولة السعودية الأولى[(٣)].

---

* عبد العزيز بن محمد بن سعود. ولد سنة ١١٣٣هـ وتولى قيادة كثير من جيوش الدولة السعودية الأولى في عهد والده، وبويع بالإمامة سنة ١١٧٩هـ، واستمر إماماً للدولة حتى استشهاده سنة ١٢١٨هـ في مسجد الطريف بالدرعية، وكان عهده من أزهى عصور الدولة السعودية الأولى. عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٦٣، ١٦٧ .

(١) محمد الأحسائي: المرجع السابق ١/١٢٩ .

** حسن بن هبة الله المكرمي أمير نجران من قبيلة يام، وكان من أبرز خصوم الدولة السعودية الأولى. عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/١٠١ .

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٥٧-٦٠ .

(٣) عبد الكريم الوهبي: بنو خالد وعلاقتهم بنجد (١١٨٠-١٢٠٨هـ). الطبعة الأولى. الرياض: دار ثقيف، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص ٣٩٥، ٣٩٨ . ولكن التأييد العثماني للحملة بقي معنوياً حيث أن علاقات العثمانيين بأمراء بني خالد لم تتوطد إلا بعد أن ضم السعوديون الأحساء مع مطلع القرن الثالث عشر الهجري.

وثمة نتيجة لتلك الحملة لاتقل أهمية عما سبق وهي انضواء كثير من بلدان نجد تحت طاعة الدولة السعودية في السنتين التاليتين ومنها منطقة الوشم التي دخلت جميع بلدانها تحت الحكم السعودي(١).

ورغم المحاولات التي قام بها أمراء بني خالد للحد من التفوق السعودي بشن حملات جديدة إلا أن تلك المحاولات لم تؤد إلى نتيجة تذكر، وقد فقد عريعر بن دجين حياته سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م أثناء محاولته الاستيلاء على منطقة القصيم(٢)، وفي أعقاب وفاته دبت الفوضى بقواته بل بالأسرة الحاكمة نفسها حيث نشبت النزاعات الداخلية بين أبناء عريعر وإخوته(٣)، مما أعاق هجمات بني خالد العدائية ضد الدرعية لما يقارب الخمس سنوات، على أن أهالي بعض بلدان نجد حاولوا دعوة سعدون بن عريعر إلى نجد والتعاون معه سنة ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م إلا أن القوات السعودية قضت على خطر سعدون الذي لجأ إلى الهرب (٤) تجنباً للقتال بعد أن أدرك ضعف موقفه.

وقد شهد عام ١١٩٦هـ/ ١٧٨١م تقهقر آخر هجوم لأمراء بني خالد داخل نجد والذي استهدف بلدة بريدة والتي تمكنت بمساندة من أهالي الرس من الصمود أمام حصار سعدون بن عريعر الذي استمر لما يقارب خمسة أشهر دون نتيجة مما دعاه لفك الحصار والانسحاب إلى الأحساء (٥).

ومع نهاية القرن الثاني عشر الهجري وبداية القرن الثالث عشر أصبح زمام المبادرة بيد السعوديين في نزاعهم مع الأحساء وبدؤوا في التطلع الفعلي لضم المنطقة يدفعهم لذلك عدة عوامل أبرزها مناصبة أمراء بني خالد لهم العداء المستمر، والرغبة في نشر الدعوة السلفية في تلك المنطقة، إضافة إلى أهمية الأحساء الاقتصادية المتمثلة بالموقع البحري

---

(١) عبد الكريم الوهبي: المرجع السابق، ص ٢٧٧ .

(٢) حسين بن غنام: المصدر السابق ٨٩/٢. عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/ ٧٨ .

(٣) عبد الله العثيمين: محاضرات...، ص ٤٨. محمد الأحسائي: المرجع السابق ١٢٩/١ .

(٤) حسين بن غنام: المصدر السابق ٢/ ١٠٣- ١٠٥. عثمان بن بشر: المصدر السابق ٨٧/١ .

(٥) حسين بن غنام: المصدر السابق ١١٢/٢ - ١١٦. عثمان بن بشر: المصدر السابق ٩٢/١- ٩٣. عبد الله العثيمين: محاضرات...، ص ٤٩ .

المهم، والأراضي الصالحة للزراعة [١].

وقد شهد عام ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٦م ذروة النزاع الداخلي لبني خالد حين قامت ثورة ضد سعدون على يد أخيه دويحس بن عريعر وعبد المحسن بن سرداح ولقيا مساعدة من زعيم المنتفق ثويني بن عبد الله* فحلت الهزيمة بسعدون الذي لم يجد ملجأً له إلا الدرعية فدخلها قبل أن يأذن له الإمام عبد العزيز والذي كان يدرك حرج الموقف، إذ أن استقباله لسعدون سيثير عليه عداء زعيم المنتفق، وهذا ماحدث حين بدأ ثويني ابن عبد الله يعمل لمهاجمة نجد كرد فعل على استقبال الدرعية لخصمه [٢].

وقد حدث بالفعل ماكان يخشاه الإمام عبد العزيز فشن ثويني هجوماً سنة ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م استهدف بريدة إحدى البلدان السعودية؛ خاصة أن أمير تلك البلدة حجيلان بن حمد سبق أن هاجم قافلة تجارية في أراضي العراق العام المنصرم [٣].

ويلاحظ هنا ارتباط موقف أمراء بني خالد بموقف العراق العثماني وموقف أمراء الحجاز إذ أن أمير مكة المكرمة غالب بن مساعد** قام في تلك الفترة بإجراء اتصالات

---

(١) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/١١٨، ١٢٢-١٢٣.

* ثويني بن عبد الله بن شبيب بن مانع الشبيبي، تولى زعامة المنتفق سنة ١١٧٥هـ/ ١٧٦٠م بعد وفاة والده، فاكتسب القوة وثقة ولاة بغداد وتعاون معهم في حملاتهم ضد الدولة السعودية الأولى، وقد قتل ثويني مطلع سنة ١٢١٢هـ على يد أحد أتباعه في حملته المتجهة إلى الأحساء ضد الدولة السعودية الأولى. محمد بن خليفة النبهاني: التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية. ط١، بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤٠٦هـ، ص ٢١، ٤١٠.

(٢) حسين بن غنام: المصدر السابق ٢/١٢٤-١٢٥. عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٩٨، عبد الله العثيمين: محاضرات...، ص ٥١.

(٣) حسين بن غنام: المصدر السابق ٢/١٢٦ .

** هو غالب بن مساعد بن سعيد بن زيد من آل أبي نمي تولى إمارة مكة المكرمة والحجاز سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٨م بعد وفاة أخيه سرور بن مساعد، وبقي فيها حوالي ست وعشرين سنة، منها تسع عشرة سنة تابع للعثمانيين، وسبع سنوات تابع للدولة السعودية، وكانت وفاته في سالونيك بعد أن قبض عليه محمد علي باشا وأرسله إلى هناك حيث توفي في سجنه سنة ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م. عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٢٥٣ .

مع عبد المحسن بن سرداح للعمل سوياً ضد الدولة السعودية الأولى[1]، الأمر الذي جعل حكام الدرعية يحاولون تحسين علاقاتهم مع أمراء الحجاز بإرسال بعض علماء نجد إلى مكة للالتقاء بعلمائها وبالأمير غالب[2]، ولاشك أن هدفهم من وراء ذلك تخفيف الضغط الذي بدأت الدولة السعودية تواجهه من ثلاث جهات في آن واحد، وفي نفس الوقت أراد حكام الدرعية إتمام جهودهم لضم الأحساء إذ كانت الغزوات السعودية متواصلة خلال تلك الفترة على المنطقة.

وفي سنة ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م تمكن الأمير سعود بن عبد العزيز * من دخول الأحساء وتعيين زيد بن عريعر أميراً [3] عليها، وتمكن سعود بعد سنتين من السيطرة على سيهات والقطيف [4]، ولكن الأمور لم تستقر في الأحساء حيث قام زيد بن عريعر بقتل عبد المحسن بن سرداح مما أثار كثيراً من رجال بني خالد عليه فانفضوا عنه وانضموا لابن القتيل براك بن عبد المحسن [5] الذي تزعم الناقمين ضد زيد بن عريعر، وكان على الأمير سعود بن عبد العزيز أن يعود بقواته لتثبيت الأوضاع في الأحساء وإصلاح ماأفسده زيد، وقد تمكن الأمير سعود من قمع تحركات براك بن عبد المحسن الذي هرب إلى العراق، ثم قام سعود بتعيين محمد الحملي أميراً على المنطقة سنة ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢م، ولم يرض زيد بن عريعر بعزله عن الإمارة، لذا فقد أصبح خصماً للقوات السعودية وتزعم

---

(١) مؤلف مجهول: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، ص ٩٥ .

(٢) حسين بن غنام: المصدر السابق ١٤٤/٢-١٤٥ .

* سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، ولد في الدرعية سنة ١١٦٥هـ، وتولى الحكم بعد استشهاد والده سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، وقد توفي رحمه الله سنة ١٢٢٩هـ، وكان عهده قمة قوة الدولة السعودية الأولى. عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٢٥/١ .

(٣) يتفق كل من ابن غنام وابن بشر على أن زيداً كان بصحبة الأمير سعود حين تحرك من نجد إلى الأحساء في تلك الغزوة، ولكن ابن غنام يذكر أن زيداً اعتذر عن مرافقة سعود لدخول الأحساء ومكث في غريميل، بينما يذكر ابن بشر أن سعوداً عين زيداً أميراً على الأحساء. حسين بن غنام المصدر السابق ١٤٢/٢-١٤٣. عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٠٥/١-١٠٦.

(٤) محمد الأحسائي: المرجع السابق ١٣٢/١ .

(٥) عبد الله العثيمين: محاضرات...، ص ٥٢ .

المؤامرة التي أطاحت بالأمير الجديد محمد الحملي، وإزاء تغير الموقف بهذا الشكل أصبح خصمه براك بن عبد المحسن موالياً للقوات السعودية، وعمل على عقد الصلح بين الدرعية وأهالي الأحساء سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م، فتم تعيينه أميراً في المنطقة نتيجة لموقفه هذا، إلا أن الأمور لم تستقم في الأحساء إذ استمرت الفتنة والانقسام بين الأهالي، وظهر تغير في موقف براك بن عبدا لمحسن الذي بدأ يجنح إلى التمرد بعد أن استتب له الأمر برحيل خصمه زيد بن عريعر إلى العراق[١]، لذا قام براك بتشجيع الأهالي على التمرد ضد الحكم السعودي سنة ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م مما جعل الأمير سعود يتجه بقواته إلى المنطقة ويقضي على ذلك التمرد، ويعين حاكماً جديداً على الأحساء من أهالي المنطقة نفسها، لينهي بذلك حكم أمراء بني خالد للمنطقة طوال العهد السعودي الأول، وعلى ذلك فإن حكم أمراء بني خالد قد بقي حتى سنة ١٢١٠هـ/ ١٧٩٦م وإن كان قد انتهى كإمارة مستقلة بالفعل سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م[٢].

وعلى أية حال فإن وصول الحكم السعودي إلى الأحساء ترتب عليه نتائج متعددة من أبرزها: اتساع دائرة الحكم السعودي وزيادة عدد مقاتلي الدولة الأمر الذي زاد من هيبتها، خاصة أن الأحساء أصبحت نقطة انطلاق عسكرية سعودية لغزو مناطق الخليج العربي أو العراق، كما أن الطرق أصبحت ممهدة أمام الدعوة السلفية للانتشار بين سكان المنطقة، إضافة إلى أن القوى الخارجية ذات المصالح في الخليج العربي بدأت تهتم بأمر الدولة السعودية خاصة شركة الهند الشرقية البريطانية والحكومة الفارسية، يضاف إلى ذلك أن هذه الدولة أصبحت ذات حدود مع بقية إمارات الخليج العربي والدولة العثمانية ممثلة بباشوية البصرة وبغداد، وأصبح التعامل معها أمر محتم؛ ومنذئذ بدأ التفكير العثماني للقضاء على هذه الدولة الطموحة.

أما من الناحية الاقتصادية فإن الدولة السعودية تمكنت من الوصول إلى مياه الخليج العربي فأصبح بإمكانها استيراد ماتحتاجه من بضائع مباشرة، وأصبح لدى مواطنيها فرصة

---

(١) عبد ا لله العثيمين: محاضرات...، ص ٥٢-٥٣. محمد الأحسائي: المرجع السابق ١٣٤/١ .

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٣١/١، ١٣٧.

للعمل في الخليج، والأهم من كل ذلك أن الدولة كسبت منطقة زراعية خصبة في إقليم الأحساء مما زاد من موارد الدولة [١].

على أن النزعة العدائية لأمراء بني خالد بقيت متأصلة منتظرة الفرصة المناسبة للعودة إلى حكم المنطقة، ولكن الحكم السعودي القوي واستتباب الأحوال الأمنية والإدارية في الدولة ككل والأحساء بشكل خاص جعل آمال أولئك الأمراء تتبدد رغم ماحاولوا القيام به من دعم العدوان الخارجي العثماني ضد الدولة السعودية، ولعل ذلك من إفرازات إبعادهم عن إمارة الأحساء؛ فرغم عداء بني خالد للعثمانيين إلا أن ثمة تقارباً وضح على مسرح الأحداث بين الجانبين وتوثق منذ أن أبعد السعوديون أمراء بني خالد عن حكم المنطقة.

على أن كل ماكان بمقدور أمراء بني خالد عمله تأييد ومساعدة الحملات العثمانية القادمة من العراق ضد الدولة السعودية الأولى خاصة حملة ثويني بن عبد الله سنة ١٢١١هـ/١٧٩٧م والتي صحبها عددٌ من أمراء بني خالد[٢]؛ من هنا أصبح أمراء بني خالد قوة مناوئة تقليدية للدولة السعودية فحدث التقارب بينهم وبين العثمانيين[٣].

على أن كل تلك المحاولات الخالدية باءت بالفشل وظلت آمالهم أحلاماً لما يقارب ثلاثاً وعشرين سنة حين سنحت لهم الفرصة للعودة والعداء مشاركة لاتفرداً ليعملوا بالتعاون مع قوات محمد علي باشا والي مصر * والتي وصلت ذروتها سنة

---

(١) عبد الله العثيمين:تاريخ المملكة...،١/١٢٢-١٢٣.عبد الله العثيمين:محاضرات...،ص٥٤-٥٥.

(٢) عثمان بن بشر : المصدر السابق ١/١٤١.

(٣) عبد الفتاح أبو علية: دراسات...، ص ٣٦٤ .

* محمد علي باشا أشهر ولاة الدولة العثمانية في مصر، عين في هذا المنصب سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، بدعم من المشايخ والأعيان، واستطاع التغلب على خصومه - خاصة المماليك - وعمل على بناء جيش قوي تمكن بواسطته من التوسع في الجزيرة العربية والسودان والشام، وقد اصطدم بطموحاته مع المصالح البريطانية، الأمر الذي أدى إلى تدخل الدول الأوربية وإيقافه عند حده، وقصر حكمه على مصر فقط، فتقلص نشاطه حتى توفي سنة ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م. (الموسوعة العربية الميسرة) ج٢، بيروت: دار نهضة لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ١٦٦١-١٦٦٢. وكذلك: محمد صبري: تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث. ط١، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٣٢-٣٣.

١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م منفذة لطلب السلطان العثماني بالقضاء على الدولة السعودية الأولى، فسارع أمراء بني خالد للعمل مع قائد تلك القوات إبراهيم باشا * لتنفيذ هدف السلطان من ناحية، ولتحقيق أطماعهم في منطقة الأحساء من ناحية أخرى(١).

والواقع أن هناك تبايناً كبيراً بين المصادر في الطريقة والفترة الزمنية لبداية الاتصال والتعاون بين كل من إبراهيم باشا وأمراء بني خالد ممثلين بمحمد وماجد ابني عريعر ابن دجين؛ فبينما يذهب الفاخري إلى أن ابني عريعر تمكنا من العودة للأحساء والسيطرة عليها في ١٤ ذي القعدة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م أي قبل سقوط الدرعية بيد إبراهيم باشا وأثناء حصاره لها (٢)، دون أن يشير إلى وجود اتصال بين الطرفين، نجد أن ابن بشر يشير إلى أن ابني عريعر كانا بجانب إبراهيم باشا أثناء حصاره للدرعية دون تحديد لتاريخ قدومهما إليه، وأن سيطرتهما على الأحساء لم تحدث إلا سنة ١٢٣٤هـ بعد أن استقر الباشا في الدرعية (٣)، ويذهب بعض الباحثين إلى أن ذلك كان بتأييد إبراهيم باشا نفسه

---

* إبراهيم باشا بن محمد علي باشا وهو الابن الأكبر له، وقد عينه قائداً للحملة التي أرسلها للقضاء على الدولة السعودية الأولى، كما تولى إخماد الثورة اليونانية، وقيادة جيوش محمد علي باشا في الشام، وكانت وفاته سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م. الموسوعة العربية الميسرة ١/٣-٤.

(١) يرى مالك رشوان: المرجع السابق ص ٩٢ أن أمراء بني خالد كانوا من أبرز أسباب سقوط الدولة السعودية الأولى، ولكن هذا القول فيه شيء من المبالغة إذ لم يكن بوسعهم العمل لوحدهم ضد الدولة السعودية الأولى، كما أن القوات التي أسقطت الدولة السعودية الأولى قدمت من مصر ولم يبرز دور أمراء بني خالد إلا حين وصلت الدرعية. وثائق عثمانية: ٢/١-٢٩، دارة الملك عبد العزيز: الرياض. رسالة من إبراهيم باشا إلى ماجد بن عريعر حول بعض الطلبات، ٩ شوال ١٢٣٣هـ.

(٢) محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٥٠.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٢٨٥، وذكر محمد الأحسائي: المرجع السابق ١/٢٤٠ أن ذلك كان أثناء توجه إبراهيم لحصار الدرعية، بينما يحدد البعض ذلك بأنه حين كان الباشا في منطقة الوشم. جاكلين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب. ترجمة قدري قلعجي. بيروت: دار الكاتب العربي، د.ت.ن، ص ٢٤٢. ويذكر محمد نخلة: المرجع السابق، ص ٣٤ أنه أثناء الحصار، وقد ذكر بعض الباحثين استناداً على ابن بشر أن ذلك كان بعد سقوط الدرعية. حصة السعدي: الدولة السعودية الثانية وبلاد غرب الخليج وجنوبه. ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ١٠٥. ولكن ابن بشر أشار إلى أنه قبل سقوط الدرعية.

حيث أصبح ماجد بن عريعر حاكماً على المنطقة [(١)].

ويعلل المؤرخ العثماني أحمد جودت ذلك بأن إبراهيم باشا كان يهدف إلى إراحة نفسه من عناء الترحال إلى المنطقة مكتفياً بإرسال ماجد بن عريعر الذي أمر بالدعاء للسلطان العثماني في مساجد الأحساء [(٢)]، إلا أن تتابع الأحداث ينفي هذا القول إذ لم يلبث إبراهيم أن أرسل قواته إلى المنطقة بقيادة محمد كاشف، فسيطرت عليها مرتكبةً ألواناً من العنف والبطش والقتل تجاه الأعيان والعلماء فيها [(٣)]، مما يدل على أن إبراهيم باشا كان يريد استعمال آل عريعر كأداة لإخضاع المنطقة والقضاء على العناصر الموالية للدولة السعودية، وذلك تمهيداً لزحف قواته [(٤)] النظامية إليها، وحين أدرك آل عريعر ذلك فرّوا هاربين إلى العراق [(٥)] خوفاً من بطش الكاشف وجنوده ولم يعودوا للمنطقة إلا بعد رحيل قوات إبراهيم باشا منها [(٦)].

غير أن الوثائق العثمانية تزودنا بحقائق تختلف عما ورد في المصادر المحلية الآنفة

---

(١) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢١٢/١، صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج١، بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.ن، ص ١٩٣. محمد نخله: المرجع السابق، ص ٣٩، وكذلك:

Philby, H.S.John: Saudi Arabia. Beirut: Lebanon Bookshop, 1968, P. 148.

(٢) أحمد جودت باشا: تاريخ جودت، جلد حادي عشر، ايكنجي طبعي، در سعادت: مطبعة عثمانية، ١٣٠٩هـ، ١٥/١١.

(٣) يذكر الفاخري أن ذلك كان في آخر ذي القعدة ١٢٣٣هـ، أما ابن بشر فيذكر أنه بعد أيام من سيطرة آل عريعر على الأحساء. محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٥٠، عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٨٥/١-١٨٦.

(٤) محمد العيدروس: تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر. ط١، القاهرة، عين للدراسات والبحوث، ١٩٩٦م، ص ١٢٨١، محمد نخلة: المرجع السابق، ص ٣٥ .

(٥) وثائق عثمانية: ٣/١-٦ دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من داود باشا إلى السلطان حول تدعيم قوة آل عريعر في الأحساء، ٥ رمضان ١٢٣٣هـ.

(٦) عايض الروقي: حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤١٤هـ، ص ٢٣ .

الذكر، ويمكن إجمال ذلك في النقاط التالية:

(١) أن أسرة آل عريعر قد استقرت في بغداد وتم العمل على راحتها من قبل داود باشا وذلك تمهيداً لاستخدام ماجد ومحمد في تلك المهمة [(١)].

(٢) أرسل والي بغداد داود باشا ماجد ومحمد العريعر إلى الأحساء للسيطرة عليها منذ ربيع الأول ١٢٣٣هـ وذلك دعماً لإبراهيم باشا - الذي لم يصل بعد للدرعية - وأن ماجداً تمكن من السيطرة على الأحساء ثم أرسل أخاه محمداً لمساعدة إبراهيم في حصاره للدرعية، بينما مكث هو في الأحساء لتصفية الفارين إليها من الدرعية[(٢)].

(٣) حين أرسل داود باشا ماجد ومحمد ابني عريعر إلى الأحساء زودهما بقرار تعيين ماجد والياً فيها من قبله، كما أرسل إليه الخلع والمخصصات المعتادة في مثل هذه الاجراءات[(٣)]، الأمر الذي زاد من هيبة ماجد بين الأهالي [(٤)].

(٤) واجه ماجد بعض الصعوبات في الاستيلاء على الهفوف والمناطق التابعة لها حيث أن

---

(١) وثائق عثمانية: ٣/١-٦ دارة الملك عبد العزيز. الرياض.

(٢) وثائق عثمانية ٣/١-٧. دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من داود إلى السلطان حول إرساله آل عريعر للأحساء، ١١ ربيع الثاني ١٢٣٣هـ.

؛ وثائق عثمانية : ٣/١-١ دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من داود باشا للسلطان العثماني حول دعمه لإبراهيم باشا، ١٥ ربيع الثاني ١٢٣٣هـ.

؛ وثائق عثمانية: ٣/١-٣٤ دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من داود باشا للسلطان، ١٢٣٣هـ.

؛ وثائق عثمانية: ٣/١-٣٣، دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من داود باشا إلى الصدر الأعظم حول سقوط الدرعية وموقف آل عريعر، ١٢٣٤هـ.

(٣) وثائق عثمانية: ٣/١-٥، دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من داود باشا للسلطان حول الاستيلاء على الدرعية، ١٦ذي الحجة ١٢٣٣هـ.

(٤) وثائق عثمانية: ٣/٦-١، دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسائل محمد العريعر إلى داود باشا حول حروب الدرعية.

؛ وثائق عثمانية: ٣/١-٣١، دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من ماجد العريعر إلى داود يشكره على الخلعة ويعرض طاعته، ٥ شوال ١٢٣٣هـ.

تلك المناطق قد أطاعت الأمير السعودي في المنطقة إبراهيم بـن عفيصـان [١]، إلا أن ماجداً لم يلبث أن تمكن من إخضاع المنطقة بكاملها تحت طاعته [٢]، وأصبح الخطباء يدعون للسلطان العثماني في المساجد [٣].

(٥) تثبت الوثائق وجود اتصالات ومراسلات بين إبراهيم باشا وماجد بن عريعر أثناء حصار الدرعية حيث هنأ إبراهيم ماجداً بعودته للأحساء وطلب منه المساعدة والدعم بإرسال ماعنده من الخيول والجمال والجنود، واعداً إياه بالمكافأة حين يلتقي به [٤].

(٦) تظهر الوثائق ازدواجية ولاء ماجد ومحمد آل عريعر مابين داود باشا وإبراهيم باشا من حيث إبداء الطاعة والولاء وتقديم مابوسعهما من خدمات [٥]، ومن المؤكد أنهما يهدفان بذلك المسلك إلى ضمان حكمهما للأحساء عن طريق إرضاء من تكون له السيطرة على الأمور كممثل للدولة العثمانية.

(٧) أظهر ماجد العريعر وأخوه محمد ابتهاجاً بسقوط الدرعية بيد إبراهيم باشا وأرسلا بالبشارة إلى والي بغداد وإلى بعض الأعيان في العراق والكويت [٦]، مما يدل على قربهما من الأحداث بدليل معرفتهما بذلك الحدث قبل وصول أخباره

---

(١) وثائق عثمانية: ٣/٨-١، دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من ماجد العريعر إلى داود حول حصار الدرعية، ٢٦ شوال ١٢٣٣هـ.

(٢) وثائق عثمانية: ٣/١-١، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

(٣) وثائق عثمانية: ٣/١-٣٣ دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

(٤) وثائق عثمانية: ٢/١-٢٩، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

(٥) وثائق عثمانية: ٣/٦-١، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

؛ وثائق عثمانية: ٣/٦-٢، رسالة من محمد العريعر إلى داود باشا عن بعض طلبات إبراهيم باشا منهم، ١٧ شوال ١٢٣٣هـ.

(٦) وثائق عثمانية: ٣/٦-٣، دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسائل من ماجد العريعر إلى داود باشا، ١٢٣٣هـ.

؛ وثائق عثمانية: ٣/٨-٣، دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من ابن رزق إلى داود باشا حول الاستيلاء على الدرعية، ٢٣ ذي الحجة ١٢٣٣هـ.

إلى داود باشا نفسه.

(٨) لاتعطي الوثائق أية معلومات عن توغل قوات إبراهيم باشا في الأحساء ولكنها تذكر أن ماجد ومحمد ابني عريعر دخلا تحت إدارة إبراهيم باشا سنة ١٢٣٤هـ[١].

(٩) سعى داود باشا وألح كثيراً على السلطان لتعيين ماجد والياً رسمياً على الأحساء، ذاكراً الدور الذي لعبه في سبيل سيطرة قوات إبراهيم باشا على الدرعية، كما طلب منه الموافقة على إرسال أسرة آل عريعر من بغداد إلى ماجد ومحمد في الأحساء بناء على طلبهما الذي تقدما به[٢].

وفي واقع الأمر أن داود باشا قد أبدى حرصه على تعيين ماجد بن عريعر والياً على الأحساء بسبب خشيته من اتجاه ولاء أمراء بني خالد لإبراهيم باشا بشكل تام؛ خاصة مع تجاهل قوات إبراهيم باشا لماجد بن عريعر عقب إرسال الكاشف للأحساء ، حيث قام الكاشف بتعيين ابن أخيه مشرف العريعر على الإمارة رغم وجود ماجد هناك[٣]، ولعل سبب ذلك إدراك إبراهيم لعمق الصلات بين ماجد وداود باشا فأراد إبعاده وإبعاد أمراء بني خالد عموماً عن السلطة، ولكنه رأى إبقاء مشرف الأصغر سناً رغبة في كسب ود قبيلة بني خالد وضمان دفعها العوائد المادية له [٤].

وإزاء تزايد مخاوف داود باشا من تغلغل نفوذ محمد علي باشا في الخليج، تمكن من إقناع السلطان العثماني بضرورة سحب قوات محمد علي باشا من تلك المناطق [٥]،

---

(١) Hatt-i Humayun: No. 1967. Tarihi: 19-3-1234.

(٢) Hatt-i Humayun: No. 1967. Tarihi: 19-3-1234.

(٣) ج. فورستر سادلير: رحلة عبر الجزيرة العربية عام ١٨١٩م. ترجمة أنس الرفاعي. تحقيق سعود العجمي. ط١، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٤١، ٤٥ .
وكذلك: EL-Batrik. op.cit, P. 146.

(٤) ج. فورستر سادلير: المصدر السابق، ص ٦٢، EL-Batrik: op.cit, P. 147.

(٥) أمين الحلواني: خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق (مختصر مطالع السعود للشيخ عثمان ابن سند)، تحقيق محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٧١هـ، ص ١٣٤. حصة السعدي: المرجع السابق، ص ١١٠.

وحين تم ذلك تمكن ماجد ومحمد العريعر من السيطرة على مقاليد الأمور في الأحساء لصالحهما في رمضان عام ١٢٣٤هـ[١]، وتمكن سعدون بن محمد بن عريعر الملقب بالضرير من السيطرة على القطيف[٢] ليعود أمراء بني خالد للإمارة من جديد مع التبعية للدولة العثمانية المتمثلة بباشوية بغداد وواليها داود باشا [٣] .

وإلى أي كانت تبعيتهم فإن أمراء بني خالد قد انضموا للدولة العثمانية لاستعادة نفوذهم في الأحساء على حساب الوجود السعودي هناك، ثم استمر تحالفهم مع القوة العثمانية ومع غيرها من القوى [٤] ضماناً لاستمرار سلطتهم.

---

(١) محمد الفاخري: المصدر السابق، ص١٥٢، وإلى ذلك يشير بقوله "انفصل محمد بن عريعر عن إبراهيم باشا" أي أنه أصبح حاكماً مستقلاً للأحساء. وكذلك انظر: إبراهيم بن عيسى: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، الرياض: دار اليمامة، د.ت، ص ١٤٨. مطلق بن صالح ابن مطلق: شذا الند في تاريخ نجد، (مخطوط)، بخط أحمد علي، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ورقة ٥. وتذكر حصة السعدي: المرجع السابق، ص ١١١ أن ذلك كان سنة ١٢٣٥هـ وهو خلاف ماجاء في المصادر.

(٢) عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق. (مخطوط) نقله نور الدين شريبة، جمادى الآخرة ١٣٧٥هـ/ يناير ١٩٥٦م. نسخة متداولة، ورقة ٢٣٤-٢٣٥ .
وكذلك: مقبل الذكير. العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية. نسخة مصورة من جامعة بغداد، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م تحت رقم (٥٧٠) ورقة ٥٣. وذكر محمد الأحسائي: المرجع السابق ١/١٤٥ أن سعدون هو ابن عريعر بن دجين، وهذا غير صحيح لأن سعدون بن عريعر قد انقطع ذكره في المصادر منذ سنة ١٢٠٠هـ حين لجأ للدرعية، كما أن المصادر السابقة تذكر أنه سعدون ابن محمد بن عريعر، وهذا هو الأرجح.

(٣) محمد مخلة: المرجع السابق، ص ٤٣-٤٤. محمد العيدروس: المرجع السابق، ص ٢٨١. ويضيف محمد مخلة أن والي بغداد وقع في نزاع حكام فارس في عام ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م مما منعه من تقديم العون إلى أمراء بني خالد، الأمر الذي جعلهم يتحولون إلى حكومة القاهرة.

(٤) بعد عودة بني خالد للسلطة في الأحساء واجهوا ضغطاً وتحدياً من رحمة بن جابر الجلهمي أحد المتحمسين للدعوة السلفية والذين عملوا لصالح الدولة السعودية الأولى، وقد اتخذ رحمة من الدمام مركزاً لنشاطه العسكري البحري ضد بني خالد وضد السفن البريطانية في الخليج العربي، الأمر الذي دعا أمراء بني خالد للتحالف مع آل خليفة حكام البحرين للعمل ضده، وقد تمكنوا من القضاء عليه محارباً في سفينته سنة ١٢٤٢هـ.عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٣٢-٣٣.=

ومن خلال ماسبق يمكن القول أن أمراء بني خالد كانوا أول من جاهر بعداء الدولة العثمانية وأخرجوها من الأحساء، وعملوا على تمكين نفوذهم وسيطرتهم في المنطقة، ثم بدؤوا بالتطلع إلى المناطق المجاورة ومن أبرزها نجد، فحدث الصدام مع بلدانها ومن أهمها الدرعية التي رفضت الخضوع لسيطرتهم، كما أن ظهور الدعوة السلفية كان حدثاً مفزعاً لأمراء بني خالد خاصة حين تم تطبيق الحدود الشرعية على المخالفين وهذا ماجعل أمراء بني خالد يعملون جاهدين لوضع العراقيل أمام الدعوة وإخراج صاحبها من العيينة.

ولقد خدم أمراء بني خالد الدعوة السلفية من حيث لايشعرون، إذ أن إخراجهم للشيخ محمد بن عبد الوهاب من العيينة كان سبباً في أهم أحداث القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) ذلك الحدث هو قيام الدولة السعودية الأولى ومؤازرتها للدعوة التي لم تكن لتشهد ماشهدته من ذيوع وانتشار داخل الجزيرة العربية وخارجها لو لم يقيظ الله لها تلك الدولة الناشئة.

وحين أدرك أمراء بني خالد هذه الحقيقة بدؤوا صراعاً طويلاً مع الدولة والدعوة واللتين أصبحتا وحدة لاتتجزأ، فصمدت الدولة لجميع التحديات الأمر الذي جعل أمراء الأحساء يعملون جاهدين للتحالف مع من يمكن التحالف معه للقضاء على هذه الدولة، حتى ولو كان الحليف هو العدو القديم الدولة العثمانية ومن يمثلها كأمراء الحجاز، بل وحتى إن كان الحليف من يخالفهم في المذهب الديني كأمير نجران حسن بن هبة الله المكرمي.

ورغم كل ذلك إلا أن أمراء بني خالد لم يتمكنوا من إيقاف المد السعودي الذي

= عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/٢١٣، ويذكر لوريمر أن حصول رحمة على ميناء الدمام كان نتيجة لتعاونه مع إبراهيم باشا، انظر: سعيد عمر آل عمر. تاريخ المملكة العربية السعودية في دليل الخليج، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ١٧٤ .

ولمزيد من المعلومات عن نشاط رحمة بن جابر انظر:

حياة البسام: أعمال رحمة بن جابر البحرية في الخليج العربي بين القرصنة والانتقام. ط١، الرياض: دار الشبل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ص ٥٣-٧٤ .

وصل إلى الأحساء، وأنهى إمارتهم ليستمر عملهم ويتجدد أملاً باستعادة مافقدوه؛ الأمر الذي جعلهم يرحبون بالتعاون مع أي عداء مقبل يستهدف الدولة السعودية، سواء كان هذا العداء من داخل الجزيرة العربية أو من خارجها، ولذا عملوا بخدمة الحملات العثمانية الهادفة لإسقاط تلك الدولة، وجعلوا ذلك ثمناً للعودة لسلطتهم المفقودة معتقدين أن سقوط الدرعية وعودتهم للإمارة مؤقتاً في الأحساء باسم العثمانيين هو نهاية لنزاعهم مع السعوديين.

٢) أمراء الحجاز:

ظلت إمارة الحجاز مرتبطة بالدولة الحاكمة في مصر[١] حتى سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م حين تمكن السلطان العثماني سليم الأول من هزيمة المماليك ودخل مصر منهياً بذلك الحكم المملوكي وتبعية الحجاز له، فما كان من الشريف بركات الأمير الحاكم في الحجاز إلا أن أرسل ابنه محمد أبانمي للالتقاء بالسلطان العثماني وإعلان الولاء له فخضعت الحجاز بذلك للدولة العثمانية، وأُقر بركات وابنه أبانمي على إمارتها [٢].

ومنذ ذلك الوقت أصبح تعيين أمير الحجاز يتم بموافقة السلطان العثماني [٣]، وقد تمتع أمراء الحجاز بقدر كبير من الاستقلال الذاتي وصاروا يعتمدون على القاهرة أكثر من استانبول، واحتفظوا بولائهم للباب العالي الذي اكتفى بالسيادة الاسمية على الحجاز، وتبعاً لذلك فإن منصب إمارة الحجاز والذي أصبح مصدر ثراء مالي لمن يتولاه[٤] بقي محل نزاع بل وصراع دموي للظفر به[٥].

ولقد بدأ أمراء الحجاز مد سيطرتهم إلى المناطق المجاورة خاصة نجد وذلك مجاراة لأمراء الأحساء الذين انتهجوا هذا النهج منذ عام ١٠٨١هـ [٦]، ولعل أمراء الحجاز قد خشوا امتداد نفوذ أمراء بني خالد عبر نجد إلى أراضي حجازية، وأنهم طمعوا في نفس الوقت بالحصول على بعض المكاسب الاقتصادية خاصة الثروة الحيوانية المتوفرة في نجد

---

(١) من أكثر المصادر التي تناولت تاريخ أمراء الحجاز أحمد زيني دحلان والذي أعطى وصفاً مفصلاً لفترة حكمهم وارتباطهم بالدولة الحاكمة في مصر؛ حتى أن أمير الحجاز كان يجبر على تقبيل خف جمل المحمل القادم من مصر وأن هذا التقليد انتهى سنة ٨٤٣هـ حين وردت مراسيم من السلطان (جقمق) بإعفائه من ذلك التقليد. أحمد زيني دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام. ط١، القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٥هـ، ص ٤٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٠-٥١ . أحمد السباعي: تاريخ مكة. ج٢، ط٧، مكة المكرمة: مطابع الصفا، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٣٤٥. عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/٢٢-٢٣.

(٣) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/٢٣ .

(٤) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٤٨-٤٩ .

(٥) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/٢٣ .

(٦) المرجع السابق، ١/٣٨ .

والتي تعتبر أهم غنائم الحروب في ذلك الوقت [١].

ومن أبرز أمراء الحجاز الذين وصلوا بقواتهم إلى نجد الأمير سعيد بن زيد (١٠٩٩-١١٢٨هـ/١٦٨٧-١٧١٦م) الذي وصل إلى منطقة الوشم سنة ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م ولكنه لم يلبث أن عاد دون تحقيق شيء يذكر، وتكرر هجومه على نجد من جديد في رمضان سنة ١١٠٧هـ/ ١٦٩٥م طمعاً بالاستيلاء على محصول الحبوب في بلدة أشيقر، إلا أن العلماء فيها أفتوا للأهالي بالفطر، والعمل على حصد الزروع للحيلولة دون ذلك [٢].

ولكن هجمات أمراء الحجاز تلك بدأت في الاضمحلال منذ منتصف القرن الثاني عشر بسبب كثرة الخلافات الداخلية [٣]، والنزاع على منصب الإمارة، وقبل هذا وذاك ظهور الدعوة السلفية في نجد وقيام الدولة السعودية الأولى القوية[٤].

وتختلف المصادر في بيان طريقة وصول الدعوة السلفية إلى الحجاز؛ فيذكر البعض أن ذلك تم حين أرسل قادة الدرعية ثلاثين من علمائهم، وطلبوا الإذن لهم بالحج وذلك في عهد مسعود بن سعيد (١١٤٦-١١٦٥هـ/ ١٧٣٣-١٧٥١م)، حيث جرت مناظرة علمية بين أولئك العلماء وعلماء مكة، لكن مسعود بن سعيد أمر بسجن علماء الدعوة االسلفية، فسجن بعضهم وهرب الباقون [٥].

ويرى أحد المؤرخين أن علماء الدرعية في تلك الفترة وهي بداية الدعوة لم يصلوا إلى تلك الأعداد الكبيرة ليرسل منهم ثلاثين في مهمة واحدة، كما أنه لاحاجة

---

(١) يرى محمود شاكر: المرجع السابق، ص ٢٥٤ أن أمراء الحجاز رغبوا بمد النفوذ العثماني إلى نجد، ولكن هذا التبرير غير وارد لأن العثمانيين لم يكن لهم طموح سياسي أو عسكري في مناطق الجزيرة العربية مكتفين بالسيطرة الاسمية فقط، ولهذا لم يكن لهم نفوذ مباشر في نجد، كما أن المؤلف نفسه يبرر هجمات أمراء الحجاز تلك بإنها إخضاعاً لتمردات بلدان نجد، غير أن الحجاز لم يكن لها سيطرة فعلية ثابتة في نجد. عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/٣٨.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٢٢١ .

(٣) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٤٩ .

(٤) أحمد السباعي: المرجع السابق ٢/٤٢٧ .

(٥) أحمد دحلان: المصدر السابق، ص ٢٢٨ .

لإرسال كل هذا العدد من العلماء، ولو كان قد أرسل ذلك الوفد لذكره ابن غنام والذي كان معاصراً لتلك الفترة وحريصاً على تتبع كل ماله علاقة بالدعوة[١]، خاصة أنه ذكر الوفادات الأخرى لعلماء نجد إلى الحجاز بعد ذلك[٢].

أما المصادر العثمانية فتذكر أن مسعود بن سعيد أرسل في سنة ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م إلى السلطان العثماني يبلغه بظهور الدعوة السلفية، وأنه قد طلب من زعيمها الشيخ محمد ابن عبد الوهاب تركها، ولكنه لم يرد على رسالته، فقام مسعود بن سعيد بالقبض على ستين رجلاً من النجديين في موسم الحج، ونكل بهم ثم أرسلهم إلى بلادهم، ويستفاد من هذه الرواية أن أمراء الحجاز أول من أبلغ السلطان العثماني عن ظهور الدعوة، ولكن ذلك لايمكن الجزم به إذ أن الدعوة قد وصلت أخبارها إلى العراق العثمانية قبل ذلك خاصة عن طريق مراسلات المعارضين لها والذين حاولوا تأليب علماء البلدان الأخرى ضدها، ولذا فمن المؤكد أن السلطان العثماني قد علم بأمر الدعوة قبل أن يرسل إليه مسعود بن سعيد بأخبارها، والشيء المحقق من تلك الروايات أن أخبار الدعوة قد وصلت إلى الحجاز مشوهة ومن المرجح أن ذلك كان بواسطة خصومها في نجد[٣].

ولقد قام مسعود بن سعيد بمنع أهالي نجد من الحج مما يدل على موقفه العدائي تجاه الدعوة وهو ما سار عليه أخوه مساعد بن سعيد، إلا أنه في سنة ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م سُمِح لأهل نجد بالحج بعد أن أحسن الإمام عبد العزيز بن محمد معاملة الأمير منصور من أمراء الحجاز الذي قبضت عليه قوات الدرعية مع كتيبته، وأطلق سراحه دون فدية[٤].

وتطورت العلاقات بين الدرعية وأمراء الحجاز في عهد أمير مكة أحمد بن سعيد (١١٨٤هـ - ١١٨٦هـ/ ١٧٧٠-١٧٧٢م) بشكل أكبر حين طلب أحمد من قادة الدرعية إرسال أحد العلماء إلى الحجاز لإيضاح حقيقة الدعوة لعلمائها فتم إرسال الشيخ

---

(١) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١٢٤/١ .

(٢) حسين بن غنام: المصدر السابق، ص٨٠، ١٤٠ .

(٣) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٧٥/١، ١٢٥، عبد العزيز العبد اللطيف: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ط١، د.م.ن، دار الوطن، ١٤١٢هـ، ص ٤٤ .

(٤) عبد الله العثيمين : المرجع السابق ١٢٧/١ .

عبد العزيز بن عبد الله الحصين * محملاً بالهدايا؛ ورسالة حاول قادة الدرعية من خلالها إظهار المداراة لأحمد بن سعيد، كما أوضحوا له أهمية نصرة الشريعة الإسلامية والتي تمثلها الدعوة الإصلاحية مع بيان أهمية دور آل البيت ومنهم أمراء الحجاز في نصرة الدين الإسلامي (١) .

وقد التقى الشيخ عبد العزيز الحصين بعلماء الحجاز وجرت مناظرة علمية بينه وبينهم انتهت باتفاق بين الطرفين، الأمر الذي أدى إلى تحسن علاقات الدرعية بالحجاز طوال فترة حكم أحمد بن سعيد الذي أبدى اقتناعاً بمبادىء الدعوة السلفية(٢) .

ويشير بعض الباحثين إلى أن هذا التحسن في العلاقات قد منع قيام تحالف مشترك بين أمراء الحجاز وأمراء بني خالد ضد الدولة السعودية الأولى، مما جعل أمراء بني خالد يبحثون عن حليف آخر لهم تمثل في أمراء نجران (٣) .

على أن ذلك التحسن في العلاقات كان رهناً بفترة حكم أحمد بن سعيد إذ أن خليفته الأمير سرور بن مساعد منع النجديين من الحج ولم يسمح لهم به إلا سنة

---

* هو الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين التميمي، ولد في قرية الوقف بالوشم سنة ١١٥٤هـ، وطلب العلم على عدد من العلماء ومنهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب ثم عين قاضياً في الوشم واتخذ من شقراء مقراً له، وكانت له مجالس للتدريس، وقد قام بوفادتين لإبلاغ علماء الحجاز بمبادىء الدعوة السلفية، كما كان له دور في إقناع إبراهيم باشا بعقد الصلح مع أهالي شقراء سنة ١٢٣٣هـ، وكانت وفاته سنة ١٢٣٧هـ. عبد الله بن عبد الرحمن البسام: المرجع السابق ٢/٢٤٥-٢٤٩.

(١) حسين بن غنام: المصدر السابق، ٢/٨٠-٨١ .

(٢) عبد الفتاح أبو علية: محاضرات في تاريخ الدولة السعودية...، ص ٥٦، ويذهب بعض الباحثين إلى أن وفادة الحصين تلك لم تثمر عن شيء إيجابي في العلاقات بين الطرفين. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: الدولة السعودية الأولى، ط٥، القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ١٣٥-١٣٦، مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٤٩. بينما تؤكد المصادر المعاصره تحسن العلاقات وهو ماأشار إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته إلى أمير مكة غالب بن مساعد سنة ١٢٠٤هـ. حسين بن غنام: المصدر السابق، ٢/٨١، ١٤٤-١٤٥.

(٣) عبد الكريم الوهبي: المرجع السابق، ص ٢٨٢، ٢٨٨ .

١١٩٧هـ/١٧٨٢م لمرة واحدة بعد تودد وهدايا من قادة الدرعية [١] .

وشهدت فترة حكم الأمير غالب بن مساعد قمة التوتر في العلاقات بين الدرعية والحجاز؛ رغم محاولة غالب التظاهر بحسن النية حين طلب من قادة الدولة السعودية إرسال أحد علماء نجد للتفاهم مع علماء الحجاز سنة ١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م فتم إرسال الشيخ عبد العزيز الحصين من جديد لهذه المهمة.

وفي حقيقة الأمر أن غالب بن مساعد لم يكن صادقاً في هذا الاتجاه وإنما حاول تهدئة الأمور حين خشي من النفوذ السعودي الذي أصبح على وشك السيطرة على الأحساء [٢]، كما أنه أراد التظاهر بالرغبة في التفاهم الودي [٣] .

ونظراً لرغبة حكام الدولة السعودية الأولى بالتعايش السلمي ونشر الدعوة السلفية فقد أرسلوا مع الشيخ عبد العزيز الحصين رسالة من الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى علماء مكة المكرمة ينفي فيها ما ينسب للدعوة من اتهامات مشيراً فيها إلى نجاح وفادة الشيخ الحصين السابقة ومانتج عنها من تحسن في العلاقات بين الجانبين [٤] .

غير أن غالب بن مساعد تأثر بما أوهمه به بعض المعادين للدعوة حين صوروها له بالخطر الداهم الذي يعمل للقضاء على إمارته، ولذلك منع علماء الحجاز من الالتقاء بالشيخ عبد العزيز الحصين، وطلب منه العودة إلى بلاده [٥] .

وكان من نتيجة ذلك الموقف من الأمير غالب أن تخلى عنه بعض أنصاره؛ حين اكتشفوا خداعه وعدم رغبته بالتفاهم مع الدرعية؛ ومن هؤلاء القائد الكبير عثمان ابن عبد الرحمن المضايفي صهر الأمير غالب وأحد أبرز قادته والذي انتهى به الأمر – فيما بعد – بالانضمام للدولة السعودية حيث أصبح أحد أبرز قادة

---

(١) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/١٢٧ .

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: المرجع السابق، ص ١٣٧ .

(٣) محمد بن أحمد العقيلي: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ط١، أبها: نادي أبها الأدبي، ١٤٠٤هـ، ص ١٢٩ .

(٤) حسين بن غنام: المصدر السابق، ٢/١٤٤-١٤٥ .

(٥) المصدر السابق ٢/١٤٥.

جيوشها [١].

ولاشك أن تعيينه في هذا المنصب يدل على حنكة قادة الدرعية إذ أن المضايفي كان على علم بنقاط الضعف في قوة غالب الأمر الذي يساعدهم في التغلب عليه، وهو مايدل أيضاً على أن الدرعية قد بدأت استعدادها للعمل العسكري ضد غالب والذي بدأ باستخدام ذلك الأسلوب منذ سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م عندما أدرك قوة الدولة السعودية وخطورتها فأرسل حملة عسكرية بقيادة أخيه عبد العزيز إلى منطقة السر بنجد ولكن الحملة لم تحقق شيئاً يذكر، بل إنها أدت إلى تحول ميزان القوة لصالح السعوديين[٢].

وجدير بالذكر أن الأمير غالب قد حاول قبيل شن حملته الفاشلة تلك أن يجتذب بعض القوى المناوئة للدرعية إلى جانبه، حيث زود الزعيم الخالدي عبد المحسن بن سرداح ببعض القوات واتفق معه على شن الهجوم من جهتين (الأحساء والحجاز) [٣]، إلا أن عبد المحسن لم يتمكن من ذلك بسبب وجود القوات السعودية المكثف في الأحساء خلال تلك الفترة، كما أن غالباً حاول أيضاً الاستنجاد بالسلطان العثماني لمساعدته ضد الدولة السعودية، ولكن السلطان العثماني لم يعره أي اهتمام [٤].

وتعتبر معركة الجمانية* من المعارك الحاسمة في الصراع بين الأمير غالب بن مساعد والقوات السعودية التي ألحقت بقوات غالب هزيمة كبيرة سنة ١٢١٠هـ/١٧٩٥م مما دعاه إلى طلب التفاوض وإرسال أحد العلماء من الدرعية إلى الحجاز، ولكن تلك المحاولة لم تحقق التفاهم المطلوب مما جعل موقف غالب بن مساعد في حرج متزايد خاصة حين حلت سنة ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م والتي شهدت انشقاق قبيلتي عتيبة والبقوم اللتين تقطنان

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٦٢/١. عبد الوهاب فتال: عثمان المضايفي (عهد سعود الكبير)، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، د.ت.ن، ص ص ١٣-١٦ .

(٢) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١٢٨/١-١٢٩.

(٣) مؤلف مجهول: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، ص ٩٥ .

(٤) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١٢٩/١ . مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٥٠.

* الجمانية ماء معروف قرب جبل النير في القسم الغربي من نجد. عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٣٥/١.

في الأجزاء الغربية من نجد والشرقية من الحجاز عليه وانضمامهما للجانب السعودي، إضافة إلى الهزيمة النكراء التي حلت بقواته في الخرمة وقتل فيها مايزيد على ألف من رجاله على يد القوات السعودية؛ الأمر الذي جعله يجنح للصلح الذي سرعان ما نقضه بنفسه ومن طرف واحد، لذا لم يجد السعوديون بداً من حسم الأمر عسكرياً فبدأت قواتهم والتي كسبت القائد عثمان المضايفي إلى صفوفها بالتقدم نحو الحجاز لينتهي الأمر باستيلائها على الطائف ومكة المكرمة(١).

ونظراً لأن قادة الدرعية لم تهمهم السيطرة السياسية على الحجاز بقدر مايهمهم استتباب الأمن وراحة الحجاج وإتاحة الفرصة لحجاج نجد بأداء مناسكهم فإن الإمام سعود لم يدخل مكة إلا بعد إنتهاء موسم الحج، كما قام بتعيين الأمير عبد المعين ابن مساعد أميراً عليها بعد دخوله إليها في ٨ محرم ١٢١٨هـ(٢).

ورغم محاولة غالب استعادة مكة من أخيه عبد المعين إلا أن القوات السعودية قامت بمجابهته مما دعاه إلى الدخول في التبعية السعودية حين أدرك ضعف موقفه وطلب تعيينه أميراً في مكة المكرمة فوافقت القيادة السعودية له على ذلك(٣).

ويصف بوركهارت وضع الشريف غالب تحت الحكم السعودي بأنه تمتع "بمنزلة أفضل بكثير من المنزلة التي كان يتمتع بها عادة زعماء أنصار الدعوة الآخرون..." حيث ترك له دخل بلدان المنطقة "... ولمكانته الرفيعة ومالسكان البلدة المقدسة من احترام فإنه لم يطلب منه ولامن المكيين دفع الزكاة ..." (٤).

ولقد ترتب على ضم الحجاز للدولة السعودية الأولى نتائج متعددة من أبرزها زيادة مساحة الأراضي السعودية فأصبحت تمتد من الخليج العربي إلى البحر الأحمر؛ وارتفعت هيبتها في العالم الإسلامي حيث أصبحت تضم الحرمين الشريفين، وأعلنت منع

---

(١) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/١٣٢-١٣٣.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/١٦٣-١٦٥.

(٣) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/١٣٤-١٣٥ .

(٤) جوهان لودفيج بوركهارت: مواد لتاريخ الوهابيين. ترجمة عبد الله العثيمين. ط١، الرياض: شركة العبيكان للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٩٣.

محامل الحج التي تأتي باصطحاب القوات والطبول وغيرها من المظاهر البدعية من دخول المقدسات، وحينئذ قامت بعض البلدان المناوئة للدولة السعودية الأولى بإيقاف قدوم حجاجها لأداء مناسكهم[١].

وكان من أهم النتائج المترتبة على فقدان الدولة العثمانية سيطرتها على المقدسات أنها أصيبت بضربة معنوية كبيرة، حيث أرسل الإمام سعود بن عبد العزيز إلى السلطان العثماني رسالة يخبره فيها ببسط نفوذه على الحجاز وأنه قام بإزالة القبب والأضرحة فيها وطالبه بإيقاف المحامل والطبول وغيرها من المظاهر البدعية التي ترسل كل عام إلى الحرمين الشريفين[٢].

كما أتبع الإمام سعود ذلك ببعض الإجراءات حين أمر بإخلاء مكة المكرمة من الجنود العثمانيين وإبعاد القضاة المعينين من قبل الدولة العثمانية في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة[٣]، ومن هنا فإن السلطان العثماني اعتبر أن سلطته الروحية على المنطقة قد زالت، وأنه فقد أعز ألقابه "حامي الحرمين" [٤]، وفي نفس الوقت تزايدت رسائل المناوئين للدولة السعودية في الحجاز ملحة على رجال الدولة العثمانية بقتال السعوديين[٥]، ولذلك بدأت الدولة العثمانية في اتخاذ موقفٍ مناوئ للدولة السعودية الأولى، والعمل ضدها لاستعادة الحرمين منها بل والقضاء على تلك الدولة بشكل نهائي[٦]، بعد أن سببت للسلطان العثماني "اضطراباً فائقاً" كما ذكر هو في رسالة إلى

---

(١) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/١٣٦-١٣٧. مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٥٣ .

(٢) حصة السعدي: المرجع السابق، ص ٣٣.

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: المرجع السابق، ص ١٥٧ .

(٤) منير العجلاني: المرجع السابق، ص ١٧ .

(٥) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: المرجع السابق، ص ١٥٤ .

(٦) عبد الله العثيمين: بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية. ط٢، الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص ٢٨.

دلال السعيد: علاقات الدولة السعودية الثانية بمشيخات الخليج خلال الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي، (ماجستير)، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية. كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٤٧ .

الأمير غالب بن مساعد الذي وافاه بتقرير مفصل عن أوضاع الحجاز في شهر صفر سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م (١).

ورغم انضمام الحجاز وخضوع أمرائها للدولة السعودية الأولى إلا أنهم كانوا يتحينون الفرص السانحة للتخلص من وضعهم الجديد(٢) ، وهذا ماجعلهم مصدر إزعاج للدولة السعودية، خاصة أنهم تمتعوا بالسيادة في المنطقة مما أتاح الفرصة لهم للعمل لصالح قوات محمد علي باشا والدولة العثمانية التي نجحت بجعلهم عنصراً تم استغلاله للقضاء على الدولة السعودية الأولى (٣).

وتشير الوثائق العثمانية إلى أن غالب بن مساعد قد تعهد للسلطان العثماني ببذل جهده للثأر من السعوديين، وكان هذا التعهد في شوال ١٢٢٦هـ (٤) متزامناً مع قدوم حملة طوسون باشا بن محمد علي باشا التي تمكنت من دخول جدة بالاتفاق سراً مع غالب بن مساعد سنة ١٢٢٧هـ ليتم لها بعد ذلك الاستيلاء على منطقة الحجاز (٥).

وحين قدم محمد علي باشا بنفسه إلى الحجاز أسرع الأمير غالب بن مساعد لمقابلته على متن سفينته كي يعلن الولاء له، ولكن محمد علي باشا لم يمهله طويلاً إذ سرعان ماقبض عليه وأرسله إلى القاهرة بسبب رغبة محمد علي باشا في الاستيلاء على الثروات الكبيرة التي يملكها الأمير غالب(٦)، ولأن محمد علي باشا كان يرى أن غالباً قد تقاعس عن مساعدة حملة طوسون باشا، وأنه السبب في استفحال قوة السعوديين (٧)، كما أن والي مصر لم يكن واثقاً بغالب بن مساعد، بيد أن السبب الأهم لذلك الإجراء

---

(١) أحمد فؤاد متولي: آل سعود والشام في عهد الدولة السعودية الأولى على ضوء الوثائق التركية. القاهرة: دار الزهراء، ١٩٩١م/١٤١١هـ، ص ٣٦ .

(٢) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/١٩٣ .

(٣) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٩١ .

(٤) المرجع السابق، ص ٣٩٩.

(٥) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/١٩٤-١٩٥. عبد الفتاح أبو علية: محاضرات في تاريخ الدولة السعودية...، ص ٦٩ .

(٦) EL-Batrik: op.cit, P. 110, 113.

(٧) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٧٦ .

إدراك محمد علي باشا بأن وجود الأمير غالب يتعارض مع مخططه العام للحملة؛ إذ أن غالباً يرى أن هدف الحملة الرئيس كما هو معلن إخراج السعوديين من الحجاز وإعادة سلطته عليها ضمن السيادة العثمانية، بينما يرى محمد علي باشا أن الحملة بداية لطموحاته بالاستيلاء على الجزيرة العربية [١]، ولذا فهو يدرك أن أمير الحجاز عقبة أمام نفوذه في الجزيرة ليحكمها باسمه ولنفسه [٢].

وقد أُرسل غالب بن مساعد من القاهرة إلى سالونيك وبقي فيها حتى توفي بالطاعون مع كل أفراد أسرته سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م[٣]، أي قبل أن يشهد الحدث الذي عمل كثيراً لأجله وهو القضاء على الدولة السعودية الأولى، وبذلك لم يجن أمراء الحجاز من تعاونهم مع الدولة العثمانية ضد الدولة السعودية إلا خسارة مركزهم في إمارة الحجاز حيث استولى محمد علي باشا على المنطقة تماماً وبدأ أمراؤها لايثقون به كثيراً، الأمر الذي دفعهم للهرب من الحجاز، فخرج الأمير راجح بن عمرو الشنبري هرباً من مكة المكرمة إلى تربة حيث انضم للقوات السعودية بينما هرب الأمير يحيى ابن سرور الأمير المعين في الحجاز من قبل محمد علي باشا خلفاً للشريف غالب إلى تهامة خوفاً من أن يحدث له ماحدث لعمه غالب بن مساعد[٤].

وبدأ محمد علي باشا بإجراء بعض التغييرات الإدارية في شؤون الحجاز ووزع السلطات بين عدة أشخاص تحجيماً لنفوذ أمراء الحجاز، بل وصل الأمر إلى أبعد من ذلك حين كافأ السلطان العثماني محمد علي باشا بمنحه حق الإشراف على الحجاز وأمرائها، كما منح ابنه إبراهيم باشا لقب والي جدة كمكافأة على مابذلاه من جهد

---

(١) سليمان الغنام: قراءة جديدة في سياسة محمد علي باشا التوسعية (١٨١١-١٨٤٠م) ط١، جدة: مكتبة تهامة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٣١-٣٢.

(٢) EL-Batrik: op.cit, P. 113.

(٣) جوهان بوركهارت: المصدر السابق، ص ١٣٧ .

(٤) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/١٩٧-١٩٨، ويذكر بعض الباحثين أن كثيراً من أمراء الحجاز أبدوا تعاطفاً مع آل سعود بعد ما حدث. مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٧٦ ، لكن هذا الموقف جاء متأخراً كثيراً عن المطلوب.

للقضاء على الدولة السعودية الأولى [١].

وتبعاً لذلك تقلص نفوذ أمراء الحجاز في ظل إدارة محمد علي باشا بل ونشبت الصراعات بينهم وانقسموا على أنفسهم، وامتدت الاضطرابات إلى قبائل الحجاز التي كثيراً ماأعلنت التمرد ضد محمد علي باشا وإدارته [٢].

---

(١) معية تركي: دفتر (١٣)، وثيقة (٣٤). رسالة من الجناب العالي إلى الصدر الأعظم بشأن توزيع المصاحف التي أحضرها إبراهيم باشا من الدرعية. ٩ جمادى الأولى ١٢٣٨هـ.

- Hatt-i Humayun: No. 19557. Tarihi 11/5/1236.

(٢) هناء العوهلي: الأحوال السياسية في الفترة الأولى من حكم الإمام فيصل بن تركي (١٢٥٠-١٢٠٤هـ) رسالة ماجستير. قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود. الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص ٤٩.

٣) الدولة العثمانية :

لم يكن للدولة العثمانية سيطرة فعلية على نجد مركز الدولة السعودية والدعوة السلفية منذ وصول العثمانيين إلى المشرق الإسلامي في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي. و لم تكن متصرفية نجد التي ترد في التقسيمات الإدارية العثمانية تعني إلا إقليم الأحساء أو قضاء القطيف، وماذاك إلا لأن الدولة العثمانية لم تهتم بتلك المقاطعة قليلة الموارد[١].

إلا أن ظهور الدعوة السلفية وقيام الدولة السعودية الأولى قد بدأ يجذب اهتمام العثمانيين لهذه المنطقة فأصبحوا يرقبونها عن كثب انتظاراً لما تسفر عنه الأحداث فيها.

و لم يكن الموقف العثماني تجاه الدولة السعودية يسير على وتيرة واحدة بل كان يتطور بتطور الأحداث، وتختلف التبريرات من قبل الباحثين لاتخاذ العثمانيين موقفاً معادياً تجاه الدولة السعودية فمنها مايعلل ذلك الموقف بأسباب دينية بحته[٢]، لكن هذا التعليل لايمكن التسليم به لأن كلا الجانبين يدين بالمذهب السني، إلا أنه يمكن القول أن الدعوة السلفية كانت خروجاً عن المألوف في الدولة العثمانية حيث يُرى أن السلطان هو الإمام الحقيقي للأمة، ولايمكن أن يحل أمراً ويربط إلا برأيه، بجانب ماكان يحيط بالسلاطين من مظاهر العظمة والرهبة، وارتباطهم بما كان سائداً في كثير من أنحاء الدولة العثمانية من الطرق والجماعات الصوفية الداعية إلى قبول الناس بالواقع والزهد[٣].

ولكن العامل السابق الذكر لايرقى كي يكون سبباً في صراع تخوضه الدولة العثمانية ضد قوة بعيدة عنها في نجد؛ ذلك أن العثمانيين علموا بأمر الدعوة والدولة السعودية منذ وقت مبكر يرجع إلى الربع الأخير من القرن الثاني عشر الهجري[٤]، إلا

---

(١) خالد السعدون: العلاقات بين نجد والكويت. الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٣٦.

(٢) عبد الله بن خميس: الدرعية العاصمة الأولى. ط٢، الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص٣٣٠-٣٣١.

(٣) مستور الجابري: علاقة آل سعود بالدولة العثمانية (١٣٠٩هـ-١٣٣٧هـ) رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ١٨.

(٤) عبد الكريم الوهبي: المرجع السابق، ص ٣٩٨ .

أنهم لم يحركوا ساكناً تجاهها بشكل عملي لسنين طويلة (١).

ومما لاشك فيه أن التشويه والمبالغة والافتراءات كانت سمة واضحة للأخبار التي وصلت إلى الأستانة عن الدولة والدعوة، حيث عمل أعداؤهما على تشويه صورتهما(٢) أملاً في تحريك عواطف السلطان العثماني وحثه على اجتثاث جذور هذا الحدث الذي هز أعماقهم، ولكن السلطان بدوره لم يأبه كثيراً حتى بتلك النداءات التي يطلقها بعض ولاته في الأقطار المجاورة للدولة السعودية بما فيهم أمراء الحجاز (٣).

على أن من الأسباب الرئيسة في ذلك الصراع الجوانب السياسية التي جعلت العثمانيين يرون في الدولة السعودية وتحركاتها وخروجها من نجد إلى أطراف الجزيرة وزحفها خارجها خطراً يتهدد الولايات العثمانية نفسها، ومما يثبت هذا القول ذلك التطور التدريجي في الموقف العثماني تجاه السعوديين؛ فبينما اتسم هذا الموقف في أواخر القرن الثاني عشر الهجري بعدم الاكتراث والاكتفاء بإظهار الحرص على أمن الولايات العثمانية نجد أن هذا الموقف اتخذ ضغطاً سياسياً بل وعسكرياً مع مطلع القرن الثالث عشر الهجري، وذلك حين تحرك السعوديون خارج نجد متجهين إلى الأحساء وأصبحت حدودهم متاخمة للعراق العثماني مما أثار خوف العثمانيين من امتداد النفوذ السعودي إلى تلك الولاية العثمانية وماجاورها (٤)، خاصة أن ذلك قد تزامن مع توجه قوات الدولة السعودية الأولى لمنطقة الحجاز التابعة اسمياً للدولة العثمانية التي تهمها من الناحية الدينية، الأمر الذي دفع بالعثمانيين للعمل الفعلي ضد الدرعية، فبدؤوا بإرسال الحملات العسكرية ضدها (٥).

---

(١) عبد الله العثيمين: بحوث...، ص ٢٨ .

(٢) عايض الروقي: "علاقات الدولة السعودية الأولى بولاة الدولة العثمانية في العراق والشام". مجلة المؤرخ العربي، مجلد١ ، عدد ٥، مارس ١٩٩٧م، ص ٤٣٧-٤٣٨.

؛ محمد عبد الله السلمان: "الوجود الأجنبي في نجد (١٢٣٥هـ- ١٣٢٤هـ)" مجلة العرب. ١-٢٩/٢. رجب-شعبان ١٤١٤هـ/ يناير - فبراير ١٩٩٤م، ص ٦.

(٣) سليمان الغنام: المرجع السابق، ص ٢٦ .

(٤) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١٢٣/١. مستور الجابري: المرجع السابق، ص ٢٢، ٢٧.

(٥) عبد الله العثيمين: بحوث...، ص ٢٨ .

وكان المنطلق الأول لهذه الحملات هي ولاية العراق العثمانية، فبعد أن كان ولاتها يكتفون بالتأييد المعنوي للقوى المحلية ضد الدرعية خاصة أمراء بني خالد[١]، بدأ أولئك الولاة بإرسال الحملات ضد الدولة السعودية، حيث جاء أول تدخل من جانبهم في شؤون الدولة السعودية عن طريق الحملة التي قادها ثويني بن عبد الله زعيم قبائل المنتفق سنة ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م واتجه بها إلى القصيم[٢]، ولكن تلك الحملة منيت بالفشل [٣].

وقد كان من أهم نتائج هذه الحملة أنها أظهرت أن ولاة العراق هم البادئين بالعدوان تجاه الدولة السعودية الأمر الذي جعل السعوديين يردون على تلك الحملة خاصة مع تزايد أعداد الفارين إلى المنتفق من الأراضي السعودية، لذلك وصلت القوات السعودية بهجماتها إلى البصرة[٤] متجاوزة حدود الجزيرة العربية، الأمر الذي أثار الرعب في نفوس أعداء الدولة، حيث كتب أمير مكة غالب بن مساعد إلى السلطان العثماني يدعوه لوقف النفوذ السعودي المتزايد [٥]، كما تلقى سليمان باشا والي العراق رسائل ملؤها الإفتراء والتضليل من بعض المعادين للدولة السعودية، وانتهى الأمر لدى ولاة العراق بإرسال حملة جديدة أسندت قيادتها إلى ثويني بن عبد الله من جديد بعد أن أعيد إلى منصبه السابق في مشيخة قبائل المنتفق [٦]، كما كُلِّف متسلم البصرة بمساندة الحملة ودعمها، بالإضافة إلى إرسال أحد القادة العثمانيين من بيروت لذلك الهدف[٧].

---

(١) عبد الكريم الوهبي: المرجع السابق، ص ٣٩ .

(٢) عايض الروقي: علاقات...، ص ٤٣٣ .

(٣) عاد ثويني إلى العراق بعد أن سمع ببعض الاضطرابات هناك، وقد انتهى الأمر بعزله عن مشيخة قبائل المنتفق لفترة من الزمن. ولمزيد من المعلومات حول نشاط ثويني وحملاته ضد نجد انظر: محمد بن خليفة النبهاني: المصدر السابق، ص ٤٠٥-٤٠٦.

(٤) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/١٥٥. مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٣٩-٤٠ .

(٥) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٤١ .

(٦) محمد بن خليفة النبهاني: المصدر السابق، ص ٤٠٩ .

(٧) عايض الروقي: علاقات...، ص ٤٣٥ .

والجديد في هذه الحملة أنها ضمت عدداً من القوات النظامية العثمانية [١] لتقاتل لأول مرة ضد الدولة السعودية، الأمر الذي يدل على تزايد الاهتمام العثماني بمواجهة تلك الدولة والعمل على إيقاف زحفها المتزايد مع مرور الوقت، كما أن الحملة شهدت انضمام الزعيم الخالدي براك بن عبد المحسن [٢]، مما يؤكد تكتل تلك القوى للعمل ضد الدولة السعودية الأولى.

على أن تلك الحملة التي اتجهت للأحساء سنة ١٢١١هـ/ ١٧٩٧م كانت وبالاً على أصحابها قبل أن تدور رحى الحرب حيث قتل ثويني على يد رجل اسمه "طعيس" كان ضمن جيشه، وعلى إثر ذلك دبت الفوضى في قواته وعادت إلى العراق أوائل عام ١٢١٢هـ، ولم تقتصر نتيجة الحملة على هذا فحسب بل إن الأمير سعود بن عبد العزيز سرعان مارد عليها حين هاجم الأراضي العراقية وتمكن من هزيمة بعض القبائل واستولى على كثير من الغنائم ثم عاد إلى الدرعية [٣].

وتشير الوثائق العثمانية إلى أن ولاة العراق ساهموا بازدياد العداء بين الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية خاصة والي بغداد الذي سعى لتشويه مسلك الدولة السعودية الأمر الذي أدى إلى تكليف السلطان العثماني لهذا الوالي بتكوين حملة جديدة أسندت قيادتها إلى الكيخيا علي باشا وذلك سنة ١٢١٣هـ/ ١٨٩٨م [٤]، ورغم ضخامة الحملة ووجود كثير من القوات النظامية العثمانية فيها إلا أنها سرعان ماأظهرت الفشل والعجز عن مواجهة القوات السعودية الأمر الذي جعل الكيخيا علي باشا يجنح إلى الصلح وينسحب عائداً لبلاده[٥].

ومن الواضح أن القوات السعودية وعلى أثر فشل هذه الحملات بدأت تشعر بثقة في النفس وقدرة على المواجهة، فظهر تصميم سعودي على رد العدوان وصد هجماته

---

(١) صلاح الدين المختار: المرجع السابق ١/٦٥ .

(٢) محمد بن خليفة النبهاني: المصدر السابق، ص ٤٠٩ .

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/١٤١-١٤٣،١٥٠ .

(٤) عايض الروقي: علاقات...، ص ٣٣٧-٣٣٨ .

(٥) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/١٥٩-١٦٠.

ومنع حدوثه، ولذلك فإن الدرعية لم تسكت حين اعتدى بعض أفراد القبائل الشيعية العراقية على بعض أتباع الدولة السعودية الأولى سنة ١٢١٤هـ/١٧٩٩م فشن الأمير سعود بن عبد العزيز هجوماً عنيفاً توغل به إلى مدينة كربلاء سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م وقتل عدداً من أهلها وأزال بعض المنكرات ثم عاد بقواته إلى الدرعية (١).

وعلى أثر ذلك الهجوم ساد الخوف مناطق العراق، واتخذ ولاة العراق استراتيجية جديدة تقوم على تحصين المدن والقرى في جنوب العراق، وتحول موقفهم إلى موقف دفاعي ضد القوات السعودية (٢)، وحين أدرك ولاة العراق عجزهم عن المواجهة نحى الوالي الجديد علي باشا منحى جديداً يقوم على الغدر حين عمد إلى إرسال أحد أتباعه إلى الدرعية لقتل الإمام عبد العزيز بن محمد وابنه سعود، وقد تمكن الشخص المسمى "عثمان" من قتل الإمام عبد العزيز سنة ١٢١٨هـ/١٨١٣م (٣) بينما نجا ابنه سعود من تلك المؤامرة.

ولم يفت هذا الحادث في عضد القيادة السعودية التي واصلت هجماتها ضد العراق متشجعة بما تحقق لها من نصر عظيم في الحجاز، الأمر الذي أدى إلى أن تكون الجبهة الغربية السعودية هادئة، فاستفادت الدرعية من ذلك بوضع ثقلها في جبهة العراق؛ مما ساعد الإمام سعود بن عبد العزيز إلى أن يصل بقواته إلى بغداد نفسها سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م (٤).

ومن ذلك يتضح أن ولاة العراق لعبوا دوراً كبيراً في مواجهة الدولة السعودية الأولى ومحاولة القضاء عليها، وذلك بإيعاز من السلطان العثماني، وبدوافع أخرى تتعلق بالخلاف المذهبي بين الدرعية وكثير من قبائل العراق، كما أن ولاة العراق العثمانيين حاولوا اجتذاب أمراء بني خالد إلى جانب حملاتهم ضد الدولة السعودية ممنينهم بإعادتهم إلى إمارة الأحساء من جديد، ولذلك كانت وجهة تلك الحملات إلى منطقة الأحساء

---

(١) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/١٦١.

(٢) عبد الفتاح أبو علية: محاضرات في تاريخ الدولة السعودية...، ص ٥٥ .

(٣) عايض الروقي: علاقات...، ص ٤٤٢-٤٤٣.

(٤) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٤٤ .

دون غيرها.

وعلى إثر فشل تلك الحملات تحول أولئك الولاة إلى الموقف الدفاعي ضد الهجمات السعودية، غير أن هذا لم يوقف النشاط السعودي ضدهم والذي وصل إلى عاصمتهم بغداد، مما أدى إلى خضوع كثير من قبائل العراق للدولة السعودية الأولى ودفع الزكاة لها [١]، غير أن تلك الهجمات توقفت منذ ذلك العام، لأن الدولة السعودية انشغلت بمواجهة حملات والي مصر العثماني محمد علي باشا، والتي بدأت آنذاك في الوصول إلى الجزيرة العربية.

(١) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١٦٣/١ .

ثبت للعثمانيين مدى الفشل الذي أحاط بمحاولتهم إسقاط الدولة السعودية الأولى عن طريق ولاة العراق منذ فشل حملة علي باشا سنة ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م [١]، الأمر الذي جعل السلطان العثماني يلجأ إلى ولاته في الشام، خاصة حين أخذ والي العراق الجديد سليمان باشا الصغير والذي عين في ذلك المنصب منذ سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م يتذرع بأعذار واهية ليتخلص من هذه المهمة[٢].

ولقد كان من الطبيعي أن تمتد الغارات السعودية إلى أطراف الشام حين كانت الدولة السعودية تعمل لنشر سلطتها في شمال الجزيرة العربية خاصة أن مناطق القبائل ليس لها حدود واضحة [٣]، ومن هنا حدث أول اتصال سعودي مع الشام في الحملة التي أرسلها الإمام عبد العزيز بن محمد سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م لإخضاع دومة الجندل، وبعدها بأربع سنوات قاد أمير القصيم حجيلان بن حمد حملة على بادية الشرارات، الأمر الذي حمل قبائل الشام على دفع الزكاة للدولة السعودية الأولى[٤].

لذلك ظهر الخوف من قبل ولاة الشام خاصة عبد الله باشا العظم الذي أرسل تقريراً مفصلاً إلى السلطان العثماني عن السعوديين وتحركاتهم حينما كانوا يواصلون تقدمهم إلى الحجاز، وقد علق السلطان على ذلك التقرير بعبارات تبين مدى تخوفه الشديد من ذلك التقدم السعودي[٥]، وأخذ يلح كثيراً على والي الشام بحسم الأمر بنفسه حيث تم اقتراح إرسال حملة ضد السعوديين من الشام وبدعم من والي مصر محمد علي باشا الذي أعلن استعداده لتقديم المطلوب في خطاب له إلى الأستانة سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م مشيراً إلى صعوبة المهمة [٦].

ورغم الحماس الذي تميز به العظم في هذا الجانب إلا أنه فشل في تحقيق ماطلب

---

(١) عبد الفتاح أبو علية: محاضرات في تاريخ الدولة السعودية...، ص ٥٤ .

(٢) أحمد فؤاد متولي: المرجع السابق، ص ٤١ .

(٣) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/١٦٣ .

(٤) عايض الروقي: علاقات...، ص ٤٤٥-٤٤٦ .

(٥) أحمد فؤاد متولي: المرجع السابق، ص ٣٦ .

(٦) عايض الروقي: علاقات...، ص ٤٤٧ .

منه، بل ومُنِع هو شخصياً من دخول الأماكن المقدسة حين قدم بصحبة المحمل الشامي سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، الأمر الذي انتهى بعزله من ولاية الشام وتعيين يوسف كنج باشا[١].

والسمة الملاحظة في العلاقات السعودية العثمانية في هذه الفترة فيما يتعلق بولاة الشام أن بقاء هؤلاء الولاة في الحكم كان مرهوناً بمدى مايحققونه من نجاح ضد الدولة السعودية الأولى، لذلك فسرعان ماعزل يوسف كنج باشا بعد وصول القوات السعودية إلى مزيريب في الشام سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م، ولم يكن خلفه سليمان باشا بأحسن حالاً منه خاصة أنه كان على طرفي نقيض مع محمد علي باشا فبدأ عهده برسالة تهديد ووعيد إلى الإمام سعود بن عبد العزيز[٢] رافضاً اقتراحه على الوالي السابق يوسف كنج باشا إرسال مجموعة من علماء الشام لمناظرة علماء نجد، أما من ناحية عملية فإن سليمان باشا لم يتخذ أي إجراء فعلي تجاه الدولة السعودية [٣].

وكما هو واضح فإن ولاة الشام العثمانيين لم يتخذوا أية خطوة إيجابية - بالنسبة للدولة العثمانية - تجاه الدولة السعودية، بل تميزوا عن ولاة العراق ومصر بعدم إرسال أية حملة عسكرية ضد الدولة السعودية، وما يذهب إليه ابن بشر من أن الإمام سعود منع عبد الله باشا العظم من دخول الأماكن المقدسة في حج عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م خوفاً من اتحاده مع أمير مكة غالب بن مساعد ضد الدولة السعودية [٤] أمر لايمكن الجزم به؛ لأن الهدف الأساسي من المنع يعود إلى أن العظم أتى وبصحبته المحمل البدعي المتعارض مع هدي الدين الإسلامي ومع قدسية الحج ليس إلا؛ خاصة أن الإمام سعود بن عبد العزيز كان قد أرسل رسالة للسلطان العثماني يطلب منه منع مجيء المحامل إلى الحج ويرحب بحسن العلاقة بين الطرفين [٥].

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/١٨٨.

(٢) عايض الروقي: علاقات...، ص ٤٥٠.

(٣) أحمد فؤاد متولي: المرجع السابق، ص ٨٦-٨٧ .

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/١٨٨.

(٥) حصة السعدي: المرجع السابق، ص ٣٣ .

ولم يكن هذا المسلك من قبل ولاة الشام دليلاً على حسن نواياهم تجاه الدولة السعودية الأولى بل كان عجزاً وضعفاً أحسوه في أنفسهم، من أجل ذلك اكتفوا باختلاق المشاكل مع الدرعية، وتشويه صورة الدعوة السلفية ومنهجها العقائدي، مما أدى إلى توتر واضطراب العلاقات بين السعوديين والعثمانيين، وهو الأمر الذي لم يكن قادة الدولة السعودية الأولى يرغبون حدوثه؛ بل كثيراً ماسعوا إلى علاقة حسنة بين الطرفين(١).

وحاصل القول أن ولاة الشام لم يحققوا أهدافهم بالقضاء على الدولة السعودية الأولى كما فشل من قبلهم ولاة العراق، لذلك فإن أنظار السلطان العثماني اتجهت إلى والي مصر محمد علي باشا عله يحقق مالم يحققه نظراؤه في العراق والشام.

---

(١) عايض الروقي: علاقات...، ص ٤٥٤ .

مع نهاية العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري اتجه السلطان العثماني لتكليف واليه في مصر محمد علي باشا بمهمة القضاء على الدولة السعودية الأولى بعد أن كانت المحاولات قبل ذلك تتم عن طريق ولاة العراق ثم ولاة الشام.

ولقد اجتمعت عوامل متعددة جعلت السلطان يتخذ قراره هذا ومن أبرزها التقدم الذي وصلت إليه الدولة السعودية خلال هذه الفترة، حيث تم لها الاستيلاء على الحجاز[(١)]، فترتب على ذلك نتائج كثيرة كان على رأسها فقدان السلطان العثماني للقب حامي الحرمين الذي كان يحمله، وأصبح بحاجة ماسة له الآن لتعزيز نفوذ الدولة العثمانية المعنوي في ظل الضعف العام الذي تعيشه آنذاك[(٢)].

وزاد من موقف السلطان هذا تلك الرسالة التي أرسلها الإمام سعود ابن عبد العزيز إليه لإبلاغه بضم الحرمين وطلب وقف إرسال المحامل، فعد السلطان ذلك خروجاً عن الطاعة [(٣)].

ومن العوامل التي دفعت السلطان لاتخاذ هذا الإجراء فشل ولاة العراق والشام بتنفيذ مطلبه القاضي بمحاربة الدولة السعودية ووقف تقدمها [(٤)]، الأمر الذي ترتب عليه تزايد النفوذ السعودي داخل الجزيرة العربية.

لقد وجد السلطان نفسه في وضع لايسمح له بإرسال جيوش عثمانية من الأستانة إلى الجزيرة العربية نظراً لبعد المسافة ولانشغال الدولة العثمانية بثورات محلية في بلغاريا والصرب بجانب تمرد الانكشارية والتنافس الفرنسي البريطاني في مصر العثمانية [(٥)].

---

(١) عبد الله العثيمين: بحوث...، ص ٢٨ .

(٢) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٥٧ .

(٣) محمد السلمان: الوجود الأجنبي في نجد، ص ٦ .

(٤) المرجع السابق، ص٦.

(٥) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٥٨ .

ويذهب بعض الباحثين إلى أن السلطان حين كلف محمد علي باشا بهذه المهمة إنما أراد إضعاف قوته وقوة الدولة السعودية الأولى في وقت واحد، وأن محمد علي باشا لايقل خطراً بالنسبة للدولة العثمانية عن الدولة السعودية[١]، وفي واقع الأمر فإن السلطان العثماني كان أمام خيار واحد وهو تكليف محمد علي باشا كحل أخير في ظل الفشل الذي لازم ولاة العراق والشام، وفي ظل تعذر إرسال جيش ضد الدرعية من الأستانة، ومن هنا فإن السلطان العثماني أمل في نجاح واليه محمد علي باشا ومن ثم يستخدمه يداً يضرب بها أنّى أراد كما حدث في ثورة اليونان بعد ذلك.

ولذا فقد أرسل السلطان العثماني إلى محمد علي باشا يطلب منه تنفيذ "مهمة الدرعية" مخبراً إياه بأنه شديد القلق بسبب دخول الحرمين ضمن سيادة الدولة السعودية الأولى، ويبلغه بأمله أن يكون محمد علي باشا له بمثابة الوزير الناصح والمعين له[٢].

ومن الواضح أن محمد علي باشا قد رحب بذلك المطلب يدفعه لذلك كونه أحد ولاة السلطان العثماني وعليه طاعته[٣]، ويرغب بكسب رضاه، ولعله أراد أيضاً التخلص من بعض العناصر والقادة السلبيين في جيشه وذلك بإرسالهم إلى الجزيرة العربية، إضافة لرغبته بتدريب جيشه في حروب الصحراء ليكون جيشاً منظماً حديثاً[٤]، كما أنه أراد أيضاً الحصول على الدعم المادي عن طريق مايفرضه من ضرائب على الشعب[٥]، بحجة تنفيذ أوامر السلطان العثماني، وبما يحصل عليه من دعم من السلطان العثماني نفسه وولايات الدولة العثمانية الأخرى كالشام وغيرها، إضافة إلى الرغبة في رفع مكانته في العالم الإسلامي حين يقوم باستعادة الحرمين من الدولة

---

(١) عبد الفتاح أبو علية: محاضرات في تاريخ الدولة السعودية...، ص ٦٦. عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٣٤ .

(٢) أحمد فؤاد متولي: المرجع السابق، ص ٩٠ .

(٣) عبد الله بن خميس: المرجع السابق، ص ٣٣٥ .

(٤) محمد السلمان: الوجود الأجنبي في نجد، ص ٦-٧.

(٥) فائق بكر الصواف: العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز ١٢٩٣-١٣٣٤هـ. رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص ٦٢.

السعودية[١].

ويذهب بعض الباحثين إلى أن محمد علي باشا أراد أيضاً مواجهة النفوذ البريطاني المتزايد في المنطقة[٢]، والواقع أن محمد علي باشا لم يصل إلى الحد الذي يجعله يأمل بمنافسة ذلك النفوذ وظل عاجزاً عن ذلك طوال فترة حكمه، بل إن هناك من يصف محمد علي باشا خلال هذه السنوات بالعميل البريطاني الذي يعمل لتنفيذ سياستها [٣].

وعلى الرغم من أن السلطان العثماني قد طلب من محمد علي باشا محاربة الدولة السعودية الأولى عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م ثم أصدر أمراً بإسناد ولاية الحجاز إليه عام ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م[٤] لإطلاق يده في تلك المنطقة وحثه على تلك المهمة، إلا أن والي مصر لم يبدأ بالتنفيذ إلا سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م حيث أخذ يتريث ويختلق الأعذار محتجاً بسوء الأحوال الاقتصادية وكثرة الديون عليه والخوف من هجوم خارجي على مصر[٥]، كما أنه أراد الاستعداد الجيد لهذه المهمة فقام ببناء أسطول ومستودعات للأرزاق في السويس، ثم قام بإجراء اتصالات مع أمير مكة غالب بن مساعد في الحجاز للتمهيد لنجاح حملاته، وتخلص من الجنود المماليك في مذبحة القلعة خوفاً من تمردهم على سلطته أثناء انشغال قواته في الجزيرة العربية [٦].

وفي سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م تحركت أولى حملات محمد علي باشا إلى الجزيرة العربية بعدد تقدره المصادر مابين ثمانية آلاف وأربعة عشر ألف مقاتل [٧] وكان قوامها

---

(١) محمد السلمان: الوجود الأجنبي في نجد، ص ٦-٧. عبد الفتاح أبو علية، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية...، ص ٦٦ .

(٢) إبراهيم خليل أحمد: تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني. الموصل: جامعة الموصل، ١٩٨٣م/ ١٤٠٣هـ، ص ١٥٣ .

(٣) سليمان الغنام: المرجع السابق، ص ١٢١ .

(٤) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/١٩٢.

(٥) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي. المجلد الأول (١٢٣٤هـ-١٢٥٦هـ). الدوحة: دار المتنبي، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ١٠.

(٦) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/١٩٢.

(٧) المرجع السابق ١/١٩٣. ادوارد نولده: الأوضاع السياسيه في وسط الجزيرة العربية عند نهاية =

الجنود الانكشارية والأتراك والدلاة والمغاربة والأرنؤوط والأروام (١)، كما ضمت الحملة طائفة من الصناع (٢) وبعض الحكماء العارفين بالطب (٣).

وتقدمت الحملة إلى داخل الجزيرة العربية وكانت أول مقاومة سعودية فعلية في وادي الصفراء حيث تلقت الحملة هزيمة نكراء أدت إلى مقتل أعداد هائلة من قواتها مما دعا طوسون باشا إلى الهرب بمن بقي معه إلى ينبع (٤).

ويذهب بعض الباحثين (٥) إلى توجيه اللوم لقائد القوات السعودية عبد الله ابن سعود على عدم تتبعه لفلول جيش طوسون باشا والإجهاز عليه مما مكنه من التقاط أنفاسه وجمع قواته بنجدة جديدة من مصر.

والواقع أن ذلك الرأي يغفل بعض النقاط المهمة في مثل هذه الظروف ومنها:

١) فيما لو تابع عبد الله بن سعود مطاردته لطوسون باشا هل يضمن عدم قيام أمير مكة غالب بن مساعد والذي ظهرت خيانته بمجرد وصول الحملة إلى ينبع بقطع

= القرن التاسع عشر. ترجمة عوض البادي. ط١، د.م.ن، دار بلاد العرب، ١٩٩٧م، ص ٦٩. محمود شاكر: المرجع السابق، ص ١٩٥. عبد الله بن خميس: المرجع السابق، ص ٣٤٢ .

(١) السيد أحمد مرسي عباس: حقائق جديدة عن حرب الدرعية. مجلة الدارة، س٣، ع٣، شوال ١٣٩٧هـ/ سبتمبر ١٩٧٧، ص ٧٨، ويحاول الباحث إثبات عدم وجود عناصر مصرية ضمن هذه الحملات، ويشاركه في هذا التوجه محمد جلال كشك: السعوديون والحل الإسلامي. ط٣، د.م.ن، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ١٥٦. وحتى لو صح ذلك فالثابت تاريخياً إسهام التجار المصريين خاصة محمد المحروقي بدعم الحملة، حيث كان بمثابة المستشار لطوسون باشا. مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٦٩. ويذكر محمد نخلة: المرجع السابق، ص ٣٣ أن الحملة ضمت عدداً من المصريين وسموا "المتطوعة".

(٢) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٧، ط٥، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٢م، ص ١٤٩.

(٣) خليل بن أحمد الرجبي: تاريخ الوزير محمد علي باشا. تحقيق دانيال كريسيليوس وآخرين، ط١. القاهرة: دار الآفاق، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ١٣٣ .

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٠٩/١-٢١١ .

(٥) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٩٠ ، منير العجلاني: عهد الإمام سعود الكبير. ط٢، الرياض: دار الشبل، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص١١٢.

خط الرجعة عليه بجيش من الحجاز؟ .

٢) على افتراض أن القوات السعودية تتبعت قوات طوسون باشا بمغامرة وتمكنت من القضاء عليها فإن ذلك لايعني نهاية الأمر إذ أن محمد علي باشا كان على استعداد لإرسال المزيد من القوات كي يتم مهمته المتمثلة بالقضاء على الدولة السعودية.

٣) كان وقت المعركة تلك في العشر الأواخر من ذي القعدة أي وقت مجيء الحجاج إلى مكة المكرمة، ولذلك فمن المرجح أن الأمير عبد الله بن سعود كان حريصاً على أمن الحجاج فآثر التوقف عن مطاردة طوسون باشا في طريق الحجاج القادمين من الشام، ولذلك فإن أول عمل قام به عبد الله بن سعود الاتجاه إلى مكة المكرمة من موقع المعركة لأداء مناسك الحج (١).

وعلى أية حال فإن طوسون باشا قد تمكن من الحصول على المساعدات من والده فعاد من جديد وتمكن بالتعاون مع الأمير غالب بن مساعد من الاستيلاء على المدينة المنورة ثم جدة فمكة المكرمة، ولكنه سرعان ماتلقى بعض الهزائم في تربة والحناكية الأمر الذي دعا محمد علي باشا للقدوم بنفسه إلى الحجاز، وكان أول عمل قام به القبض على أمير مكة غالب بن مساعد ونفيه إلى سالونيك كما تقدم.

ولم يكن مجيء محمد علي باشا ليقدم نصراً لقواته لولا بعض الظروف التي أحاطت بالقوات السعودية في بسل سنة ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م والتي أعقبها انهيار في القوات السعودية؛ مما مكن طوسون باشا الذي عاد للقيادة من جديد بعد عودة والده إلى مصر من التقدم إلى عمق الأراضي النجدية (٢).

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢١١/١ . ويرى عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣، بيروت: دار الجيل، د.ت.ن، ص ٣٣٧، أن السعوديين درجوا في حروبهم على عدم مطاردة المدبرين، ولكن هذا القول لم يكن قاعدة مطردة إذ أن القوات السعودية طاردت فلول المنسحبين من قبل كما حدث إبان حملة علي باشا كيخيا سنة ١٢١٣هـ على الأحساء، كما أن مطاردة المنهزمين استراتيجية عسكرية جيدة.

(٢) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١٩٦/١-١٩٩. سليمان الغنام: المرجع السابق، ص ٣٢ .

وثمة ملاحظة تستحق التوقف والتساؤل: إذا كان محمد علي باشا قد تمكن في هذا الموقف من استعادة الحجاز وفرض السيطرة العثمانية على المقدسات فلماذا أمر بمواصلة القتال ضد السعوديين والتقدم إلى نجد؟

يذكر البعض أن محمد علي باشا حين قرر العودة إلى مصر طلب من ابنه طوسون عقد الصلح مع السعوديين (١)، بينما عاد هو إلى مصر لتركيز جهوده لمواجهة بعض المستجدات هناك(٢)، وحين انتهت تلك الظروف نسف محمد علي باشا كل مبادرة للصلح وبدأ الاستعداد لجولة أخرى من الحرب (٣) ضد الدولة السعودية للقضاء عليها تماماً، ومن ثم مد سيطرته إلى الأحساء كما اتضح بُعَيد سيطرته على الدرعية.

والواقع أن هناك ظروفاً أملت على الطرفين الميل إلى الصلح؛ إذ أن محمد علي باشا أراد التفرغ لمشاكله الداخلية، كما أن طوسون باشا أراد عدم التوسع في الأراضي النجدية كي لايقلل من فاعلية قواته ويشتتها (٤)، إضافة إلى مامر به طوسون باشا من ظروف صحية سيئة (٥)، في وقت رفض جنوده دخول حرب فاصلة ضد السعوديين بحجة قلة عددهم أمام القوات السعودية(٦)، أما من الجانب السعودي فإن ميل الإمام عبد الله إلى الصلح يعود لإدراكه عدم جدوى الوقوف أمام محمد علي باشا وقواته التي ستستمر في التوافد للجزيرة العربية (٧)، كما أن البعض يذكر وجود بعض الخلافات بين

---

(١) جاكلين بيرين: المرجع السابق، ص ٢٤٠. خير الدين الزركلي: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز. ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م، ص ١٣٩. وكذلك EL-Batrik: op.cit, P. 133.

(٢) كان من أبرز أسباب عودته إلى مصر هروب نابليون بونابرت من منفاه في "ألبا" وخوف محمد علي باشا من عودته إلى مصر، وكذلك خشيته من نجاح لطيف باشا بمؤامرته للإطاحة به والاستيلاء على مصر. مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٨١.

(٣) سليمان الغنام: المرجع السابق، ص ٣٣ .

(٤) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٨١ .

(٥) محمد العيدروس: المرجع السابق، ص ٢١٩ .

(٦) EL-Batrik: op.cit, P. 133.

(٧) Ibid, P. 134.

الإمام عبد الله وبين أخيه فيصل بن سعود وابنه سعود بسبب إصرارهما على الحرب ضد طوسون باشا وقواته (١).

وتذكر بعض المصادر المناوئة للدولة السعودية أن قادة تلك الدولة أرسلوا بعض الهدايا مع رجل من زعماء القبائل العربية إلى طوسون باشا ليقبل الصلح، وأن طوسون باشا وافق بسبب انتفاء دواعي الحرب وكثرة إلحاح السعوديين بطلب الصلح (٢).

على أن الأمور سارت إلى الصلح بشروط مجملها بقاء القوات السعودية في نجد، وانسحاب قوات محمد علي باشا منها، وبقاء الحجاز تحت الحكم العثماني، وتأمين تنقلات أتباع كل طرف بأرض الطرف الآخر، مع ضرورة أخذ موافقة محمد علي باشا على هذه الشروط، وهنا عاد طوسون باشا إلى مصر(٣).

ولكن هذا الصلح لم يكتب له الاستمرار بسبب تنكر محمد علي باشا له ورفضه(٤)، رغم إكرامه لموفدي الإمام عبد الله بن سعود اللذين أرسلهما للتفاوض معه

---

(١) سليمان الدخيل: "جزيرة العرب" مجلة لغة العرب، ج٥، س٣، ذي الحجة ١٣٣١هـ - تشرين الثاني ١٩١٣م، ص ٢٢٩ .
؛ محمد جلال كشك: المرجع السابق، ص ١٩٣ - ١٩٤ .

(٢) خليل الرجبي: المصدر السابق، ص ١٥٠-١٥١. ويظهر هذا المؤلف كثيراً من الافتراءات والتحامل ضد السعوديين رغبة بالتزلف لمحمد علي باشا حيث كان من علماء الأزهر في عهده.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق١/٢٥٠. مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٨١. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (الدولة العثمانية). ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٢٦٢. ويضيف بعض الباحثين أن من ضمن الشروط أيضاً تبعية الإمام عبد الله للسلطان ودفعه الزكاة مع تبعيته الإدارية لحاكم المدينة وتعهده بالقدوم إلى الأستانة. صلاح العقاد: الحملة المصرية في شبه جزيرة العرب ١٨١١-١٨١٨م. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، س ٢ ع٦ أبريل ١٩٧٦م، ربيع الثاني ١٩٩٦م، ص ١١٦. ولكن هذه الشروط لاتبدو واقعية لمخالفتها ماجاء في المصادر السابقة، ولعدم منطقيتها إذ أن الإمام عبد الله لم يصل بعد إلى مثل هذه المرحلة من الضعف كي يقبل هذه الشروط والتي إن تم الإتفاق عليها فما الذي يدعو إلى أخذ موافقة محمد علي باشا عليها في وقت تحقق له بواسطتها كل أهدافه.

(٤) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/٢٠٠.

حول شروط الصلح[١]، إلا أنه لم يأخذ موضوع الصلح مأخذ الجد[٢]، وهذا ماتثبته الوثائق والمصادر المعاصرة والموالية لمحمد علي باشا[٣]، وقد لقي هذا الموقف دعم وتأييد السلطان العثماني الذي استمر يطالب محمد علي باشا بتتبع القوات السعودية وعدم الإصغاء لعروض الإمام عبد الله بن سعود بالصلح[٤].

ومن المرجح أن الانتصارات التي حققتها قوات محمد علي باشا قد أصابته بالغرور فجعلته يتجاهل الهدف الرئيسي الذي قدم من أجله وهو استعادة الحجاز، ويتجه لتحقيق هدف آخر يتمثل بالقضاء على الدولة السعودية نهائياً، وتدمير عاصمتها الدرعية بحملة أكبر مما سبقها عدداً وعدة أوكل قيادتها إلى إبنه إبراهيم باشا، وقد تكونت الحملة الجديدة مما يربو على ثمانية آلاف جندي من عناصر مختلفة مابين أرنؤوط، وترك، ومغاربة[٥]، وألبان، وعدد قليل من المصريين خاصة من صعيد مصر[٦]، كما ضمت

---

(١) عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ: مشاهير علماء نجد وغيرهم. ط١، الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص ٦٨ .

(٢) صلاح العقاد: المرجع السابق، ص ١١٦ .

(٣) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٤٠٠ ملحق (٢)، رسالة من محمد علي باشا إلى طوسون باشا يحذره فيها من مجرد النطق بكلمة الصلح. وكذلك: خليل الرجبي: المصدر السابق، ص١٥٣. وقد ذكر بعض الباحثين أسباباً غير مقنعة مثل استنجاد أهل القصيم بمحمد علي باشا. (جاكلين بيرين: المرجع السابق، ص ٢٤١)، وعدم تسليم الإمام عبد الله نفسه (صلاح العقاد: المرجع السابق، ص ١١٦)، ولكن من الثابت كما مر في الوثيقة المذكورة أن محمد علي باشا لم يفكر إطلاقاً في الصلح، ورغم ذلك نجد أن هناك من يتهم الإمام عبد الله بأنه نقض الصلح. ل.أ.سيديو: تاريخ العرب العام. ترجمة عادل زعيتر. ط٢، د.م.ن، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص٤٤٦.

(٤) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٨٣. صلاح العقاد: المرجع السابق، ص ١١٦ .

(٥) ج. فورستر سادلير: المصدر السابق، ص ١٤٦. منير العجلاني: الإمام تركي بن عبد الله...، ص ٧٦، ١٠٩. وهذا عدا من انضم لها من غير النظاميين، وما لحق بها من مدد.

(٦) EL-Batrik:op.cit, P. 138، وكذلك: صلاح العقاد: المرجع السابق، ص ١١٧. ويرى محمد جلال كشك: المرجع السابق، ص ١٥٦، وكذلك السيد أحمد عباس: المرجع السابق، ص ٤٨ أنه لاتوجد أية عناصر مصرية ضمن الحملة، وهذا خلاف الواقع وماتذكره المصادر، =

الحملة بعض الضباط الفرنسيين، وعدد من الأطباء الإيطاليين، وقد تحركت الحملة من القصير في ذي القعدة ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م [١].

وكانت المواجهة الفعلية الأولى لقوات إبراهيم باشا في بلدة الرس التي أبدت صموداً لما يزيد عن ثلاثة أشهر وكبدت قوات إبراهيم باشا مايزيد على ألفين وأربعمائة قتيل كما تذكر المصادر المصرية المعاصرة لتلك الأحداث [٢].

ويرى أحد المؤرخين[٣] أن إبراهيم باشا قد أرتكب "أول أخطائه العسكرية حين حاصر الرس معتقداً بأهميتها فكبدته مايزيد على ثلاثة آلاف قتيل". والواقع أن حصار إبراهيم للرس أمر حتمته ظروف الحرب لااختيار إبراهيم باشا، إذ أن البلدة تقع في طريقه إلى الدرعية فلابد من إخضاعها، كما أن تركها خلفه دون ضمان موقفها أمر في غاية الخطورة قد ينشأ عنه هجوم منها على جيشه من الخلف، ولهذا كان لابد له من حسم الأمر مع هذه البلدة قبل مواصلة سيره إلى الدرعية، ومما يؤيد هذا القول النتيجة التي ترتبت على إخضاع الرس حيث خضعت منطقة القصيم بأكملها دون مقاومة، ليواصل إبراهيم باشا سيره من القصيم إلى الوشم، بينما تراجع عبد الله بن سعود إلى الدرعية وليس إلى شقراء كما ذكر البعض [٤]، أما إبراهيم باشا فقد تقدم إلى شقراء الواقعة في الطريق إلى

= حيث تشير إلى أن بعض القبائل في مصر قد وفرت الجمال لنقل حملة إبراهيم باشا. عبد الرحمن الرافعي: عصر محمد علي، ط٥، القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٤٢. والواقع أن جميع حملات محمد علي باشا قد ضمت عناصر مصرية منذ حملة طوسون باشا. محمد نخلة: المرجع السابق، ص ٣٣. كما أن تجار مصر بزعامة محمد المحروقي كانوا أكثر من دعم الحملة كما دعموا ماسبقها من حملات. عبد الرحمن الجبرتي: المصدر السابق ٥٤٧/٣.

(١) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٨٢ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق، ص ١٤٣ .

(٣) إدوارد نولده: المصدر السابق، ص ٧٠.

(٤) أحمد دحلان: المصدر السابق، ص ٣٠٢. وأخذ عنه Philby: op.cit, P.135، وعدد من الباحثين مثل جاكلين بيرين: المرجع السابق، ص ٢٤٢، وكذلك مديحة درويش: تاريخ الدولة السعودية. ط٦، جدة: دار الشروق، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٥١. ولكن المصادر كابن بشر والوثائق لاتذكر ذلك بل إن بعض الوثائق تشير إلى أن الإمام عبد الله أرسل بعض المدد إلى =

الدرعية فحاصرها لمدة أسبوع ضارباً أسوارها بالمدافع الأمر الذي أدى إلى تهدم بعض أسوارها، وانتهى الأمر بعقد الصلح بين أهلها وإبراهيم باشا[1].

وبعد أن استولى على شقراء انفتح له الطريق إلى الدرعية إذ لم يجد سوى مقاومة يسيرة من أهالي ضرما، ثم بدأ حصاره للدرعية التي أبدت ألواناً من المقاومة والصمود لما يزيد على ستة أشهر، كما أظهر الإمام عبد الله بن سعود شجاعة فائقة رافضاً التسليم، إلا أن عوامل عدة جعلت الاستمرار في الصمود مستحيلاً ومن أهمها:

(١) كثرة الإمدادات من جانب محمد علي باشا لابنه إبراهيم باشا في وقت كانت الدرعية محاصرة وتعاني من نقص المؤن الأمر الذي أدى إلى تذمر بعض المواطنين وإصابتهم بالذعر فخرجوا إلى إبراهيم باشا منضمين إليه وأخبروه بنقاط الضعف في البلدة المحاصرة [2].

(٢) الدعم والمساندة التي لقيها إبراهيم باشا من القوى المناوئة للدولة السعودية خاصة من قبل والي بغداد داود باشا وأمراء بني خالد ماجد ومحمد العريعر، حيث عملت تلك الجهات لدعم ومساندة الحصار ضد الدرعية [3]، فتوالت الإمدادات لجيش

= شقراء لمساعدتها ضد حملة إبراهيم مما يدل على أن الإمام عبد الله لم يكن فيها. وثائق عثمانية: ٢/١-٥٣ دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من إبراهيم باشا إلى محمد علي باشا حول معركة شقراء، ١٩ ربيع الأول ١٢٣٣هـ. عبد الحميد البطريق: إبراهيم باشا في بلاد العرب ضمن كتاب ذكرى البطل إبراهيم باشا. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٥.

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق١/٢٥٩-٢٦٠.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٢٦٥. عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/٢٠٥ .

(٣) وثائق عثمانية: ٣/١-٣٤ دارة الملك عبد العزيز. الرياض. رسالة من داود باشا إلى السلطان، ١٢٣٣هـ.

؛ وثائق عثمانية: ٣/١-١ دارة الملك عبد العزيز. الرياض. رسالة من داود باشا إلى السلطان حول دعمه لإبراهيم باشا، ١٥ ربيع ثاني ١٢٣٣هـ.

؛ وثائق عثمانية: ٢/١-٢٩ دارة الملك عبد العزيز. الرياض. رسالة من إبراهيم باشا إلى ماجد العريعر حول بعض الطلبات، ٩ شوال ١٢٣٣هـ.

؛ Hatt-i Humayun: No. 19676 Tarihi 7/2/1234.

إبراهيم باشا من البصرة والزبير وغيرها من مناطق العراق[١].

(٣) امتلاك إبراهيم باشا لأسلحة متطورة مقارنة بأسلحة السعوديين الذين لم تشفع لهم الكثرة العددية في استمرار الصمود والتفوق[٢].

(٤) قيام إبراهيم باشا بتدمير اقتصاديات بلدان نجد حيث قام بقطع مايزيد عن نصف نخيل شقراء [٣] كي يمنع إرسال محصولها إلى الدرعية كما أنه ضمن خضوع مامر به من بلدان نجد عن طريق أخذ رهائن منها[٤]؛ الأمر الذي جعل تلك البلدان لاتستطيع إرسال أي دعم للدرعية خاصة في ظل وجود حاميات عسكرية تابعة لإبراهيم باشا في البلدان المذكورة [٥].

(٥) أن تلك الحاميات ساهمت بدور كبير في دعم الحصار على الدرعية خاصة حين شب الحريق في مستودع ذخيرة إبراهيم باشا حيث قامت حامية شقراء بإرسال المؤن والإمدادات الأمر الذي مكن الباشا من الاستمرار في عملية الحصار [٦].

(٦) الإمكانات الطبية التي ضمتها حملة إبراهيم باشا ومكنته من علاج المصابين في جيشه بل إنه أنشأ مستشفى لهذا الغرض في شقراء مستخدماً بعض بيوت الأهالي كمقر لذلك المستشفى[٧]، وإذا كان يستنتج من إنشاء المستشفى كثرة عدد جرحى القوات الغازية إلا أنه يدل على سرعة عودة الجندي الجريح للقتال بمجرد تلقيه العلاج.

(٧) الاهتمام الكامل الذي لقيه إبراهيم باشا من قبل والده حيث تذكر المصادر

---

(١) أحمد بن صالح الدهش: موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العثمانية على الدولة السعودية حتى عام ١٢٣٣هـ. رسالة ماجستير. قسم التاريخ والحضارة بكلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥-١٤٠٦هـ، ص٢٩٢.

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: الدولة السعودية الأولى، ص ٣٥٥ .

(٣) محمد بن عمر الفاخري: المصدر السابق، ص ١٤٨.

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٢٦٠.

(٥) عبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق، ص ١٤٦.

(٦) المرجع السابق، ص ١٤٧ .

(٧) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٢٦٠.

التاريخية أن محمد علي باشا كان منفعل الخاطر لتأخر وصول الأخبار من نجد، وكان يمضي وقته باستماع كتب الحديث والإكثار من الصدقات، ولايستقر بمكان متنقلاً بين القلعة وقصر شبرا والأزبكية وغيرها انتظاراً لوصول أخبار إبراهيم باشا[١]، ولم يقتصر الأمر على محمد علي باشا بل كان جميع أفراد أسرته يراسلونه أثناء حصار الدرعية ويدعون له بالنصر كما يتضح من رسالة أخته إليه في رمضان سنة ١٢٣٣هـ [٢].

وفي نهاية الأمر لم يجد الإمام عبد الله بن سعود بداً من التفاوض مع إبراهيم باشا فأرسل إليه وفداً برئاسة الأمير عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، والشيخ علي ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمفاوضته، غير أن الباشا رفض مفاوضتهم مصراً على قدوم الإمام عبد الله بن سعود بنفسه، وقد خرج الإمام عبد الله للقاء الباشا وتفاوض معه على الصلح ووقف الحرب وضمان سلامة الدرعية وأهلها، وأن يسافر عبد الله إلى القاهرة فالأستانة لينظر السلطان العثماني بأمره [٣]، وقد استسلم الإمام عبد الله بن سعود في ٨ ذي القعدة ١٢٣٣هـ/ سبتمبر ١٨١٨م [٤]، وبعد يومين أُرسل مع رشوان أغا [٥] والدويدار حسين أغا وبصحبتهم ثلاثمائة من الخيالة وأربعمائة من

---

(١) عبد الرحمن الجبرتي: المصدر السابق ٥٨١/٣.

(٢) محافظ بحر برا: محفظة (٥) وثيقة (٩٦) من توحيدة بنت محمد علي باشا إلى أخيها إبراهيم باشا، ٢٣ رمضان ١٢٣٣هـ.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق٢٧٥/١. ويضيف ابن بشر وكذلك خليل الرحجي: المصدر السابق، ص ١٥٩، أن الباشا سمح للإمام عبد الله بالعودة إلى منزله بعد إتمام الصلح.
وقد ورد في بعض الوثائق أن الإمام عبد الله بن سعود عرض مبالغ مالية على إبراهيم باشا كي يرفع حصاره عن الدرعية ولكن الباشا رفض ذلك. وثائق عثمانية: ٣/٦-١ دارة الملك عبد العزيز. الرياض. رسائل أحمد بن جابر ومحمد العريعر إلى داود باشا عن حرب الدرعية، غير مؤرخة.

(٤) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢٠٦/١. .EL-Batrik: op.cit, P. 143 .

(٥) إبراهيم بن عيسى: تاريخ بعض الحوادث...، ص ١٤٥؛ عبد الرحمن بن ناصر: عنوان السعد والمجد فيما استطرف من أخبار الحجاز ونجد (مخطوط). الرياض: دارة الملك عبد العزيز. قسم المخطوطات رقم (٣)، ورقة ١٤.

المشاة [١] إلى مصر.

وبمجرد انتشار أنباء ذلك الحدث ووصولها إلى محمد علي باشا أظهر فرحاً عظيماً وأمر بضرب المدافع وأظهرت الزينة بمصر لمدة أسبوع [٢]، وحين بلغ الخبر السلطان العثماني أظهر السرور، وأرسل التهاني إلى محمد علي باشا مقرونة بالخلع والهدايا له ولابنه إبراهيم باشا، وأعلن إبقائه في ولاية مصر ومنح ابنه إبراهيم ولاية جدة [٣]، كما قدمت الأوسمة إلى عدد من القادة وأمر السلطان العثماني بإعطاء تلاميذ المدارس الإحسانات ابتهاجاً بهذه المناسبة[٤]، وتتابعت رسائل التهنئة إلى محمد علي باشا من السلطان وأسرته[٥]، وفي نفس الوقت تلقى السلطان العثماني التهاني من بعض القوى الدولية [٦] ووالي العراق داود باشا [٧] وصالح باشا [٨] والي الشام.

---

(١) وثائق عثمانية: ٣/٨-٤ دارة الملك عبد العزيز. الرياض. رسالة من محمد العبد الرزاق إلى داود باشا عن انتصار إبراهيم باشا في الدرعية ١٢٣٤هـ.

(٢) عبد الرحمن الجبرتي: المصدر السابق ٥٨٢/٣، ٥٩١ .

(٣) وثائق عثمانية: ١/٢-٩٥. دارة الملك عبد العزيز. الرياض. رسالة من رئيس الكتاب إلى السلطان العثماني بشأن منح الأوسمة والهدايا للمشاركين بمهمة الدرعية، ١٢٣٣هـ.

؛ محافظ بحر برا: محفظة (٦) وثيقة (١٠٤) رسالة من مصطفى إلى الجناب العالي يهنئه بإبقائه في ولاية مصر، ١٥ شوال ١٢٣٤هـ.

؛ وثائق عثمانية: ١/٢-٩٧ دارة الملك عبد العزيز. الرياض. رسالة من رئيس الكتاب إلى السلطان العثماني حول إرسال التشريفات لمحمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا بمناسبة الإستيلاء على الدرعية ١٢٣٣هـ. ويذكر خليل الرجبي: المصدر السابق، ص ١٦٤ أن الهدايا عبارة عن خنجر وساعة لكل منهما.

(٤) محافظ بحر برا: محفظة (٦) وثيقة (٣٠) من حسين إلى الجناب العالي حول منح السلطان العثماني الإحسانات لطلاب المدارس بمناسبة انتصارات الدرعية، ٢٥ ربيع الأول ١٢٣٤هـ.

؛ وثائق عثمانية: ١/٢-٩٥.

(٥) محافظ بحر برا: محفظة (٦) وثيقة (٣) من كهلبز هانم إلى محمد علي باشا تهنئه بانتصارات إبراهيم باشا في الدرعية، ٣ محرم ١٢٣٤هـ.

(٦) وثائق عثمانية: ١/٢-١٠٣ دارة الملك عبد العزيز، الرياض. تهنئة قيصر روسيا للسلطان العثماني بإسقاط الدرعية، غير مؤرخة.

(٧) وثائق عثمانية: ٣/١-٢٨ دارة الملك عبد العزيز، الرياض. تهنئة داود باشا للسلطان العثماني بإسقاط الدرعية، ١٢٣٤هـ.

(٨) وثائق عثمانية: ١/٢-٢٥١ دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من رئيس الكتاب إلى السلطان العثماني حول إطلاق مدافع الشام بمناسبة إسقاط الدرعية.

حاول إبراهيم باشا مد سلطته للأحساء وأرسل لها قوة صغيرة [١] آملاً بالسير إليها بنفسه، إلا أنه جوبه برفض ذلك من قبل السلطان العثماني، وتشير الوثائق العثمانية إلى كثرة إلحاح إبراهيم باشا على والده كي يأخذ موافقة السلطان العثماني على رغبته تلك والتي كان يضمرها حتى قبل سقوط الدرعية، مبيناً الخطر الذي قد يترتب على ترك الأحساء، واحتمال عودة السعوديين من جديد، ورغم تلك المحاولات الجادة من قبل إبراهيم باشا ووالده إلا أن السلطان العثماني أصدر أمره بعدم التقدم للأحساء لأنها ليست هدفاً للحملة، وأن الهدف المحافظة على الحرمين [٢].

ومن المرجح أن رفض السلطان العثماني يعود إلى تخوف والي بغداد داود باشا من أطماع محمد علي باشا ورغبته بالوصول إلى الأحساء فالعراق وهذا ماتؤكده المصادر خاصة الوثائق العثمانية والتي يحاول داود باشا من خلالها إقناع السلطان العثماني بتعيين آل عريعر أمراء على الأحساء من قبل الدولة العثمانية لإبعاد قوات محمد علي باشا عنها[٣]، حيث ظهرت على السطح بوادر خلاف بين الواليين العثمانيين الأمر الذي دعا السلطان العثماني لاتخاذ هذا الموقف خوفاً من اصطدام وشيك بينهما فأبلغ محمد علي

---

(١) فتحية نبراوي ومحمد نصر مهنا: الخليج العربي. الأسكندرية: منشأة المعارف، د.ت.ن، ص ٢٦٢. ويؤكد بعض الباحثين أن محمد علي باشا قد أمر إبنه إبراهيم باشا بالاستيلاء على الأحساء. عبد الحميد البطريق: إبراهيم باشا في بلاد العرب، ص ٢٢-٢٣.

(٢) وثائق عثمانية: ٥/١-٧٤ دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رفض السلطان العثماني السماح لإبراهيم باشا التحرك للأحساء، ٣ رجب ١٢٣٣هـ.

؛ وثائق عثمانية: ٥/١-٧٩ دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من محمد علي باشا للسلطان العثماني حول عودة إبراهيم باشا إلى مصر بعد إسقاط الدرعية ١٢٣٣هـ.

(٣) وثائق عثمانية:٣/١-١ دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

؛ وثائق عثمانية:٣/١-٥ دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

؛ Hatt-i Humayun:No.19676

؛ وثائق عثمانية ٣/١-٣٥ دارة الملك عبد العزيز، الرياض. ملخص رسائل والي بغداد وماجد العريعر إلى السلطان العثماني، ١٢٣٤هـ.

؛ أحمد جودت باشا: المصدر السابق ١١/١٥.

باشا بضرورة إخلاء الأحساء وتسليمها إلى مأموري داود باشا فامتثل إبراهيم باشا لذلك وطلب من قواته الانسحاب إلى الدرعية (١).

ويلاحظ خلال هذه الآونة بداية الاختلاف بين قوى الدولة العثمانية المناوئة للدولة السعودية فعلى حين أن محمد علي باشا أظهر مطامعه في الأحساء؛ تحرك والي بغداد داود باشا لمنع هذا التوجه، وحين فقد محمد علي باشا الأحساء أراد التمسك بنجد حيث أرسل إبراهيم باشا لوالده يطلب منه استئذان السلطان العثماني للبقاء في الدرعية نظراً لقوة آل سعود وخبرتهم بالإمارة لما يقارب اثنتين وتسعين سنة الأمر الذي يجعل عودتهم للظهور محتملة، كما بين أنه لابد من البقاء مابين ثلاثة إلى أربعة أشهر لمطاردة بقاياهم(٢)، ولكن السلطان العثماني رفض هذا موضحاً من جديد أن الهدف استعادة الحرمين، وإن أمر الدرعية يجب حله عن طريق تنظيم الأمور فيها وتعيين أحد الأشخاص مسؤولاً فيها، وإن لم يتيسر ذلك فإن الحل الأخير هو هدمها تماماً وأخذ مافيها من مدافع وأسلحة، أما إبراهيم باشا فإن عليه العودة إلى المدينة المنورة (٣).

وهكذا حُرم محمد علي باشا من مد سيطرته إلى الدرعية كما حُرم الأحساء من قبل؛ الأمر الذي جعله يتخذ قراره باختيار الاقتراح الثاني الذي طرحه السلطان العثماني وهو هدم الدرعية وأخذ مافيها من أسلحة قبل أن يغادرها إبراهيم باشا عائداً إلى الحجاز

---

(١) أمين الحلواني: المصدر السابق، ص ١٣٤-١٣٥.

(٢) وثائق عثمانية: ٢/١-٥٧ دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من إبراهيم باشا إلى محمد علي باشا حول ضرورة المكث بالدرعية ٣-٤ أشهر.

؛ وثائق عثمانية: ٢/١-٦٢ دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من إبراهيم باشا إلى محمد علي بشأن بقائه في المدينة.

(٣) وثائق عثمانية: ٥/١-٢٢٣ دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة موجهة إلى السلطان العثماني حول اتخاذ بعض الإجراءات في الدرعية. وكذلك: أحمد جودت باشا: المصدر السابق ١٤/١١. ولاشك أن في هذه الوثائق والمصادر الرد على من ذهب إلى عدم رغبة إبراهيم باشا بالاحتلال الثابت في نجد وأنه أراد تركها منذ البداية، ولعل الموقف العثماني الحازم إزاء تقدم إبراهيم باشا للأحساء ينفي مايزعم من ضعف السلطان العثماني أمام محمد علي باشا في تلك الآونة.

Saleh.m.AL-Amr: The Hejaz Under Ottman Rul 1869-1914. Riyad University Publications. 1978. p.52.

تنفيذاً للأوامر.

ومن خلال ماسبق يتضح أن الدولة العثمانية كانت متحدة للعمل على إنهاء الدولة السعودية الأولى عن طريق ولاتها، وحين وصل إبراهيم باشا لحصار الدرعية وقف بجانبه والي بغداد وأمراء بني خالد الموالين له ومن خلفهم السلطان العثماني الذي كان يرسل الدعم بشكل مستمر لقوات إبراهيم باشا.

غير أن الأمر بدا مختلفاً بعد سقوط الدرعية وإنهاء الدولة السعودية الأولى، إذ رفض السلطان العثماني تقدم قوات محمد علي باشا إلى مابعد الدرعية خوفاً من تحقيق محمد علي باشا لنجاحات ذاتية تأتي على حساب السلطان العثماني والدولة العثمانية، ومن هنا بدأ الانشقاق في الصف العثماني، ويمكن أن نعتبر تلك اللحظة بداية الاختلاف بين السلطان العثماني ووالي مصر وهو ماتطور إلى حروب طاحنة بين الدولة العثمانية وواليها في مصر محمد علي باشا.

ب ـ أحوال نجد بعد نهاية الدولة السعودية الأولى :

لقد ترتب على نهاية الدولة السعودية الأولى نتائج سيئة متعددة على كافة الأصعدة والجوانب، ولقد أفاض مؤرخو تلك الفترة في وصف حالة نجد السيئة في تلك المرحلة.

ففي المجال الديني ظهرت المنكرات التي كانت تحاربها الدعوة السلفية والدولة السعودية مثل الفطر في رمضان والغناء(١)، والفساد الأخلاقي الذي أتى من جنود إبراهيم باشا، إضافة إلى السرقة والاعتداء على أموال الناس (٢)، وأهملت التعاليم الإسلامية السامية(٣)، وقد ساعد وجود العناصر التركية والألبانية والشركسية ضمن القوات الغازية على انتشار ذلك الفساد (٤)، والرشوة (٥)، وإباحة المحرمات والمسكرات وإفساد الضمائر والأخلاق (٦).

وكان مما زاد في انتشار تلك المنكرات انعدام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصة في ظل الاضطهاد والتعذيب الذي تعرض له العلماء القائمون بتلك المهمة كما قتل كثير منهم على يد جنود الباشا بطرق مختلفة، ووصل الأمر بشاعته إلى أن الشيخ

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٨٣/١ ورغم مايظهره من آراء حادة إلا أنه من المؤكد حدوث بعض المخالفات الدينية بتأثير من جنود محمد علي، ووجود بعض ضعاف النفوس ومن لايمكلون الجرأة لمواجهة مثل تلك المخالفات خوفاً من سلطة أولئك الجنود.

(٢) عبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق، ص ٣٢٤ .

(٣) Philby: op.cit, P.147.

؛ هاري سانت جون فلبي: تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ترجمة عمر الديسراوي. ط١، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٢٢٥ .

(٤) محمد السلمان: الآثار الاجتماعية لسقوط الدرعية. مجلة الحرس الوطني، س ١٣، ع ١٢٢، ربيع الآخر ١٤١٣هـ/ اكتوبر ١٩٩٢م، ص ٣٣ .

(٥) محمد الشويعر: "مشاري بن سعود". مجلة القافلة، ع١، مجلد ٣٧، محرم ١٤٠٩هـ/ اغسطس - سبتمبر ١٩٨٨م، ص ٢٠.

(٦) أمين سعيد. تاريخ الدولة السعودية من محمد بن سعود إلى عبد الرحمن الفيصل ١١٥٨-١٣٠٧هـ. المجلد الأول، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.ن، ص ١٣٢. غير أن تلك المخالفات كانت مرتبطة بوجود القوات الأجنبية حسبما يتضح من الأحداث التاريخية.

سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب تم تقطيع أجزاء جسده بالبنادق بعد أن عُزِفت آلات اللهو أمامه [١].

أما من سَلِمَ من القتل فقد عُذِّب وأُخذ إلى مصر ليبقى سجيناً فيها [٢]، ولذلك فإن بعض علماء نجد كان ينتقل من مكان إلى آخر هرباً من مطاردة تلك القوات[٣].

ومما ساعد على انتشار ذلك الفساد انعدام التعليم الديني في تلك الفترة وتقلص الاهتمام به الأمر الذي أدى إلى البعد عن تعاليم الإسلام المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وبالتالي تفشي الجهل بين الناس [٤].

أما في المجال السياسي والإداري والعسكري فقد تعرضت الأسرة الحاكمة للاضطهاد، وأخذت قوات إبراهيم باشا بتتبع آل سعود، والقبض عليهم، وإرسالهم إلى مصر، وتقدر الوثائق التاريخية عدد المرسلين من آل سعود وأتباعهم إلى هناك مابين ٢٨٥ إلى ٣٥٠ شخصاً مبينة حالة بعضهم الصحية السيئة بسبب طول السفر والإجهاد [٥]، كما أن عدداً من آل سعود قد قتلوا في حروب الدرعية بلغ عددهم واحداً وعشرين شهيداً [٦]، وقد أبدت الوثائق العثمانية اهتماماً ببعض الأسماء من آل سعود خاصة من له صلة بالحكم والإدارة[٧].

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٨٢/١ .

(٢) المصدر السابق ٧/٢، ٢٨٢/١ .

(٣) محمد السلمان: الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية. ط١، عنيزة: المطابع الوطنية، ١٤٠٧هـ-١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧-١٩٨٨م، ص ٤٨ .

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٨٣/١ .

(٥) وثائق عثمانية: ٢/٤-٨ دارة الملك عبد العزيز، الرياض. كشف بأفراد آل سعود المرسلين إلى مصر، ٢١ جماد ثاني ١٢٣٤هـ.

؛ وثائق عثمانية: ٢/٤-١٠ دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من محمد علي إلى الصدارة حول الموجودين من آل سعود بالقاهرة، ٢٠ رجب ١٢٣٤هـ.

(٦) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢٠٦/١ .

(٧) وثائق عثمانية: ١/٥-٧٧ دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من محمد علي إلى رئيس الكتاب عن أسماء بعض قتلى الدرعية، ١٠ ذي الحجة ١٢٣٣هـ.

؛ Hatt-i Humayun: No 19676.

كما أن نهاية الدولـة السـعودية أدت إلى تفـرق البـلاد وتجزئتهـا حيـث اسـتقلت الأحساء والخرج وحريملاء وغيرها [١]، إضافة إلى أن كثيراً من أمـراء البلـدان قـد عـادوا إلى بلدانهم مؤيدين بجنود الدولة العثمانية مما أدى إلى نشوب النزاعات في مختلـف منـاطق نجـد[٢].

وقـد أدى الفـراغ الـذي تركـه غيـاب الدولـة السـعودية إلى كـثرة الفـتن والاضطرابات[٣]، ومما زاد الأمر سوءاً أن قادة الحاميات العثمانية الموزعـة في بلـدان نجـد ارتكبوا أعمالاً منكرة للقضاء على الشخصيات البارزة كـي لايتمكنـوا مـن إعـادة الحيـاة لبلدانهم[٤]، ونتج عن ذلك الاضطراب الإداري والسياسي نزاعات متعددة بـين البلـدان النجدية لم يستطع جنود إبراهيم باشا منعها[٥].

أما عسكرياً فقد ظهر الوجـود الأجنـبي في نجـد ليسـتمر فـترة طويلـة[٦]، بـل إن بعض جنود محمد علي باشا قد بقي في الجزيرة العربية بشكل مستمر، فانخرط بعضهـم في العمل لدى أمراء البلدان، حيث تذكر بعض المصـادر أن عـدداً مـن هـؤلاء الجنـود ظلـوا يعملون في خدمة أمراء جبل شمر حتى سنة ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م[٧].

وقد أدى الوجود العسكري المكثف لقـوات محمـد علـي باشـا في نجـد إلى زيـادة الإرهاب والتعسف ضد الأهالي والعمل على تحطيم القـوى العسـكرية للبـلاد مـن حيـث مصادرة الأسلحة وهدم أسوار البلدان وحصونها، سواء في البلدان التي قـاومت حملاتهـم

---

(١) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٥٠ .

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي وشبه الجزيرة العربية. ط٢، القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٦-٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٧ .

(٤) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ١٩ .

(٥) ج. فورستر سادلير: المصدر السابق، ص ٨٩ .

(٦) Bayly. Winder: Saudi Arabia In The Nineteenth Century. New Yurk. Martin's Press, 1965, P. 7.

(٧) جورج أوغست فالين: صور من شمالي جزيرة العرب. ترجمة سمير شلبي، بـيروت: أوراق لبنانيـة، ١٩٧١م، ص ١٠١ .

أو التي لم تفعل ذلك [١]، كما تم توزيع الجنود على بلدان نجد بشكل مكثف بل إن بعض البلدان أصبحت مراكز عسكرية لقوات محمد علي باشا ومنها ثرمداء [٢].

ومن ناحية أخرى فإن الأطماع العسكرية لمحمد علي باشا قد اتضحت بعد حروبه مع الدولة السعودية الأولى فظهرت أبعاد جديدة لتوسعه وصلت فيما بعد إلى الشام [٣]، ولأجل ذلك فإنه استمر في طلب الإمدادات والأسلحة من السلطان العثماني باسم مهمة الدرعية في وقت كانت تللك المهمة قد انتهت [٤].

وفي المجال الاجتماعي اضطرب الأمن حتى أصبح الرجل لايأمن على نفسه وهو في بيته [٥]، وذلك ناتج عن كثرة القتل والتعذيب ومشاهدة الناس لجثث الموتى منذ بداية معارك الدرعية والتي كثر فيها القتل من الجانبين حيث زاد عددهم على ثلاثة عشر ألف قتيل [٦]، كما قتل بعد سقوط الدرعية مايقارب أربعة آلاف رجل من أهالي نجد على أيدي قوات إبراهيم باشا [٧]، كما أن الأسر الذي تعرضت له فئات المجتمع قد أدى إلى زيادة الخوف، خاصة أن تلك القوات عمدت إلى سلب حرية الأهالي بتحويل بعضهم إلى أرقاء يباعون ويشترون وكأنهم ليسوا من المسلمين الأحرار [٨].

وعمدت تلك القوات إلى هدم بعض المدن والقرى بمجرد الشك بعزم أصحابها

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٨٥/١ .

(٢) إبراهيم بن عيسى: تاريخ بعض الحوادث...، ص ١٤٧ .

(٣) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ١٥ .

(٤) Hatt-i Humayun: No. 19642 Tarihi 19/1/1234.

(٥) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٨٣/١ .

(٦) ذكر الفاخري أن قتلى جيش إبراهيم باشا منذ قدومه للجزيرة العربية يصل إلى ١٢ ألف قتيل وقتلى الدرعية ١٣٠٠ قتيل (محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٥٠) وهو ماذكره ابن بشر في المصدر السابق، بينما يذكر البسام أن قتلى جيش إبراهيم باشا في حرب الدرعية فقط تسعة آلاف وقتلى الدرعية ألف وخمسمائة قتيل. عبد الله محمد البسام:، تحفة المشتاق...، ورقة ٢٣٢.

(٧) سعود بن هذلول: تاريخ ملوك آل سعود. ط١، الرياض: مطابع الرياض، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م، ص ١٧.

(٨) عبد الرحمن الجبرتي: المصدر السابق ٦٠٦/٣.

على المقاومة، وهذا يتضح من خلال أحداث حملة إبراهيم باشا في شقراء على سبيل المثال [١]، وفي بعض الحالات قد لايكون تخريب البلدان أمراً ظاهراً حيث تتعرض قليل من البلدان لشيء من التخريب أثناء الحرب [٢]، ومما ترتب على تلك الأعمال هجرة كثير من الناس إلى البراري نجاة بأنفسهم [٣]، بل إن البعض قد هرب إلى مناطق متعددة في الحجاز [٤]، الأمر الذي نتج عنه تقلص عمراني وسكاني مؤثر في بلدان نجد [٥].

وقد نتج عن ذلك الوضع السيء ظهور شعور وطني محلي في نجد وتأصل مبدأ كره الحكم الأجنبي [٦].

أما في المجال الاقتصادي فقد ترتب على سياسة مصادرة الأموال [٧]، والبطش والإرهاب التي عمد إليها جنود إبراهيم باشا انشغال الناس عن مزاولة أنشطتهم الاقتصادية زراعية كانت أم تجارية أو غيرها الأمر الذي أدى إلى ركود الحياة الاقتصادية وانتشار المجاعة، حتى أن البعض يذكر أن الأهالي أكلوا الخشب [٨]، إذ أنهم ركزوا اهتمامهم في الدفاع عن النفس أو التخفي من تلك العمليات الإرهابية، كما نتج عن انعدام الأمن واضطراب الأوضاع أن تعذرت الأسفار، وتوقفت القوافل التجارية الأمر الذي أدى إلى كساد اقتصادي عام، مع ماصاحب ذلك من نهب للأموال حيث أرسل إبراهيم باشا رجاله إلى بلدان نجد المختلفة لمصادرة الأموال والاستيلاء على الأعلاف

---

(١) محمد السلمان: الآثار الاجتماعية...، ص٣٠.

(٢) عبد الله العثيمين: "قراءة جديدة لأوائل أخبار تركي بن عبد الله". المجلة العربية. س ٤، ٢٤ رجب ١٤٠٠هـ، ص١٢ .

(٣) مقبل الذكير: المرجع السابق، ورقة ٣٤ .

(٤) وثائق عثمانية: ١/٢-١٠٤ دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من رئيس الكتاب إلى السلطان العثماني، ٧ صفر ١٢٣٤هـ.

(٥) فهد بن صالح الخريصي: منطقة شقراء (دراسة في جغرافية المدن) رسالة ماجستير. قسم الجغرافيا. كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٧هـ، ص١.

(٦) عبد الفتاح أبو علية: محاضرات في تاريخ الدولة السعودية...، ص ٨٠ .

(٧) أحمد عسة: معجزة فوق الرمال. ط١، بيروت: المطابع الأهلية اللبنانية، ١٩٦٥م، ص ٣١.

(٨) Philby: op.cit, P.147 . محمد السلمان. الأحوال السياسية...، ص ٤٩.

والحبوب أو شرائها بثمن بخس [(١)].

وأدت تلك السياسات التعسفية إلى قيام الأهالي بإخفاء مالديهم من أموال ومجوهرات تحت أسوار بلدانهم الأمر الذي أدى إلى ضياعها بعد أن نسي أصحابها أماكنها أو اندثرت الأسوار أو هاجر أصحابها من البلدة نهائياً، كما أدت سياسة القسوة تلك إلى نقل كثير من تجار نجد نشاطهم إلى خارجها حيث انضم بعضهم إلى القوافل التجارية المتنقلة فتقلص نشاطهم التجاري داخل بلدانهم [(٢)].

ومن العوامل التي أدت إلى التدمير الاقتصادي قيام إبراهيم باشا بقطع النخيل ودفن الآبار وهي سياسة درج عليها في حروبه داخل نجد؛ فقد قطع في الدرعية لوحدها ثمانين ألف نخلة [(٣)]، وزاد الأمر سوءاً تلك الضرائب التي فرضت على أهالي البلدان النجدية وتحصيلها بالقوة نقداً وحلياً وطعاماً وسلاحاً، ومن لايدفع فإن مصيره السجن[(٤)].

أما في المجال العلمي والأدبي فقد انشغل العلماء عن تدوين الأحداث التاريخية الأمر الذي أدى إلى ضياع واندثار كثير من تاريخ نجد، ولعل هذا يعود أيضاً إلى خوف العلماء من سطوة المحتل الأجنبي الذي لايرضى بتدوين مايقترفه من جرائم وفضائع مما أدى إلى ندرة وشح في المعلومات التاريخية لنجد خلال تلك الحقبة، ولعل ذلك ماجعل البعض يلجأ إلى تدوين تلك الأحداث شعراً في ظل استبعاد معرفة كثير من الجنود الغزاة للشعر وجهلهم به ، وممن نهج هذا النهج الشيخ أحمد بن علي بن دعيج الذي نظم أرجوزة طويلة يصف فيها ماحل بالبلاد من محن ومصائب إبان سقوط الدولة السعودية الأولى وماأعقب ذلك من أحداث [(٥)].

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٢٨٥ .

(٢) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: نجديون وراء الحدود (العقيلات). ط١، لندن: دار الساقي، ١٩٩١م، ص ٤٥ .

(٣) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٥٠ .

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٣٠٠. محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٥٠.

(٥) محمد الشويعر: من النظم التأريخي (أرجوزة أحمد بن دعيج). مجلة الدارة، س٨، ع٤، رجب ١٤٠٣هـ/ إبريل ١١٩٨٣م، ص ١٧٣.

ومن جانب آخر فإن جنود إبراهيم باشا قاموا بمصادرة الكتب العلمية والمصاحف، حيث تشير الوثائق العثمانية إلى أنه أحضر معه من الدرعية إلى المدينة المنورة مامجموعه (٥٩١) مجلداً منها (٥٣٠) كتاباً علمياً، والبقية مصاحف [(١)]، وقد صدرت إرادة سلطانية بتوزيع المصاحف على أهل التلاوة في المدينة المنورة، أما الكتب فقد وضعت في المدرسة الشريفية التي أنشأها السلطان العثماني في المدينة المنورة [(٢)]، على أن أبشع الأعمال التي ارتكبها إبراهيم باشا وجنوده داخل نجد قيامه بهدم الدرعية حين يئس من إمكانية استمرار احتلاله لها بسبب رفض السلطان العثماني لذلك.

ويذهب البعض إلى أن السلطان العثماني هو الذي طلب من إبراهيم باشا هدم الدرعية[(٣)]، ولكن استقراء الوثائق العثمانية يبين أن السلطان العثماني وضع مسألة الهدم كاختيار أخير أمام محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا، بينما كان الخيار الأول هو ربط الدرعية بنظام جديد، وتعيين شخص يتولى إدارة الأمور فيها [(٤)]؛ كما أن المصادر بما فيها القريبة من الأحداث تفيد أن الأمر بهدم الدرعية قد صدر من محمد علي باشا وباختيار منه [(٥)].

وعلى أية حال فقد أمر إبراهيم باشا جنوده بتدمير الدرعية في شعبان سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م أي بعد تسعة أشهر من استيلائه عليها، وتم إخراج أهلها وقطع

---

(١) Hatt-i Humayun: No. A-19557. Tarihi 11/6/1236.

(٢) معية تركي: دفتر (١٣)، وثيقة (٣٤) .

(٣) محمد جلال كشك: المرجع السابق ، ص ٩٧، ج.ج، لوريمر: دليل الخليج (القسم التأريخي) الجزء الثالث، ترجمة مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر، طبع على نفقة أحمد بن علي الثاني، د.م.ن، د.ت.ن، ص ١٦٢٧.

(٤) وثائق عثمانية: ٣/١-٣٢ ، دارة الملك عبد العزيز، الرياض. حول السيطرة على الدرعية ١٢٣٣هـ.

؛ وثائق عثمانية: ٥/١-٢٢٣، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

(٥) ج. فورستر سادلير: المصدر السابق، ص٦٢، عبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق، ص ١٥١. وعلى الرغم من أن إبراهيم باشا أبلغ سادلير أن هدم الدرعية بناء على تعليمات السلطان إلا أن سادلير نفسه يعزو ذلك إلى غرور إبراهيم وغطرسته.

أشجارها وإشعال النار فيها[١]، كما قام الجنود بهدم بعض البيوت وأهلها موجودين بداخلها[٢]، مما يدل على بشاعة الجريمة وانتفاء الوازع الديني والأخلاقي لدى مرتكبيها.

بعد ذلك قرر إبراهيم باشا العودة إلى الحجاز بناء على أمر السلطان العثماني[٣]، وحين أراد مغادرة نجد حاول إجراء بعض الترتيبات خاصة فيما يتعلق بتسليم إدارة البلاد، والواقع أن المصادر تختلف في تحديد الشخصية التي خلفت إبراهيم باشا في إدارة نجد حيث يذهب البعض إلى أن إبراهيم باشا عين أحد أبناء الإمام سعود بن عبد العزيز في ذلك المنصب[٤]، ومن المرجح أن الأمر اشتبه على هذا المؤرخ حيث خلط بين تعيين خالد بن سعود* أميراً على نجد فيما بعد سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م من قبل حكومة محمد علي باشا وبين هذا التعيين، على أن بعض الباحثين يذكر أن إبراهيم باشا سلم إدارة نجد "لإسماعيل بك"، وان إسماعيل لم يلبث أن رحل إلى مصر تاركاً "خالد باشا" مكانه[٥]،

---

(١) إبراهيم بن ضويان: تاريخ ابن ضويان (مخطوط). بخط صالح بن عبد الرحمن السلمان ١٣٧٩هـ، نسخة متداولة ورقة ١٥.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٨٧/١ .

(٣) وثائق عثمانية: ٥/١-٢٢٣ دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

(٤) ضاري بن فهيد الرشيد: نبذة تاريخية عن نجد. بخط وديع البستاني (١٣٣٣هـ)، الرياض: دار اليمامة، د.ت.ن، ص ٣١ .

* خالد بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود أحد أبناء الإمام سعود الكبير، وكان قد أسر على يد إبراهيم باشا بعد استيلائه على الدرعية عام ١٢٣٣هـ ونقل إلى مصر مع باقي أسرة آل سعود حيث بقي هناك ١٨ سنة وتعلم فيها، وقد أرسله محمد علي ضمن حملته إلى نجد سنة ١٢٥٢هـ. محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٩٥، وبعد أن فشل بالسيطرة على الأوضاع في نجد هرب إلى الحجاز، ومكث هناك ثم عاد إلى القصيم إبان حملة محمد بن عون سنة ١٢٦٣هـ، ثم عاد منها إلى الحجاز حيث مات هناك سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م. خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج١، ط٣، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٥م، ص٤٦، فيما يذكر البعض أن وفاته كانت سنة ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م. جبران شاميه: آل سعود ماضيهم ومستقبلهم، لندن: مطابع رياض الريس، ١٩٨٦م، ص٧٢ .

(٥) EL-Batrik: op.cit, P. 148. ، أحمد عبد الغفور عطار: صقر الجزيرة. الجزء الأول. ط٣، د.م.ن، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص ١٩٥ .

ومن المؤكد أن الأمر التبس أيضاً على أصحاب هذا القول فأقحموا اسم خالد بن سعود الذي قدم بصحبة إسماعيل بك إلى نجد سنة ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م بهذا الأمر، بينما يذكر باحث آخر أن إبراهيم باشا عين مكانه قائداً يدعى "علي أغا" كمحافظ لنجد [١]، غير أننا لانجد في المصادر أي دور لهذا القائد بعد مغادرة إبراهيم باشا لنجد.

وأياً كان الأمر فإن إبراهيم باشا أناب عنه أحد القادة، كما عين أمراء من قبله على بلدان نجد وحامياتها [٢]، وكانوا مدعمين ببعض القوات العثمانية التي وصلت إلى شبه الجزيرة العربية مع حملة الباشا [٣].

وقد أعقب رحيل إبراهيم باشامن نجد استمرار الاضطرابات والفوضى في ظل انعدام السلطة القوية[٤]، مما زاد من سوء الأحوال العامة في المنطقة وعدم استقرارها[٥].

وعلى الرغم من أن السلطان العثماني كان قد طلب من إبراهيم باشا العودة إلى الحجاز والبقاء فيها باعتباره والياً على جدة، ومسؤولاً عن مشيخة الحرم ومحافظاً للمدينة المنورة، إلا أنه عزم على التحرك من المدينة المنورة إلى مصر، وذلك لرغبته بالراحة والبقاء بجانب أسرته إضافة إلى ماكان يعانيه من ظروف صحية وحاجته للعلاج التدريجي خاصة أنه أمضى حوالي أربع سنوات في الجزيرة العربية، وقد كتب محمد علي باشا رسالة إلى السلطان العثماني بذلك مستعطفاً إياه للسماح بهذا الإجراء ذاكراً له أن إبراهيم باشا سيُعيِّن عابدين بك محافظاً على المدينة المنورة نيابة عنه قبل أن يعود إلى مصر، فوافق السلطان العثماني على هذا المطلب[٦]، وقد أدى إبراهيم باشا مناسك الحج لعام

---

(١) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ١٧٩ .

(٢) وثائق عثمانية: ٣/٨-٢ دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من آل عريعر إلى إبراهيم باشا حول حوادث الدرعية. غير مؤرخة.

(٣) فائق بكر الصواف: المرجع السابق، ص ٦٧ .

(٤) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢١٤/١ .

(٥) سيد محمد إبراهيم: تاريخ المملكة العربية السعودية. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٦٣ .

(٦) وثائق عثمانية ١/٥-١٧٦ دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب بشأن عودة إبراهيم من المدينة، ١٢٣٤هـ.

١٢٣٤هـ ثم اتجه إلى مصر حيث وصلها يوم ٢١ صفر ١٢٣٥هـ/ ٩ ديسمبر ١٨١٩م(١).

وعلى الرغم من ذلك التكاتف الذي تم بين السلطان العثماني وولاته في العراق والشام ومصر للعمل سوياً ضد الدولة السعودية الأولى إلا أن سقوط تلك الدولة لم يكن بالأمر السهل، حيث أمضت السلطنة العثمانية وولاتها مايقارب ربع قرن في سبيل تحقيقه، كما أن الخسائر العثمانية فاقت التصورات خاصة في جانب محمد علي باشا والذي خسر مايزيد عن خمسة عشر ألف قتيل في معاركه مع الدولة السعودية، لكن تكالب تلك القوى المتمثلة في الدولة العثمانية وولاتها في العراق والشام ومصر مع القوى المناوئة داخل الجزيرة العربية من أمراء الحجاز وأمراء الأحساء كل ذلك فرض على الدولة السعودية أن تقف قسراً لبعض الوقت، لكن قادتها قطعوا على أنفسهم عهداً بالعودة لجهادهم المشرف، ونشر دعوتهم السلفية التي ظلت ماثلة في أذهان الناس، مستفيدين من ذلك الحب الغامر الذي يكنه الأهالي للأسرة الحاكمة التي كان لها موعد جديد مع السيادة والتخلص من الوجود الأجنبي، ومن هنا تبدأ مرحلة جديدة من الصراع بين السعوديين في دولتهم الثانية وبين تلك القوى المناوئة.

= ؛ Hatt-i Humayun: No. 19557.

(١) أحمد دحلان: المصدر السابق، ص ٣٠٣، عبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق، ص ١٥٢.

الفصل الأول :
الأنشطة المناوئة للدولة السعودية الثانية خلال محاولات التكوين
١٢٣٤ ـ ١٢٣٩ هـ / ١٨١٨ ـ ١٨٢٤ م

المبحث الأول: تحركات محمد بن مشاري بن معمر
- حملة ماجد بن عريعر

المبحث الثاني: جهود مشاري بن سعود وتركي بن عبد الله في إعادة تكوين الدولة وموقف القوى منها :
- حملة عبوش أغا .
- حملة حسين بك.
- حملة حسن أبي ظاهر .

* تحركات محمد بن مشاري بن معمر :

من المرجح أن محمداً بن مشاري بن معمر * قد حظي بتأييد إبراهيم باشا ليكون أميراً في العيينة (١) عقب سقوط الدرعية، وحينما انسحب إبراهيم باشا بقواته من نجد

---

* محمد بن مشاري بن إبراهيم بن عبد الله بن معمر، عين والده أميراً في العيينة من قبل الدولة السعودية الأولى سنة ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م، وكان الإمام عبد العزيز بن محمد خاله لأمه، وآل معمر ينتسبون إلى بني سعد من تميم. حمد الجاسر: المرجع السابق ٢/٧٦٤، ٧٨٢-٧٨٣. ويذهب عدد من المؤرخين إلى أن آل معمر ينتسبون إلى آل مقرن. مقبل الذكير: المرجع السابق، ورقة ٥٣، إبراهيم ابن ضويان: المرجع السابق، ورقة ٥، صالح بن عثمان القاضي: تاريخ نجد وحوادثها. ط١، د.م.ن، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص٧٥، ويشارك هؤلاء المؤرخين سعود ابن هذلول: المرجع السابق، ص ١٧ القول أن الإمام عبد العزيز جد محمد بن مشاري بن معمر وليس خاله. ولعل الأمر التبس على هؤلاء حين استندوا إلى ماجاء في بعض نسخ تاريخ ابن بشر، غير أن النسخة المحققة من هذا التاريخ تؤكد أن الإمام عبد العزيز خال ابن معمر لا جده. عثمان بن بشر : المصدر السابق ١/٢٩٤، وهذا ماذهب إليه موزل حين أشار إلى أن ابن معمر تزوج ابنة خاله الإمام عبد العزيز: الويس موزل: المرجع السابق، ص٢٢٩. وقد لعب ابن معمر دوراً أثناء حصار إبراهيم باشا للدرعية حيث كان ضمن الوفد الذي خرج لمفاوضة إبراهيم باشا على الصلح. عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٢٧٥.

(١) تذكر الوثائق أن ابن معمر قد منح الأمان من قبل إبراهيم باشا وأُقر في إمارة إحدى البلدان القريبة من الدرعية دون تحديد لتلك البلدة. Hatt-i Humayun: No. 19557 Tarihi 11/5/1236.

؛ معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (١٨٠). رسالة من محمد علي باشا إلى الصدر الأعظم عن الوضع في نجد، ١٣ جمادى الآخرة ١٢٣٦هـ. ويؤكد محمد الأحسائي: المرجع السابق ١/١٤٥ أن ابن معمر كان أميراً على العيينة. ولعل هذا ماتذهب إليه إحدى الوثائق التي تصف ابن معمر بأنه "شيخ عتيبة" ومن المرجح أن المقصود "شيخ عيينة" إذ ربما حدث تصحيف للكلمة. محافظ بحر برا: محفظة (١٦) وثيقة (٥٧) تقرير عن أخبار نجد من عبد الله الجميعي أمير عنيزة حينذاك. دون تاريخ، ويؤكد ذلك أن ابن معمر وصف في وثيقة أخرى بأنه "شيخ عيينة". معية تركي: دفتر (٧)، وثيقة (٥٠) مكاتبة إلى محافظ المدينة بشأن مشاري بن سعود، ٢٣ صفر ١٢٣٦هـ.، كما أن ابن معمر قدم من العيينة إلى الدرعية مبتدءاً حركته أواخر سنة ١٢٣٤هـ، ١٨١٩م: عثمان ابن بشر: المصدر السابق ١/٢٩٤، ويرى أحد الباحثين أن إبراهيم باشا عين محمد بن مشاري ابن معمر حاكماً على نجد: Winder: op.cit, P.51.

برز ابن معمر على مسرح الأحداث محاولاً إقامة دولة جديدة مدفوعاً ببعض العوامل التي منها: خلو الساحة السياسية من الحكام الشرعيين آل سعود والذين يحظون بالتأييد من الجميع[١] حيث أبعدهم إبراهيم باشا من البلاد، إضافة إلى صلة القرابة التي تربط ابن معمر بتلك الأسرة حيث أن خاله لأمه هو الإمام عبد العزيز بن محمد ولذلك فهو يرى أنه وريث وممثل لها مما جعله يعتقد أن أنصار تلك الأسرة سيكونون أنصاراً له بشكل تلقائي، كما أن مكانة أسرته السياسية السابقة والتي كانت من أشهر أسر نجد، ووجوده كأمير على بلدة العيينة بدعم من إبراهيم باشا [٢] جعله يشعر بقوته السياسية التي تدفعه لإقامة الدولة، يضاف إلى ذلك الحالة المادية الجيدة التي كان يتمتع بها إذ كان يُعد من الأثرياء في تلك الفترة الأمر الذي ساعده على امتلاك الأسلحة اللازمة لتحقيق أهدافه[٣].

وتشير الوثائق إلى أن ابن معمر كان يمتلك بعض المدافع ويحتفظ بها مدفونة في الدرعية [٤]، وإذا صح ماسبق ذكره من دعم إبراهيم باشا ومؤازرته له فليس من المستبعد أن يكون إبراهيم باشا نفسه هو مصدر هذه المدافع وإلا فكيف يحصل عليها ابن معمر وكيف يخفيها عن قوات الباشا التي لم تترك من الأسلحة شيئاً إلا صادرته.

ومما ساعد ابن معمر على تحقيق أهدافه في الدرعية قوة الحدس لديه إذ كان منذ البداية يعمل على جمع الأموال والأسلحة، كما أن مايوصف به من قوة الشخصية جعلته يقدم على تلك الخطوة، على أن أبرز ماساعده على هذا مايذكره موزل من دعم الحامية العثمانية له بعد رحيل إبراهيم باشا [٥].

وحينما تحرك ابن معمر من العيينة إلى الدرعية مستغلاً الفراغ الذي تركته قوات

---

(١) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ١٩.

(٢) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/٢١٥.

(٣) يقول ابن بشر في وصف قوة ابن معمر تلك "كان عنده من الأموال والسلاح مالايحصى ولايعد": عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٢٩٤.

(٤) محافظ بحر برا: محفظة (١٦) وثيقة (٥٧) .

(٥) الويس موزل: المرجع السابق، ص ٢٢٩ .

إبراهيم باشا المنسحبة في أواخر عام ١٢٣٤هـ[١] قام ببعض الاجراءات تجاه أسرته لجعلها في مأمن فيما لو أخفق في محاولته، حيث تشير الوثائق إلى قيامه بنقل أسرته إلى بلدة سدوس* التي يحكمها بعض أفراد أسرته، بينما اتجه هو إلى الرياض ليجتمع بمن فيها من أهلها وأهالي الدرعية اللاجئين إليها، ثم اتجه الجميع تحت قيادته إلى الدرعية وبدؤوا بعمارتها وزراعتها [٢]، وتكوين إمارة جديدة فيها.

ولقد ساعد ابن معمر على نجاح حركته تلك عدة عوامل في مقدمتها اتخاذه الدرعية عاصمة لإمارته دون سواها لإدراكه أهميتها ومكانتها في نفوس كثير من النجديين، فكأنه يوحي لهم بأنه يعمل على إعادة مجد الدولة السعودية لامجده الخاص[٣]، وأنه يقوم بعمل نبيل لإعادة بناء تلك المدينة الغالية في نفوس الناس[٤]، إضافة إلى تظاهره بالورع والتقوى، وخدمة الدعوة السلفية، والعمل على إعادة قوتها [٥] كما كانت، وذلك لما يعرفه من حب الأهالي لتلك الدعوة والقائمين بها.

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٤/١. مقبل الذكير: المرجع السابق، ورقة ٥٣. غير أن محمد الفاخري: المصدر السابق ص١٠٣ يذكر ذلك في أحداث بداية سنة ١٢٣٥هـ وتحديداً في ربيع الأول وهذا ماورد في بعض الوثائق: محافظ بحر برا: محفظة (١٦) وثيقة (٥٧)، وعلى أية حال فإن ابن معمر لم يبدأ حركته إلا بعد رحيل إبراهيم باشا من نجد كما أكدت ذلك الوثائق التاريخية. وثائق عثمانية: ٣/٨-٢، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

؛ وثائق عثمانية: ٢/٤-٤ دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من ابن عُريعر إلى إبراهيم باشا حول ظهور ابن معمر. دون تاريخ.

* سدوس بلدة كانت تسمى القريَّة، وتقع في أعلى وادي وتر ضمن بلدان اليمامة، وهي تتبع لأمارة الرياض. عبد الله بن محمد بن خميس: معجم اليمامة. ج٢، ط٢. الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠، ص١٥-١٨.

(٢) محافظ بحر برا: محفظة (١٦) وثيقة (٥٧) .

(٣) أحمد علي: آل سعود. ط٢،. الرياض: دار الشبل، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص٦٩ . عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢١٥/١. دلال السعيد: المرجع السابق، ص ٤٨ .

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٤/١.

(٥) هناء العوهلي: المرجع السابق، ص ١٢ .

ويرى أحد المؤرخين[١] أن ابن معمر كان يتمتع بشخصية قوية ساعدته على النجاح في مهمته، غير أن أهم اسباب النجاح الذي لقيه هو التأييد الذي وجده من الأمير تركي بن عبد الله [٢] بن محمد بن سعود وأخيه زيد وابن عمهما عمر بن عبد العزيز الذين قدموا إليه في الدرعية عائدين من جنوبي نجد، وتشير الوثائق العثمانية إلى أن ابن معمر هو الذي أرسل في طلبهم لما يعرفه من حب الناس لهم، ولأنه يهدف إلى الحصول على دعم أهالي بلدان جنوبي نجد التي كانوا يقيمون فيها، وهذا ماحدث بالفعل حين رحبوا بالتعاون مع ابن معمر رغبة في إخراج البلاد مما حل بها من دمار، ولذلك فإن تركي بن عبد الله قدم ومعه مائة رجل لدعم ابن معمر، وقدم عمر بن عبد العزيز ومعه نحو ثلاثمائة جمل محملة بالمواد الغذائية [٣] وذلك في سنة ١٢٣٥هـ[٤]/ ١٨١٩م، وقد

(١) الويس موزل: المرجع السابق، ص ٢٢٩ .

(٢) يذكر بعض الباحثين أن تركي بن عبد الله كان قد أسر على يد إبراهيم باشا ونفي إلى مصر ولكنه هرب من الحراس وعاد إلى نجد: منير العجلاني: "من أوائل أخبار تركي بن عبد الله" المقال الأول. المجلة العربية، ع١٢، س٣، ربيع ثاني ١٤٠٠هـ/ مارس ١٩٨٠، ص٤-٥. وهذا خطأ واضح إذ أن ابن بشر ذكر أن تركي بن عبد الله هرب حين استولى إبراهيم باشا على الدرعية إلى جنوبي نجد: عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/١٨٧، كما ذكر منير العجلاني: الإمام تركي بن عبد الله، ص ٨٤، أن فيصل بن تركي انضم إلى ابن معمر في حركته تلك. والواقع أن فيصلاً هو الذي أسر بعد سقوط الدرعية وأرسل إلى مصر ولم يعد إلا سنة ١٢٤٣هـ وبعد أن تمكن والده من تأسيس الدولة السعودية الثانية: عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٤١.

(٣) محافظ بحر برا: محفظة (١٦) وثيقة (٥٧) .

(٤) عبد الله محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٣٥. إبراهيم بن ضويان: المرجع السابق ورقة ١٥. وتذهب بعض المصادر المحلية إلى أن عودة تركي وأخيه زيد وابن عمهما عمر ابن عبد العزيز للدرعية كانت نتيجة لفشل حملة ماجد بن عريعر: عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٢٩٠، ولكن الواقع وماتثبته الوثائق أن عودتهم كانت قبل الحملة لأن ابن عريعر ذكر في رسائله أن من أسباب قيام حملته تلك انضمام المذكورين وغيرهم إلى ابن معمر وتحصنهم داخل الدرعية. كما أن فيصل الدويش شيخ مطير ذكر هذا في رسائله. محافظ بحر برا: محفظة (١٦) وثيقة (٥٧).

=

نتج عن قدوم أمراء آل سعود إلى الدرعية أن انضم معظم أهالي المنطقة إلى ابن معمر[(١)]، وكانت بلدة منفوحة أولى بلدان نجد طاعة له [(٢)]، وتولى الأمير تركي بن عبد الله إخضاع بعض بلدان نجد مثل حريملاء، الأمر الذي نتج عنه خضوع معظم بلدان نجد لابن معمر فقام بتعيين أمراء من قبله على تلك البلدان [(٣)]، كما بدأ العمل بنشاط في بناء الدرعية وترميم ماتهدم من مبانيها فتم جزء كبير من هذا العمل في تلك السنة ١٢٣٥هـ/ ١٨١٩م [(٤)].

ومن عوامل ذلك النجاح لابن معمر عدم تعرضه خلال تلك الفترة لعدوان خارجي، رغم رسائل محمد بن عريعر إلى إبراهيم باشا وتحريضه إياه ضد ابن معمر زاعماً أنه أصدر فتوى بأن من لم يتبعه فهو مرتد، وأن من دخل بطاعة الدولة العثمانية فهو مرتد [(٥)]، ولكن تلك النداءات لم تجذب اهتمام إبراهيم باشا كثيراً، لإدراكه عدم خطورة ابن معمر الذي تربطه به علاقة حسنة تجعله مطمئناً لنتائج حركته.

على أن نجاح ابن معمر هذا قد بدأ يتضاءل مع ظهور المشاكل بوجهه؛ والتي كان من أبرزها الظروف الاقتصادية السيئة، نتيجة لما حل بنجد من فوضى وماأدت إليه تلك الفوضى من توقف القوافل التجارية، الأمر الذي انعكس بالتالي على الأسعار والتي تزايدت بشكل كبير مما جعل ابن معمر يستمر في طلب المساعدات الاقتصادية من بلدان نجد الأخرى[(٦)]، ورغم الدعم الذي وجده ابن معمر من تلك البلدان ومن البادية[(٧)] إلا

= ؛ محافظ بحر برا: محفظة (١٦) وثيقة (١١٧) من فيصل الدويش إلى إبراهيم باشا.

(١) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ١٩ .

(٢) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/٢١٥ .

(٣) Hatt-i Humayun: No. 19532.

(٤) Winder: op.cit, P.51. الويس موزل: المرجع السابق، ص ٢٢٩ .

(٥) Hatt-i Humayun: No. 19532.

؛ وثائق عثمانية: ٢/٤-٤، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

(٦) محمد العيسى: الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى. ط١. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ١٠٨.

(٧) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٢٩٤-٢٩٥ .

أن المشاكل الاقتصادية استمرت في ظل الجفاف المحيط بالبلاد [١].

وزادت المشاكل التي واجهت ابن معمر بعد ظهور المعارضة لحكمه في بعض بلدان نجد كالرياض، وحريملاء، والخرج[٢]،التي رفضت الخضوع له ورأت في حركته مصدر خطر عليها وعلى مكانتها[٣]، ولم تكن تلك المعارضة لتقف أمامه أو تشكل عليه خطراً لو لم تجد آذاناً صاغية من بعض القوى المناوئة خارج نجد مثل قوة أمراء بني خالد الذين عادوا للإمارة في الأحساء وبدؤوا بفرض سيطرتهم بدعم من الدولة العثمانية وولاتها لاسيما ولاية بغداد التي عملت كثيراً لاستقطابهم إلى جانبها.

(١) Philby: op.cit, P. 150.

(٢) مقبل الذكير: المرجع السابق، ورقة ٥٣. عبد الله بن محمد البسام: ، تحفة المشتاق...، ورقة ٢٣٥.

(٣) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/٢١٥. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي...، ص ٨.

ـ حملة ماجد بن عريعر :

أدرك زعماء بعض بلدان نجد كالرياض وحريملاء والخرج الخطر الذي يلوح في الأفق بسبب حركة محمد بن مشاري بن معمر التي رأوا فيها تعارضاً مع طموحاتهم السياسية خاصة أن أولئك الزعماء لم يعودوا إلى الحكم في بلدانهم إلا على إثر نهاية الوحدة السياسية في نجد المتمثلة بالدولة السعودية الأولى[(١)]، حينئذ بدؤوا بالتحرك ضد هذه الحركة باحثين لهم عن حليف خارجي يمكنهم الاعتماد عليه، وقد تمثل هذا الحليف بقوة آل عريعر أمراء الأحساء الذين بدأت قوتهم بالتزايد منذ عودتهم للحكم.

وعلى حين تذهب المصادر المحلية إلى أن المعارضة في نجد هي التي وجهت الدعوة لآل عريعر في الأحساء لتجريد حملة ضد ابن معمر وحركته وأن آل عريعر رحبوا بذلك[(٢)]، فإن الوثائق تفيد أن آل عريعر وبمبادرة ذاتية وحين سمعوا باجتماع الناس على ابن معمر سارعوا لقتاله ولإخضاعه باسم الدولة العثمانية[(٣)]، بعد أن كتبوا بذلك إلى والي بغداد وإلى إبراهيم باشا مبينين خطورة الحركة والقوة التي أصبحت عليها، وفي نفس الوقت عمدوا إلى الاستفادة من المعارضة المحلية في نجد كقوة مساعدة لهم في قتال ابن معمر بعد أن عملوا على جمع كلمة الأمراء المعارضين وتوحيد صفوفهم ودعمهم بالمساعدة العسكرية للقضاء على تلك الحركة [(٤)].

والذي توصلت إليه الدراسة هنا أن القوى المناوئة التي عملت ضد الدولة السعودية الأولى قد عادت للعمل من جديد حين ظهرت محاولة ابن معمر لإقامة إمارة جديدة يدعمها انضمام بعض أمراء آل سعود، فرأت تلك القوى المناوئة في تلك المحاولة مشروع

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٤/١، ولعل مما زاد من معارضة هؤلاء انضمام عدد من آل سعود إلى حركة ابن معمر فرأوا فيها مشروع دولة سعودية جديدة.

(٢) المصدر السابق ٢٩٤/١. مقبل الذكير: المرجع السابق، ورقة ٥٣.

(٣) محافظ بحر برا: محفظة (١٦) وثيقة (٥٧).

؛ Hatt-i Humayun: No. 19532.

(٤) وثائق عثمانية: ٣/٨-٢ و ٢/٤-٤ دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

؛ محافظ بحر برا: محفظة (١٦) وثيقة (٥٧).

دولة سعودية جديدة[١]، لذلك لاغرابة أن تنشط الاتصالات بين أمراء بني خالد وولاة الدولة العثمانية مع محاولة الاستفادة من المعارضة الداخلية في نجد للإطاحة بتلك الحركة.

ولعل البحث لايضيف جديداً حين يتحدث عن أسباب تزعم أمراء بني خالد مواجهة حركة ابن معمر تلك، فهي أسباب كانت موجودة منذ عهد الدولة السعودية الأولى ولاتخرج عن رفض أمراء بني خالد لوجود دولة قوية[٢] تحول دون طموحهم الذي عاد للنمو والرغبة بالتوسع في نجد ذاتها [٣]، خاصة مع خشيتهم من حركة عكسية تؤدي إلى مد ابن معمر نفوذه إلى الأحساء [٤] وبالتالي إنهاء إمارتهم من جديد، كما حدث زمن الدولة السعودية الأولى، هذا إلى جانب رغبتهم بالتزلف للدولة العثمانية وولاتها كي يظهروا أمامهم بمن يعمل في خدمة الدولة العثمانية وإخضاع نجد لصالحها[٥].

وأمام تلك الرغبات كون ماجد بن عريعر حملة انطلق بها من الأحساء إلى نجد مدعوماً بجموع من القبائل، وحين وصل أطراف نجد انضم إليه المعارضون من الرياض وحريملاء والخرج، وكان الهدف الأول للحملة بلدة منفوحة [٦] التي كانت قد خضعت لابن معمر، مما يدل أن الهدف هو القضاء على حلفاء ابن معمر ليكون وحيداً فيسهل

---

(١) يعتبر بعض الباحثين حركة ابن معمر تلك محاولة لإعادة الدولة السعودية من جديد بدليل اتخاذه الدرعية عاصمة له، وعدم مناداته بإقامة دولة لأسرته، ولصلة قرابته بآل سعود، ومناداته بإظهار الدعوة السلفية ثم تنازله عن الحكم لمشاري بن سعود. حصة السعدي: المرجع السابق، ص ٤٥. بيد أن الأحداث تؤكد أن اتخاذه الدرعية كان مجرد وسيلة لجمع الناس لتعلقهم بتلك البلدة، كما أن ولاء هؤلاء الناس لآل سعود منعه من المناداة بإمارة لأسرته، فحاول الاستفادة من قرابته لآل سعود وادعاء خدمة الدعوة السلفية التي لاتزال مبادؤها راسخة في أذهان الناس، أما تنازله عن الإمارة لمشاري بن سعود فلم يستمر طويلاً حيث غدر بمشاري وسلمه للقوات العثمانية لتتخلص منه، مما يدل على سعي ابن معمر الشخصي لتحقيق مآربه الشخصية والذاتية.

(٢) حصة السعدي: المرجع السابق، ص ١١٢ .

(٣) Philby: op.cit,. P. 150 . محمد نخلة: المرجع السابق، ص ٤٩ .

(٤) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي...، ص ٢٥ .

(٥) Hatt-i Humayun: No. 19532.

(٦) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٢٩٤ .

بالتالي القضاء عليه، على أن الوثائق تعطي سبباً آخر لذلك وهو الصراع بين الأمراء السابقين للبلدة وبين الأمير الحالي والذي طردهم منها فلجؤوا إلى ماجد بن عريعر كحليف لهم، وحين وصلت الحملة إلى منفوحة حاول أهلها المقاومة ولكن ابن عريعر كثف الهجوم على البلدة وقام بقطع أشجارها وقتل بعض رجالها [١] مما جعلهم يميلون إلى مصالحته [٢].

وقد قام ابن عريعر بتعيين محمد بن سليمان بن مزروع أميراً على البلدة على حساب أميرها إبراهيم بن سعيد، ولكن ابن مزروع لم يستمر طويلاً في الإمارة حيث واجه ثورة بقيادة آل سعيد وبدعم من قبائل سبيع فانتهى الأمر بقتله وعودة آل سعيد لإمارة البلدة[٣]، وبذلك فشل ماجد بن عريعر بتحقيق الهدف الأول لحملته.

وقد سارت الحملة لتحقيق هدفها الرئيسي وهو القضاء على حركة ابن معمر في الدرعية[٤]، وتشير المصادر المحلية أنه لم يحدث اشتباك بين قوات ابن عريعر وابن معمر بسبب جنوح ابن معمر للسلم والمصالحة، حيث أرسل إلى ماجد يخبره بأنه يحكم باسم السلطان العثماني وأنه لن يخالف أوامر ابن عريعر، مُتبعاً ذلك ببعض الهدايا مما جعل ابن عريعر يقبل ذلك الموقف ويعود إلى بلاده خاصة وقد ثارت عليه بعض قبائل البادية في جيشه[٥].

أما الوثائق فإنها لم تذكر شيئاً عن هذا الصلح وإنما تفيد بأن ماجد بن عريعر

---

(١) محافظ بحر برا: محفظة (١٦) وثيقة (٥٧).
؛ Hatt-i Humayun: No. 19532.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٤/١ .

(٣) محافظ بحر برا: محفظة (١٦) وثيقة (٥٧) .

(٤) يذكر Winder: op.cit, P.51. "أن ماجداً هاجم أطراف الرياض"، ولعل ذلك حين كان في طريقه للدرعية حيث اتجه إليها شمالاً من منفوحة مروراً بالرياض.

(٥) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٤/١. مقبل الذكير: المرجع السابق، ورقة ٥٣. Philby: op.cit, P. 150. ويضيف هذا الأخير أن الصلح كان الأقرب بسبب العلاقة الحسنة بين ابن معمر وإبراهيم باشا، والملاحظ بالفعل أن الدولة العثمانية لم تتخذ موقفاً جدياً من حركة ابن معمر، ولعل مما دفعها إلى ذلك أيضاً أن تلك الحركة لم تشكل أهمية كبيرة لها.

أرسل إلى ابن معمر وأهل الدرعية مكاتبات يدعوهم للخضوع للدولة العثمانية فلم يجبه أحد، ثم أرسل إليهم من جديد محذراً وزاعماً بأنه قد صدر أمر من السلطان العثماني بضرب الدرعية، وأن إبراهيم باشا سيجرد حملة جديدة ضدها، وعند ذلك حاول أهالي الدرعية استرضاء ماجد بن عريعر فأرسلوا له هدية عبارة عن درعين، في نفس الوقت حذروه من التقدم للدرعية لما سيحل به من عاقبة، أما ابن معمر فقد عزم على المقاومة ضد حملة ابن عريعر التي وصلت إلى أطراف البلدة، وقد أخرج ابن معمر المدفعين اللذين يمتلكهما للدفاع عن البلدة، ثم نشبت بعض الاشتباكات بين الطرفين مما نتج عنه مقتل مالايزيد عن عشرة أشخاص من أهالي الدرعية البالغ عددهم ألف ومائتي شخص حسب تقدير الوثائق، ثم قامت قوات ابن عريعر بقطع أشجار النخيل في أطراف البلدة والاستيلاء على الكلأ الموجود فيها [١].

ومن المرجح أن موقف أهالي الدرعية ذلك كان بإيعاز من ابن معمر الذي يدرك عجزه وعجزهم عن المواجهة الحقيقية طويلاً، وتفيد إحدى الرسائل الموجهة من بعض زعماء القبائل في نجد إلى محمد علي باشا بأن ابن عريعر قبل المهادنة مع أهالي الدرعية مؤقتاً حتى يرى مايتخذه إبراهيم باشا حيالهم [٢]، وانتظاراً لإجابته على رسالته الجديدة التي سارع بكتابتها إلى إبراهيم باشا بعد هدنته مع أهالي الدرعية[٣]، لكن إبراهيم باشا لم يتخذ أي إجراء يذكر مما يدل على عدم أهمية حركة ابن معمر بالنسبة للدولة العثمانية وواليها في مصر.

ولم يشأ ماجد بن عريعر أن ينتهي الأمر عند هذا الحد خاصة حين علم بتحرك قافلة من الرياض إلى الدرعية محملة بالمؤن فأراد الاستيلاء عليها وتراجع حينئذ جنوباً باتجاه عرقة* فهاجمها وقتل حوالي ثلاثين من أهلها، ونهب القافلة، بعد قتل بضعة

---

(١) محافظ بحر برا: محفظة (١٦) وثيقة (٥٧).

؛ وثائق عثمانية: ٢/٤-٤ دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

(٢) محافظ بحر برا: محفظة (١٦) وثيقة (١١٧).

(٣) Hatt-i Humayun: No. 19532.

* قرية تقع في منتصف وادي حنيفة بين الرياض جنوباً والدرعية شمالاً، وكانت تسمى قديماً عوقة. عبد الله بن خميس: معجم اليمامة ٢/١٩٠-١٩١.

أشخاص منها، بينما قتل من أتباعه مايقارب خمسة رجال، وعقب ذلك قرر ماجد ابن عريعر العودة إلى الأحساء (١).

ومن المرجح أن قرار العودة كان بسبب اقتناع ابن عريعر بعدم جدوى محاولته دخول الدرعية خاصة حين بدأت المساعدات ترد إليها أثناء الحصار من بلدان نجد الأخرى بما فيها الرياض التي ساعد وجود عدد كبير من أهالي الدرعية فيها على اتخاذ البلدة ذلك الموقف الشجاع، كما أن من أسباب العودة إلى الأحساء الخلاف الذي نشب بين ابن عريعر وبعض حلفائه الذين لم يلبثوا أن تخلوا عن تأييدهم له بسبب معاناتهم من القحط الشديد الذي حل في نجد كما تشير الوثائق (٢).

وأياً كان السبب فإن ماجد بن عريعر قد عاد بقواته إلى الأحساء دون أن يحقق هدفه الرئيسي المتمثل بالقضاء على حركة ابن معمر الذي حقق كثيراً من المكتسبات نتيجة لفشل هذه الحملة، حيث شعر بقوته وثقته بنفسه، فبدأ بإلزام بلدان نجد بجلب الأطعمة إلى الدرعية في ظل الأزمة الاقتصادية التي تعاني منها تلك البلدة (٣)، كما أن شعبيته زادت لدى أهالي نجد، وعاد إلى الدرعية كثير ممن تركوها حين استسلامها لإبراهيم باشا، وإزاء ذلك عمل جاهداً لإخضاع البلدان المعارضة له والتي انضمت لحملة ماجد بن عريعر السابقة مستفيداً من جهود الأمير تركي بن عبد الله وأخيه زيد في هذا المجال فأخضع في البداية بلدة حريملاء ثم دانت له بقية بلدان نجد (٤)، مما أدى إلى تزايد القوافل التجارية القادمة من تلك البلدان إلى الدرعية وبالتالي تحسن الوضع الاقتصادي وانخفضت الأسعار(٥).

---

(١) محافظ بحر برا: محفظة (١٦) وثيقة (٥٧). والملاحظ هنا أن المصادر المحلية المعاصرة لم تذكر معلومات كافية عن أعمال حملة ابن عريعر بعكس ماذكرته الوثائق.

(٢) Hatt-i Humayun: No. 19532.

؛ وثائق عثمانية: ٢/٤-٤ دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

(٣) مقبل الذكير: المرجع السابق، ورقة ٥٣ .

(٤) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢١٦/١ .

(٥) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٥/١ .

ومن نتائج حملة ابن عريعر أيضاً أنها كشفت ولاء ابن معمر للعثمانيين وحسن علاقته بهم، بل إنه أعلن خضوعه رسمياً لهم [(١)]، خاصة وأنه قد سبق ونال رضا إبراهيم باشا ودعمه لحكم العيينة منذ نهاية الدولة السعودية الأولى أواخر عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م، ثم أعلن تبعيته رسمياً له منذ سنة ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م بإظهار ولائه لابن عريعر أثناء حصاره للدرعية[(٢)].

كما نتج عن الحملة إظهار فشل أمراء بني خالد من جديد في عدائهم لنجد ووصل الأمر بماجد بن عريعر أن تعرضت جبهته الداخلية للتصدع أثناء انسحابه وذلك حين أعلن المحيطون به عن غضبهم لتصرفه وعودته من نجد بلاطائل [(٣)]، أما على المستوى الخارجي فإن ماجداً واجه فشلاً آخر وذلك حين حاول جمع كلمة المعارضة النجدية لابن معمر والمتمثلة بالخرج والرياض وحريملاء فتعاهد معهم على العمل سوياً لمنع إقامة إمارة جديدة في الدرعية، إلا أنه فشل في هذا حين تخلى أمراء تلك البلدان عنه[(٤)]، الأمر الذي أفقده التأييد الخارجي كما فقد التأييد الداخلي فزاد ضعفه ضعفاً.

وهناك نتيجة أخرى للحملة كشفتها الوثائق العثمانية وهي استمرار الصلات بين بعض أمراء بلدان نجد وقبائلها وبين الدولة العثمانية ممثلة بإبراهيم باشا المعين كوال على

---

(١) منير العجلاني:"من أوائل أخبار تركي بن عبد الله" المقال الثاني المجلة العربية، ع١،س٤، جمادى الثانية، ١٤٠٠هـ. ص ١١٦.

؛ محمد السلمان. "الوجود الأجنبي في نجد ١٢٣٥-١٣٢٤هـ" مجلة العرب، ج٣-٤، س ٢٩، رمضان - شوال ١٤١٤هـ/ مارس - أبريل ١٩٩٤م، ص ١٥٧.

(٢) محافظ بحر برا: محفظة (١٦)، وثيقة (٥٧).

؛ Hatt-i Humayun: No. 19557.

ويذكر مالك رشوان: المرجع السابق، ص ١٨١ أن ماجداً بذلك سيطر على نجد رسمياً حتى ظهور مشاري بن سعود، ولكن الواقع أن نفوذ ماجد الرسمي في نجد قد انتهى بانسحاب ماجد نفسه إلى الأحساء كما أسلفنا.

(٣) محمد نخلة: المرجع السابق، ص ٤٩-٥٠.

(٤) وثائق عثمانية: ٣/٨-٢، ٢/٤-٤ دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

؛ Hatt-i Humayun: No. 19532.

جدة والذي ربطت الشؤون النجدية به؛ حيث كان هناك مراسلات بين إبراهيم باشا وبين كل من عبد الله الجمعي أمير عنيزة وفيصل الدويش شيخ قبيلة مطير، واللذين كانا يبلغانه بأخبار نجد وحوادثها [١].

كما كشفت الحملة عن حرص أمراء بني خالد على الاستمرار بالتحالف مع القوى المناوئة للدولة السعودية الأولى وذلك من أجل منع قيام دولة سعودية جديدة، ولعل مما زاد من موقفهم هذا اعتقادهم بأن حركة ابن معمر تمثل دولة سعودية في ظل انضمام بعض أمراء آل سعود إليها، وحتى بعد أن فشل ماجد بن عريعر بالقضاء على تلك الحركة استمر في تحريض ولاة الدولة العثمانية مثل والي بغداد وإبراهيم باشا ضدها[٢]، إلا أن إبراهيم باشا لم يتخذ أي موقف إيجابي إزاء رسائل أمراء بني خالد والشيء نفسه ينطبق على والي بغداد.

---

(١) محافظ بحر برا: محفظة (١٦) وثيقة (١١٧) .

(٢) وثائق عثمانية: ٢/٤-٤ دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

؛ Hatt-i Humayun: No. 19532.

*** جهود مشاري بن سعود وتركي بن عبد الله في إعادة تكوين الدولة وموقف القوى منها:**

لقد أخذ النجاح الذي حققه محمد بن معمر في نجد يخبو شيئاً فشيئاً في ظل الظروف المستجدة والمتمثلة بقدوم شخصية سعودية مؤهلة للحكم ووارثة شرعية له؛ تلك هي شخصية الأمير مشاري ابن الإمام سعود بن عبد العزيز وشقيق الإمام عبد الله ابن سعود والذي كانت عودته بمثابة النكسة لابن معمر وحركته(١).

وتعتبر عودة مشاري بن سعود واسترداده الحكم أول محاولة لاستعادة حكم آل سعود منذ نهاية الدولة السعودية الأولى(٢)، وكان مشاري بن سعود ضمن آل سعود الذين أرسلهم إبراهيم باشا إلى مصر ولكنه تمكن من الهرب عند قرية الحمراء بين الجديدة وينبع(٣)، ثم اتجه إلى نجد، وبقي مختفياً في الوشم قبل أن ينطلق إلى الدرعية(٤)، بينما تذكر الوثائق العثمانية أنه اتجه في البداية إلى جبل شمر وأقام بها، وأن ابن معمر أرسل إليه مراراً يدعوه، فاتجه مشاري بن سعود إلى القصيم وبقي فيها معززاً مكرماً، ثم بدأ من هناك بمراسلة بلدان نجد وجمع الأعوان (٥).

وأياً كان الأمر فإن مشاري قد وطد العزم على استعادة ملك آبائه منذ أن فكر

---

(١) Winder: op.cit, P. 52.

(٢) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة...، ٤٢/١، عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية. ط٥، الرياض: دار المريخ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٣٨.

(٣) محافظ بحر برا: محفظة (١٦) وثيقة (٥٧). عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٦/١. عبد الرحمن الجبرتي: المصدر السابق ٦٢٨/٣. وتذكر بعض المصادر أن هروبه كان بعد وصوله إلى مصر، بينما تذكر بعض المراجع أن مشاري بن سعود هرب من الدرعية حين سقطت بيد إبراهيم باشا دون أن تحدد مكان هروبه، ويرى البعض منها أنه لجأ إلى القصيم وبقي فيها حتى عاد إبراهيم باشا إلى مصر ليبدأ مشاري حركته منطلقاً من القصيم. مقبل الذكير: المرجع السابق، ورقة ٥٣، أحمد عبد الغفور عطار: المرجع السابق ١٩٦/١، صلاح المختار: المرجع السابق ٢٠١/١، سيد محمد إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٦٣. والرأي الأرجح ماقالت به الوثائق العثمانية والمصادر المحلية المعاصرة.

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٦/١.

(٥) محافظ بحر برا: محفظة (١٦) وثيقة (٥٧).

بالهرب بدليل جمعه الأعوان وعدم قبوله إمارة سدير حين عرضها عليه محمد بن عبد ا لله ابن جلاجل [١] بل عزم على الاتجاه إلى الدرعية نفسها، أما مراسلة ابن معمر له وهو في حائل فمن المرجح أنها كانت بإيعاز من الأمير تركي بن عبد ا لله بدليل مساندة تركي لمشاري بن سعود ووقوفه معه حتى تولى الحكم ثم انتقامه له من ابن معمر حين سلمه للعثمانيين.

ولقد تمكن مشاري بن سعود من جمع الأعوان من القصيم وسدير والوشم ثم تقدم إلى الدرعية ودخلها في جمادى الآخرة عام ١٢٣٥هـ[٢]/١٨٢٠م، وكان من الطبيعي أن يحسن ابن معمر استقباله لما له من المكانة في قلوب الناس ولما رأى من كثرة أنصاره وبسبب الكميات الكبيرة من المواد الغذائية والمؤن التي قدم بها، ولذا لم يجد ابن معمر بداً من المسالمة ومبايعة مشاري بن سعود خاصة أنه هو الذي طلب قدومه، وإن كان أضمر في نفسه استعادة الحكم في أقرب فرصة ممكنة [٣].

وحين تمت مبايعة مشاري بالحكم حظي بتأييد أسرته ممثلة بالأمير تركي ابن عبد ا لله، وأخيه زيد، وعمه عمر بن عبد العزيز وأبنائه، وأمراء آل سعود الموجودين في بلدان نجد[٤].

وقد اتسم الموقف العام في بلدان نجد بالإيجابية إذ سرعان ماتلقى الأمير مشاري ابن سعود مبايعة الكثير من أهالي مناطق سدير والوشم والمحمل والرياض والقصيم [٥]؛ بينما أظهر البعض في هذه البلدان وغيرها من بلدان نجد المعارضة له، ويلاحظ أن هؤلاء المعارضين هم الذين سبق أن تعاونوا مع حملة ماجد بن عريعر الأمر الذي يدل على أن تكرار أسباب اتخاذهم ذلك الموقف يعود لرفضهم قيام دولة موحدة وكيان سياسي

---

(١) أحمد علي: المرجع السابق، ص ٧١ .

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٦/١. عبد ا لله بن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٥١.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٦/١. عبد ا لله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢١٧/١ .

(٤) Philby: op.cit, P. 151 . ويذهب أحد المؤرخين إلى أن مشاري بن سعود عين تركي ابن عبد ا لله أميراً على الرياض. أحمد علي: المرجع السابق، ص ٧٢ .

(٥) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٦/١ .

لامنازع له في نجد يحل محل الدولة السعودية الأولى.

وقد جوبه موقفهم هذا بالتحدي من الأهالي في بلدانهم الذين ثاروا ضدهم مؤيدين وداعمين لحركة مشاري بن سعود مما حدا ببعض أولئك الأمراء بالهرب إلى أمراء بني خالد في الأحساء خوفاً من مطاردة الأهالي، بينما رضخ البعض منهم للأمر الواقع خاصة بعد مداهمة القوات السعودية له فأعلن طاعته لمشاري بن سعود [١]، وبذلك أصبحت بلدان نجد تابعة لمشاري بن سعود بوقت سريع وبأقل جهد عسكري وسياسي ويعود ذلك لأسباب عدة من أهمها :

- الولاء الذي يكنه الأهالي لآل سعود [٢]، حيث بادروا بالترحيب بمشاري كممثل لهم فضلاً عن ترحيبهم بتكوين دولة توحد نجد بعد ما أصابها من فرقة وشتات.
- حالة القحط التي كانت تعانيها بلدان نجد، الأمر الذي جعل بعض أمرائها يكف عن المعارضة لعدم وجود الدعم والتموين لذلك من داخل نجد أو من خارجها [٣].
- الدعم الذي وجده مشاري من أهالي الدرعية وعلى رأسهم الأمير تركي ابن عبد الله وبقية آل سعود؛ مما مكنه من الوصول بقواته إلى جنوب نجد لإخضاع بلدانها وقمع حركة بعض المتمردين على الحكم هناك.

على أن الأمر لم يصف تماماً لمشاري بن سعود إذ أن بعض زعماء القبائل بقوا غير مؤيدين له، وكانوا يراسلون والي مكة أحمد باشا مخبرين إياه بأخبار مشاري وتحركاته مما

---

(١) وثائق عثمانية: ٣/٨-٢، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.
؛ وثائق عثمانية: ٢/٤-٤، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.
؛ محافظ بحر برا: محفظة (١٦) وثيقة (٥٧) .
؛ وثائق عثمانية: ٣/١-٥، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

(٢) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢١٧/١ .

(٣) وثائق عثمانية: ٢/٤-٤ دارة الملك عبد العزيز، الرياض.
؛ Hatt-i Humayun: No. 19532.

يدل على تمرد بعض القبائل عليه[١].

لقد أدت تلك الرسائل إلى إثارة موقف القوى المناوئة الخارجية ضد مشاري ابن سعود وحكومته الجديدة، ففي الوقت الذي وصلت فيه أخبار تحركاته إلى محمد علي باشا عن طريق الرسائل الموجهة إلى والي مكة أحمد باشا من بعض زعماء قبائل نجد[٢]، وعن طريق أمير مكة يحيى بن سرور، فإنها وصلت أيضاً إلى محمد علي باشا وإلى والي بغداد داود باشا عن طريق أمراء الأحساء من بني خالد، حيث استغل ماجد بن عريعر ذلك الوضع لتضخيم الخطر الذي يشكله مشاري بن سعود ليس على نجد فحسب بل وعلى الأحساء ذاتها والتي سيكون استيلاؤه عليها مصدر قوة وتمكن له ولدولته[٣]، وأعلن آل عريعر استعدادهم لقتال مشاري بن سعود ومن سانده[٤].

وكان من الطبيعي أن تصل تلك الصورة السيئة التي رسمها ماجد بن عريعر ووالي الحجاز وأمير مكة وأمراء بعض القبائل المعارضين [٥] لتحركات مشاري بن سعود إلى السلطان العثماني بواسطة ولاته في بغداد والقاهرة.

ومن الواضح أن القوى المناوئة سرعان ماعادت للعمل بمجرد ظهور اسم آل

---

(١) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٦١)، مكاتبة إلى أحمد باشا بشأن أوضاع نجد، ٢٦ جمادي الثانية ١٢٣٦هـ.

؛ معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٨٩) مكاتبة إلى أحمد باشا لدعم حسين بك والقبض على مشاري ابن سعود ١٤ ربيع الأول ١٢٣٦ هـ.

(٢) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٦١).

؛ معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٨٩) .

(٣) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٣٧) مكاتبة من محمد علي باشا حول حركة مشاري بن سعود، ١٣ صفر ١٢٣٦هـ.

؛ معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (١٢٧) مكاتبة من محمد علي باشا إلى نجيب أفندي، جمادى الآخرة، ١٢٣٥هـ.

؛ معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (١٨٠) مكاتبة من محمد علي باشا إلى الصدر الأعظم عن الوضع في نجد، ١٣ ١٣ جمادى الآخرة، ١٢٣٦هـ.

؛ Hatt-i Humayun: No. 19541.

(٤) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي...، ص ١٣ .

(٥) راشد الحنبلي: مثير الوجد في أنساب ملوك نجد. تحقيق عبد الواحد راغب. ط١. الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٤٨ .

سعود على المسرح السياسي من جديد نظراً لما شكله اسم هذه الأسرة من هيبة ورعب في جوانح تلك القوى التي مافتئت تحارب كل وحدة على أرض الجزيرة العربية ، ومهد الدعوة السلفية.

ومن الملاحظ أن المصادر المحلية لاتكاد تأتي على ذكر موقف تلك القوى ولعل إغفال المصادر المحلية لهذا الجانب يعود إلى أن تحركات القوى المناوئة تلك كانت تدور بشكل خفي وغير معلن حين حاولت الاستعانة ببعض القوى المحلية لتنفيذ مخططاتها ضد مشاري بن سعود ودولته، وقد وجدت ضالتها في محمد بن مشاري بن معمر للقيام بهذه المهمة.

وعلى أية حال فإن السلطان العثماني حين وردت إليه أنباء تحركات مشاري ابن سعود والتفاف الناس حوله وعزمه على السير إلى الأحساء مما يجعل من الصعب القضاء عليه، أصدر (خطاً همايونياً) إلى محمد علي باشا بضرورة القضاء على مشاري بن سعود وتحطيم قوته، لعدم تكرار القيام بهذه التحركات، ولكي لايستطيع مستقبلاً مواجهة أو تحدي الدولة العثمانية [(١)].

ورغم صدور هذا الأمر السلطاني إلا أن محمد علي باشا لم يبد الاستجابة المطلوبة، بل إنه لم يتخذ أي خطوة فعلية للتنفيذ ويمكن تلمس الأسباب التي دعته لاتخاذ هذا الموقف فيما يلي :

١) انشغاله بإعداد قواته للسيطرة على السودان، مما جعله لايتمكن حتى من إرسال مبالغ مالية إلى المدينة المنورة لمجرد المساعدة في التصدي لتحركات مشاري ابن سعود[(٢)].

---

(١) محافظ بحر برا: محفظة (٧) وثيقة (٧٢) رسالة من محمد نجيب إلى محمد علي حول عودة النفوذ السعودي ٢٦ ربيع الأول ١٢٣٦هـ.

؛ محافظ بحر برا: محفظة (٧) وثيقة (٧٣) رسالة إلى المعية السنية حول الاهتمام بالقضاء على مشاري بن سعود، ٢٨ ربيع الأول ١٢٣٦هـ.

؛ Hatt-i Humayun: No. 19541.

(٢) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٥٢) رسالة من الجناب العالي إلى إسماعيل أغا ناظر خزينة المدينة المنورة حول صرف النقود لمكافحة تحركات مشاري بن سعود، ٢٣ صفر ١٢٣٦هـ.

٢) اقتناعه بأن تحركات مشاري بن سعود تلك لاتمثل خطراً حقيقياً على الدولة العثمانية أو على الأحساء كما يذكر ماجد بن عريعر، كما أنه كان يعتقد أن مشاري بن سعود لن يجرأ على مواجهة الدولة العثمانية أو تحديها خاصة بعد أن رأى من قوتها مارأى إبان حملة إبراهيم باشا ضد الدولة السعودية الأولى(١).

٣) القحط الشديد الذي أصاب نجداً وكثيراً من أنحاء الجزيرة العربية الأمر الذي جعل إرسال القوات إلى الدرعية أمراً في غاية الصعوبة (٢).

٤) حين وردت إفادة من والي بغداد تتضمن تأكيد السلطان بالقضاء على مشاري ابن سعود ثم وردت مكاتبات جديدة من ماجد ومحمد العريعر تتضمن استعدادهما للقيام بتلك المهمة على أن يقوم محمد علي باشا فقط بتقديم بعض المعونات عن طريق محافظ المدينة المنورة أبدى محمد علي باشا موافقته واستعداده لإتمام ذلك الأمر، ولكنه في نفس الوقت أخذ يماطل ويسوف متذرعاً برغبته بالتخطيط المتقن، والتشاور مع ابنه إبراهيم باشا (٣).

٥) لما كان بلاغ الصدر الأعظم الموجه إلى محمد علي باشا شرحاً على الأمر السلطاني يتضمن رؤية الدولة العثمانية عدم قدرة السعوديين على إعادة بناء دولتهم مجدداً لمشاهدتهم سطوة الدولة العثمانية إبان حروبها في الدرعية(٤) فإن محمد علي باشا استغلها مبرراً لعدم إرسال قواته لقتال مشاري بن سعود والقضاء على تحركاته، بل أنه ذكر في رسالة وجهها للسلطان العثماني بأنه كان عازماً

---

(١) محافظ بحر برا: محفظة (٧) وثيقة (٧٣).

؛ معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (١٥٤) رسالة من محمد علي باشا إلى الصدر العظم حول مشاري ابن سعود، ٩ محرم ١٢٣٦هـ.

(٢) الوثيقتين السابقتين.

(٣) الوثيقتين نفسهما، وكذلك معية تركي: دفتر (٧)وثيقة (٣٧)، وقد شرح آل عريعر من جديد مازعموه من الخطر الذي تشكله تحركات مشاري بن سعود على الأحساء بل وعلى الحرمين الشريفين.

؛ Hatt-i Humayun: No. 19541.

(٤) محافظ بحر برا: محفظة (٧) وثيقة (٧٣) .

على إرسال القوات لقتال مشاري بن سعود ولكنه حين عرض الأمر على الصدر الأعظم أُفيد بعدم ضرورة ذلك لأن السعوديين يعرفون قوة الدولة العثمانية وعدم قدرتهم على مجابهتها(١).

وكان رد محمد علي باشا الإيجابي الوحيد على السلطان العثماني حول هذا الموضوع أنه وعد باتخاذ التدابير اللازمة لمعالجة هذه القضية(٢).

ولقد نجح محمد علي باشا بإثارة أزمة بين السلطان العثماني والصدر الأعظم الذي تلقى توبيخاً سلطانياً لأنه كتب إلى محمد علي باشا بعدم ضرورة إرسال القوات إلى نجد، وقد رد الصدر الأعظم بأنه لم يكتب ذلك إلى محمد علي باشا وأن ماكتبه إليه هو: " أن الدرعية شاهدت سطوة الدولة العلية بهمتكم. وأنه من الواضح عدم اجترائهم على أمور مثل هذه بعد الآن؛ إلا أنه يقتضي أيضاً العمل بالتبصرة .. لعدم تركها على هذه الحالة.." (٣).

ونتيجة لذلك تم إرسال أوامر سلطانية جديدة إلى محمد علي باشا لإرسال القوات سريعاً من أجل القضاء على مشاري بن سعود، كما أبلغ محمد علي باشا بأنه لاينبغي أن يبقى إبراهيم باشا مقيماً في مصر، إذ أنه مسؤول عن ولاية جدة ومشيخة الحرم ومحافظية المدينة المنورة (٤)، وكان السلطان قد سمح له بالبقاء في مصر عقب نهاية مهمة الدرعية كما سبق لأخذ قسطاً من الراحة والعلاج.

ولأجل ضمان العمل الموحد بين ولاة الدولة العثمانية ضد تحركات مشاري ابن سعود طلب السلطان العثماني من محمد علي باشا إرسال رسالة ماجد بن عريعر الأخيرة حول تحركات مشاري بن سعود إلى والي بغداد كي يطلع على الخطر الذي تشكله تلك التحركات على الحرمين الشريفين حسبما تذكر تلك الرسالة، وهو أمر لايمكن قبوله كما جاء على لسان السلطان العثماني(٥).

---

(١) Hatt-i Humayun: No. 19541.

(٢) محافظ بحر برا: محفظة (٧) وثيقة (٧٣) .

(٣) محافظ بحر برا: محفظة (٧) وثيقة (٧٣) .

(٤) Hatt-i Humayun: No. 19541.

(٥) Hatt-i Humayun: No. 19541.

ولاشك أن ذلك يدل على الدور الذي لعبه آل عريعر بالتأليب على الأمير مشاري بن سعود والوقوف ضده، كما يدل على دور القوى المناوئة في العمل على إسقاطه وإنهاء تحركاته التي قام بها لإعادة مجد الدولة السعودية الأولى.

وعلى إثر ذلك الموقف الغاضب من السلطان العثماني أبدى محمد علي باشا تجاوباً سريعاً مع طلباته خوفاً من امتداد غضبه إلى منصبه كوالٍ لمصر؛ فقرر العمل على قمع تحركات مشاري بن سعود والقضاء عليها، متخذاً وسيلتين لتنفيذ ذلك الهدف؛ تقتضي الأولى منهما إجراء اتصالات مع محمد بن مشاري بن معمر لإقناعه بالتعاون معه من أجل القضاء على مشاري بن سعود، ولاشك أن مصلحة ابن معمر تتطلب ذلك التعاون، أما ثاني الوسيلتين فتتمثل بإرسال القوات العسكرية إلى نجد [1] لتجد التعاون من ابن معمر فتتحد الوسيلتان للعمل ضد مشاري بن سعود وتطلعاته.

لقد كشفت الوثائق ولأول مرة كيف عمل محمد علي باشا بالإيغاز إلى حسين بك محافظ المدينة المنورة بالنيابة عن إبراهيم باشا لإجراء اتصالات مع محمد بن مشاري ابن معمر، فقام حسين بك بإرسال رجل إلى ابن معمر الذي بدأ موقفه العدائي يتضح تجاه الأمير مشاري بن سعود وطلب منه ضرورة العمل للقبض على مشاري بن سعود، وفي نفس الوقت أرسل حسين بك خطاباً إلى فيصل الدويش شيخ قبائل مطير يطلب منه التعاون مع ابن معمر لتحقيق ذلك الهدف [2].

لقد كان ابن معمر من جانبه يتحين الفرص لاستعادة إمارة الدرعية التي تنازل عنها لمشاري بن سعود؛ إذ أن تنازله لم يكن عن قناعة وإخلاص وإنما تنازل بشكل يغلب عليه طابع الاحتيال والخوف [3]، وانتهاز فرصة مناسبة للانقلاب ضده، ولاشك أن

---

(١) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٣٧) .

؛ معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (١٨٠) .

(٢) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٥٠). وكان فيصل الدويش يحصل على كثير من الهدايا ومرتب سنوي يصرف له من خزينة المدينة المنورة بترتيب من إبراهيم باشا لحثه على دعم ومساعدة حملات محمد علي باشا في نجد. محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (١٣٥) حمراء. من محمد ابن فيصل الدويش إلى محمد علي باشا.

(٣) Winder: op.cit, P. 53.

اتصالات محمد علي باشا بابن معمر تلك قد رفعت من آمال الأخير وتطلعاته فبدأ العمل لتحقيق أهدافه منتهزاً فرصة غياب مشاري بن سعود عن الدرعية في بعض غزواته، فخرج إلى بلدة سدوس بحجة زيارة أقاربه من أمرائها، وحين وصلها أظهر رغبته بالبقاء فيها مدعياً المرض، لكنه في واقع الأمر بدأ بالعمل الفعلي للإطاحة بمشاري بن سعود حيث عمل على الاتصال ببعض من يعرف فيهم معارضته حكم مشاري بن سعود[١]، وقد لقي ابن معمر بالفعل تأييد حريملاء فانتقل إليها ومنها أجرى اتصالات مع فيصل الدويش بموجب إيعاز سابق من محمد علي باشا للإثنين بضرورة التعاون بينهما للقبض على مشاري [٢]، عملاً بسياسة محمد علي باشا الهادفة للاستعانة بأعوان الوجود العثماني في نجد لتحقيق ذلك الهدف [٣].

وقد أرسل فيصل الدويش جيشاً من قبيلة مطير[٤] للانضمام إلى ابن معمر الذي تحرك من حريملاء ليدخل الدرعية دون صعوبة؛ ولعل ذلك بسبب ثقة مشاري بن سعود في ابن معمر، وعدم شكه في نواياه [٥]، ولذا لم يتخذ أية احترازات لمنع دخوله إلى الدرعية، مما مكنه من الوصول بسهولة تامة إلى قصر مشاري نفسه، حيث قام بالقبض عليه وإرساله إلى بلدة سدوس ليبقى عند أقارب وأنصار ابن معمر هناك [٦] مقيداً

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٧/١.

(٢) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٥٠) .

(٣) عبد الله العثيمين: بحوث...، ص ١٤٩. ويذهب محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٥٤ إلى أن محمد علي باشا أرسل بعض قواته للانضمام إلى ابن معمر في هذه المهمة.

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٧/١ .

(٥) Winder: op.cit, P.53.

(٦) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٥٦) حول النزاع بين ابن مضيان وابن مخلف ومقتل مشاري ابن سعود، ٢٦ جماد ثاني ١٢٣٦هـ.

؛ معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٥٠) .

ويذكر أحد المؤرخين ان مشاري بن سعود أرسل إلى الحامية العثمانية في سدوس. عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ٣٨. بينما تؤكد الوثائق العثمانية أن مشاري ابن سعود سلم لأمير بلدة سدوس: معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٥٦). والأحداث التاريخية تؤكد=

بالسلاسل [١].

وعقب ذلك أتم ابن معمر سيطرته على الدرعية ثم سار إلى الرياض وتمكن من دخولها بعد أن هرب منها الأمير تركي بن عبد الله متجهاً إلى الحائر * فاستتب الأمر حينئذ لمحمد بن مشاري بن معمر[٢].

لقد ظهرت علامات الفرح لدى محمد علي باشا حين علم بالقبض على مشاري ابن سعود واعتبر ذلك نصراً كبيراً تم له [٣] الأمر الذي يدل على مدى اهتمامه بالقضاء على تلك التحركات لرغبته في إبراز خدمته للسلطان العثماني ولرفع أسهمه من جديد في الجزيرة العربية، غير أنه لم يكتف بما قدمه له بعض المتعاونين هناك، بل رأى أنه لابد من تسيير حملة رسمية لقطف ثمرة جهود أولئك المتعاونين، ولذا فإنه وأثناء النزاع الدائر بين ابن معمر و الأمير مشاري بن سعود بدأ في الاستعداد لإرسال حملة عسكرية إلى نجد.

= أن القوات العثمانية لم تصل إلى سدوس حينذاك بل كانت في عنيزة، بينما يورد موزل رواية مفادها أن مشاري بن سعود نقل من سجن سدوس إلى سجن العيينة. الويس موزل: المرجع السابق، ص٢٣٠ غير أن ابن بشر ينص على أنه بقي في سدوس إلى أن سلم للقوات العثمانية. عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٨/١.

(١) Hatt-i Humayun: No. 19557 C Tarihi 1236.

* الحائر: تسمى حائر وادي حنيفة أو حائر سبيع، وتقع على بعد ٣٥ كيلاً جنوب الرياض. عبد الله بن خميس : معجم اليمامة ٢٨٧/١-٢٨٨.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٧/١ .

(٣) معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (٣) رسالة من المعية السنية إلى نجيب أفندي حول حملة حسين بك والقبض على مشاري بن سعود. دون تاريخ.

- حملة عبوش أغا:

تعود أسباب إرسال حملة عبوش أغا إلى قلق محمد علي باشا من تغير الأحداث في نجد [١] منذ رحيل إبراهيم باشا منها مابين ظهور محمد بن مشاري بن معمر، ثم تسلم مشاري بن سعود زمام الأمور فيها، مما جعل محمد علي باشا يعمل جاهداً لكسب ابن معمر إلى جانبه للعمل ضد مشاري بن سعود الذي يمثل الدولة السعودية الأولى التي لايحتمل محمد علي باشا ظهورها من جديد ولا توحيدها للبلاد مرة أخرى[٢]، كما أن محمد علي باشا أراد تكثيف وجوده في المنطقة تداركاً لعودة وحدتها[٣] أياً كان مصدر هذه الوحدة.

ولئن كانت فكرة إرسال الحملة موجودة مسبقاً إلا أن ظروفاً مستجدة جعلت محمد علي باشا يسرع بالتنفيذ وذلك عندما تمكن ابن معمر من القبض على مشاري ابن سعود وحبسه في سدوس الأمر الذي أثار محمد علي باشا فغضب لعدم سرعة تسليم مشاري إلى حسين بك محافظ المدينة بالنيابة الذي كان موجوداً آنذاك في الحناكية* لمتابعة تطور الأحداث في نجد، ولاسيما أن محمد علي باشا سبق وأن أشعر ابن معمر بضرورة إرسال مشاري بن سعود حين يتم القبض عليه إلى محافظ المدينة المنورة[٤].

ومن الواضح أن إبقاء مشاري بن سعود في سدوس قد أدى أيضاً إلى إثارة شكوك محمد علي باشا بحقيقة موقف ابن معمر وعدم تنفيذ ماسبق أن وعد به بتسليم مشاري بن سعود إلى الوالي العثماني في المدينة المنورة، بل إن محمد علي باشا ذهب بشكوكه إلى ماهو أبعد من ذلك حين أبلغ محافظ المدينة بالنيابة حسين بك في رسالة وجهها إليه في ٢٣ صفر ١٢٣٦هـ بأنه يعتقد أن ابن معمر قد وطد العزم على التعاون

---

(١) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢١٨/١ .

(٢) مقبل الذكير: المرجع السابق، ورقة ٥٤. محمد بن عثمان القاضي: الموسوعة في تاريخ نجد. ط٢، د.م.ن، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ١٠٧.

(٣) دلال السعيد: المرجع السابق، ص ٥٠ .

* الحناكية بلدة في الطريق بين القصيم والمدينة المنورة وتبعد عن المدينة المنورة حوالي ١١٥ كيلاً. عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٥٥/١.

(٤) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٥٠) .

مع مشاري بن سعود للسيطرة على نجد، وربما يعملان على اجتذاب فيصل الدويش إلى جانبهما لتكوين قوة موحدة تقوم بإجراء ماهو مكنون في ضمائرهم بعد ذلك، وإعادة بناء الدولة السعودية[١]، وفي رسالة أخرى وجهها إلى محافظ الحجاز أحمد باشا بتاريخ ١٤ ربيع الأول ١٢٣٦هـ أوضح محمد علي باشا ضرورة إرسال مشاري بن سعود إلى مصر لأن ذلك أجدى من بقائه في سجن ابن معمر في نجد[٢].

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف لمحمد علي باشا فقد طلب من حسين بك محافظ المدينة المنورة بالنيابة ضرورة اتخاذ التدابير اللازمة لتشتيت مشاري بن سعود وأنصاره، والسيطرة على نجد واستعادتها منهم[٣]؛ مما يثبت فشل سياسة محمد علي باشا بحكم نجد حكماً غير مباشر بالاستعانة ببعض القوى المحلية لخدمة أهدافه بالمنطقة [٤].

ويأتي تكليف حسين بك بهذه المهمة باعتبار أن تبعية نجد إدارياً تعود إليه حيث كان يطلق عليه مسمى "حكمدار نجد" أي حاكم نجد الإداري [٥]، وقد وقع اختيار حسين بك على "عبوش أغا" [٦] ليكون قائداً للقوة التي عزم على إرسالها لنجد، ومن

---

(١) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٥٠).

(٢) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٨٩).

(٣) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٥٠).

(٤) مقبل الذكير: تاريخ مقبل الذكير (مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود). مخطوط. مكتبة الحرم المكي الشريف رقم (٩٩) دارة الملك عبد العزيز، رقم (١٦٠٠٦) ١/٨١. Winder: op.cit, P.53 .

(٥) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٥٨ .

(٦) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٢٩٧-٢٩٨. ويسميه بعض الباحثين "غبوش" بالغين المعجمة. دلال السعيد: المرجع السابق، ص ٤٩. حصة السعدي: المرجع السابق، ص٥٠. مالك رشوان: المرجع السابق، ص ١٨٢.

غير أن الأرجح هو أن اسمه "عبوش" بالعين المهملة كما ورد في الوثائق ذات الصلة بذلك. معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٦٠) مكاتبة إلى محافظ المدينة بشأن عبوش أغا وبعض زعماء القبائل، ٢٦ جمادى الثانية ١٢٣٦هـ.

؛ معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٥٦).

وعبوش أغا هو قائد فرقة المتطوعة ضمن القوات العثمانية التابعة لمحمد علي باشا ويطلق عليه =

الواضح أن محمد علي باشا قد أدرك عدم الحاجة إلى إرسال الكثير من القوات لنجد لعدم وجود قوة حقيقية منظمة يمكنها المقاومة في ظل الظروف المضطربة التي حلت بالبلاد منذ نهاية الدولة السعودية الأولى، ولذلك فإن عبوش أغا حين سار إلى نجد في صفر ١٢٣٦هـ[1] لم يكن بصحبته سوى مائتي فارس سار بهم إلى القصيم قاصداً عنيزة مروراً بالرس [2]، حيث تمكن من السيطرة على منطقة القصيم دون مقاومة تذكر، وقد لقيت الحملة وقائدها مساعدة مباشرة من قبل بعض زعماء القبائل مثل غانم بن مضيان الذي صحب الحملة وتكفل بتوفير الجمال لنقلها، وكذلك ابن مخلف شيخ عنزة الذي ذهب بصحبة عبوش أغا إلى القصيم وأحضر الجمال والذخائر بأعداد هائلة يفوق عددها ألف جمل محملة بالمؤن والذخائر [3].

كما أن عدم وجود قيادة قوية في بلدان القصيم وميل بعض الأمراء فيها للتعاون

= لقب "أغا الكوكللية" وهو لقب من يتولى ذلك المنصب. معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٥٦).
؛ معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (١٨٠) .

(١) يذكر ابن بشر أن مجيء حملة عبوش أغا إلى نجد كان سنة ١٢٣٥هـ، عثمان بن بشر: المصدر السابق١/٢٩٧. لكن الوثائق تؤكد على أن الحملة قدمت إلى نجد سنة ١٢٣٦هـ.
؛ معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٥٠).
؛ معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٥٦).
؛ معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٦٠).
؛ معية تركي: دفتر (٦) وثيقة (٢٦٦) من محمد علي باشا إلى إبراهيم باشا حول نزاع ابن مضيان وابن مخلف، ١٩ جمادى الثانية ١٢٣٦هـ.

(٢) معية تركي : دفتر (٧) وثيقة (٥٠). وسنلاحظ أن خط سير حملات محمد علي باشا التالية سيمر بنفس الخط وهو نفس الخط لسير حملة إبراهيم باشا من قبل. و لم تعط المصادر المحلية أية معلومات عن تكوين الحملة وعددها، في حين يصف عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢١٨/١ الحملة بأنها "فرقة من الجيش" كناية عن قلة عددها.

(٣) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٥٦).
؛ معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٦٠).
؛ معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٥٠).
؛ معية تركي: دفتر (٦) وثيقة (٢٦٦) .

مع الحملة مثل عبد ا الله الجمعي أمير عنيزة من قبل إبراهيم باشا [١]، أدى لسهولة وصول الحملة وسيطرتها على عنيزة وبالتالي على عامة القصيم [٢].

وحين استقر عبوش أغا في عنيزة وصل إليه مزيد من المدد حيث انضم إليه خمسون فارساً مع ذخائرهم[٣]، ثم لم يلبث أن انضم إليهم أيضاً مائة وخمسون ليصبح العدد الإجمالي أربعمائة فارس وعدد من رجال القبائل [٤].

وقد تعرضت الحملة لبعض المشاكل العاصفة التي كان من الممكن أن تضعف فاعليتها حيث حل نزاع بين ابن مضيان وابن مخلف حول إجبار بعض القرى على المساهمة بدعم الحملة، وقد تطور ذلك النزاع إلى قيام ابن مخلف بالسطو على أموال وجمال ابن مضيان في بعض القرى الغربيه من منطقة القصيم[٥]، غير أن محمد علي باشا بادر باحتواء الموقف وأمر بأن تُرد أموال ابن مضيان عليه وأن يتم الإصلاح بينه وبين ابن مخلف، كما حث محمد علي باشا حسين بك محافظ المدينة المنورة بالنيابة للعمل على دعم الحملة، وضرورة الاتصال ببعض الزعامات النجدية والتعاون معها مثل فيصل الدويش كي تتم السيطرة على الأقاليم النجدية وبالتالي الوصول إلى الدرعية[٦].

أدرك محمد بن مشاري بن معمر ماتشكله الحملة من خطر على إمارته التي انتزعها من مشاري بن سعود خاصة مع تزايد قوة هذه الحملة، وتعاون البعض معها، لذلك بادر بالاتصال بقائدها عبوش أغا الموجود في عنيزة معلناً الولاء والتأييد له وللدولة العثمانية، ومخبراً إياه بأنه إنما يعمل لخدمة مصالح محمد علي باشا، ويحكم باسم السلطان العثماني، كما أبلغه أن إبقاء مشاري بن سعود في سجن سدوس أمر مؤقت ريثما تأتي

---

(١) محمد المانع: نبذة عن تاريخ عنيزة. ملحق بكتاب تاريخ بعض الحوادث في نجد لإبراهيم ابن عيسى. الرياض: دار اليمامة، د.ت.ن، ص ٢٣٦ .

(٢) مقبل الذكير: العقود الدرية...، ورقة ٥٤. Winder: op.cit, P.53.

(٣) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٥٠).

(٤) معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (١٨٠).

(٥) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٥٦).

؛ معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٦٠).

(٦) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٥٠).

قوات عبوش أغا لتسلمه وأنه سوف يسلمه لهذه القوات حال وصولها [١].

وهنا حدث التقارب من جديد بين قوات محمد علي باشا التي تسعى للقبض على مشاري بن سعود وإرساله إلى مصر وبين ابن معمر الذي يخشى تقدم تلك القوات إلى الدرعية، ويرغب في نفس الوقت لاكتساب القوة بتقربه لعبوش أغا [٢]، ولهذا تم عقد حلف بين الطرفين أُقر بموجبه ابن معمر على إمارة الدرعية مقابل قيامه بتسليم مشاري ابن سعود لقوات عبوش أغا[٣].

أثار موقف ابن معمر المنحاز إلى عبوش أغا موجة من السخط ضده في نجد مما أدى إلى التفاف الناس حول الأمير تركي بن عبد الله [٤] الذي ابتدأ مشوار كفاحه الطويل بالتصدي لابن معمر مدفوعاً بتأييد الأهالي حيث تحرك من الحائر إلى ضرما فانضم له مؤيدوه هناك، ولم تفلح محاولات ابن معمر لإيقاف نشاط الأمير تركي ابن عبد الله الذي تغلب على أنصار ابن معمر ليواصل سيره إلى الدرعية ويدخلها فجأة ويلقي القبض على ابن معمر بسرية تامة بنفس الأسلوب الذي استخدمه ابن معمر مع مشاري بن سعود قبل ذلك، ودون أن يعلم مشاري بن محمد بن معمر أمير الرياض من قبل أبيه تمكن تركي بن عبد الله من مواصلة سيره إلى الرياض وألقى القبض على مشاري ابن معمر فسجنه مع والده في الدرعية[٥] في ربيع الأول من سنة

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٧/١. أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث. ط٦، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٨م، ص ٩١. غير أن محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٥٤ يذكر أن وصول حملة عبوش أغا واتصال ابن معمر بها كان قبل القبض على مشاري بن سعود، وهذا خلاف ماتتفق عليه المصادر المحلية والعثمانية.

(٢) معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (١٨٠).

(٣) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٢٠، ويذكر أحمد عبد الغفور عطار: المرجع السابق ١٩٦/١ أن عبوش أغا عاد من حيث أتى بعد عقد هذا الصلح، ومجريات الأحداث التاريخية تؤكد أن عبوش أغا بقي في نجد مع حملته حتى قدمت حملة حسين بك فيما بعد وانضم هو لها بقواته.

(٤) Winder: op.cit, P.54، الكسي فاسيليف: تاريخ العربية السعودية، ط١، بيروت: شركة المطبوعات، ١٩٩٥م، ص٢١٣.

(٥) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٧/١-٢٩٨ .

١٢٣٦هـ/١٨٢٠م[١].

وقد ربط الأمير تركي بن عبد الله مصيرهما بـإطلاق سراح مشاري بـن سـعود المعتقل في سدوس والذي وعد ابن معمر عبوش أغا بتسليمه إياه، ورغم محاولة ابن معمـر افتداء نفسه وولده بالكتابة إلى أمراء سـدوس لإطـلاق سـراح مشـاري بـن سـعود إلا أن محاولته تلك لم يكتب لها النجاح إذ أن أولئك الأمـراء رفضـوا طلبـاً كهـذا خوفـاً ممـا قـد يتعرضون له على يد قوات محمد علي باشا[٢]، موجهين اللوم في نفس الوقت لابن معمر لتسرعه ووعده عبوش أغا بتسليمه مشاري بن سعود[٣]، فبقي ابن معمر وابنـه سـجينين في الدرعية، وكان ذلك إيذاناً بإنتهاء حكم ابن معمر الذي لازمـه الفشـل بسـبب تبعيتـه لقوات محمد علي باشا، ولأن هيبة آل سعود ظلت ثابتة ومتزايدة[٤] في ظل تزايد غضب الناس من ابن معمر لتعاونه مع قوات محمد علي باشا.

لم تمض ثلاثة أيام [٥] من رفض أمراء سدوس إطلاق سـراح مشـاري بـن سـعود حتى أرسل عبوش أغا فرقة من قواته بقيادة خليل أغا الذي انضم إليه بعض أمراء القبائل، حيث اتجهوا إلى سدوس وتسـلموا مشـاري بـن سـعود مـن أمرائهـا بشـكل سـلمي، وتم إرساله مباشرة إلى عنيزة مع القائد العثمـاني ممثـل أغـا قـائد فرسـان الاستكشـاف التـابع لعبوش أغا وهناك أودع السجن، ثم أرسلت أخبار ذلـك الحـدث إلى السـلطان العثمـاني بواسـطة حكومـة محمـد علـي باشـا في القـاهرة، واعتـبر ذلـك الخبر نصـراً مـؤزراً لتلـك الحملة[٦]، ورغم وجود ابن معمـر في قبضـة الأمـير تركـي بـن عبـد الله حـين تم تسـليم

---

(١) محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٥٥. ويذكر عثمان بن بشر: المصدر السـابق ٢٩٨/١ أن ذلك كان سنة ١٢٣٥هـ.

(٢) Hatt-i Humayun: No. 19557 B Tarihi 1236.

؛ عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٨/١.

(٣) مقبل الذكير: العقود...، ورقة ٥٤ .

(٤) Winder: op.cit, P.54.

(٥) مقبل الذكير: العقود...، ورقة ٥٤ .

(٦) معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (٢٣٩) عريضة أحمد باشا بخصوص القبض على مشاري بن سعود، ١٣ جمادى الثانية ١٢٣٦هـ.

؛ - Hatt-i Humayun: No. 19557 B.

مشاري بن سعود لقوات عبوش أغا إلا أن الوثائق العثمانية تنسب هذا التسليم إلى محمد ابن معمر وذلك باعتباره السبب الرئيس لهذا الحدث [(١)].

علم الأمير تركي بن عبد الله بتسليم مشاري بن سعود إلى رجال عبوش أغا عن طريق رجال كان قد أرسلهم للتفاوض مع أمراء سدوس لإطلاق سراحه، فما كان منه إلا أن قام بقتل محمد بن مشاري بن معمر وابنه الأكبر مشاري ثم انسحب من الدرعية إلى الرياض بعد أن علم بعزم خليل أغا ومن معه بالتقدم لقتاله فتحصن بها استعداداً لذلك[(٢)].

وقد ترتب على مقتل ابن معمر وابنه قيام عبوش أغا بقتل مشاري بن سعود في سجنه بعنيزة كما تفيد الوثائق العثمانية، والتي تبين أن قيام عبوش أغا بهذا العمل إنما كان انتقاماً لما فعله الأمير تركي بن عبد الله بابن معمر وولده [(٣)]، أما المصادر المعاصرة فقد اختلفت في هذا الموضوع؛ فمنها من يرى أن مشاري بن سعود مات في سجنه ببلدة عنيزة[(٤)]، ويذهب البعض إلى أن وفاة مشاري بن سعود في السجن كانت بسبب السم الذي أعطي إياه للقضاء عليه[(٥)]؛ بينما يذهب البعض الآخر إلى أن مشاري بن سعود قد مات في طريقه إلى مصر حيث أرسله عبوش أغا إلى محافظ المدينة المنورة حسين بك[(٦)]، والرأي الأرجح هو ماقالت به الوثائق التي أشارت إلى أن قتل مشاري بن سعود تم على

= ؛ معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (١٨٠).
؛ معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٥٦).
(١) معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (١٨٠).
؛ Hatt-i Humayun: No. 19557.
(٢) Hatt-i Humayun: No. 19557 B.
؛ معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (١٨٠) .
؛ Hatt-i Humayun: No. 19557.
(٣) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٥٦) .
؛ معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٦٠).
(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٨/١.
(٥) مقبل الذكير: العقود...، ورقة ٥٤ .
(٦) عبد الرحمن الجبرتي: المصدر السابق ٦٢٩/٣. أحمد دحلان: المصدر السابق، ص ٣٠٣ .

يد عبوش أغا في عنيزة، خاصة أن تلك الوثائق تؤكد أن عبوش أغا إنما أراد إثبات وفائه لابن معمر فعندما قام الأمير تركي بن عبد ا لله بقتل ابن معمر وابنه سارع عبوش أغا إلى قتل مشاري بن سعود[١]، ويؤكد هذا الرأي ماجاء في وثيقة عثمانية أخرى أشارت إلى استياء حكومة محمد علي باشا وأسفها لأن "...تركي من آل سعود تمكن من قتل ابن معمر المذكور ونجله..."[٢]. وحين قام الأمير تركي بن عبد ا لله بهذا العمل أقدم عبوش أغا على قتل مشاري بن سعود في عنيزة[٣].

ولاشك أن هذا يعطي دلالة واضحة على مدى التعاون الذي تم بين ابن معمر وبين الدولة العثمانية ممثلة بواليها على مصر محمد علي باشا من أجل القضاء على حركة الأمير مشاري بن سعود ومحاولته إعادة بناء الدولة السعودية، وهو مطلب عثماني بلاشك، يدل على ذلك مدى متابعة السلطان العثماني لأخبار تلك الحركة وحرصه على إخمادها حيث كان على اطلاع دائم لما يستجد من أحداث بهذا الشأن عبر رسائل محمد علي باشا إليه في العاصمة العثمانية[٤] والتي كان يتلقاها من رجاله في الحجاز ويحثهم على سرعة إشعاره بكل "مايجد من أمور"[٥].

أصبحت المواجهة حتمية بين الأمير تركي بن عبد ا لله بن محمد بن سعود المتحصن بالرياض وبين القوات العثمانية، ولذا فإن خليل أغا لم يلبث أن تقدم من سدوس ومعه بعض أمراء القبائل الذين ناصروه حينذاك [٦] وفرضت قواته حصارها على الرياض في محاولة منها لإنهاء الوجود السعودي المتمثل في الأمير تركي بن عبد ا لله، ولاسيما أنه قد تمت إزالة جزء مهم من هذا الوجود وهو مشاري بن سعود.

---

(١) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٦٠).

(٢) معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (٣).

(٣) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٥٦).

(٤) معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (٢٣٩).

؛ معية تركي: دفتر (٦) وثيقة (٢٤٩). استفسار من مصر عن سبب إرسال أمراء القبائل رسائلهم عن طريق والي الحجاز، ١٥ جماد الأولى ١٢٣٦هـ.

(٥) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٥٦).

(٦) Hatt-i Humayun: No. 19557 B.

على أن ذلك الحصار الذي فرضته قوات خليل أغا والمؤيدون لـه لم يأت بنتيجة حاسمة بسبب صمود الأمير تركي بن عبد الله وثباته للدفاع عن الرياض بالتعاون مع أهلها[١]، ومما ساعدهم على ذلك قوة تحصين البلدة[٢]، بينما يذكر أحد المؤرخين أن من أسباب فشل الهجوم قلة أفراد القوة العسكرية المصاحبة لخليل أغا [٣].

وقد أثبت فشل الحصار ضعف حملة عبوش أغا وأن نجاحها كان جزئياً، حيث لم يكن لها خاصية النفس الطويل، نظراً لقلة عددها وعتادها، إضافة إلى أن المنضمين لها من القبائل لايمكن الركون إليهم لأنهم سريعو التقلب وعدم الثبات والولاء لهذه القوة الغريبة عنهم، ومن هنا تراجعت قوات خليل أغا إلى ثادق* وبقيت مايزيد على أسبوعين ثم اتجهت إلى ثرمداء ومكثت هناك[٤].

ويمكن تلخيص النتائج المترتبة على مجيء حملة عبوش أغا بما يلي :

١- تمكنها من القضاء على مشاري بن سعود بعد تسلمه من اتباع ابن معمر في سدوس وقتله في سجن عنيزة.

٢- إخضاع عدد من بلدان نجد واتخاذها مراكز لقوات محمد علي باشا خاصة بلدة عنيزة[٥] التي اتخذها عبوش أغا مقراً ثابتاً له حتى قدوم حملة حسين بك حيث انضم لها، كما أن استقرار جزء من القوات في ثرمداء جعل من تلك البلدة مقراً ثابتاً للحملات الجديدة خاصة حملة حسين بك ثم حملة حسن بك "أبي ظاهر" فيما بعد.

٣- أن الدرعية لم تعد بتلك المدينة القوية المحصنة التي يمكن اللجوء إليها ومقاومة الحملات منها؛ الأمر الذي دعا الأمير تركي بن عبد الله لنقل قواته إلى الرياض كمدينة بديلة.

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٩/١. Winder: op.cit, P. 55.

(٢) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢٢٠/١ .

(٣) الويس موزل: المرجع السابق، ص ٢٣٠.

* ثادق قاعدة إقليم المحمل في وسط نجد وتقع في سفح جبل طويق. عبد الله بن خميس: معجم اليمامة ٢٢٣/١.

(٤) محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٥٥. عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٨/١ .

(٥) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٨٣.

٤- أظهرت الحملة مدى التعاون معها من قبل بعض أمراء القبائل[1] وهو أمر يتكرر بتكرر الحملات ضد نجد؛ وذلك بسبب خوف أولئك الأمراء من تلك الحملات وقواتها، واقتناعهم بعدم القدرة على مجابهتها، الأمر الذي يجعلهم يسخرون جمالهم لخدمتها إن لم يكن طمعاً في مكاسب مادية فلأجل اتقاء شرها، ولذلك عملوا حتى على إبلاغ حكومة محمد علي باشا بأحوال نجد وأخبارها [2].

٥- قيام جنود الحملة بالاستيلاء على مقدرات أهالي بلدان نجد من الأموال والسلع كما فرضوا الغرامات الكبيرة في البلدان التي استوطنوا فيها، الأمر الذي أدى إلى سوء حالة الأهالي الاقتصادية وماصاحب ذلك من سوء الأحوال الاقتصادية في عامة البلاد بسبب بعض الظروف الطبيعية المدمرة للاقتصاد [3].

٦- عودة بغض الأسر المعارضة التي رحلت عن نجد عند ظهور الأمير مشاري ابن سعود، وبعد القضاء عليه عادت هذه الأسر لتكون عوناً للقوات العثمانية، ودعتها لدخول بعض بلدان نجد، والاستيلاء على مقدراتها مما أثار الفتن في بلدان نجد[4] وهو تكرار لما حدث عند نهاية الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م.

٧- إزاء هذه الظروف والفتن لم يجد الأهالي بداً من الهرب إلى الصحراء أو التخفي في بلدان أخرى لكنهم لم يسلموا من الأذى حيث قامت القوات العثمانية بتدمير ممتلكاتهم وسلب أموالهم التي تركوها بل لحق الأذى حتى الأطفال والنساء [5].

٨- زادت الحملة من كره الأهالي للوجود العثماني، وفي نفس الوقت اتضح مدى الولاء والحب الذي كانت تحظى به الدولة السعودية كما يتبين ذلك من خلال وقوف الأهالي بجانب مشاري بن سعود وعدائهم لابن معمر حين سلمه للعثمانيين، مماجعلهم ينضمون للأمير تركي بن عبد الله الوريث الجديد للأسرة السعودية والذي عمل على التخلص من الوجود العثماني ومن يتعاون مع هذا

---

(١) Hatt-i Humayun: No. 19557 B and 19557 C.

(٢) Hatt-i Humayun: No. 19557 C.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٩/١ . Philby: op.cit, P. 153 .

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٩٩/١ .

(٥) محمد العيسى: المرجع السابق، ص ١١٢ .

الوجود[١].

٩- لفتت الحملة الانتباه إلى الخطر الذي يشكله الأمير تركي بن عبد الله على الوجود العثماني في نجد خاصة مع مايحظى به من دعم وتأييد من الأهالي، الأمر الذي أدى إلى أن تضع الدولة العثمانية ممثلة بمحمد علي باشا من أولويات مهام حملتها القادمة -حملة حسين بك- القضاء على الأمير تركي بن عبد الله تحديداً.

١٠- أظهرت الحملة مدى اهتمام السلطان العثماني بالقضاء على مشاري بن سعود حيث ألح على محمد علي باشا كثيراً لإرسال الحملة، وطلب منه عدم بقاء ابنه إبراهيم باشا في مصر وترك شؤون نجد في ظل هذه الظروف، في الوقت الذي كان محمد علي باشا قد أبدى عدم الاكتراث في بداية الأمر وعدم الحاجة لإرسال إبراهيم باشا إلى هناك[٢]، لكنه أمام إلحاح السلطان العثماني بدأ بالعمل وبقوة للقضاء على مشاري بن سعود وحسم الأمر في نجد لصالحه رغبة برفع أسهمه لدى السلطان العثماني، والعمل على خدمة مصالحه التوسعية التي رغب بتحقيقها في السودان، ورأى أن تأخير حسم مسألة نجد تحد من تطلعاته لها.

١١- لم يبد والي بغداد داود باشا نشاطاً ملموساً لخدمة ومساعدة تلك الحملة التي قادها عبوش أغا، بينما كان من قبل يراسل السلطان العثماني مخبراً إياه بتطورات الأحداث في نجد وموضحاً له أهمية إرسالها، ومن الواضح أن داود باشا خشي من نفوذ محمد علي باشا وتزايده في نجد مما قد يؤدي إلى عودته للإحساء من جديد وهو ماعمل والي بغداد كثيراً لمنعه منذ سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م خشية من امتداد نفوذ محمد علي باشا إلى العراق.

١٢- برهنت الحملة على أن مشاري بن سعود هو الهدف بصفته ممثلاً للدولة السعودية التي لايرغب محمد علي باشا بظهورها مجدداً، ولذلك عمد للإسراع بإرسال الحملة خاصة حين علم بقبض ابن معمر على مشاري بن سعود وعدم تسليمه إلى

---

(١) سيد محمد إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٦٤ .

(٢) معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (١٨٠).

؛ Hatt-i Humayun: No. 19557.

محافظ المدينة المنورة، كما أن محمد علي باشا عمل من قبل على التعاون مع ابن معمر وفيصل الدويش لإثارة القلاقل والفتن بوجه مشاري بن سعود، ثم عمل على زيادة تلك القلاقل بإرسال هذه الحملة [١].

على أن الأعمال الحربية للحملة قد توقفت منذ فشل حصارها للرياض خاصة عندما لمست قدرة وتصميم الأمير تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود على المقاومة وصد هجومها عليه، ولاشك أن ذلك جعل عبوش أغا يدرك المخاطر الناجمة عن قيامه بمغامرة غير مأمونة العواقب مع الأمير تركي ففضل التريث لحين وصول قوات إضافية، ولعله قد ترامى إلى مسامعه عزم محمد علي باشا على إرسال حملة مكتملة ينضم إليها عبوش أغا للعمل سوياً للإطاحة بالأمير تركي بن عبد الله، وهو ماتمثل في إرسال حملة حسين بك.

(١) محمد الشويعر: مشاري بن سعود...، ص ١٩ .

ـ حملة حسين بك:

لاتخرج أسباب حملة حسين بك عما سبقها من حملات كان الغرض منها توطيد النفوذ العثماني في المنطقة[(١)]، والقضاء على أي نفوذ جديد للدولة السعودية يقوم في نجد[(٢)].

وعلى الرغم من أن مشاري بن سعود قد تم القبض عليه وقتل على يد عبوش أغا، وأبلغ حسين بك محافظ المدينة بالنيابة بذلك عن طريق الرسائل التي بعثها إليه عبوش أغا وأتباعه، إلا أن بعض المصادر تشير إلى أن سبب إرسال الحملة الرئيسي هو القضاء على مشاري بن سعود وتحركاته[(٣)]، وعلى الرغم من أن محمد علي باشا قد بعث برسالة إلى رستم أفندي أمين جمرك جدة بتاريخ ٢٣ صفر ١٢٣٦هـ يطلب منه تزويد حسين بك محافظ المدينة بمبلغ من النقود لقمع تحركات مشاري بن سعود[(٤)]، إلا أن حسين بك لم

---

(١) أحمد علي: المرجع السابق ص ٥٧.

(٢) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٢٠ .

(٣) أحمد جودت باشا: المصدر السابق ١١/١٩١. أحمد دحلان: المصدر السابق، ص ٣٠٣، محمد عبد اللطيف هريدي: تاريخ شبه الجزيرة العربية من المصادر التركية والعثمانية. القاهرة: دار الزهراء، د.ت.ن، ص ٤٦ .

والواقع أن رواية جودت تلك غير دقيقة إذ أنها تحدد القبض على مشاري بن سعود بالدرعية وعلى يد حسين بك وقواته عن طريق القوة، وهذا مالاتؤيده المصادر الأخرى كما مر حيث كان حسين بك في منطقة المدينة المنورة يتابع تطورات الموقف في نجد عن طريق عبوش أغا وحملته، كما أن جودت ذكر أن القبض على مشاري بن سعود كان عقب حصار الدرعية وهرب تركي بن عبد الله منها، غير أن القبض على مشاري قد تم قبل الحصار وحتى قبل أن تصل القوات المحاصرة إلى نجد، علماً أن الحصار استهدف الرياض وليس الدرعية، ومن الواضح أن جودت باشا خلط بين القبض على أقارب تركي بن عبد الله وإرسالهم إلى مصر على يد حسين بك وبين القبض على مشاري بن سعود.

أما حملة حسين بك فهي ليست الأولى على نجد منذ رحيل إبراهيم باشا كما يرى بعض المورخين: محمد السلمان: الوجود الأجنبي في نجد، ص ١٥٨، فقد سبقتها حملة عبوش أغا بفترة زمنية لاتقل عن أربعة أشهر حيث كان من أبرز أعمالها القبض على مشاري بن سعود كما أكدت ذلك الوثائق العثمانية.

(٤) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٥٥) مكاتبة إلى رستم افندي أمين جمرك جدة بشأن إعداد حملة حسين بك، ٢٣ صفر ١٢٣٦هـ.

يتجه بنفسه إلى نجد في ذلك الوقت وإنما أرسل عبوش أغا للقيام بتلك المهمة حيث تحرك عبوش أغا بقواته في ذلك الشهر متجهاً إلى نجد.

وقد أشارت الوثائق العثمانية إلى أن السبب الرئيسي لإرسال حملة حسين بك هو قمع التحركات السعودية في نجد وربطها بولاة الدولة العثمانية في الحجاز ومصر[1]، وتؤكد الوثائق هذا الأمر بشكل أكثر وضوحاً حين تشير إلى تحصن الأمير تركي ابن عبد الله في الرياض وأن العمل جار من قبل حسين بك للقبض عليه وإعادته لطاعة الدولة العثمانية[2]، بمعنى أن القبض على تركي بن عبد الله الذي أبدى مقاومة باسلة ضد حملة عبوش أغا وأبقى اسم الأسرة السعودية على المسرح السياسي في نجد كان هو الهدف من تلك الحملة[3].

ويمكن القول أن أهداف حملة حسين بك تمثلت بمنع أي محاولة سعودية لتوحيد نجد، وتتبع الأمير تركي بن عبد الله والقبض عليه، وبعد ذلك فرض الضرائب وأخذ الأموال من الأهالي بطريقة القوة والتهديد منعاً لما قد يترتب على توفر الأموال لديهم من العمل على محاربة الوجود العثماني في بلادهم، وهذا ماسيتضح من أعمال الحملة ونتائجها.

ولتحقيق تلك الأهداف بدأ العمل سريعاً لإرسال الحملة الجديدة والتي رأى محمد علي باشا أن يتم تجهيزها من الحجاز وليس من مصر لسهولة ذلك[4]، وكسباً للوقت، ولأنه رأى في إمكانات الحجاز الكفاية لتجهيز الحملة وتموينها، ولقد بلغ عدد قوات

---

(١) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٨٩).
؛ معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١١١) مكاتبة إلى حسين بك محافظ المدينة بشأن تجهيز حملة عسكرية على نجد، ٣ ربيع الآخر ١٢٣٦هـ.

(٢) Hatt-i Humayun: No. 19557 C.

(٣) Hatt-i Humayun: No. 19557.

(٤) يذكر عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٣٧، وصالح القاضي: تاريخ نجد، ص ٦٦ أن الحملة قدمت من مصر، غير أن مراسلات محمد علي باشا مع قادته في الحجاز تدل على أن الحملة قدمت من المدينة المنورة وبتمويل من جدة ومكة المكرمة. معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٥٥).
؛ معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٨٩) .

الحملة حوالي تسعمائة فارس وثمانمائة من المشاة وعدد من المدافع مع العاملين على تشغيلها وعدد من كبار القادة العسكريين التابعين لقوات محمد علي باشا(١).

وعمل محمد علي باشا على تأمين المطالب المالية للحملة عن طريق مصر حيث أرسل مبلغ خمسة عشر ألف فرانسة، وأتبع ذلك بخطاب إلى رستم أفندي أمين جمرك جدة يأمر فيه بإرسال المزيد من النقود إلى حسين بك محافظ المدينة المنورة وإسماعيل أغا ناظر خزينتها، مع العلم أن رستم أفندي قد سبق وأن أرسل مبلغ عشرين ألف فرانسة إليهما(٢).

وقد وقع اختيار محمد علي باشا على حسين بك محافظ المدينة المنورة بالنيابة(٣) ليكون قائداً للحملة؛ ويعلل محمد علي باشا هذا الاختيار في رسائله للصدر الأعظم بطول المدة التي مكثها حسين بك في الحجاز ومعرفته بأحوالها وأراضيها وطرق التغلب على أهلها، كما أن له هيبة لدى القبائل بسبب شجاعته، وأن إرساله لهذه المهمة سيؤدي إلى

---

(١) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١١١).
؛ معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (١٨٠).
؛ معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (٣).
؛ Hatt-i Humayun: No. 19557 .
ويذكر ج.ج لوريمر: المرجع السابق ١٦٣١/٣ أن قوام الحملة سبعمائة فارس فقط، بينما يذكر عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي...، ص ١٤ أن قوام الحملة ألف وثلاثمائة فارس وثمانمائة من المشاة استناداً إلى إحدى الوثائق، غير أن تلك الوثيقة أشارت إلى أن أربعمائة من هذا العدد ليسوا من قوات الحملة نفسها بل هم الذين صحبوا عبوش أغا، ولذلك لايمكن اعتبارهم من قوات الحملة الأساسية حين تحركها إلى نجد .

(٢) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٥٥).

(٣) كان حسين بك قائداً للفرسان الكشافة (سرحشمة دليلان) وفي نفس الوقت مكلف بمنصب محافظ المدينة المنورة نيابة عن إبراهيم باشا. معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (١٨٠). وقد اكتسب حسين بك ثقة محمد علي حيث عين فيما بعد قائداً عاماً للمشاة والخيالة الذين أرسلوا إلى كريت سنة ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٤م. معية تركي: دفتر (١٤) وثيقة (٤٢٢) من الجناب العالي إلى سر عسكر السودان وكردفان حول تعيين حسين بك ضمن القوات المتجهة إلى كريت، ١٧ شوال ١٢٣٩هـ.

"... ترهيب أهل نجد..."[١]، ومن أجل رفع اسم حسين بك وسمعته لدى القبائل بشكل أكبر فرض محمد علي باشا على أمراء تلك القبائل أن يرسلوا رسائلهم الموجهة إلى مصر عن طريق حسين بك لا عن طريق أحمد باشا محافظ الحجاز كما كان يتم سابقاً[٢].

ولتقوية موقف الحملة حين انطلاقها إلى نجد عمل محمد علي باشا على مراسلة أمراء القبائل لحثهم على مساعدتها والوقوف معها واعداً إياهم بجزيل المكافأة بعد انتهاء المهمة المنوطة بتلك الحملة [٣]، كما طلب من أحمد باشا محافظ الحجاز حثهم على ذلك مع ضرورة ترغيبهم وتشويقهم بمكافأتهم فيما بعد [٤]، وفي نفس الوقت أفصح محمد علي باشا عن نيته بتطبيق العقاب على هؤلاء الأمراء إن لم يمتثلوا أمره بإطاعة حسين بك[٥]، مما يدل على جمعه بين الترغيب والترهيب لإجبارهم على تنفيذ مايأمله بتعاونهم مع حملاته، ولذا لم يجدوا بداً من القدوم على حسين بك والانضمام إلى حملته مع قواتهم، مما أدى إلى تقوية الحملة ودعم موقفها أمام أنصار الأمير تركي بن عبد الله [٦].

ومن المؤكد أن حسين بك قد قام بالتنسيق والتفاهم مع أمراء بعض بلدان نجد الذين تعاونوا مع عبوش أغا ضد مشاري بن سعود وتركي بن عبد الله ومنهم أمير الرياض ناصر بن حمد وأمير حريملاء حمد بن مبارك وأمير عنيزة عبد الله الجمعي وذلك تمهيداً لانضمامهم لحملته حين يصل إلى نجد وهو ماتحقق بالفعل [٧].

---

(١) معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (١٨٠).

؛ Hatt-i Humayun: No. 19557.

(٢) معية تركي: دفتر (٦) وثيقة (٢٤٩).

(٣) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٥٢). مكاتبة عربية إلى غانم بن مضيان، ٢٦ جمادى الثانية ١٢٣٦هـ.

؛ معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٥٣). مكاتبة عربية إلى محمد بن ربيعان، ٢٦ جمادى الثانية ١٢٣٦هـ.

(٤) معية تركي: دفتر (٦) وثيقة (٢٦٦) .

(٥) معية تركي: دفتر (٦) وثيقة (٢٤٩).

(٦) معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (١٨٠).

؛ Hatt-i Humayun: No. 19557.

(٧) مقبل الذكير: تاريخ... (مطالع السعود) ٨١/١. محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص٦٢.

لقد صدر أمر محمد علي باشا بتكليف حسين بك بإنفاذ الحملة في ٣ ربيع الآخر سنة ١٢٣٦هـ[(١)]/١٨٢١م وحين أكملت استعداداتها انطلقت في جمادى الأولى[(٢)] سالكة نفس الطريق التاريخي لحملات محمد علي باشا السابقة على نجد؛ فانطلقت من المدينة المنورة مروراً بماوية*[(٣)] في طريقها إلى الرس، وفي الرس لحق بحسين بك مائتان من الفرسان وخمسمائة من المشاة دعماً من والي الحجاز أحمد باشا بالاتفاق المسبق مع محمد علي باشا[(٤)]، ليتزايد عدد أفراد الحملة إلى ألف ومائة فارس، مع ألف وثلاثمائة من المشاة، وهو عدد لايستهان به في ظل التفكك والاضطراب الذي تعانيه بلدان نجد في تلك الآونة.

وعقب ذلك اتجه حسين بك إلى عنيزة مقر عبوش أغا، وهناك اتحدت القوات التابعة لعبوش أغا مع قوات حسين بك الذي أصبح القائد العام للحملة الموحدة، حيث اتجه بالقوات إلى الوشم فاتخذ من ثرمداء مقراً له، وانضم إليه خليل أغا ومعه فيصل الدويش، وكما كان مخططاً له من قبل انضم إلى حسين بك أمراء بعض بلدان نجد كأمير الرياض وحريملاء وروضة سدير، وبدأ حسين بك باتخاذ أولى خطواته الفعلية العدائية تجاه الأمير تركي بن عبد الله حيث أرسل إليه عبوش أغا ومن انضم للحملة من أمراء نجد لحصاره في الرياض[(٥)].

---

(١) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١١١).

(٢) Hatt-i Humayun., No. 19557 C.

* ماء يقع إلى الجنوب الشرقي من النقرة الواقعة إلى الشرق من المدينة المنورة. محمد بن عبد الله ابن بليهد: صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، ج١، ط٣،. الرياض: مرامر للطباعة، ١٤١٨هـ، ص٣٨.

(٣) Hatt-i Humayun: No. 19557 C.

(٤) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٨٩) .

(٥) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٣٠٠. إبراهيم بن عيسى: تاريخ بعض الحوادث...، ص ١٤٨-١٤٩، بينما يذكر محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٥٥ أن حسين بك سار بنفسه لحصار الرياض، والصحيح أنه لم يذهب للرياض إلا صبيحة سقوطها بيد عبوش أغا كما تجمع المصادر المحلية والوثائق العثمانية. معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٢٢٠). مكاتبة إلى حسين بك محافظ المدينة، ٨ رمضان ١٢٣٦هـ .

=

ومن الواضح أن استهداف الحملة للرياض يدل على مايكنه قادة الحملة من عزم على تحطيم أية مدينة أو حصن يتم تشييده في نجد [١]، خاصة أن تلك المدينة تحتضن رمز السلطة السعودية وهو الأمير تركي بن عبد الله أبرز أهداف الحملة [٢].

لم يجد عبوش أغا صعوبة في دخول الرياض ولعل مما ساعده على ذلك وجود أميرها السابق ناصر بن حمد معه حيث قام بمراسلة الأهالي [٣] الذين أدركهم الخوف فسهلوا له ولمن معه دخول البلدة، غير أن هذا لم يكن نهاية المطاف إذ أن الأمير تركي ابن عبد الله تحصن بالقصر ومعه مجموعة من أنصاره، فضرب عليهم عبوش أغا حصاراً تقدره الوثائق بثلاثين يوماً[٤]، ولم يستطع الأمير تركي بن عبد الله ومن معه مواصلة صمودهم أمام الحصار وقصف المدافع؛ لذلك فإن أتباعه قرروا طلب الأمان من عبوش أغا فخدعهم به، أما الأمير تركي بن عبد الله فقد رفض الاستسلام، ولعل ذلك يعود إلى

= ؛ معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (٢٧٨) مكاتبة من محمد علي باشا إلى الصدر الأعظم حول أحداث نجد ١٣ رمضان ١٢٣٦هـ.

؛ محافظ بحر برا: محفظة (٧) وثيقة (١١٢). رسالة من الصدر الأعظم إلى محمد علي باشا حول تزايد النفوذ السعودي وإرسال حملة حسين بك ٥ شوال ١٢٣٦هـ.

(١) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٢١. وقد ذكر إبراهيم بن عيسى: تاريخ بعض الحوادث...، ص ١٤٨، وعبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٣٨ أن القوات اتجهت إلى الدرعية أولاً ثم إلى الرياض، لكن ترتيب أعمال الحملة كما تدل عليه الوثائق العثمانية يدل على أن الاتجاه للرياض كان أولاً. معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٢٢٠). وهو مايوافق رواية محمد الفاخري: المصدر السابق، ص١٥٥، وعثمان بن بشر: المصدر السابق ٣٠٠/١. ومن الطبيعي أن تكون الرياض هي الهدف الأول نظراً لتحصن الأمير تركي ابن عبد الله بها، أما الدرعية فليس ثمة مايقلق قادة الحملة فيها، كما أن حسين بك حين خرج من الدرعية فيما بعد أخذ أهلها وعاد إلى ثرمداء ولايمكن أن يكون قد أخذهم معه لحصار الرياض أو أن يكون خرج من الدرعية إلى ثرمداء قبل أن يتم الاستيلاء على الرياض.

(٢) Hatt-i Humayun: No. 19557.

(٣) محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٥٥.

(٤) معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (٢٧٨)، بينما يذكر عبد الرحمن الجبرتي: المصدر السابق ٦٢٨/٣ أن الحصار استغرق مابين ثلاثة أو أربعة أيام فقط.

معرفته بغدر قادة محمد علي باشا، ومن هنا قرر الهرب ليلاً، ومما شجعه على الهرب سماعه بأخبار تحرك حسين بك من ثرمداء إلى الرياض للقبض عليه فجاء هربه في الوقت المناسب تلك الليلة (١).

ولقد تحقق ماكان يخشاه الأمير تركي لمن أمنهم عبوش أغا حيث غدر بهم وقتلهم وهم مابين سبعين إلى ثمانين رجلاً (٢)، بينما تقدرهم بعض الوثائق العثمانية بمائة وثمانين رجلاً(٣)، ولم ينج منهم إلا ستة من آل سعود هم عمر بن عبد العزيز وأبناؤه الثلاثة عبد الملك وعبد الله ومحمد، وكذلك محمد بن ثنيان ومشاري بن فرحان، إضافة إلى أحد موالي عمر بن عبد العزيز، وقد أرسل هؤلاء إلى مصر أسرى حيث وصلوها في شهر رمضان سنة ١٢٣٦هـ(٤)، وتفيد الوثائق أن أحدهم قد توفي في الطريق بينما وصل الآخرون (٥)، وأرغموا على الإقامة مع بقية آل سعود المرسلين من قبل (٦).

---

(١) معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (٢٧٨). ويزعم قادة الحملة في رسائلهم إلى محمد علي باشا أن الأمير تركي لايفتأ يطلب الأمان ولكنهم مصرون على قتاله والسيطرة على الرياض بالقوة. (Hatt-i Humayun: No. 19557). غير أن الواقع يؤكد عجزهم عن إقناع الأمير تركي بالصلح وسرعة قبولهم عرض أتباعه بمنحهم الأمان، كما أن رفض الأمير تركي بن عبد الله للصلح وهربه دليل آخر على كذب ادعائهم. وقد بقي الأمير تركي في جنوبي نجد حتى عاد ليطرد الحاميات العثمانية ويقيم الدولة السعودية من جديد بعد سنتين من تركه للرياض.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٣٠٠، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي...، ص ١٥.

(٣) معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (٢٧٨).

؛ بحر برا : محفظة (٧) وثيقة (١١٨) رسالة من محمد نجيب إلى صاحب الدولة حول فرار تركي ابن عبد الله ١١ شوال ١٢٣٦هـ.

؛ محافظ بحر برا: محفظة (٧) وثيقة (١١٢).

والوثائق تميل في الغالب للمبالغة في تقدير قتلى الخصم لإضفاء طابع القوة على أعمال الحملات، بدليل أن وثائق أخرى قدرت القتلى بثمانين. معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٢٢٠).

(٤) معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (٢٧٨) .

؛ معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٢٢٠).

(٥) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٢٢٠) .

(٦) عبد الرحمن الجبرتي: المصدر السابق ٣/٦٢٩ .

ومن المؤكد أن عدم قيام حسين بك بقتل هؤلاء وهم من آل سعود يعود إلى تعليمات من محمد علي باشا ترمي لإرسالهم إلى مصر كرهائن منعاً لقيام أفراد آخرين من آل سعود كالأمير تركي بن عبد الله بحركة جديدة لتوحيد البلاد.

وفي صبيحة سقوط الرياض وصلها حسين بك قادماً من ثرمداء فبدأ تنفيذ سياسته العدوانية فيها من مصادرة للأموال، وأسر بعض الأفراد واستصحابهم معه إلى الدرعية، وفرض الغرامات الباهضة على الأهالي [١].

وثمة تساؤل تطرحه مجريات الأحداث يتعلق بعدم قيام حسين بك بهدم قلعة الرياض وتدميرها كما هي سياسته التي اتخذها في الدرعية [٢] بعد فترة وجيزة؛ وفي واقع الأمر أن مجريات الأحداث نفسها تجيب عن هذا التساؤل؛ فمن الواضح أن حسين بك أراد الإبقاء على قلعة الرياض التي استعصت على قواته وعدم تدميرها كي يتخذها مقراً للحامية الجديدة التي عزم على استبقائها في هذه البلدة ليتمكن من خلالها من متابعة تحركات الأمير تركي بن عبد الله الذي اتجه إلى الجهات الجنوبية من نجد والبعيدة عن مركز قوات حسين بك الحالي في ثرمداء، وبناء على ذلك فقد تم وضع حامية قوامها مائة فارس ومائة راجل من قواته في الرياض[٣] بقيادة أبي علي المغربي[٤].

وبعد أن أتم حسين بك سيطرته على الرياض عمد إلى توزيع قواته على ماجاورها من بلدان لفرض هيمنته عليها؛ فوضع حامية أخرى في منفوحة [٥] حيث عانى أهلها من

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٣٠٠ .

(٢) محافظ بحر برا: محفظة (٧) وثيقة (١١٨).

؛ محافظ بحر برا: محفظة (٧) وثيقة (١١٢).

(٣) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٢٢٠).

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٣٠٣.

(٥) من الغريب أن المصادر لم تذكر شيئاً عن حامية منفوحة حينذاك غير أن ابن بشر ذكر في أحداث سنة ١٢٣٧هـ أن حامية منفوحة انضمت إلى قوات حسن أبي ظاهر. عثمان بن بشر: المصدر السابق، ١/٣٠٧، بينما أشارت الوثائق العثمانية إلى أن حسين بك عين حاميات في بلدان نجد المجتاحة لذلك. معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٢٢٠).

؛ معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (١٩٠)، مكاتبة إلى محافظ المدينة المنورة حول هجوم الأمير =

بطش تلك الحامية التي قامت بالقبض على أبناء الأمير السابق إبراهيم بن سعيد وإجبارهم على دفع مبالغ مالية كبيرة للحملة، كما امتدت آثار الظلم إلى بلدان جنوب نجد عن طريق تلك الحامية خاصة حاير سبيع [١]، غير أن أعمال حسين بك الإجرامية اتضحت بشكل كبير في الدرعية؛ ولاشك أن هذا يعود إلى الحقد الذي يكنه حسين بك وغيره من قادة محمد علي باشا والدولة العثمانية لهذه المدينة نظراً لما تمثله من رمز للدعوة السلفية والوحدة الوطنية التي مثلتها الدولة السعودية واللتان حاربتهما الدولة العثمانية والمتعاونون معها طويلاً، ولذا فإن حسين بك قام بهدم قلعتها التي أعيد بناؤها على يد محمد ابن معمر ومشاري بن سعود[٢]، كما قام بالقبض على مايقارب مائتين وثلاثين من أهلها وأرسلهم إلى ثرمداء بنسائهم وأولادهم؛ حيث تم حبسهم في مبنى ليس له إلا باب واحد تمهيداً للتخلص منهم، وبعد ذلك قام بهدم منازل الدرعية وإشعال النيران فيها[٣]، ثم سار ليجهز على سكانها الذين نقلهم إلى ثرمداء في مذبحة شنيعة [٤] عرفت بمذبحة "الحظيرة" نسبة إلى ذلك المبنى الذي استقروا فيه في ثرمداء [٥]، والذي أشبه مايكون

= تركي بن عبد الله على حامية منفوحة ٧ رجب ١٢٣٧هـ. وحيث أن منفوحة بمثابة البوابة الجنوبية للرياض فإن حسين أراد أن تكون خط دفاع عنها ضد تقدم محتمل من الأمير تركي ابن عبد الله من تلك الجهة، كما أن تعاون أمير منفوحة موسى بن مزروع مع الحملات العثمانية قد جعله بحاجة لدعم حسين بك وحمايته من غضب الأهالي، وقد وضعت حامية منفوحة تحت إشراف أبي علي المغربي قائد حامية الرياض، وكانت نهاية هاتين الحاميتين على يد الأمير تركي ابن عبد الله بعد مايقارب ثلاث سنوات. عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/١٦-١٧ .

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٣٠٠.

(٢) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٨٩).
؛ معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٢٢٠).
؛ محافظ بحر برا: محفظة (٧) وثيقة (١١٢).

(٣) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٢٢٠). عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٣٠٠-٣٠١.

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٣٠١ .

(٥) عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٣٩، كما تسميها بعض المصادر العثمانية "الحجيرة" تصغير حجرة وهو مكان إقامتهم. عبد الفتاح أبو علية: دراسة حول المخطوط التركي "حجاز سياحتنامة" الرياض: دار المريخ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٧٠.

بخطائر البهائم، ولم تكن تلك الجريمة الشنعاء نهاية أعمال حسين بك وجنوده الإجرامية؛ فقد اتخذ حسين من ثرمداء مركزاً إدارياً وعسكرياً له وعمل على تحصينها [١]، وبنى فيها قصراً فخماً[٢] ليتخذه مركزاً لتآمره وتخطيطه ضد بلدان نجد الأخرى.

ويذهب أحد المؤرخين إلى القول أن محمد علي باشا قد أوصى حسين بك بمعاملة الأهالي معاملة حسنة واستمالتهم إلى جانبه[٣]، غير أننا لانرجح هذا القول لتعارضه مع سياسة محمد علي باشا التعسفية المعتادة، كما أن حسين بك ليس إلا منفذاً لأوامر سيده ولو كان قد طلب منه ذلك لفعل، بل إن المرجح أن محمد علي باشا هو الآمر لاتخاذ هذه السياسة كما يظهر من عباراته وكلماته الجارحة ضد الدولة السعودية وقادتها في رسائله السابقة.

وعلى أية حال فإن حسين بك قد سلك سياسة تعسفية جائرة ضد أهالي نجد وبلدانها وهو ما أوجد متغيرات تاريخية مهمة من أبرزها:

أولاً: التدهور السياسي للبلاد والذي بدأه حسين بك بتتبع الأمير تركي بن عبد الله من الرياض، وتدمير الدرعية، وزرع حاميات لاهم لها إلا جباية الأموال واستعمال القوة سبيلاً لذلك، كما أن الحملة أدت إلى عودة بعض الأمراء المعارضين للدولة السعودية ومن هؤلاء عبد الله الجمعي أمير عنيزة المعين من قبل إبراهيم باشا، وبمجرد أن عاد الباشا إلى مصر قام الأهالي بطرد الجمعي فلحق بالباشا، ثم عاد إلى نجد إبان حملة حسين بك حيث التقى به في الرياض، وتمت إعادته لإمارة عنيزة بعد مقتل أميرها محمد بن حسن الجمل بتأثير من الجمعي[٤] مما أثار الفتن في عنيزة إلى أن تم مقتل عبد الله الجمعي سنة ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م[٥].

كما أن عودة أمير الرياض السابق ناصر بن حمد قد سهلت مهمة الحملة في الاستيلاء على تلك البلدة والشيء نفسه ينطبق على بقية الأمراء الذين سبق

---

(١) الويس موزل: المرجع السابق، ص ٢٣٠ .

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٣٠٣/١ .

(٣) EL-Batrik: op.cit, P.178.

(٤) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٦٢. محمد المانع: المرجع السابق، ص ٢٣٦ .

(٥) عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٤٣.

إيضاح انضمامهم للحملة وتعاونهم معها.

يضاف إلى ذلك استمرار تعاون بعض أمراء القبائل مع الحملة وقادتها فأصبحوا بمثابة عيون لإبلاغ محمد علي باشا بكل صغيرة وكبيرة في بلدان نجد [١] مماجعله يعمل على إرسال المزيد من القوات إليها.

على أن التدهور السياسي في نجد قد تزايد بشكل مذهل بعد رحيل حسين بك؛ إذ نشبت الصراعات الدامية بين بلدانها، حيث كان الأهالي الذين هربوا إلى خارج نجد سرعان مايأتون للمشاركة في تلك الصراعات ثم يعودون أدراجهم الأمر الذي جعل الفتن مستمرة[٢]، ولم تكن الحاميات التي وضعت في بلدان نجد كالرياض ومنفوحة وثرمداء وعنيزة قادرة على منع المشاكل والحروب بين البلدان في سدير والقصيم والعارض وغيرها من بلدان نجد وإن كانت المشاكل واضحة في سدير أكثر من غيرها؛ وربما يعود ذلك إلى كثرة تدخل الأسر الهاربة من المنطقة إلى بغداد بوجه خاص في شؤون البلدان ومساعدتها لطرف ضد آخر من الأطراف المتنازعة[٣].

ثانياً: التدمير الاقتصادي التام لبلدان نجد، فقد فرض حسين بك على أهالي الوشم مقر إقامته مبالغ كبيرة كضرائب[٤]، كما فرضها على أهالي الرياض ومنفوحة والدرعية من قبل، ثم أرسل عبوش أغا إلى منطقة سدير ومعه حوالي مائة فارس[٥]، حيث فرض على أهلها آلاف الريالات بعد أن قسم البلدان إلى ثلاثة فئات تدفع حسب حالتها المادية مابين أربعة آلاف أو عشرة آلاف أو عشرين ألفاً، وبعد الاستيلاء على الأموال قام عبوش أغا وجنوده بالاستيلاء على حلي النساء، والطعام والسلاح والمواشي بل وحتى الأواني، ولم يقتصر ذلك على

---

(١) Hatt-i Humayun: No. 19557 C.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (٦٠) حمراء. رسالة من محافظ المدينة محرم أغا إلى باشمعاون الجناب العالي حول وضع نجد والأحساء.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٣٠٣/١-٣٠٤، ١٩/٢-٢٠.

(٤) عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٣٩ .

(٥) محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٥٦ .

سدير فحسب؛ بل إن ذلك التنظيم اتخذ كسياسة منفذة في جل بلدان نجد، وكان مصير من لايدفع السجن والتعذيب ومصادرة الأموال إن وجدت[١]، وتنص الوثائق على أن أخذ تلك المبالغ كان بالريال الفرانسي الثمين[٢]، وتبعاً لذلك فقد تمكن حسين بك من جمع مبلغ سبعين ألف ريالاً فرانسياً من القصيم لوحدها، إضافة إلى نحو عشرة آلاف إردباً من الغلال، فأصبح هو وجنوده في رغد من العيش؛ بل إنه ترك بعض ماجمع لخلفه حسن "أبي ظاهر" حين انسحب هو من نجد [٣].

كما لجأ جنود حسين بك إلى قطع النخيل؛ حيث قطعت نخيل بلدة أبا الكباش قرب الدرعية، كما قطعت أكثر من ألف نخلة من بلدان سدير [٤] حتى أن بعض بلدان نجد أصبحت خالية من النخيل [٥].

ثالثاً: التدمير الاجتماعي للبلاد، حيث تفنن جنود حسين بك في استعمال أساليب القتل والتعذيب منذ مذبحة الحظيرة وحتى انسحاب الحملة، ومن أبرز أساليبهم في ذلك كي البطون، والصلب [٦]، والضرب حتى الموت، والقتل بأقدام الخيل، وبالبنادق وغيرها، ولم يسلم من ذلك أحد من فئات المجتمع، وكان لأسرة آل الشيخ نصيبها الوافر من هذا الانتقام، ومن المرجح أن ذلك بسبب كون هذه

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٣٠٢/١ وإلى ذلك يشير الشيخ أحمد بن دعيج قاضي بلدة مراة في الوشم (١١٩٠-١٢٦٨هـ) بقوله:

وسادنا منهم حسين مع حسن	وأتباعهم من نجد يابئس الزمن
تـوازروا بالقتل والمصادرة	الله يكفينا وخـوه باسـرة

محمد الشويعر: من النظم التأريخي...، ص ١٧٣ .

(٢) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٢٢٠).

(٣) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (٨٤) رسالة من محمد علي باشا إلى محافظ مكة حول التعاون مع حسن بك. غرة ربيع الأول ١٢٣٧هـ.

(٤) محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٥٦ .

(٥) Winder: op.cit, P. 56.

(٦) عبد الفتاح أبو علية: حجاز سياحتنامة، ص ٧٠ .

الأسرة أولى الأسر في نجد تضامناً مع آل سعود، والأسرة التي تليها في الأهمية؛ حيث تشكل الأسرتان بذور الدولة السلفية التي لاترغب قوات محمد علي باشا بإعادة بنائها من جديد، وقد تعرض الشيخ عبد العزيز بن سليمان ابن عبد الوهاب للحبس والتعذيب كما نهب بيته، أما القتل فقد كان مصير عدد من أهالي الدرعية وحريملاء وثادق والقصيم وغيرها من بلدان نجد، بل وصل الأمر بحسين بك إلى نبش القبور للتأكد من هويات أصحابها إن كانوا من المتآمرين ضد قواته أم لا؟ [١].

وقد امتدت أعمال القتل والتعذيب إلى النساء والأطفال باعتراف قادة محمد علي باشا أنفسهم، وأدت تلك السياسة التعسفية إلى ردود فعل مختلفة من قبل الأهالي حيث لجأ البعض إلى الهجرة خارج الجزيرة العربية متجهاً إلى العراق وبلدان الخليج العربي[٢]، بينما فضل البعض الآخر الاتجاه إلى الصحراء خاصة من لم تمكنه ظروفه من السفر إلى تلك البلدان البعيدة[٣].

أما القسم الآخر من الأهالي فقد اتخذ موقفاً أكثر إيجابية يتمثل بالصمود ومجابهة العدوان الذي أدى إلى حقدهم وكراهيتهم لمحمد علي باشا وحكمه[٤]، ومن ثم عدائهم للعثمانيين[٥]، وعدم ثقتهم بهم[٦]، مماجعلهم يتحينون الفرص للانتقام من الحملة والمتعاونين معها؛ حيث تعرضت قوات حسين بك التي حاولت الاتجاه لجنوب نجد بحثاً عن الأمير تركي بن عبد الله إلى التضليل من الأهالي حين أرشدوها إلى طريق صحراوي قاحل مما أدى إلى هلاك معظم تلك القوات من

---

(١) عثمان بن بشر : المصدر السابق ١/٣٠٢-٣٠٣ .

(٢) محافظ عابدين: محفظة (١٦٧) وثيقة (١٦٣) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى الباشمعاون، ٢٩ جماد الأولى ١٢٥٥هـ.

(٣) محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٥٥. عبد الفتاح أبو علية: حجاز سياحتنامة، ص ٧٠.

(٤) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٦٣ .

(٥) عبد الفتاح أبو علية: حجاز سياحتنامة، ص ٧٠ .

(٦) محافظ عابدين: محفظة (١٦٧) وثيقة (١٦٣) حمراء .

العطش وتمكن حسين بك من العودة بمن نجا من قواته [١]، وتزايد الموقف العدائي للأهالي ضد تلك القوات مع تزايد بطشها وتعسفها، كما أن المتعاونين مع الحملة لم يسلموا من الانتقام، فقد قتل أمير الحريّق إبراهيم بن يوسف المتعاون مع قوات حسين بك الذي لم يستطع فعل شيء يذكر إزاء تلك الأعمال حيث كان الأهالي يسارعون بنفي أي علاقة لهم بها اتقاءً لشره [٢].

وقد أدت سياسة حسين بك إلى إيجاد شرخ في المجتمع حيث وجد بعض ضعاف النفوس فرصة للانتقام من الموالين للدولة السعودية فأخذوا يرشدون القوات على أماكنهم ويخبرونهم بأحوالهم المادية[٣]؛ أملاً في مصادرة أموالهم؛ مما سبب فتن كثيرة داخل المجتمع الذي ضجر من تلك الأعمال الوحشية للحملة، وحتى لحظة مغادرة حسين بك للبلاد لم يتورع عن ارتكاب تلك الأعمال القمعية فعندما عزم على الرحيل أخذ من كل بلد من بلدان نجد بعض الرهائن ووضعهم قيد الاعتقال في قصر ثرمداء وبقوا فيه حتى قدم حسن "أبو ظاهر" فيما بعد [٤].

رابعاً: محاولة القضاء على الحركة العلمية في نجد حيث عمد حسين بك وقواته إلى تعذيب العلماء وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز بن سليمان بن عبد الوهاب والذي تعرض للضرب وألوان الأذى مما جعله يهاجر من نجد إلى الأحساء ليظل هناك بقية حياته، ولاشك أن هذا قد أدى إلى تقلص عدد العلماء وخوفهم من التعرض لهذه الأعمال الوحشية، والأدهى من ذلك ماقام به جنود حسين بك من مصادرة الكتب وإحراقها دون احترام للعلم والمتعلمين؛ فقد تمت مصادرة مكتبة الشيخ عبد العزيز الضخمة والاستيلاء على مافيها من كتب وإعطائها لبعض العلماء التابعين للحملة والقادمين بصحبتها ثم إحراق بقية تلك المكتبة

---

(١) EL-Batrik: op.cit, P. 178-179.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٣٠٣/١ .

(٣) المصدر السابق ٣٠٢/١ . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي...، ص ١٦ .

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٣٠٣/١ .

النفيسة[1]، كما أفرزت الحملة نتائج أدبية تتمثل بنظم الشعر التأريخي الذي يصور الوضع القائم في نجد وتظهر من خلال هذا الشعر النظرة البغيضة لجميع فئات المجتمع بما فيهم العلماء والقضاة تجاه الحملة وقادتها [2].

وفي خضم هذا الوضع المتردي آثر حسين بك الانسحاب من نجد كما يتضح من خلال رسالة أرسلها إلى محمد علي باشا يخبره فيها بأنه قد أنهى المهمة المنوطة به من ترتيب أحوال نجد والقبض على آل سعود وإرسالهم إلى مصر، ثم أوضح رغبته بالانسحاب والعودة لا إلى المدينة المنورة بل إلى مصر متعللاً بعدة أسباب تبريرية كإصابته بمرض أخذ يتزايد مع مرور الوقت مما يستدعي عودته لتلقي العلاج المناسب، إضافة إلى التعب والأعياء الذي أصاب الفرسان التابعين لقواته بسبب السفر والأعمال العسكرية التي قاموا بها، ومع هذا وذاك كثرة المصروفات التي صرفها على الحملة حيث بلغت سبعين ألف ريال فرانسي والتي لم يمكن تدبيرها إلا بفرض الضرائب على بلدان نجد[3].

ولعل هناك أسباب أخرى دعت حسين بك للانسحاب من نجد مثل الوضع المتردي فيها، إضافة إلى انتشار وباء الكوليرا الذي انتقل إلى الجزيرة العربية من الهند آنذاك وأدى إلى وفاة أعداد كبيرة من أهالي نجد [4]، مما جعل حسين بك يخشى على نفسه وجنوده من انتقال المرض إليهم فطلب الانسحاب.

وقد جاء الرد على طلب حسين بك هذا في رسالة من محمد علي باشا أبلغه فيها أنه يقدر الظروف التي ذكرها، غير أنه لم يؤيد انسحاب الحملة، وإنما يوافق على عودة حسين بك بنفسه ليحل محله قائد آخر هو حسن بك "أبي ظاهر"، وعرض محمد علي باشا على حسين بك إما الانتظار في ثرمداء لحين قدوم حسن بك "أبي ظاهر" لتولي قيادة الحملة، أو تعيين عبوش أغا كقائد مؤقت للحملة ويعود هو إلى المدينة المنورة بصحبة مائة

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٣٠٢/١ . عبد الله بن عبد الرحمن البسام: علماء نجد...، ٤٥٩/٢ .

(٢) محمد الشويعر: من النظم التأريخي...، ص ١٧٣ .

(٣) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٢٢٠).

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق٣٠٤/١. Winder:op.cit,P.56-57 ، Philby:op.cit, P.54.

أو مائتين من الفرسان، ومن ثم يعود إلى مصر بصحبة محمل الحج، كما أفصح محمد علي باشا في رسالته تلك عن رغبته بأن يختار حسين بك الأمر الأول وهو البقاء في ثرمداء لحين قدوم حسن بك "أبي ظاهر"، وعلل ذلك بخبرة حسين بك ومعرفته بأحوال نجد، وضرورة إفهام حسن "أبي ظاهر" مايلزم، ومساعدته على السير بالحملة والقيادة كما ينبغي، وإن تعذر ذلك واختار حسين بك الحل الثاني فإن عليه مقابلة حسن بك "أبي ظاهر" في المدينة المنورة وإفهامه للوضع في نجد وإبلاغه بما يجب عليه فعله كقائد للحملة[١]، ولترغيبه في اتخاذ هذا الحل أنعم عليه بمعطف مطرز بالذهب واللآلئ[٢]، ورغم ذلك إلا أن حسين بك فضل الحل الثاني رغبة بالرحيل من نجد بأسرع وقت حيث تحرك من ثرمداء في الأول من شوال ١٢٣٦هـ[٣]/ ١٨٢١م تاركاً عبوش أغا في ثرمداء ليكون قائداً للقوات لحين وصول حسن بك "أبي ظاهر"[٤].

كما ترك حسين بك قبل خروجه من نجد عدداً من الحاميات الصغيرة في منفوحة والرياض وعنيزة [٥] لتعمل بجانب مركز ثرمداء منعاً لعودة الأمير تركي بن عبد الله والذي تدل الوثائق العثمانية على جهل قادة الحملة بمكان اختفائه رغم الحرص الشديد على القبض عليه والوعود الكثيرة بسهولة وسرعة تحقيق ذلك [٦]، كما أن من أهداف تلك الحاميات تذكير الأهالي بأن محمد علي باشا بالمرصاد لأي حركة تهدف إلى توحيد البلاد مرة أخرى[٧].

على أن النتيجة الأهم التي يخرج بها البحث من خلال تتبع حملة حسين بك

---

(١) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٢٢٠).

(٢) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٢٢١). رسالة من الجناب العالي إلى حسين بك حول الإنعام عليه بمعطف جزاء أعماله.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٣٠٣/١ .

(٤) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٢٢٠).

(٥) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢٢١/١.

(٦) معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (٢٧٨).

(٧) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢٢١/١ .

ونتائجها هي فشل الحملة بتحقيق هدفهـا الرئيـس وهـو القبـض علـى الأمـير تركـي ابـن عبد ا لله وإرساله مقيداً إلى مصر كي تنتهي مسألة نجد تماماً وهو ماكان مخططـاً لـه حـين أرسلت الحمله كما تؤكد الوثائق العثمانية(١).

وحين أسقط في أيدي قادة الحملة وأدركوا أن تفاؤلهم كان ضرباً من الأحلام، لم يجرؤوا عن الإفصاح عن مشاعرهم تلك لمحمد علي باشا، بل إنهم ركزوا في رسائلهم إليه على الأعمال التي قاموا بها في الرياض من قتل عدد بـالغوا في تقديـره إمعانـاً في الخـداع فأوهموا محمد علي باشا أنهم قتلوا مائة وثمـانين رجـلاً مـن أتبـاع الأمـير تركـي، وأنهـم "هدموا قلاع الدرعيـة .."(٢)، ثـم حـاولوا الإشـارة لموضـوع هـرب الأمـير تركـي ابـن عبد ا لله على استحياء موضحـين أن تركـي تغيـب رغـم الحـرص الشـديد علـى القبـض عليه.. ثم أوضحوا لمحمد علي باشا أن مسألة القضاء على التحركات السعودية قد انتهت بمجرد القبض على عدد من آل سعود وإرسالهم إلى مصر (٣)، وأنهٔ لم يبق من آل سـعود سوى الأمير تركي بن عبد ا لله الـذي زعمـوا أنـه "... لم يبـق لـه مجـال للحركـة... ولا احتمال أن يرفع رأسه..." (٤).

والعجيب في الأمر أن محمد علي باشا رغم حرصه الذي أبداه لحسـين بـك بعـدم الانسحاب والعمل على إرسال حسن بك "أبي ظاهر" إلى نجد إلا أنه بعـد رسـالته تلـك بخمسة أيام وجه رسالة إلى الصدر الأعظم يبلغه بما أطلعه عليـه قادتـه مـن "انتهـاء مسـألة نـجـد"(٥).

---

(١) معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (٢٧٨).

؛ Hatt-i Humayun: No. 19557.

؛ Hatt-i Humayun: No. 19557 C.

(٢) معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (٢٧٨).

(٣) محافظ بحر برا: محفظة (٧) وثيقة (١١٨).

؛ محافظ بحر برا: محفظة (٧) وثيقة (١١٢).

(٤) معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (٢٧٨) .

(٥) معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (٢٧٨) .

غير أن الواقع التاريخي قد كذب هذا الادعاء من محمد علي باشا إذ أن تركي ابن عبد ا لله ظل غصة في حلق العثمانيين ومن قبلهم محمد علي باشا الأمر الذي دعاه لإرسال حملة حسن "أبي ظاهر" الجديدة والتي لم تحقق أكثر مما حققته سابقتها ليبقى الرمز السعودي تركي بن عبد ا لله في العمل ضد الوجود العثماني وليحقق الوحدة الوطنية للبلاد، وهو ماتمثل في قيام الدولة السعودية الثانية.

وثمة نتيجة مهمة للحملة وهي استمرار التعاون بين بعض القوى المناوئة للدولة السعودية وفكرة قيامها، غير أن هذا التعاون غلب عليه الطابع الشكلي، خاصة من ولاة بغداد الذين أصبحوا لايرحبون بفكرة التعاون مع محمد علي باشا خوفاً من وصول نفوذه إلى العراق ذاتها، أما أمراء الأحساء فإن الأمير تركي بن عبد ا لله لم يشكل لهم كبير خطر ولذلك فإنهم اكتفوا برسائلهم السابقة إلى الولاة العثمانيين والتي حذروهم فيها من الخطر الذي يشكله الأمير تركي إبان تعاونه مع مشاري بن سعود، والشيء نفسه ينطبق على أمراء الحجاز الذين لم تعد لهم تلك السطوة والأهمية وأصبح دورهم في الأحداث هامشياً بعد أن وقعوا تحت السيطرة الكاملة لحكومة محمد علي باشا، وداخلياً فإن العثمانيين ومحمد علي باشا عملوا ترغيباً وترهيباً لاجتذاب أمراء قبائل نجد إلى جانب حملة حسين بك، وحتى بعد انسحاب حسين بك تم العمل على ضمان تعاونهم مع نفوذ محمد علي باشا لذا قدمت لهم المبالغ المالية المجزية "نظير خدماتهم" [١]، وتنفيذاً لوعود سابقة بمكافأتهم [٢].

وعلى إثر انتهاء دور حسين بك في نجد بدأ دور قائد جديد من قادة محمد علي باشا وهو حسن بك "أبي ظاهر".

---

(١) معية تركي: دفتر (٦) وثيقة (٥٥٦) مكاتبة إلى الخزينة دار لصرف مبلغ مالي لفيصل الدويش، ١٣ شوال ١٢٣٦هـ.

(٢) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٥٣).

ـ حملة حسن بك ((أبي ظاهر)):

يمكن القول أن أسباب قدوم حملة حسن بك "أبي ظاهر" إلى نجد تدور في إطار سياسة محمد علي باشا والدولة العثمانية الرامية لتأكيد السيطرة على نجد والقضاء على كل طموح قد يؤدي إلى قيام الدولة السعودية.

وتتعدد الأسباب المندرجة تحت هذا السبب الرئيسي غير أن أهمها فشل حملة حسين بك السابقة في القضاء على الأمير تركي بن عبد الله [1] الذي خرج من الرياض قبيل قدوم حسين بك بنفسه إليها لتنفيذ تلك المهمة، لذا فإن القلق ظل يساور تفكير محمد علي باشا حيث عمل على إرسال حملة جديدة علها تحقق ماعجز عنه حسين بك، وتبرز إحدى الوثائق العثمانية المؤرخة في السابع من رجب ١٢٣٧هـ هذا الأمر مبينة أن تركي بن عبد الله قد جمع "العربان في نجد" حيث هاجموا حامية منفوحة التابعة لقوات محمد علي باشا وطردوها إلى الرياض مقر الحامية الرئيسية، مما جعل حسن بك "أبي ظاهر" يتجه إلى نجد لدعم تلك القوات التي أرسلت إلى محافظ المدينة المنورة مستنجدة به[2].

ويرى بعض الباحثين أن من أسباب إرسال تلك الحملة الاضطرابات المتجددة في نجد نتيجة لأعمال حسين بك العنيفة فيها، فتحتم إرسال حملة جديدة لإعادة الهدوء إلى بلدان المنطقة ومن ثم محو الآثار التي تركتها الحملة السابقة[3] .

---

(١) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ١٨٤ .

(٢) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (١٩٠). ويذكر عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/١٨-٢٢ أن الأمير تركي بن عبد الله قام بهذا العمل بعد الحملة بسنتين أي في أواخر سنة ١٢٣٩هـ، وهذا يعني احتمالين: إما أن الأمير تركي بن عبد الله عمل ذلك سنة ١٢٣٧هـ ومن ثم تمكنت الحامية من العودة إلى منفوحة، وتكرر ذلك سنة ١٢٣٩هـ، أو أن الأمر التبس على ابن بشر في تحديد تاريخ ذلك الحدث، وربما أن الأمير تركي بن عبد الله قد أخرج الحامية العثمانية من منفوحة سنة ١٢٣٧هـ ثم توقف نشاطه حين قدمت حملة حسن "أبي ظاهر"، وحين غادرت تلك الحملة نجداً في النصف الثاني من سنة ١٢٣٨هـ بدأ الأمير تركي بن عبد الله باستعادة نشاطه لحصار منفوحة مرة أخرى ومن ثم القيام سنة ١٢٤٠هـ بحصار الرياض، حيث يتضح من كلام ابن بشر عن هذا العمل أن هناك فترة زمنية بين حصار منفوحة وحصار الرياض.

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي...، ص ١٧. محمد السلمان، الأحوال السياسية...، ص ٦٥.

أما الوثائق العثمانية التي تعبر عن وجهةنظر محمد علي باشا في تحديد أهم أهداف تلك الحملة فقد أظهرت الرغبة الأكيدة في الحصول على مقادير كبيرة من المغانم والأموال من بلدان نجد تحت مسمى الزكاة بمقدار ستين ألف ريالاً فرانسيا[١]، وتنظيم الأحوال الإدارية والسياسية فيها، إضافة إلى إخافة القبائل وإلقاء الرعب في نفوسها كي لاتتجرأ على التمرد ورفض دفع الزكاة مستقبلاً، ومن ثم العمل على ضم بلدان نجد وقبائلها وإخضاعها لإمارة الحجاز التابعة لحكومة محمد علي باشا، والتقدم إلى بعض بلدان نجد التي لم يسبق مهاجمتها من قبل تلك الحملات مثل جبل شمر التي رأى محمد علي باشا أنه لابد من تعيين محافظ عليها مقره حائل مع تزويده بما يلزم من الجنود[٢]، ولعل مادفعه لاتخاذ هذا الموقف تخوفه من أن تكون المنطقة ملجأ للهاربين من سلطته كما حدث من مشاري بن سعود من قبل خاصة في ظل رفض قبائل تلك المنطقة الخضوع لحكومته.

ويضاف إلى تلك الأهداف رغبة محمد علي باشا في معرفة أحوال ولاية بغداد في ظل اضطراب علاقتها بفارس، وذلك بواسطة بعض الأهالي في منطقتي القصيم وجبل شمر الذين لهم علاقات مع كثير من المقيمين في بغداد، وقد أوصى محمد علي باشا محافظ المدينة المنورة بالاهتمام بهذا الأمر وموافاته بالنتائج عاجلاً [٣]،الأمر الذي يدل على اهتمام محمد علي باشا بمنطقة الخليج العربي وظهور أطماعه التوسعية فيها.

على أن مسألة جمع الزكاة ورد المظالم التي صاحبت حملة حسين بك ظلت هي فقط الأهداف المعلنة من قبل قادة حملة حسن "أبي ظاهر" [٤] وذلك بغرض اجتذاب المؤيدين من الأهالي للحملة أو على الأقل ضمان عدم معارضتهم لها.

---

(١) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (١٨٩) مكاتبة إلى محافظة المدينة بشأن جباية الزكاة من نجد، ١٠ رجب ١٢٣٧هـ.

(٢) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (٢٨٧) أمر صادر إلى محافظ المدينة بشأن الاستيلاء على موقق من قرى جبل شمر، ٩ شوال ١٢٣٧هـ.

(٣) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (٤٦) مكاتبة إلى محافظ المدينة للبحث عن النجديين ذوي الصلة ببغداد، ١١ ربيع الأول ١٢٣٧هـ.

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٣٠٦/١ .

ولتحقيق تلك الأهداف تم تكوين حملة قوامها ثمانمائة فارس [١]، وروعي أن يتم إرسال المزيد من المدد إليها بحيث يرسل مايقارب أربعمائة فارس [٢]، وثلاثمائة من الجنود المغاربة بقيادة أبي علي المغربي [٣]، على أن ينضم إلى تلك القوات حين تصل نجداً الفرسان والمشاة الذين بقوا من قوات حملة حسين بك الذي عاد إلى المدينة المنورة ومعه مابين مائة إلى مائتين من الفرسان تاركاً القيادة لعبوش أغا[٤].

وهكذا تضاعف قوام الحملة عن سابقتها مما يدل بلاشك على تزايد اهتمام محمد علي باشا بأمور نجد، وإن كان قد برر كثرة قوات الحملة بعدم تعود أهل نجد على دفع المقادير المحددة بستين ألف ريال من الزكاة، وأنه بدون هذه الأعداد من الجنود يصبح من العسير استحصالها منهم [٥].

وقد عين لقيادة تلك القوات حسن بك "أبو ظاهر" حاكم بلدة البحيرة في مصر وأمين ملابس الجيش "جاوشوي" والذي تقرر إرساله من مصر بزفقة محمل حج عام ١٢٣٦هـ[٦] ليحل محل حسين بك في قيادة الجيش بل وفي منصب محافظ المدينة المنورة

---

(١) محمد الفاخري: المصدر السابق، ص١٦٠. عثمان بن بشر: المصدر السابق ٣٠٦/١.

(٢) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (١٨٩).

(٣) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (٤٦). وقد ذكر عثمان بن بشر: المصدر السابق ٣٠٣/١ أن المغربي عين قائداً لحامية الرياض التي وضعها حسين بك سنة ١٢٣٦هـ، ومن المحتمل أن يكون المغربي قد عاد إلى المدينة ثم أرسل بمزيد من المدد لدعم حسن أبي ظاهر، ثم استقر في رئاسة حامية الرياض حتى أخرجه الإمام تركي منها سنة ١٢٤٠هـ.

(٤) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٢٢٠).

(٥) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (١٨٩).

(٦) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٢٢٠). ولقب "أبو ظاهر" يرد في المصادر المحلية فقط، عثمان ابن بشر: المصدر السابق ٣٠٦/١، بينما يرد اسمه في الوثائق العثمانية "حسن بك" دون لقب "أبي ظاهر": معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٢٢٠).

؛ معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (٣٥٢) مرسوم عربي إلى مشعان بن هذال لحثه على التعاون مع حسن بك، ٤ ذي الحجة ١٢٣٧هـ نقلاً عن: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي...، ص٤٨.

؛ معية تركي: دفتر (٣) وثيقة (١١٣) من محمد علي باشا إلى والي الشام حول فصل حسن بك من منصبه، ٧ شوال ١٢٣٨هـ.

بالنيابة[١].

وقد تسنى لحسن "أبي ظاهر" الاطلاع على أحوال نجد بواسطة سلفه وبأمر من محمد علي باشا[٢]، وقبل أن ينطلق "أبو ظاهر" بحملته تلقى التوصيات من محمد علي باشا باتباع سياسة جديدة تقوم على التودد للأهالي وعدم استعمال الشدة وذلك بهدف اجتذابهم[٣] وعدم إثارتهم ضد الحملة وهذا مايفسر سياسة التدين واللين التي أظهرها حسن بك حين وصل نجد [٤].

ولدعم موقف حسن "أبي ظاهر" وحملته طلب محمد علي باشا من أحمد باشا والي الحجاز تزويده بكل مايحتاجه والإيعاز لبقية المسؤولين في الحجاز بذلك الأمر[٥]، كما تم إجراء اتصالات مع عدد من أمراء القبائل لحثهم ترغيباً وترهيباً على دعم الحملة ومساندتها، وهي نفس السياسة التي سار عليها محمد علي باشا في حملاته السابقة والرامية أيضاً إلى الاتصال والتنسيق مع بعض أمراء بلدان نجد لاتخاذ نفس الموقف من الحملة، وتبعاً لذلك تم التنسيق مع أمراء قبيلة حرب [٦]، وقبيلة عنزة[٧]، وأمراء البلدان في كل من عنيزة والرياض ومنفوحة [٨].

ولقد سلكت الحملة نفس خط سير ماسبقها من حملات منطلقة من المدينة المنورة

---

(١) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (٣٥٢).
؛ معية تركي: دفتر (٣) وثيقة (١١٣).
؛ معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٢٢٠).
(٢) معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٢٢٠).
(٣) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (١٨٩).
(٤) عثمان بن بشر : المصدر السابق ٣٠٦/١.
(٥) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (٤٦).
(٦) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (١٩٢). مكاتبة عربية إلى غانم بن مضيان، ٧ رجب ١٢٣٧هـ.
(٧) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (٣٥٢) .
(٨) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٣٠٦/١-٣٠٧، ويحدد مقبل الذكير: تاريخ ... (مطالع السعود) ٨٢/١ وصول الحملة إلى الرس في بداية سنة ١٢٣٧هـ، بينما يتضح من الوثائق أن فعاليات الحملة بدأت في ربيع الآخر ١٢٣٧هـ. معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (٨٤) .

عبر الحناكية حتى وصلت إلى الرس ليبدأ حسن بك "أبو ظاهر" أعماله حيث أرسل إلى حامية ثرمداء وأمر بإطلاق سراح المساجين في قصرها الذين احتجزهم حسين بك قبل رحيله، كما أعلن وهو في الرس أنه سيعمل جاهداً لرد المظالم على أصحابها وأنه لايريد سوى تحصيل الزكاة الشرعية؛ وهو بذلك يهدف إلى تطمين الناس وكسبهم إلى جانبه، كما حاول إيجاد ثغرة في صفوف المجتمع بالتفريق بين البادية والحاضرة حين أعلن أنه سيقاتل البادية لأخذ الزكاة منهم، وأنه سيرد المظالم إلى الحاضرة [١].

وتبعاً لذلك قام بهجوم على قبيلة عتيبة بتحريض من محمد علي باشا الذي لم يقتنع بالمقدار الذي دفعته تلك القبيلة من الزكاة، غير أن السبب الرئيسي لهذا الهجوم عدم مساندة زعماء هذه القبيلة للحملة بخلاف الحملات السابقة؛ لذلك فإنه أمر باستحصال الزكاة منها بالقوة[٢]، وقد شن حسن بك "أبو ظاهر" هجوماً على قبيلة عتيبة واستولى على كثير من الماشية مما أدى إلى "استكانة القبائل .."، كما هاجم عناصر من قبيلة عنزة[٣] رغم ماسبق من اتصالات مع زعماء هذه القبيلة الأمر الذي يدل على عدم اقتناع ورضا تلك القبائل وزعمائها بدعم تلك الحملات فعلياً وإنما دعاهم إلى الاستكانة فقط الخوف من بطش وظلم قوات محمد علي باشا.

ومن الواضح أن الحملة قد ركزت نشاطها على منطقة القصيم والمناطق القريبة منها وتعلل الوثائق ذلك بغنى المنطقة الاقتصادي والأمل بالحصول على كثير من الأموال والمحاصيل منها أسوة بما عمله حسين بك من قبل [٤]، ومن هنا فإن حسن بك "أبا ظاهر" سار من الرس واستقر في عنيزة لتنضم إليه بعض قوات حسين بك الموجودة هناك[٥]، في ظل ضمان موقف أميرها عبد الله الجمعي الموالي للحملة ولذلك لم يجد

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٣٠٦/١ .

(٢) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (٣٢٦) أمر إلى محافظ مكة بشأن أخذ الزكاة من قبيلة عتيبة، ٩ ذي القعدة ١٢٣٧هـ.

(٣) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (١٩٠).

(٤) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (٨٤) .

(٥) مقبل الذكير: العقود الدرية...، ورقة ٥٦ .

حسن بك صعوبة تذكر في دخول البلدة.

ومن عنيزة كتب حسن بك "أبو ظاهر" إلى أمراء بلدان نجد وأمرهم بالوفود إليه[1]، فاضطر بعضهم لذلك ومنهم مزيد بن حمد أمير المجمعة وسويد بن علي أمير جلاجل وغيرهما[2]، وبذلك استتب الأمر للحملة داخل نجد، كما أن الحملة حظيت بدعم أمراء بني خالد الذين أبدوا استعدادهم لخدمة محمد علي باشا ودعم حملة حسن بك "أبي ظاهر" وهو الأمر الذي كان محمد علي باشا يدركه ويأمله [3] نظراً للمصالح المشتركة بين الجانبين.

أما موقف والي بغداد فلاشك أنه موقف تأييد للحملة بصفته والياً عثمانياً يهمه مايهم السلطان العثماني رغم تخوفه من تقدم محمد علي باشا إلى الخليج العربي، خاصة مع ما أبداه والي مصر من اهتمام بالوضع المتأزم بين بغداد وفارس.

ولاشك أن التأييد الذي لقيته الحملة سواء من عناصر داخل نجد أو خارجها قد شجع حسن بك "أبا ظاهر" على التحول إلى سياسة عنيفة ظالمة خلافاً لما أبداه من لين وتدين في سابق أمره، ومما دفعه إلى ذلك تشجيع محمد علي باشا في رسالته التي أرسلها إليه في رجب ١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م وحثه فيها على معاقبة من يقاوم الحملة من أهل البلاد ومعاقبته بما يستحقه من العقاب[4].

ومن هنا فإن أبا ظاهر سلك سياسة عسكرية جديدة عنيفة قسم قواته لتنفيذها في أنحاء نجد إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول بقيادة موسى كاشف أحد قادته ومعه ثمانون فارساً وعدد من أمراء بلدان نجد وقد اتجهوا إلى المجمعة وبقية بلدان سدير، حيث اتخذوا من المجمعة مركزاً لعملياتهم.

القسم الثاني بقيادة أخيه إبراهيم كاشف وقد اتجه إلى الرياض حيث استقر بها في

---

(١) محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٦٠ .

(٢) عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٤٠ .

(٣) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (٣٥٢) .

(٤) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٦٦ .

ظل دعم من حاميتها وحامية منفوحة اللتين وضعهما حسين بك [١].

أما القسم الثالث فكان بقيادة حسن بك "أبي ظاهر" نفسه واتجه به إلى جبل شمر لمطاردة قبيلة عنزة التي لجأت إلى الجبل [٢]، ولوضع الترتيب الإداري المطلوب في المنطقة بناءً على توصيات محمد علي باشا[٣].

وبذلك أشعل حسن بك "أبو ظاهر" الأوضاع في كافة أنحاء نجد عن طريق فرق جيشه المختلفة الأمر الذي أدى إلى تدهور عام ونتائج سيئة يمكن تحديدها بما يلي:

١- ارتكاب أعمال العنف ضد أمراء ووجهاء البلدان النجدية الذين لم ينضموا إلى الحملة حيث أقدم موسى كاشف ومن معه على قتل حمد بن ناصر وإبراهيم ابن حمد من زعماء المجمعة وقتل أمير بلدة الجنوبية في سدير، كما قامت القوات الموجودة في ثرمداء بمحاربة أمير جلاجل سويد بن علي الذي رفض دفع الأموال لقوات الكاشف غير أن سويد صمد للهجوم مما جعل قادة الحملة يعقدون الصلح معه ثم يعودون إلى ثرمداء [٤].

٢- ارتكاب المذابح الوحشية ضد الأهالي في سدير [٥]، غير أن الفرقة التي اتجهت إلى حائل كانت الأعنف والأكثر وحشية حيث تذكر الوثائق العثمانية أن حسن بك "أبا ظاهر" قد قتل مايزيد على أربعمائة رجل من قبيلة عنزة بعد قتال استمر ثلاث ساعات معها، وحين هرب كثير منهم إلى قرية موقق* حاصرهم فيها، وقتل منهم مابين ثمانين [٦] إلى ستين رجلاً [٧].

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/١٠٦-١٠٧ .

(٢) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (٢٨٧) .

(٣) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (١٩٠).

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٣٠٧-٣٠٨ .

(٥) المصدر السابق ١/٣٠٧ .

* قرية تقع في سفح جبل أجا من الناحية الغربية غرب قفار، وتبعد عن حائل ٧٥ كيلاً غرباً. حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (شمال المملكة)، ج٣، الرياض: دار اليمامة، د.ت.ن، ص١٢٨٩.

(٦) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (٢٨٧) .

(٧) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١/٣٠٧، ويقدرهم إبراهيم بن ضويان: المرجع السابق، ورقة =

٣- التدمير الاقتصادي للأهالي والبلدان؛ حيث تم الاستيلاء على أموال الأهالي في سدير، كما أن حسن بك "أبا ظاهر" طالب أهالي جبل شمر بدفع الزكاة لأربع سنوات ماضية (١٢٣٤-١٢٣٧هـ) وهو ما أثقل كاهل الأهالي[١]، كما استولى على إبل البادية، وباعها على أهالي الجبل بضعف ثمنها بالإكراه، ثم فرض عليهم الضرائب، وأجبرهم على دفعها بالقوة وتحت التهديد [٢]، ولم يكتف بذلك بل قام بقطع أشجار النخيل وإتلاف البساتين كما تشير الوثائق العثمانية والتي تبين قيامه بفرض تعهد على أهالي الجبل يلزمهم بموجبه بدفع الزكاة بشكل مستمر[٣]، وحين عاد "أبو ظاهر" إلى عنيزة فرض ضريبة باهضة على أهلها، وأصر على استحصالها بالقوة؛ مما دفع الأهالي إلى الثورة ضده [٤].

٤- فرض السيطرة على عدد من البلدان في سدير والوشم وجبل شمر حيث جعلت حائل مقراً لعلي أغا وإسماعيل كاشف اللذين عينا كمحافظين لهذه البلدة، وزودا بما يحتاجانه من العساكر وبمدفع جبلي [٥]؛ ليتمكنا من توطيد الحكم العثماني في المنطقة، كما تم تزويد حامية الرياض ببعض الجنود المغاربة [٦].

٥- استمرار تعاون بعض زعماء القبائل وأمراء البلدان في نجد مع الحملة خاصة في ظل الخوف مما يراه أولئك المتعاونين بأعينهم من بطش وجور، لذا فإن فيصل الدويش أمير قبائل مطير وناصر بن حمد أمير الرياض وموسى بن مزروع أمير منفوحة كانوا ممن اتخذ هذا التوجه[٧].

= ١٧ بسبعين قتيلاً.

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٣٠٧/١ .

(٢) مقبل الذكير: العقود الدرية...، ورقة ٥٦ .

(٣) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (٢٨٧).

(٤) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٦٧ .

(٥) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (٢٨٧).

(٦) معية تركي: دفتر (١٤) وثيقة (٤٤٦) رسالة من الجناب العالي إلى حسن أغا الغرلي حول وضع الجنود في الرياض، ١١ ذي القعدة ١٢٣٩هـ.

(٧) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٣٠٧/١ .

٦- حاول محمد علي باشا الاستفادة من تغلغل قوات حسن بك "أبي ظاهر" التي يقودها إبراهيم كاشف إلى جنوبي نجد وذلك للضغط على بعض المناطق لدفع الزكاة؛ فقد طلب من والي الحجاز أحمد باشا التنسيق مع حسن بك للتضييق على أهالي وادي الدواسر وقبيلة قحطان لاستحصال الزكاة منهم بالقوة وذلك بحصارهم من الشرق والغرب عن طريق الحجاز ونجد [(١)]، ومن المرجح أن تغلغل قوات إبراهيم كاشف إلى جنوبي نجد باتجاه الحائر كان بهدف تحقيق الهدف الأهم للحملة وهو القضاء على الأمير تركي بن عبد الله الذي هرب من الرياض سابقاً.

٧- إزاء تلك الأعمال الظالمة للحملة وقادتها قام عدد كبير من الأهالي بالهرب من بلدانهم إلى خارج الجزيرة العربية متجهين إلى الكويت والبحرين وعمان والبصرة وسوق الشيوخ وبغداد، وهو ماحدث أيضاً إبان حملة حسين بك، الأمر الذي يدل على تشابه الحملتين في القسوة واضطهاد الأهالي، كما زاد ذلك من الشعور بعدم الثقة والاطمئنان إلى حملات محمد علي باشا التي قدمت فيما بعد وذلك كما جاء على لسان قادة محمد علي باشا أنفسهم[(٢)].

أما القسم الآخر من الأهالي فقد اتخذ موقفاً أكثر إيجابية تمثل بالصمود ومجابهة قوات الحملة بأقسامها؛ وتمكنوا من تحقيق نتائج حاسمة وكبيرة بشكل لم يسبق له مثيل، ولذا فإن قوات موسى كاشف حين حاولت مهاجمة بادية قبائل السهول في رجب ١٢٣٧هـ اصطدمت بمقاومة بطولية من رجال تلك القبائل الذين هزموا القوات العثمانية، وقتلوا موسى الكاشف نفسه وعدد من قادته، بينما هرب البقية إلى المجمعة [(٣)].

ولم يكن أخوه إبراهيم بأحسن حظاً منه ذلك أنه حين انطلق من الرياض ومعه قائد حاميتها أبو علي المغربي إلى جنوب نجد لمهاجمة بلدانها كالخرج وغيرها

---

(١) معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (٣٢٦).

(٢) محافظ عابدين: محفظة (١٦٧) وثيقة (١٦٣) حمراء.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٣٠٦/١ .

وذلك في ذي الحجة ١٢٣٧هـ اصطدم بقوات سبيع قرب الحائر، وتمكنت قوات سبيع من إلحاق هزيمة نكراء بقوات إبراهيم كاشف وقتله مع أكثر من ثلاثمائة من قواته مابين فارس وراجل، ليس هذا فحسب بل إن قوات سبيع تمكنت من قتل أبرز المتعاونين مع الكاشف وهو أمير الرياض ناصر بن حمد [(١)].

وإزاء تلك الانتصارات البطولية تشجعت بلدان نجد لمقاومة الحملة التي يقودها حسن بك "أبو ظاهر" نفسه؛ فحين عاد من حائل إلى مقره في عنيزة ثار عليه الأهالي وقابلوه بالسلاح، ورغم محاولة "أبي ظاهر" الصمود، واستدعاء حامية ثرمداء للاستعانة بها لمواجهة الثورة إلا أن مساعيه فشلت بسبب إصرار الأهالي وتصميمهم على طرده، وحين وصلت حامية ثرمداء كان الأهالي قد أخرجوه من البلدة [(٢)]، بعد أن طلب الأمان، ورغم إبقاء "أبي ظاهر" لستمائة من جنوده بقيادة محمد أغا في قصر الصفا كرمز للوجود العثماني في عنيزة، ومحاولته تعزيز تلك القوات بقوات إضافية من مصر بواسطة أبي علي المغربي قائد حامية الرياض[(٣)] وذلك إتقاء لغضب محمد علي باشا إلا أن الأهالي لم يقبلوا بقاء أولئك الجنود فاشتبكوا معهم في قتال عنيف استخدم فيه الجنود المدافع غير أن الأهالي تمكنوا من قتل مايقارب السبعين من الجنود مما جعلهم يطلبون الأمان فوافق أهل عنيزة على منحهم الأمان مقابل رحيلهم النهائي من نجد، وهدم ذلك القصر باعتباره رمزاً للوجود العثماني في بلادهم، وتم ذلك بالفعل في شهر رجب من عام ١٢٣٨هـ[(٤)]، وهكذا كانت المقاومة المحلية هي وسيلة طرد الحملة من نجد، ولم يبق منها سوى حاميتي الرياض ومنفوحة اللتين يشرف عليهما أبو علي

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٣٠٧/١. عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٤١، ويقدر إبراهيم ابن ضويان: المرجع السابق، ورقة ١٧ القتلى من قوات إبراهيم كاشف بثمانمائة جندي.

(٢) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٦٧-٦٨ .

(٣) محافظ بحر برا: محفظة (٨) وثيقة (٧٤) رسالة من حسن باشا محافظ المدينة إلى الجناب العالي، ١٤ محرم ١٢٣٨هـ.

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٧/٢، ويعلل عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة ...، ٢٢٢/١ هدم القصر بالرغبة بمنع استعماله ضد الأهالي وبلدتهم من قبل القوات العثمانية مستقبلاً.

المغربي[١].

٨- سجلت الحملة إخفاقاً وفشلاً ذريعاً لحسن بك "أبي ظاهر" قائد الحملة ومحافظ المدينة المنورة بالنيابة الذي لم يحقق شيئاً يذكر، بل انتهى به الأمر بخروج مهين من نجد، ولم تلبث القوات التي تركها في قصر الصفا أن لحقت به[٢]، وبقيت حاميتا الرياض ومنفوحة تعانيان الضيق وانعدام المؤن[٣]،والأهم أن "أبا ظاهر" لم يحقق الهدف المنشود بالقبض على الأمير تركي بن عبد الله، بل إنه لم يعرف له طريقاً؛ لذلك فإن "أبا ظاهر" تعرض لغضب محمد علي باشا وعقابه، فقرر فصله من وظيفته كمحافظ للمدينة المنورة وعين مكانه أوزون علي رئيس الأدلاء[٤]، ولاشك أن هذا القرار المتزامن مع سلبية فعاليات الحملة يدل على فشلها وعدم رضا سادتها عما حققته.

ومن أدلة فشل الحملة ما أعقبها من أوضاع سيئة في بلدان نجد حيث لم تستطع إخماد الفتن والثورات في نجد بل زادتها، واستمرت منازعات بلدان سدير خاصة في جلاجل [٥]، كما أن بلدان نجد ثارت على أمرائها المتعاونين مع الحملة حيث قام يحيى آل سليم يسانده أهالي عنيزة بقتل عبد الله الجمعي أمير البلدة الموالي لمحمد علي باشا، ثم تولى يحيى الإمارة بدلاً منه[٦].

والعجيب في الأمر نشوب النزاع والحروب بين حلفاء القوات العثمانية والمتعاونين معها؛ فقد نشبت حرب عنيفة بين أمراء بني خالد في الأحساء بقيادة ماجد ابن

---

(١) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٦٨ .

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٧/٢ .

(٣) معية تركي: دفتر (٢١) وثيقة (٣٨) رسالة من الجناب العالي إلى محافظ المدينة بشأن حالة أبي علي المغربي في الرياض، ١٥ شعبان ١٢٤٠هـ.

؛ معية تركي: دفتر (٢١) وثيقة (١١٨) رسالة من الجناب العالي إلى البك كتخدا بشأن أبي علي المغربي في الرياض، ٥ شوال ١٢٤٠هـ.

(٤) معية تركي: دفتر (٣) وثيقة (١١٣).

(٥) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٩/٢ .

(٦) عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٤٣ .

عريعر من جهة وبين فيصل الدويش أمير قبائل مطير من جهة أخرى، ولعل الدافع إلى هذا الصراع التنافس بين الطرفين ومحاولة كل منهما تحقيق مطامع ومكاسب سياسية في بلدان نجد وباديتها لملء الفراغ الذي تركته قوات حسن بك "أبي ظاهر" بعد رحيلها، خاصة أن تاريخ المعركة التي وقعت بين الجانبين يتزامن تماماً مع رحيل القوات التي تركها أبو ظاهر في قصر الصفا بعنيزة، وقد نتج عن المعركة هزيمة أمراء بني خالد، واستيلاء خصمهم على الكثير من الأموال والحلي والأمتعة[١].

وقد استمر النزاع بين القبائل في نجد خاصة قبائل مطير وعنزة وحرب؛ مما يدل على الفوضى السياسية التي جاءت كنتيجة للحملة الفاشلة، ومن الملاحظ أن بقايا الجنود العثمانيين ظلوا يشاركون في هذه النزاعات مساندين لحليفهم فيصل الدويش [٢].

٩- كان لفشل الحملة نتيجة مهمة وهي أن محمد علي باشا قد ساوره الشك في مقدرة قواته العسكرية التي أخفقت في تحقيق أهدافه في الجزيرة العربية، ولذلك فإنه بدأ منذ ذلك الوقت بالعمل على تكوين جيش منظم على الطراز الحديث يكون قوامه العناصر المصرية، ويكون تدريبه على يد ضباط أوربيين، بدلاً من جيشه السابق الذي كان يعتمد في تدريبه على الضباط المماليك [٣].

١٠- ضاعفت الحملة من كره الأهالي للهيمنة العثمانية في نجد، وأصبح الناس يتطلعون لعودة الدولة السعودية السلفية والتخلص من نفوذ محمد علي باشا الذي بقي في الرياض ومنفوحة [٤]، ومما زاد من هذا الشعور لدى الأهالي أن تلك الحملة لم تتمكن من الأمير تركي بن عبد الله الرمز والأمل لهؤلاء الأهالي، ومن هنا يمكن

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٧/٢، وتسمى تلك المعركة معركة الرضيمة.

(٢) المصدر السابق ٢٦/٢ .

(٣) عمر طوسون: الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٣٨، ٤٦-٤٧.

(٤) محمد السلمان: الوجود الأجنبي في نجد، ص ٦٨ .

القول أن الحملة الفاشلة تلك قد جاءت بنتيجة عكسية إيجابية على نجد حيث أتاحت الفرصة للأمير تركي بن عبد الله للظهور على مسرح الأحداث من جديد في صراعه مع الحاميتين العثمانيتين ليبدأ صفحة سياسية جديدة في نجد تمثلت بقيام الدولة السعودية الثانية.

وهكذا يتبين لنا ومن خلال هذا الفصل ظهور نشاط القوى المناوئة للدولة السعودية ومحاولاتها المختلفة في منع إعادة بناء الدولة السعودية في وسط نجد؛ فقد شهدت الفترة التي أعقبت نهاية الدولة السعودية الأولى عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م ولمدة ست سنوات تالية نشاطاً مكثفاً من قبل القوات العثمانية القادمة من مصر إلى نجد بدعم وإشراف من السلطان العثماني نفسه، وبتأييد حسي ومعنوي من أمراء بني خالد وولاة العراق وأمراء الحجاز، حيث تزامن إرسال الحملات العسكرية من قبل حكومة محمد علي باشا في مصر مع ظهور أي تحركات لتوحيد نجد خاصة إذا كان القائم بتلك التحركات شخصية من آل سعود الذين لم ينس السلطان العثماني ورجاله ماسببوه من قلق وإزعاج سابق للدولة العثمانية من وجهة نظر العثمانيين.

وقد حظيت شخصية الأمير تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود باهتمام عثماني كبير حيث كان هدفاً رئيسياً لحملات محمد علي باشا، وفي الوقت نفسه فإنه حظي بدعم ومؤازرة الأهالي الذين ساندوه ووقفوا معه ضد تلك الحملات، ومع ذلك فقد حفلت تلك الفترة باضطرابات سياسية بالغة ونزاعات حول الحكم بين الأمراء في المنطقة والقوات العثمانية التي تحاول إخضاع أولئك الأمراء لسلطتها.

وكان أمراء بني خالد من المبادرين بالتدخل في شؤون نجد وشن الحملات عليها منعاً لتوحيدها، ومن ثم امتداد نفوذها إلى الأحساء نفسها وتهديد إمارتهم، وبذلك كانت بداية حملات تلك القوى المناوئة من جانب أمراء الأحساء، وحين أدركوا عجزهم عن السيطرة على تلك التحركات في نجد أخذوا يؤلبون حلفاءهم العثمانيين لتولي المهمة مبدين ولاءهم واستعدادهم للتعاون مع أي جهد ونشاط يتخذ في هذا السبيل، لذا قام العثمانيون بتولي زمام الأمر وإرسال حملاتهم إلى نجد من الغرب مستفيدين من قوة والي مصر ومن خضوع الحجاز له في هذا الجانب، بينما لم يأت من الشرق سوى حملة ماجد

ابن عريعر أمير الأحساء.

ومن المؤكد أن أمراء الحجاز قد ساهموا بإثارة السلطان ضد محاولات مشاري ابن سعود، غير أن دورهم أصبح هامشياً بسبب هيمنة محمد علي باشا على كامل الأوضاع السياسية والإدارية في الحجاز، حيث أصبح واليها أحمد باشا هو محور الأحداث والقرارات، وكان حلقة الوصل بين محمد علي باشا وحملاته في نجد، بل كان الداعم والعقل المفكر لها، كما أن منصب محافظ المدينة المنورة كان بعهدة إبراهيم باشا، غير أن وجود إبراهيم باشا في مصر جعله يعين أحد القادة نيابة عنه في هذا المنصب، وكان المعين في الغالب قائد عسكري يعمل محارباً في نجد أكثر من أعماله الإدارية في المدينة المنورة.

وقد اتحد هدف محمد علي باشا والي مصر مع هدف داود باشا والي بغداد للعمل سوياً تنفيذاً لرغبة السلطان العثماني بمنع أية وحدة وطنية في نجد باعتبارهما واليين يعملان بخدمة السلطان، بينما لم يكن لوالي الشام دور يذكر في هذا المجال.

وهكذا لم يكن هدف حملات محمد علي باشا البناء، وإصلاح الأحوال الداخلية لنجد، بل كان الجيش يأتي للسلب والنهب، ومصادرة الأموال والحريات، والانتقام، والإبادة عبر حملات متتابعة تعمل لنفس الهدف [(١)]، دون بذل أي جهد لإقامة حكومة منظمة، وكانت تلك القوى المناوئة تفتقر للقوة التي تمكنها من التغلب على المقاومة المحلية مما جعلها مضطرة في النهاية للاكتفاء بوضع حاميات صغيرة في بعض بلدان نجد كرمز لوجودها، حيث بقيت القوات المناوئة في مأمن من الهزائم النكراء مادامت داخل أسوار البلدان، أما حين تخرج خارجها فإنها تنكشف على حقيقتها وتتعرض لأشد العناء[(٢)].

وقد شهدت نجد سنة ١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م أقسى فترات الاحتلال العثماني متمثلاً بحملة حسين بك الذي ارتكب أبشع الأعمال وأكثرها وحشية، ثم حل محله سنة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م خلفه حسن "أبو ظاهر" الذي لم يكن أخف منه وطأة على البلاد والعباد[(٣)]، وهو مايؤكد أن عدم وجود سلطة قوية في نجد تخلف الدولة السعودية الأولى

---

(١) مقبل الذكير: العقود الدرية...، ورقة ٣٦ .

(٢) Winder: op.cit, P. 158.

(٣) يذكر أحمد شلبي: المرجع السابق، ص ١٦٢ أن سنة ١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م شهدت انسحاب -

أدى إلى نشوب الفتن، كما أن الحملات تلك أثبتت أن إدارة محمد علي باشا في نجد أضعف من أن تدير الأمور بنجاح، بل إنها زادت الأمر سوءاً فأفسدت الأخلاق، وحاربت الدين وتعاليمه، وفتكت بعلمائه، وزاد من تلك المساويء وجود عناصر غير إسلامية ضمن تلك الحملات عملت لنقل فسادها الأخلاقي والديني إلى مجتمع نجد.

وقد عملت القوات العثمانية في تلك الفترة على احتذاب زعماء القبائل وأمراء البلدان للعمل بجانب الحملات وذلك عن طريق ترغيبهم بالمكافآت، أو ترهيبهم باستعمال القوة ضدهم، حيث كان هؤلاء الزعماء والأمراء بين أمرين "أحلاهما مر" مما اضطر البعض إلى تنفيذ ذلك المطلب بينما صمد البعض الآخر وقاتل ضد الحملات غير أن الفريق الأول كان أكثر أثراً في مجريات الأحداث.

وهكذا تميزت حملات محمد علي باشا ضد محاولات إعادة بناء الدولة السعودية على يد مشاري بن سعود وتركي بن عبد الله باتصالها واستمرار بقائها في نجد بحيث أن انسحاب الحملة يقتصر على عودة القائد وأعداد طفيفة من القوات بينما يبقى الجيش الرئيسي في نجد انتظاراً لقدوم القائد الجديد وحملته لتنضم إليه، كما ترتب على وجود تلك الحملات نتائج سلبية كبيرة على كافة الأصعدة دينياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً وعلمياً، غير أن الأثر البالغ كان فيما يتعلق بالوضع السياسي المتدهور الذي خلفته هذه الحملات العسكرية، إضافة إلى التشتت الاجتماعي الناتج عن هجرة كثير من الناس إلى خارج الجزيرة العربية.

ورغم ماحل بنجد في تلك الفترة من نكبات ورزايا إلا أن أثر دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب بقي ماثلاً؛ خاصة في ظل التأييد المطلق لآل سعود من قبل الأهالي؛ مما أتاح الفرصة لعودة الحكم الشرعي المتمثل بالدولة السعودية الثانية على يد الأمير تركي ابن عبد الله بن محمد بن سعود الذي بدأ العمل لتوحيد بلاده، وإنهاء الوجود العثماني في نجد متمثلاً بحاميتي الرياض ومنفوحة.

= القوات المصرية نهائياً من نجد. وهذا خلاف الواقع كما تبين من توالي الأحداث السيئة على نجد في تلك السنة.

الفصل الثاني

قيام الدولة السعودية الثانية (١٢٤٠هـ - ١٢٤٩هـ/ ١٨٢٥ - ١٨٣٣م) وموقف القوى المناوئة

المبحث الأول: الإمام تركي بن عبد الله وصراعه مع الحاميات العثمانية وإقامة الدولة.

المبحث الثاني: اتصالات الإمام تركي بن عبد الله مع والي بغداد وموقف محمد علي باشا منها.

المبحث الثالث: حملة محمد بن عون على نجد (١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م).

المبحث الرابع : موقف أمراء بني خالد والمتعاونين معهم من قيام الدولة السعودية الثانية.

المبحث الخامس : توقف نشاط محمد علي باشا مؤقتاً ضد نجد.

*** الإمام تركي بن عبد الله وصراعه مع الحاميات العثمانية وإقامة الدولة:**

أتاحت الهزائم المتلاحقة لحملة حسن بك "أبي ظاهر" وانسحابها من نجد الفرصة للأمير تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود للظهور من جديد [1] في الساحة السياسية والعمل عسكرياً ضد الحاميات التي تركها قادة محمد علي باشا في نجد خاصة في الرياض ومنفوحة.

فبعد غياب قارب السنتين (١٢٣٦-١٢٣٨هـ/ ١٨٢١-١٨٢٣م) ظهر الأمير تركي في بلدة الحلوة * جنوبي نجد في رمضان ١٢٣٨هـ [2]/ ١٨٢٣م وقد عقد العزم على طرد القوات العثمانية واستعادة ملك آبائه، ومما شجعه على ذلك توقف حملات محمد علي باشا ضد نجد منذ رحيل بقية جنود حسن "أبي ظاهر" في رجب من تلك السنة، واقتصار وجود القوات العثمانية على حاميتي الرياض ومنفوحة.

ورغم قصر الفترة بين رحيل القوات العثمانية وتحرك الأمير تركي إلا أن براعته السياسية هي التي دعته لاتخاذ هذا القرار؛ لأنه أدرك من خلال تتابع تلك الحملات أن نشاط محمد علي باشا في نجد آخذ في التقلص بدليل سحب حملة حسن "أبي ظاهر" خلافاً لما هو معتاد من إرسال قائد جديد بقوات إضافية تنضم لقوات القائد السابق حينما يعود إلى مصر، في حين انسحب "أبو ظاهر" دون قدوم خليفة له.

ومما شجع الأمير تركي أيضاً على اتخاذ ذلك القرار ماوصل إلىمسامعه من أعمال

---

(١) لم تحدد المصادر المحلية المكان الذي بقي فيه الأمير تركي بن عبد الله منذ أن ترك الرياض أثناء حصار قوات حسين بك لها، غير أن "عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٦/٢" ذكر أنه بدأ حركته ضد الحاميات العثمانية المتبقية في نجد منطلقاً من بلدة الحلوة جنوبي نجد . ويذكر "أمين الحلواني: المصدر السابق، ص ١٠٤" أنه ظل متنقلاً بين القرى والقبائل حتى بدأ حركته لتوحيد البلاد، مما يعني أنه ظل في جنوبي نجد البعيدة عن أنظار قوات محمد علي باشا والتي فشلت في معرفة مكانه والقبض عليه، رغم محاولاتها التقدم إلى تلك المناطق بحثاً عنه.

* الحلوة من بلدان حوطة بني تميم جنوبي نجد وهي تتبع لمنطقة الرياض. حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (المعجم المختصر)، ج١، ط١، الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ٣٤٦.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٦/٢.

وحشية منكرة ارتكبتها قوات محمد علي باشا [١] ضد أهالي نجد وبلدانها مما جعله يشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه لحماية أنصاره من ذلك الاضطهاد؛ خاصة مع مايذكره بعض الباحثين من تلقي الأمير تركي لكثير من طلبات النجدة والاستغاثة من قبل أولئك الأنصار[٢]؛ الأمر الذي يدل على معرفتهم بمكان وجوده، وتخطيطه المسبق معهم لطرد القوات العثمانية، مما يعني أن مقاومة قبائل سبيع والسهول وأهالي عنيزة السابقة ضد حسن بك "أبي ظاهر" وقواته قد تمت بإيعاز ودعم من الأمير تركي إبان وجوده في جنوبي نجد.

وقد أدرك الأمير تركي أن الفرصة أصبحت سانحة له كي يستعيد حكم آبائه وأجداده خاصة حين أصبحت حاميتا الرياض ومنفوحة معزولتين، واقتصر الدعم الذي تتلقيانه على بعض البلدان داخل نجد، ولذا توجه الأمير تركي بن عبد الله إلى عرقه الواقعة بين الرياض والدرعية[٣] ومعه ثلاثون رجلاً، وحين استقر بها قدم إليه أنصاره من بلدان نجد، فأعلن الحرب ضد القوات العثمانية الموجودة في نجد[٤]، وتحديداً في الرياض ومنفوحة، غير أن الهجوم الذي قام به الأمير تركي على الرياض لم يكتب له النجاح بسبب تراجع بعض قواته[٥]، إضافة إلى حصول حامية الرياض على دعم حامية منفوحة،

---

(١) EL-Batrik: op.cit. P.175.

(٢) Winder: op.cit. P.61.

(٣) محمد السلمان: الأحوال السياسيه.. ص ٦٩، ويأتي اختيار الأمير تركي لعرقة إلى قربها من حاميتي الرياض ومنفوحة اللتان عزم على محاربتهما، كما أن موقع عرقة إلى الشمال من هاتين الحاميتين سيمكن الأمير تركي من منع وصول الإمدادات الجديدة إليهما من الحجاز، إضافة إلى أن كثرة أنصاره في البلدان القريبة من عرقة خاصة في الوشم وسدير جعلته يختارها مركزاً له.
ويذكر البعض أن الأمير تركي تمكن من قتل أمير عرقة المؤيد لقوات محمد علي باشا ، مما ساهم بتزايد المؤيدين له.منير العجلاني: الإمام تركي بن عبد الله...، ص ٩.

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٦/٢ .

(٥) عبدا لله بن محمدالبسام: تحفة المشتاق..،ورقة ٢٤٣-٢٤٤،ويعلل "Winder:op.cit.P.60."، فشل الهجوم بحصانة الرياض، إلا أن ذلك لم يمنع الأمير تركي وقواته من السيطرة عليها بعد فترة وجيزة.

ولذا فإن الأمير تركي قرر التراجع إلى عرقة لترتيب أوراقه من جديد، غير أن فشل ذلك الهجوم شجع حاميتي الرياض ومنفوحة على أخذ زمام المبادرة بشن هجوم على عرقة ذاتها، وقطع نخيلها مع مطلع سنة ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م، لكن الأمير تركي تمكن من الصمود أمام ذلك الهجوم وإرغام القوات المهاجمة على العودة إلى أماكنها، ومع ذلك استمرت حالة الحرب بين الطرفين [١].

وقد حاول الأمير تركي صرف جهوده لجمع شتات بلدان نجد والاستفادة من قواتها لطرد الحاميتين، ولذا فإنه قرر السيطرة على ضرما وتمكن من ذلك بعد قتل أميرها المتعاون مع قوات محمد علي باشا [٢] والتي كانت قد أبقت بعض الجنود لديه [٣].

ومن ضرما انطلق الأمير تركي لتوحيد بلدان سدير المتنازعة وتمكن من إيقاف الحرب الداخلية بينها، وانضم إليه أهاليها ليعود من جديد لقتال قوات محمد علي باشا[٤]، ومما زاد من قوته استيلائه على كثير من الأسلحة التي تركتها حملات محمد علي باشا في المنطقة [٥]، فقرر الأمير تركي استخدامها ضد هذه الحاميات.

ولقد أدرك الأمير تركي ببراعته السياسية والعسكرية أن عليه أولاً التخلص من حامية منفوحة كي لاتكون مصدر قوة ومدد للحامية الرئيسية في الرياض، لذا فقد زحف بقواته إلى منفوحة أواخر سنة ١٢٣٩هـ/١٨٢٤م[٦] منطلقاً من حريملاء، ومن الواضح أنه تمكن من تفادي الاصطدام بحامية الرياض في طريقه لمنفوحة، ومما ساعده على ذلك نقص المدد والمؤن الذي تعانيه تلك الحامية حيث تفيد الوثائق العثمانية أن قوات أبي علي

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٨/٢ .

(٢) المصدر السابق : ١٨/٢، ويذكر " محمد الفاخري: المصدر السابق، ض ١٦٠" أن استيلاء الأمير تركي على ضرما كان سنة ١٢٣٧هـ قبل استيلائه على عرقة. ولكن ذلك لايمكن الأخذ به لأن السنة المذكورة كانت تمثل ذروة وجود قوات محمد علي باشا متمثلة بحملة حسن "أبي ظاهر" مما دعا الأمير تركي إلى الاستمرار متوارياً في جنوبي نجد.

(٣) منير العجلاني: الإمام تركي بن عبد الله...، ص ٦- ٧ .

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٢٠-٢١ .

(٥) Winder: op.cit. P.62.

(٦) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/٢٢٣ .

المغربي ظلت منذ محرم من تلك السنة دون الحصول على شيء من المخصصات المرسلة من مصر والحجاز؛ الأمر الذي جعل أبا علي المغربي يلح كثيراً بطلب المساعدة من المسؤولين هناك[(١)].

ولم تكن حامية منفوحة بمنأى عن ذلك الوضع، لذا فإن أمير البلدة إبراهيم ابن سلامة بن مزروع أدرك ضعف موقفه فلم يبد أي مقاومة بل أعلن استسلامه وبايع الأمير تركي، بينما لاذت قوات الحامية العثمانية بالهرب شمالاً لتنضم إلى حامية الرياض القريبة[(٢)]، وبذلك تم القضاء على المعقل الأول من معاقل القوات العثمانية في نجد.

وفي شهر محرم سنة ١٢٤٠هـ/[(٣)] ١٨٢٤م زحف الأمير تركي إلى الرياض واشتبك مع جاميتها بقيادة أبي علي المغربي، وقد نتج عن هذا الاشتباك سقوط بعض القتلى من الطرفين، ثم لجأ الأمير تركي إلى حرب اقتصادية ضد الحامية ومن معها، حيث قام بصرم محصول النخيل ليكون مؤونة لقواته هو وليحرم أعداءه منه، الأمر الذي أضعف موقف البلدة فحوصرت الحامية في قلعتها لمدة شهر[(٤)] ظل خلاله أبو علي المغربي يواصل رسائله إلى محمد علي باشا والمسؤولين في الحجاز طالباً النجدة والدعم [(٥)]، وقد

---

(١) معية تركي: دفتر (٢١) وثيقة (١١٨).

؛ معية تركي: دفتر (٢١) وثيقة (٣٨).

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٢/٢، ويذكر كل من عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي .. ص ٢٣، ومحمد السلمان: الأحوال السياسية .. ص٦٩ نقلاً عن محافظ المدينة المنورة في إحدى رسائله إلى محمد علي باشا: معية تركي: دفتر (١٠) وثيقة (١٩٠) أن مما ساعد الأمير تركي على إخضاع منفوحة اتحاد العربان معه. ومع أن اتحاد بلدان نجد مع الأمير تركي كان من أسباب انتصاره، إلا أن الوثيقة المذكورة لاتخص تلك الفترة بل هي تتحدث عن سبب إرسال حملة حسن "أبي ظاهر" قبل سنتين وتحديداً في ٧ رجب ١٢٣٧هـ كما هو تأريخ الوثيقة، بينما كان ضم الأمير تركي لمنفوحة في أواخر عام ١٢٣٩هـ.

(٣) عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٤٧ .

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٣/٢ .

(٥) معية تركي: دفتر (٢١) وثيقة (٣٨).

؛ معية تركي: دفتر (٢١) وثيقة (١١٨).

اضطرب موقف بعض زعماء القبائل في نجد فقاموا بإبلاغ محمد علي باشا بالوضع، وطلبوا منه سرعة حسم الأمر (١).

وعلى الرغم من انشغال محمد علي باشا وقواته في تلك الفترة بحروب اليونان وجزر البحر المتوسط حيث كان السلطان العثماني قد استنجد به وأصدر فرماناً بتعيين ابنه إبراهيم باشا والياً على كريت ومورة منذ رجب ١٢٣٩هـ/ ٦ مارس ١٨٢٤م(٢) إلا أن محمد علي باشا من جانبه حرص كثيراً على دعم حامية الرياض بعد أن أحس بالخطر الذي يشكله الأمير تركي عليها منذ سيطرته على منفوحة حيث أرسل محمد علي باشا رسالة إلى محافظ المدينة المنورة علي أغا بتاريخ ١١ ذي القعدة ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٤م يطلب منه دعم ومساعدة أبي علي المغربي الموجود بالرياض "بأي وسيلة كانت" (٣)، كما طلب منه بواسطة حسن أغا الغرلي المعين بمعيته تنفيذ ذلك والذهاب بنفسه إلى نجد إذا لزم الأمر، غير أن المحافظ المذكور لم يبد تجاوباً سريعاً مع طلب محمد علي باشا، وأبلغ الغرلي بأن تجاوز الحناكية تجاه نجد أمر يقتضي استئذان محمد علي باشا رسمياً، وبتصرف ذاتي من الغرلي قام بإرسال سليمان أغا وعيسى أغا إلى الحناكية ليكونا على مقربة من الوضع في نجد وليعملا على إخراج المغربي من وضعه الحرج (٤).

وعلى أية حال فقد انحصر عمل هذين القائدين في الاتصال ببعض القوى المناوئة للدولة السعودية في نجد لدعم المغربي وحاميته؛ لذا فقد تحركت قوات فيصل الدويش لفك الحصار عن الرياض الأمر الذي جعل الأمير تركي يتراجع إلى عرقة (٥)" بمنتهى

---

(١) معية تركي: دفتر (١٤) وثيقة (٢١٤). رسالة من الجناب العالي إلى محافظ المدينة المنورة بشأن أحداث نجد، ٣ صفر ١٢٣٩هـ.

(٢) عايض الروقي: حروب محمد علي ...، ص ٣٨ .

(٣) معية تركي: دفتر (١٤) وثيقة (٤٤٧) رسالة من الجناب العالي إلى علي أغا محافظ المدينة المنورة حول طلب مساعدة حامية الرياض، ١١ ذي القعدة ١٢٣٩هـ.

(٤) معية تركي: دفتر (١٤) وثيقة (٤٤٦) رسالة من الجناب العالي إلى حسن أغا الغرلي رئيس الدليلان بمعية محافظ المدينة المنورة، ١١ ذي القعدة ١٢٣٩هـ. ورغم معرفة محافظ المدينة ومن معه ببعد الحناكية عن نجد إلا ان انتقال سليمان أغا وعيسى أغا إليها كان للظهور أمام محمد علي باشا بمظهر المنفذين لطلبه بدعم حامية الرياض.

(٥) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٢٣ .

الحكمة" [١]، وبعد أن ارتحل الدويش بقواته عن الرياض سارع الأمير تركي بقوة فاعلة وأطبق عليها، وحاصرها بشكل أقوى، وحينئذ تزايدت طلبات المغربي ورسائله إلى محمد علي باشا والذي بدوره كرر أوامره لمحافظ المدينة المنورة علي أغا بمساعدة المذكور[٢]، وطلب إمداد المغربي لا بالطعام فقط بل بالسلاح والذخيرة والنقود وختم رسالته بضرورة العمل على "سلامة وراحة أبي علي وجنوده" [٣].

بيد أن المصادر المعاصرة ومجريات الأحداث لم تشر إلى أي دعم عسكري أرسل للحامية المذكورة؛ مما جعل الأمير تركي بن عبد الله يواصل حصاره لحامية الرياض، وإزاء ذلك أرسل إليه أبو علي المغربي في طلب الصلح، فوافق الأمير تركي على ذلك شريطة أن يرحل المغربي وقواته من نجد، وأن يؤمن الأمير تركي أهل الرياض وأميرها[٤]، وقد كلف الأمير تركي مشاري بن ناصر بن مشاري بن سعود بدخول الرياض وضبطها، والتحقق من تنفيذ أبي علي المغربي للشروط، بينما قرر هو الاطمئنان والتأكد من الموقف في بعض بلدان نجد التي كانت مقراً للحملات؛ حيث اتجه إلى ثرمداء للحيلولة دون دخول المغربي لها وبالتالي تحصنه فيها واكتسابه القوة من جديد، فاستقبله أميرها سلطان العنقري ورحب به وبايعه على السمع والطاعة، ثم صحبه إلى شقراء[٥] لمراقبة رحيل

---

(١) Winder:op.cit. P.63 . بينما يذكر عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٤٧ أن من في الرياض هم الذين طلبوا من الدويش النجدة، وسواء كان الطلب من قادة محمد علي باشا في الحناكية أو من قادته في الرياض فإن الأمر انتهى برفع الحصار عن البلدة، ويبرر البعض موقف الدويش برغبته التقرب من العثمانيين وطمعه بإمارة نجد. "منير العجلاني، الإمام تركي بن عبد الله ... ص١١٢"، لكن المعروف من الأساليب التي تتبعها قوات محمد علي باشا مع زعماء القبائل ترهيباً وترغيباً هو السبب لاسيما في ظل رغبة الدويش باستمرار العوائد المادية التي كان قد منحه إياها إبراهيم باشا بشكل سنوي."محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (١٣٥) حمراء".

(٢) معية تركي: دفتر (٢٢) وثيقة (٥٥) من المعية إلى محافظ المدينة المنورة حول طلب مساعدة أبي علي أغا وقواته في الرياض، ١٦ رجب ١٢٤٠هـ.

(٣) معية تركي: دفتر (٢١) وثيقة (٣٨).

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٣/٢.

(٥) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٤/٢، مقبل الذكير: العقود الدرية ...، ورقة ٥٧-٥٨ .

قوات المغربي وحمايتها حين تمر بالوشم في طريقها إلى المدينة المنورة[١]، وعلى إثر ذلك تم القضاء نهائياً على أي وجود لقوات محمد علي باشا بشكل رسمي، وهو إيذان بإقامة الدولة السعودية الثانية على يد الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود.

ومن الواضح أن خروج قوات المغربي من نجد قد بعث اليأس في نفوس أولئك المتعاونين معها، فبدأوا بالعمل لتحقيق مكتسبات مادية حتى ولو كان ذلك على حساب من شاركوهم دعم قوات محمد علي باشا؛ لذا فإن فيصل الدويش زعيم مطير سرعان مااصطدم بمشعان بن هذال زعيم عنزة، وكان الدويش يحظى بوجود بعض بقايا جنود محمد علي باشا ضمن جيشه، إلا أن ذلك لم يرجح كفته بالتفوق على ابن هذال الذي حقق انتصاراً كبيراً على خصمه رغم أنه قتل في تلك المعركة على يد أحد الجنود العثمانيين المصاحبين للدويش [٢].

وواصل الإمام تركي بن عبد الله طريقه بنجاح لإعادة حكم آبائه وأجداده وإقامة الدولة السعودية الثانية، وقد ساعده في ذلك وقوف كثير من أهالي وأمراء بلدان نجد إلى جانبه الأمر الذي مكنه في أقل من عامين من جلاء قوات محمد علي باشا من أخذ بيعة جميع البلدان النجدية[٣] في وقت خلت بلدان نجد من أية حامية عثمانية[٤].

من هنا نستطيع القول أن هناك عوامل عدة ساعدت الإمام تركي بن عبد الله في إعادة بناء الدولة، واستطاع هو أن يستفيد منها بنجاح تام، ومن أبرز تلك العوامل مايلي:

أولاً: الدعم الكبير الذي لقيه من أهالي وزعماء بلدان نجد المختلفة منذ أن كان يعمل بجانب ابن معمر ومشاري ابن سعود، ولاشك أن ذلك الدعم نتيجة لما يكنه

---

(١) منير العجلاني: الإمام تركي بن عبد الله.. ص ١١٥. وتشير الوثائق العثمانية إلى أن أبا علي المغربي قد توفي في ينبع البحر في طريق عودته إلى مصر وذلك سنة ١٢٤٣هـ. معية تركي: دفتر (٣١) وثيقة (٥٨) من الجناب العالي إلى محافظ المدينة المنورة حول وفاة أبي علي المغربي، ٢٢ جمادى الأولى ١٢٤٣هـ.

(٢) عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٤٨-٢٤٩ .

(٣) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/٢٢٤.

(٤) ج.ج لوريمر: المرجع السابق ١٦٣٢/٣ .

الأهالي من حب وولاء للأسرة السعودية التي عرفوها من خلال الدولة السعودية الأولى، وعرفوا إخلاصها وعملها لخدمة المصلحة العامة، وخدمة الدعوة السلفية التي لاتزال مبادؤها راسخة في النفوس.

ولاشك أن هذا الموقف من الأهالي ناتج أيضاً عن تطلعهم إلى زعامة قوية تجمع الشتات، وتحقق الوحدة، وتكفل لهم سبل العيش الكريم، بعدما أصابهم وأصاب بلادهم من محن ومآس حلت بهم منذ نهاية الدولة السعودية الأولى.

ثانياً: الصفات الشخصية للإمام تركي بن عبد الله حيث تمتع بشخصية نادرة وصفات قيادية عظيمة [١] تمثلت بالبعد عن الأنانية، والمطامع الذاتية، والعمل لخدمة البلاد والعباد، واتضح ذلك للناس منذ أن عمل الإمام تركي مع ابن معمر ثم مشاري ابن سعود، وساعدهما دون مطالبة بمكتسبات لشخصه، وحين بدأ العمل في المرحلة الأخيرة عرفه الناس عن قرب، وعرفوا مدى مايتمتع به من شجاعة وإقدام اتضحت كثيراً خلال سيطرته على ضرما، كما عرفوا براعته العسكرية حين تراجع من حصار الرياض إلى عرقة على إثر قدوم الدويش بقواته لنجدة المغربي ومن معه، وبجانب تلك الشجاعة والبراعة فإن مايملكه الإمام تركي في شخصيته من "سحر مغناطيسي جذاب، وهالة بطولية..." [٢] قد جمع الناس حوله فأدركوا أنه الشخصية المؤهلة لإخراجهم مما هم فيه من محن وويلات.

ثالثاً: القسوة والفضاضة التي اتصفت بها حملات محمد علي باشا العثمانية ضد نجد؛ الأمر الذي ولّد كراهية الأهالي لتلك الحملات ومن يتعاون معها، لذا عملوا على مقاومتها بشتى الوسائل والسبل[٣].

رابعاً: انشغال محمد علي باشا بحروب أخرى في أوربا جاءت متزامنة مع تحركات الإمام تركي بن عبد الله لإقامة الدولة السعودية الثانية[٤]، مما أتاح الفرصة للإمام

---

(١) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/٢٢٤ .

(٢) Philby: op.cit. P.158.

(٣) مستور الجابري: المرجع السابق، ص ٣٢ .

(٤) عايض الروقي: حروب محمد علي ...، ص ٣٨ .

تركي بن عبد الله أن يستغل هذا الموقف ويزيد من قوته وضغطه على حاميات محمد علي باشا.

خامساً: الضعف الذي عانته الحاميات العثمانية المتمركزة في الرياض ومنفوحة؛ وذلك بسبب الحصار الخانق الذي فرضه الإمام تركي بن عبد الله عليها، ورغم استنجاد قادة تلك الحاميات بمحمد علي باشا وقادته في الحجاز إلا أن الوضع ازداد سوءاً وظل الجنود في عناء، مما شجع الإمام تركي بن عبد الله على مواصلة عمله البطولي لأنه أدرك أن تلك الحاميات هي "أعجز من أن تتصدى لعزيمته وطموحاته..." ومن هذا المنطلق عمل لإخراجها من بلاده واسترداد ملك آبائه وأجداده وإنشاء دولته [١].

وهكذا انتهى ذلك الصراع الطويل بين الإمام تركي بن عبد الله وقوات العثمانيين وحامياتهم بنصر مؤزر للإمام تركي ورجاله، وتم تأسيس الدولة السعودية الثانية بشكل فعلي [٢] بعد معاناة البلاد من الأوضاع السيئة لما يقارب الست سنوات، حيث كانت أوضاعها تلك أكبر دافع للإمام تركي بن عبد الله لإنجاز ماأنجزه، فنتج عن ذلك ميلاد الأمة من جديد وانصلحت أحوالها الفاسدة [٣] واتحدت للعمل حفاظاً على ماتحقق.

---

(١) عايض الروقي: حروب محمد علي ...، ص ٢١٢ .

(٢) تمت مناقشة مسألة المؤسس الحقيقي للدولة السعودية الثانية باستفاضة من قبل كثير من الباحثين، والمرجح أن الإمام تركي بن عبد الله هو المؤسس الحقيقي للدولة. ولمزيد من المعلومات انظر: عبد الله العثيمين: بحوث وتعليقات...، ص ٥١-٥٢، منير العجلاني: الإمام تركي ابن عبد الله...، ص ٢٧ ومابعدها، محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ص ٧١-٧٤، عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ١٧٦، عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ٤٠-٤١، محمد جلال كشك، المرجع السابق، ص ٢٣٥. رأفت الشيخ: في تأريخ العرب الحديث. ط٤، القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٣م، ص ٢١٠.

(٣) وإلى ذلك يشير الشيخ أحمد بن دعيج قاضي بلدة مراة آنذاك بقوله :

فانتدب الشهم الموفق تركي ... وجرد الأجرب نظام الملكي

وأورد الأعدا بحار الهلك ... وقض من نجد قصور الترك

فانصلحت به الأمور الفاسدة ... وأرغم الله تعالى حاسده

انظر: محمد الشويعر: " من النظم التأريخي..." ص ١٧٣.

كما أصبح ثمة تغيير في الوضع السياسي حين حلت الرياض كعاصمة جديدة بدلاً من الدرعية التي عانت من التدمير العثماني على مدى الحملات المتتابعة، ورغم أن ابن معمر قد عمل على بنائها إلا أن عمله كان أشبه بالترميم دون الأخذ بالتنظيم العسكري المستند على الحصون والأبراج [(١)]، ومع ذلك قام حسين بك بهدم مابناه ابن معمر، لذا فإن الدرعية لم تعد العاصمة المناسبة؛ خاصة أنها قد ترسخت في أذهان قادة الحملات العثمانية كمقر ومركز لآل سعود ودولتهم السياسية[(٢)]، فأراد الإمام تركي بن عبد الله إبعاد أنظار العثمانيين عن دولته، وذلك باتخاذ عاصمة جديدة هي الرياض القوية التحصين، الكثيرة المزارع [(٣)]؛ ليبدأ منها العمل على توطيد حكمه، وتوسيع ملكه، ويحاول قبل هذا وبعده ترسيخ علاقاته مع القوى المجاورة التي عملت على محاربة دولة آبائه من قبل عله بذلك يتمكن من ضمان سكوتها وعدم إثارتها للمشاكل بوجهه وإذا كان محمد علي باشا منشغلا بحروب خارجية، فمن الضروري كسب وضمان موقف ولاة بغداد العثمانيين تجاه الدولة الناشئة.

---

(١) بنوا ميشان: عبد العزيز آل سعود سيرة بطل ومولد أمة. ترجمة عبد الفتاح ياسين، بيروت: دار الكاتب العربي، د.ت.ن، ص ٤٤.

(٢) دلال السعيد: المرجع السابق، ص ٥١ .

(٣) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/٢٢٠ .

*** اتصالات الإمام تركي بن عبد الله مع والي بغداد وموقف محمد علي باشا منها:**

لقد أدرك الإمام تركي بن عبد الله أن دولته لن يكتب لها الاستقرار والاستمرارية ما لم يتم وضع حد للعدوان العثماني المتمثل بحملات محمد علي باشا المتكررة ضد نشاطاته والمدعومة ولو شكلياً بجهود الولاة العثمانيين في العراق، ومن ورائهم السلطان العثماني الذي كان يساند تلك الحملات بكل قوة، ومن هنا فإن الإمام تركي بن عبد الله وبمجرد سيطرته على بلدان نجد وضع من أولويات سياسته الخارجية التفاهم مع العثمانيين ولو لفترة مؤقتة ليتمكن من ترسيخ حكمه، وجمع قواه، وبالتالي يصبح مؤهلاً لصد أي عدوان عثماني متوقع خاصة مع إدراكه أن العثمانيين لن يدعوه وشأنه.

ففي سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٦م أرسل الإمام تركي رسالة إلى والي بغداد العثماني داود باشا الذي عرف بمواقفه العدائية ضد الدولة السعودية الأولى، وضد محاولات تكوين الدولة السعودية الثانية، كما كان له دور في دعم سيطرة أمراء بني خالد على الأحساء، والتأليب لتجريد الحملات العثمانية لمنع قيام الدولة السعودية، وقد طلب الإمام تركي في رسالته تلك من داود باشا أن يسعى لتعيينه أميراً على نجد من قبل العثمانيين؛ كي يمنع الاضطرابات القائمة بها بين القبائل الأمر الذي سيؤدي إلى تقليل الخطر المتوقع على الحجاج خلال سيرهم إلى مكة المكرمة من جراء تلك الاضطرابات، كما برر الإمام تركي أيضاً ذلك الطلب بأن الحتمية السياسية تقتضي تعيين أمير على نجد من أهلها ليلقى القبول والطاعة، وذكر أنه أهل لهذا المنصب[١].

ويلاحظ من رسالة الإمام تركي أنه لم يعلن الإذعان والخضوع للسلطان العثماني أو الدولة العثمانية بشكل عام وإنما أوضح أن تعيينه في هذا المنصب فيه مصالح للدولة العثمانية نفسها؛ ومن أهمها حفظ الأمن في نجد، وضمان سلامة الحجاج المسلمين الذين يتحمل العثمانيون مسؤولية حمايتهم، وهذا يتناقض مع ماذكره

---

(١) وثائق عثمانية: ٥/١-٩٢ دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من محمد علي باشا إلى السلطان العثماني حول طلب تركي بن عبد الله إمارة نجد، ١٥ ذو الحجة ١٢٤١هـ.

؛ معية تركي: دفتر (٢٢) وثيقة (٤٢٣)، رسالة من محمد علي باشا إلى وكيله لدى الباب العالي، ١٦ ذي الحجة ١٢٤١هـ.

البعض من أن الإمام تركي اعترف رسمياً بسيادة العثمانيين في تلك المرحلة من إقامة دولته [(١)].

وعلى أية حال فإن الإمام تركي بن عبد الله قد أرسل رسالتين أخريين بنفس المضمون إحداهما إلى والي الحجاز أحمد باشا، والأخرى مرفق بها هدية عبارة عن عشرين رأساً من الخيل إلى محمد علي باشا في مصر[(٢)]، ومن المؤكد أن الإمام تركي ابن عبد الله حين اتخذ تلك الوسيلة أراد كسب كل الأطراف إلى جانبه كي يضمن دعم أحدها على الأقل.

وفيما يتعلق بموقف والي بغداد فقد أحال رسالة الإمام تركي تلك إلى السلطان العثماني الذي أحالها عن طريق الصدر الأعظم إلى محمد علي باشا بصفته مسؤولاً عن شؤون الحجاز ونجد كي ينظر في الأمر ويبدي رأيه فيه[(٣)]، وعند ذلك الحد انتهى دور داود باشا، ولم يبد أي موقف إيجابي تجاه طلب الإمام تركي، واكتفى بعرض الرسالة دون توصية برفض أو قبول، واستقرت الرسالة على إثر ذلك في القاهرة بدلاً من بغداد .

أما والي الحجاز أحمد باشا فالوثائق تفيد بأنه اتخذ موقفاً عدائياً تجاه طلب الإمام تركي حين رفض الطلب وأساء معاملة حامل الرسالة متعللاً بأن الإمام تركي بن عبد الله إنما أراد الاحتيال والمناورة للحصول على الموافقة على طلبه كي يتمكن من فرض سيطرته على نجد[(٤)]، وفي نفس الوقت فإن أحمد باشا أرسل الرسالة الخاصة بمحمد علي باشا إليه

---

(١) عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ٤٠، بينما تشير الوثائق إلى أن الإمام تركي ذكر في رسالة أرسلها إلى أمير عسير سعيد بن مسلط أن هدفه من مراسلاته مع العثمانيين كسب الوقت وجمع القوة. محافظ بحر برا: محفظة (٩) وثيقة (٦٦) رسالة من أحمد باشا يكن محافظ مكة إلى صاحب الدولة حول اتصالات ثورة عسير بالإمام تركي.

(٢) محافظ عابدين: محفظة (٢) وثيقة (٢٠) رسالة من محمد علي إلى أحمد باشا للرد على رسالة الإمام تركي وإبلاغه بضرورة القدوم إلى مصر والإقامة فيها، ١٨ جمادى الثانية ١٢٤٢هـ. نقلاً عن عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: من وثائق ...، ١/٥٥٦.

(٣) معية تركي: دفتر (٢٢) وثيقة (٤٢٣).

؛ وثائق عثمانية: ٥/١-٩٢ دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

(٤) معية تركي: دفتر (٢٢) وثيقة (٤٢٣).

؛ وثائق عثمانية: ٥/١-٩٢ دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

فعرضت عليه الرسالتان في آن واحد، إحداهما القادمة من الحجاز والأخرى من الاستانة وكلاهما من الإمام تركي بن عبد الله، وقد رد محمد علي باشا على الرسالة القادمة من الاستانة بأنه لايوافق على موضوع تعيين الإمام تركي أميراً على نجد متعللاً بعدم مصداقيته في الخضوع للدولة العثمانية وبأنه يميل "للقسوة والتمرد والتفرد.." ولذا فإنه "لايجوز الاعتماد عليه" لأنه "كسائر مشايخ الأعراب..."، كما أوضح محمد علي باشا في رده للصدر الأعظم أن انشغاله حالياً بحروب المورة يقتضي تأجيل البت بموضوع إمارة نجد إلى وقت آخر، ولذا فإن الواجب أن لايرد داود باشا على طلبه ولايلتفت إليه[١].

أما رسالة الإمام تركي الأخرى المرسلة عن طريق والي الحجاز فلم يكن الرد عليها بأحسن من سابقتها، حيث طلب محمد علي باشا من أحمد باشا إعادة موفد الإمام تركي وهديته إليه، وإبلاغه برفض طلبه، وأن عليه الحضور إلى مصر والإقامة فيها " قليلاً ليشاهد شوكة الدولة العلية بواسطة مصر ثم ليدَّع هذه الدعوى..." [٢]، وإن امتنع "فإني سوف أؤدبه كما فعلت من قبل.. فيقتضي إعادة رجاله وجياده بعد تزويدهم بهذه الإجابة..."[٣].

ويستنتج من هذا مدى قسوة أسلوب محمد علي باشا في الرد على طلب الإمام تركي، وهذا ناتج عن عدائه للدولة السعودية بشكل عام وللإمام تركي بن عبد الله وتحركاته الأخيرة بشكل خاص، إضافة إلى أن الإمام تركي بن عبد الله حين أرسل رسالته لوالي بغداد فكأنما تجاهل محمد علي باشا مما أثار حقد وغيرة والي مصر الذي شعر بالغرور المتزايد خاصة وأن السلطان العثماني قد عرض عليه رسالة الإمام تركي لوالي بغداد وفوضه بالنظر فيها، ومع هذا كله وصلت إلى محمد علي باشا بعض المكاتبات من المدينة المنورة تحرضه ضد الإمام تركي وتبلغه أنه غير صادق فيما طلب [٤].

---

(١) معية تركي: دفتر (٢٢) وثيقة (٤٢٣).
؛ وثائق عثمانية: ٥/١-٩٢ دارة الملك عبد العزيز، الرياض.
(٢) معية تركي: دفتر (٢٢) وثيقة (٤٢٣).
(٣) محافظ عابدين: دفتر (٢) وثيقة (٢٠).
(٤) وثائق عثمانية: ٥/١-٩٢ دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

وبناء على ذلك فإن محمد علي باشا قد كتب الردين السلبيين السابقين إلى السلطان العثماني وأحمد باشا بينما تجاهل الرد مباشرة على الإمام تركي وإنما صار خطابه موجهاً لوالي الحجاز[١]، وهو بذلك يؤكد تزايد حقده على الإمام تركي بن عبد الله، وضرورة قتاله والقضاء عليه بمجرد الانتهاء من مهمته في حروب البحر المتوسط [٢].

وعلى أية حال فإن الإمام تركي بن عبد الله لم يتمكن من تحقيق مايصبو إليه من تلك المراسلات مع الولاة العثمانيين في كل من بغداد والحجاز ومصر، بل وجد موقفاً متشدداً من قبل والي الحجاز ومحمد علي باشا اللذين عملا على مقاومة رغباته ورفض مطالبه [٣].

وفي الوقت الذي كان الإمام تركي يراسل الولاة العثمانيين ويهادنهم كان يعمل على جمع القوى المؤيدة له، ويقوم بحشدها للوقوف ضد القوات العثمانية في الجزيرة العربية، حيث أرسل مبعوثاً إلى سعيد بن مسلط أمير عسير سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٥م للعمل على تنسيق جهودهما ضد الوجود العثماني في بلديهما مخبراً إياه بالسياسة الجديدة التي عزم على انتهاجها بمهادنة العثمانيين وذلك من أجل كسب الوقت وجمع القوة، ولذا فإن محمد علي باشا حين اكتشف الأمر حث أحمد باشا على إعداد العدة لقتال زعيم عسير وقواته، وفي الوقت نفسه أرسل إلى فيصل الدويش بالهدايا وطلب منه قتال الإمام تركي بن عبد الله [٤]، غير أن ذلك المخطط باء بالفشل إذ لم يجرؤ الدويش على عمل

---

(١) وثائق عثمانية: ٥/١-٩٢ دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

(٢) معية تركي: دفتر (٢٢) وثيقة (٤٢٣).

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي... ص ٢٥١، ويمكن القول أن ماتحقق من تلك المراسلات هو تكوين علاقة مجاملة بين الإمام تركي ووالي بغداد. عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢٣١/١ .

(٤) محافظ بحر برا: محفظة (٩)، وثيقة (٦٦).

؛ معية تركي: دفتر (١٤) وثيقة (٤٣٧). رسالة من الجناب العالي إلى أحمد باشا محافظ مكة، جمادى الأولى ١٢٤٠هـ. ويذهب بعض الباحثين إلى أن والي بغداد قد حرض الإمام تركي ابن عبد الله في ذلك الوقت على التمرد ضد محمد علي باشا، كما يذكر أن فيصل الدويش نجح بمهمته وقضى على التحالف في مهده دون أن يحدد مظاهر ذلك النجاح. عبد الرحيم عبد الرحمن=

شيء يذكر ضد الإمام تركي الذي استمر في جهوده الرامية لمقاومة الوجود العثماني، ومحاولة التنسيق مع أمير عسير الجديد علي بن مجثل (١٢٤١هـ-١٢٤٩هـ) [(١)]؛ حيث أرسل إليه أحد رجاله وهو محمد بن عبد العزيز لهذا الغرض [(٢)]؛ مما نتج عنه اتحاد الجهود للعمل ضد القوات العثمانية فأضحى وجود الإمام تركي بن عبد الله بمثابة التهديد الخطير لوجود محمد علي باشا في شبه الجزيرة العربية [(٣)].

وإزاء ذلك فإن محمد علي باشا قد عمل بالتعاون مع السلطان العثماني لتأكيد السيطرة على نجد باتخاذ بعض الخطوات التي من أهمها استصدار أمر سلطاني بعدم الموافقة على تعيين الإمام تركي أميراً على نجد [(٤)]، كما أرسل محمد علي باشا تقريراً إلى نجد سنة ١٢٤١هـ بفرض مبلغ خمسين ألف قرش كخراج يجب على الإمام تركي دفعه لحكومة مصر[(٥)].

= عبد الرحيم: من وثائق...، ٣٥/١، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي...، ص٢٥٠، والواقع أن ذلك التحريض كان في مرحلة لاحقة أي سنة ١٢٤٧هـ بعد تولي الوالي الجديد علي رضا ولاية بغداد في تلك السنة، وبداية الانشقاق في الصف العثماني بين محمد علي باشا من جهة والسلطان وولاته من جهة أخرى، فأرسل علي رضا رسالة إلى الإمام تركي يحرضه فيها على التمرد ومقاومة محمد علي باشا وقواته، كما أن الدويش لم يقم بعمل يذكر منذ انسحابه من الرياض واستيلاء الإمام تركي عليها سنة ١٢٤٠هـ، وكل ذلك كان قبل اتصالات الإمام تركي بثورة عسير وأميرها. منير العجلاني: الإمام تركي بن عبد الله...، ص١٨٤.

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٧/٢، ٦١ .

(٢) محافظ بحر برا: محفظة (١٦) وثيقة (١١٩) رسالة عربية من مجهول حول اتصالات الإمام تركي بعلي بن مجثل ، دون تاريخ (يرجح أنها مابين سنتي ١٢٤١هـ-١٢٤٣هـ) وهي الفترة التي شهدت قيام الدولة السعودية الثانية وتولي علي بن مجثل أمارة عسير بعد وفاة سلفه سعيد ابن مسلط سنة ١٢٤١هـ.

(٣) مالك رشوان: المرجع السابق ص ١٨٩.

(٤) معية تركي: دفتر (٢٢) وثيقة (٤٠٥) رسالة من المعية إلى الصدر الأعظم حول عدم تعيين تركي ابن عبد الله أميراً على نجد، ١٦ ذي الحجة ١٢٤١هـ.

(٥) محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٦٣، ويذكر منير العجلاني: الإمام تركي بن عبد الله...، ص٣٣ أن المبلغ كان ثلاثين ألف قرشاً عثمانياً، ومن المستبعد أن الإمام تركي قد استمر بدفع =

على أن تلك الإجراءات التي اتخذها محمد علي باشا ضد الدولة السعودية الثانية تزايدت؛ خاصة بعد أن اتضح له عدم مبالاة الإمام تركي، واستمرار عمله ضد قواته، وبعد أن فشل باستخدام فيصل الدويش ضد الإمام تركي أدرك أن الأمر أكبر من تصوره ولذا فإننا نرجح أن محمد علي باشا قد عمل على استخدام أكبر قوتين مناوئتين للدولة السعودية داخل الجزيرة العربية وهما قوة أمراء الحجاز وقوة أمراء بني خالد في الأحساء، وأنه كان الدافع وراء تحركات هاتين القوتين ضد الإمام تركي بن عبد الله ودولته وذلك عن طريق تحريك أمير مكة محمد بن عون من جهة ومحاولة إثارة أمراء بني خالد من جهة أخرى في آن واحد.

وعلى الرغم من محاولات محمد علي باشا لإخضاع الإمام تركي بشتى السبل إلا أن الأخير كان يدرك أن ذلك الوالي لم يكن في وضع يؤهله للتفرغ لتلك المهمة؛ بسبب انشغاله في الحرب اليونانية وعملياته في السودان، ثم مطامعه في الشام منذ سنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م خاصة حين اشتعل فتيل الحرب بينه وبين السلطان العثماني سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م[(١)] ليصبح محمد علي باشا بموجب ذلك العدو الأول للسلطان بعد أن كان يده التي يضرب بها أنى أراد؛ الأمر الذي خلق كثيراً من المشاكل السياسية والعسكرية لوالي

= ذلك المبلغ خاصة مع اضطراب علاقته بمحمد علي باشا بعد ذلك، وقد ورد في سجلات حكومة بومباي أن الإمام تركي كان يبلغ محمد علي باشا بما ينوي القيام به من أعمال، ولا يمكن تصديق ذلك في ظل النزاع بينهما والذي لم يهديء منه إلا انشغال محمد علي باشا بحروب اليونان ثم الشام، وهو وضع يجعل من المستحيل على والي مصر السيطرة على حكومة الإمام تركي الطموحة. هناء العوهلي: المرجع السابق، ص٣١. والملاحظ في تلك المرحلة أن الوثائق العثمانية أكدت أن محمد علي باشا حاول كسب رضا ومودة أفراد آل سعود المقيمين بمصر وزيادة مخصصاتهم المالية. معية تركي: دفتر (١٢) وثيقة (٨٥٠)، رسالة من الجناب العالي إلى البك كتخدا بشأن زيادة تعيينات السعوديين المقيمين بمصر، ١٨ ذو القعدة ١٢٤٠هـ. مما يعني أن محمد علي باشا بدأ في انتهاز الفرصة لبذر الشقاق بين آل سعود المقيمين في مصر وإخوانهم في نجد، وهذا ماسيتأكد بعد ذلك في إرساله للأمير خالد بن سعود مع حملة إسماعيل بك وكأنه بذلك أخذ بمبدأ سياسة فرق تسد.

(١) عايض الروقي: حروب محمد علي ...، ص ٢٨، ٤٣-٤٤.

مصر، ومن هنا فقد حاول الإمام تركي انتهاز الفرصة السانحة الناتجة عن هذا الوضع الجديد فعمل جاهداً للتقارب مع العثمانين خاصة مع والي بغداد الجديد علي رضا الذي تولى هذا المنصب سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م بدعم ومؤازرة من تجار نجد بزعامة سليمان ابن غنام* شيخ عقيلات** العارض، ولذا فلم يكن مستغرباً أن تتوطد العلاقات بين الوالي الجديد وبين الدولة السعودية الثانية وأن تترسخ مصالح التجار النجديين في بغداد(١).

وقد تمثل توطد العلاقة بين علي رضا والإمام تركي بن عبد الله بتلك الاتصالات والمراسلات والتي جاءت في ظل متغيرات سياسية جديدة خاصة في الجانب العثماني، فاكتسب علي رضا مكانة سياسية بارزة لدى السلطان العثماني في المنطقة وفي وقت أصبح محمد علي باشا مناوئاً له، وبالتالي اتحدت مصالح السعوديين مع العثمانيين فحدث التقارب لأول مرة منذ ظهور القوة السعودية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري أواخر النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي، فأصبح محمد علي باشا عدواً مشتركاً لكلا الطرفين؛ خاصة حين أدركت الدولة العثمانية الخطأ الذي وقعت فيه

---

* سليمان بن غنام من أهل ثادق قاعدة منطقة المحمل، وكان رئيساً على عقيلات العارض في بغداد، وقد لعب دوراً عسكرياً في دعم علي رضا ووصوله للسلطة، إذ كان تحت أمرته ألف مقاتل، ورغم نجاحه بدعم علي رضا إلا أنه قتل في محرم ١٢٥٨هـ على يد عقيلات القصيم المعارضين لعلي رضا الذي حرمهم كثيراً من امتيازاتهم التجارية. إبراهيم بن عيسى: تاريخ بعض الحوادث...، ص ١٦٦؛ عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: نجديون وراء الحدود...، ص ص ٩٨-١٠١.

** العقيلات قوافل تجارية نجدية شهيرة تعمل بالتبادل التجاري بين نجد وكل من العراق والشام وغيرهما من البلدان، وينقسم العقيلات إلى عقيلات العارض وعقيلات القصيم وعقيلات حبل شمر، وقد لعبوا دوراً مؤثراً في العلاقات السياسية بين نجد والعراق خلال تلك الفترة. أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: مسائل من تاريخ الجزيرة العربية، ط٣، الرياض: دار الأصالة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ص ٢١٣-٢١٩. إبراهيم المسلم: العقيلات. ط٢، الرياض: مكتبة العقيلات، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ص ١٥-٤٩.

(١) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: نجديون وراء الحدود...، ص ص ٩٨ - ١٠٣.

حين وثقت بمحمد علي باشا وأوكلت لـه مهمـة القضـاء علـى الدولـة السـعودية الأولى، فبدأت بالتقرب إلى السعوديين سعياً في وضع العراقيل أمام تحركاته وأهدافه كي لايتمكن من خلال نشاطه في الجزيرة العربية من تطويق حدود العراق من الجنوب والشـمال في آن واحد [١].

لذا يمكننا القول أن الدولة العثمانية ممثلة بواليها في بغداد حاولت منع أي تقـارب بين السعوديين ومحمد علي باشا الذي ربما يلجـأ إلى ذلـك التوجـه لتقليـل الجبهـات الـتي تواجهه؛ خاصة وهو يعلم مدى تصميم الإمام تركي بـن عبـد ا لله علـى التصـدي لقواتـه بشتى السبل، وفي نفس الوقت فإن الإمام تركي من جانبه لم يغـب عـن تفكـيره أن تلـك الظروف المستجدة هي الفرصة السانحة له لبناء دولته في ظل إدراكه للخطر الذي تشـكله قوات محمد علي باشا [٢] على تلك الدولة منذ وقت ليس بالقصير.

وخـلال هـذا الواقـع الجديـد جـاء الاتصـال الأول بـين الدولـة السعودية الثانيـة والعثمانيين في عهد والي بغداد الجديد علي رضا من خلال الرسالة التي أرسلها هذا الوالي إلى الإمام تركي سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م، وكانت الرسالة تحمل الكثير مـن معـاني الـود والصداقة، كما أرفق بها الكثير من الهدايا والتي هدف علي رضا من خلالها التقـارب مـع الدولة السعودية وتوطيد عرى الصداقة معها.

وقد رد الإمام تركي على ذلك بالمثل حين أرسل حمد بـن يحيى بـن غيهـب أمير الوشم إلى بغداد برسالة وهدايا لتحقيق الغرض ذاته؛ خاصة عندمـا اتضـح للإمـام تركـي مدى الفوائد التي بدأت تتحقق من هذا التقارب وذلـك علـى إثـر تحسـن سـلوك القبـائل القاطنة على الحدود العراقية النجدية كالمنتفق والظفير تجاه الدولة السعودية الثانية[٣].

---

(١) عايض الروقي: حروب محمد علي ...، ص ٢٢٨ .

(٢) المرجع السابق: ص ٢٢٨ .

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٥٥. ويرى "عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٤٨٤" أن هذه هي بداية العلاقة بـين الدولـة السعودية الثانيـة والدولـة العثمانيـة، والمقصـود مـن ذلـك العلاقات الحسنة ذات المصالح المشتركة، أمـا بدايـة الاتصـالات بـين الطرفـين فقـد كـانت سـنة ١٢٤١هـ حيـن أرسـل الإمام تركي إلـى داود باشا رسالة يطلب فيها السعي لدى السلطـان =

غير أن مما ينبغي استدراكه أن تلك المراسلات لم تحقق ضد محمد علي باشا أية نتائج تذكر وظلت مقتصرة على تحريض علي رضا للإمام تركي بن عبد الله ضد ذلك الوالي[١]، وعلى الرغم من ذلك فإن محاولات الإمام تركي تحسين علاقته مع ولاة العراق خلال الفترة الأولى سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م والفترة الثانية سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م لم تمر مرور الكرام على محمد علي باشا، لذا فإنه أدرك مدى الخطر الذي يهدده نتيجة للتقارب السعودي العثماني، ونتيجة لذلك عمل جاهداً للتخلص من الإمام تركي وإنهاء دولته، ولما كان يدرك عدم قدرته على إرسال حملات عسكرية جديدة ضد الدولة السعودية لانشغاله بنزاعه مع العثمانيين في الشام وعدم قدرته على خوض حرب في جبهتين متباعدتين، لذا فإنه وبعد أن تنفس الصعداء في أعقاب صلح كوتاهيه بينه وبين السلطان العثماني في ١٧ ذي القعدة ١٢٤٨هـ/ ٨ أبريل ١٨٣٣م [٢] عمد إلى استخدام أسلوب جديد في صراعه مع السعوديين وهو أسلوب إثارة المشاكل داخل البيت السعودي[٣]، حيث تشير الدلائل إلى أن محمد علي باشا كان خلف استشهاد الإمام تركي بن عبد الله على يد مشاري بن عبد الرحمن * الذي عاد إلى نجد أواخر سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٦م[٤] أي في نفس الفترة التي شهدت اتصالات الإمام تركي ابن عبد الله مع داود باشا والي بغداد؛ تلك الاتصالات التي أثارت ثائرة محمد علي باشا فهدد

= العثماني لتعيينه أميراً على نجد. وثائق عثمانية: ٥/١-٩٢. دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

؛ معية تركي: دفتر (٢٢) وثيقة (٤٢٣).

(١) عايض الروقي : حروب محمد علي ... ص ٤٨٥ .

(٢) المرجع السابق: ص ٩٤، ٢٢٢.

(٣) معية تركي: دفتر (١٢) وثيقة (٨٥٠)، وهذه الوثيقة تؤكد أن محمد علي باشا زاد مكافأة السعوديين المقيمين بمصر في الوقت الذي كان يهدد ويتوعد الإمام تركي، مما يعني أنه بدأ في وضع بذور الشقاق داخل الأسرة السعودية.

* مشاري بن عبد الرحمن بن حسن بن مشاري بن سعود بن محمد بن مقرن، ابن أخت الإمام تركي وكان ممن نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر بعد استيلائه على الدرعية، ثم عاد إلى نجد سنة ١٢٤١هـ. عثمان بن بشر: المصدر السابق ٦٣/٢ .

(٤) محمد الفاخري: المصدر السابق، ١٦٣ .

بتأديب ذلك الإمام، وفي واقع الأمر أن جميع من تناولوا موضوع عودة مشاري من مصر قد أغفلوا هذه النقطة المهمة وهي أن مشاري أثناء إقامته في مصر كان هو البادىء بالاتصال بابن عمه وخاله الإمام تركي كما يفيد أحد أبيات رائية الإمام تركي التي أرسلها إلى مصر، حيث أوضح أن مشاري قد أرسل إليه رسالة وهو في مصر يشكو مما يعانيه من الضيق في ظل ظلم وتعسف محمد علي باشا وحكومته[١]، فرد عليه خاله الإمام تركي بقصيدة يطلب منه فيها القدوم إليه في الرياض، ولعلها الفرصة التي كان ينتظرها محمد علي باشا لتحقيق سياسته الجديدة تجاه الدولة السعودية، ومن الممكن أن تكون رسالة مشاري تلك ثم عودته للرياض كانت بتدبير من محمد علي باشا [٢] الذي حرض مشاري على التخلص من خاله، إذ نراه يكرر محاولته تلك أكثر من مرة رغم ماأبداه الإمام تركي من حفاوة وترحيب بمشاري حيث أجزل له العطاء وعينه أميراً على منفوحة [٣].

ولقد جاءت المحاولة الأولى من مشاري للانشقاق ضد خاله الإمام تركي سنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م وهي الفترة التي شهدت محاولة محمد علي استخدام بعض القوى داخل الجزيرة العربية ضد الدولة السعودية الثانية ومن هذه القوى أمراء الحجاز وأمراء بني خالد وليس بمستبعد أن يكون مشاري من بين هذه القوى، وقد اكتشف الإمام تركي المحاولة في وقت مبكر وتمكن من وأدها، ورغم ذلك فقد صفح عن مشاري وشمله بعفوه[٤]، وبذلك فشلت المحاولة في مهدها.

---

(١) هذا البيت هو: خط لفاني زاد قلبي بحرا من شاكي ضيم النيا والعزاري
عبد الله بن خالد الحاتم: خيار مايلتقط من الشعر النبط، ج٢، ط٣. الكويت: ذات السلاسل، ١٩٨١م، ص ١٥ .

(٢) أورد منير العجلاني: الإمام تركي بن عبد الله...، ص ٢٢٠ ، رواية عن المؤرخ الروسي لوتسكي مفادها أن محمد علي عين مشاري أميراً على نجد حين أرسله إليها ولكنه لم يجد الترحيب من الأهالي، وهذه الرواية يستأنس بها لتأكيد صحة ماذهبنا إليه بأن محمد علي باشا هو الذي بعث مشاري إلى نجد.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢٧/٢ .

(٤) عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٦٢ .

وفي السنة التالية ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م لم يلبث مشاري بن عبد الرحمن أن اتجه إلى مكة المكرمة هارباً من الرياض حيث أقام ضيفاً لدى أميرها محمد بن عون[١] التابع لمحمد علي باشا، وقد منحه ابن عون حق اللجوء دون أن يقدم له مساعدات عسكرية[٢]، وذلك بسبب انشغال ابن عون ومن قبله محمد علي باشا بأمور الحرب في الشام وبالتالي توقف النشاط العسكري المباشر ضد الدولة السعودية [٣]، ورغم ذلك فقد نمت الرغبة لدى مشاري بالانتقام من خاله، فألح على ابن عون بطلب الدعم ممايدل على توفر الدوافع الذاتية لديه للتخلص من تركي والوصول إلى الحكم [٤] خاصة مع الرعاية التي أبداها محمد علي باشا تجاهه في هذه المرحلة حيث تؤكد الوثائق العثمانية أن محمد علي باشا أمر في ١٩ شعبان ١٢٤٧هـ بترتيب معاش كاف لمشاري أثناء إقامته في الحجاز[٥]، الأمر الذي يدل على اهتمام والي مصر بمشاري وأن مازعمه الأخير من سوء حاله بمصر في رسالته إلى خاله الإمام تركي لم يكن إلا حيلة مشتركة بينه وبين محمد علي باشا لتحقيق غرض ما، وليس مستبعداً أن ابن عون وبإيعاز من محمد علي باشا قد عمل في هذا الوقت على إقناع مشاري بعدم جدوى مساعدته عسكرياً، وتهيئته بدلاً من ذلك للقيام بعمل سري للتخلص من الإمام تركي حينما تحين الفرصة، وأن يتم العمل على عودته إلى نجد من أجل ذلك، خاصة أن تاريخ الوثيقة يتزامن مع اتصالات الإمام تركي ابن عبد الله بوالي بغداد المعادي لمحمد علي باشا والذي يعمل هو الآخر على محاربته.

ولقد نجح مشاري بالحصول على العفو من خاله مرة أخرى فسمح له بالعودة إلى الرياض [٦] فظل منتظراً حتى حان الوقت لتنفيذ المهمة حين انتهى محمد علي باشا من

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٥١ .

(٢) Winder: op.cit. P.83-84.

(٣) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٨٤ .

(٤) عبد الله العثيمين : تاريخ المملكة ...، ١/٢٣٤ .

(٥) معية تركي : دفتر (٤٠) وثيقة (٧٨٤)، رسالة من الجناب العالي إلى خورشيد بك محافظ مكة بشأن ترتيب معاش كاف لمشاري آل سعود، ١٩ شعبان ١٢٤٧هـ.

(٦) يذكر الويس موزل: المرجع السابق، ص ٢٣١ أن الإمام تركي سجن مشاري في الرياض بعد -

حرب الشام فدفع بمشاري لقتل الإمام تركي [١] وإخضاع نجد لسيطرته [٢].

وعلى أية حال فقد تمكن مشاري بن عبد الرحمن من إتمام ذلك العمل حيث كلف أحد الموالي وهو إبراهيم بن حمزة بن منصور بقتل الإمام تركي بعد صلاة الجمعة في اليوم الأخير من الشهر الأخير لعام ١٢٤٩هـ/[٣] مايو ١٨٣٤م، وسواء كان من قبيل المصادفة البحته أن يكون الأمير فيصل بن تركي وقت وقوع هذا الحادث الجلل في مهمة لإخماد تمرد العماير من بني خالد ضد أمير القطيف عبد الله بن غانم [٤] أم لا فإن من المؤكد أن مشاري انتهز فرصة غياب الأمير فيصل بن تركي وقام بتنفيذ جريمته، وتلك الجريمة في هذا التوقيت دليل آخر على مشاركة القوى المناوئة في ضرب الدولة السعودية الثانية، وتمثلت تلك القوى بمحمد علي باشا وأمراء الحجاز وأمراء بني خالد.

ورغم نجاح مشاري بقتل الإمام تركي بن عبد الله إلا أن ذلك النجاح لم يدم أكثر من أربعين يوماً، حيث تمكن الأمير فيصل بن تركي من استعادة زمام السيطرة، والأخذ بثأر أبيه، واستمر في العمل على تثبيت حكمه، وإرساء دعائم دولته[٥].

= عودته من الحجاز، ولكن ذلك القول يضعف أمام تحركات مشاري بحرية وتنفيذه لاغتيال الإمام تركي بعد ذلك.

(١) علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية. ط٣. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص١٦٦.

(٢) عبد الله الصالح العثيمين: نشأة أمارة آل رشيد، ط١، الرياض: جامعة الرياض، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٣٥.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٦٣-٦٤ .

(٤) المصدر السابق ٢/٦١، وقد كان هناك تعاون بين العماير من بني خالد وآل خليفة حكام البحرين في تلك الفترة، ورغم مظاهر الفرح والسرور التي أبداها شيخ البحرين عبد الله بن أحمد على إثر سماعه بنبأ مقتل الإمام تركي إلا أن ذلك لايعني ظلوعه في ذلك العمل رغم استفادته منه بإدخال جزيرة تاروت السعودية تحت سيطرته. عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ١٨٣، منير العجلاني: الإمام تركي بن عبد الله..، ص ٢١٨.

(٥) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/٢٣٤، محمد السلمان: الأحوال السياسية ...، ص ٨٤، ويذهب الويس موزل: المرجع السابق، ص ٢٣٢، إلى أن الأتراك اعترفوا بحكومة مشاري، فإن كان المقصود بالأتراك الدولة العثمانية فمن المعروف أنهم على عداء مع محمد علي باشا حينذاك،=

ويمكن القول أن اتصالات الإمام تركي ومراسلاته مع ولاة بغداد كانت دافعاً لمحمد علي باشا لزيادة عدائه ضد الدولة السعودية الثانية رغم ظروفه السياسية والعسكرية السيئة في تلك الفترة، غير أن المراسلات الأخيرة سنة ١٢٤٧هـ كانت أشد تأثيراً على محمد علي باشا نظراً للحساسية التي أصبح يعانيها تجاه والي بغداد علي رضا وتجاه الدولة العثمانية بشكل عام، ومن هنا فإن تلك الاتصالات والمراسلات كانت سبباً مباشراً لاستشهاد الإمام تركي بن عبد الله، واستمرار العداء بين والي مصر والدولة السعودية الثانية، وقد استشهد الإمام تركي بن عبد الله وهو مستقل بدولته عن حكومة محمد علي باشا، بل كان نداً قوياً لها ويجابهها بكل ماأوتي من قوة.

= ولايمكن أن يعترفوا بمشاري المؤيد من قبله، وإن كان المقصود بالأتراك محمد علي باشا فإن قصر فترة حكم مشاري التي لم تتجاوز الأربعين يوماً عاش أكثر من نصفها تحت حصار فيصل ابن تركي لاتؤيد هذا الرأي.

*** حملة محمد بن عون على نجد ١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م:**

إن السياسة التي اتبعها محمد علي باشا في إدارة الحجاز قد سببت الفرقة، والنزاعات، والحروب بين أمراء الحجاز؛ وذلك أن إسناد بعض سلطات أمير مكة يحيى ابن سرور ومنها رئاسة العربان إلى شنبر بن مبارك نظراً لعلاقته الحسنة مع والي الحجاز أحمد باشا قد زرعت بذور الفتنة منذ سنة ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٣م، ووصل الأمر ذروته سنة ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م حين أقدم يحيى بن سرور على قتل شنبر(١) داخل الحرم المكي الشريف، وبعد تلك الفعله لم يجد يحيى بن سرور بداً من الهرب فاتجه إلى ينبع (٢)، غير أنه عدل عن ذلك واتجه إلى بدر وجمع بعض الرجال وعزم على العودة إلى مكة وانتزاع السلطة من الأمير الجديد عبد المطلب بن غالب الذي وافق محمد علي باشا على تعيينه كي يعمل على مواجهة يحيى بن سرور(٣)، وبذلك تزايد النزاع بين أمراء الحجاز بشكل كبير.

ومن الواضح أن تفاقم النزاع في الحجاز قد جعل محمد علي باشا يدرك ضعف عبد المطلب بن غالب الذي لم يتمكن من السيطرة على الوضع، لذا فقد رشح بدلاً منه الأمير محمد بن عون في ربيع الثاني ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م (٤)، مما أثار عبد المطلب ابن غالب الذي صمم على استخدام القوة ضد الوالي أحمد باشا متهماً إياه بأنه السبب في عدول محمد علي باشا عن تعيينه أميراً لمكة المكرمة، غير أن وصول محمد بن عون والتفاف الناس حوله أفشل مخطط عبد المطلب بن غالب(٥) الذي فر إلى عسير ثم إلى

---

(١) أحمد دحلان: المصدر السابق، ص ٣٠٣-٣٠٤، عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة ...، ١١/٢ .

(٢) محافظ بحر برا: محفظة (١١) وثيقة (٧٥) رسالة من محمد سليم باشا إلى الجناب العالي حول أحداث الحجاز ومقتل شنبر، ٢ذي القعدة ١٢٤٢هـ.

(٣) أحمد دحلان: المصدر السابق ص ٣٠٤ .

(٤) وثائق عثمانية: ٢/٢ك-١٢٢ دارة الملك عبد العزيز، الرياض، رسالة من المعية السنية إلى عبد المطلب حول تعيين محمد بن عون أميراً في مكة، ٦ربيع الثاني ١٢٤٣هـ.

(٥) أحمد دحلان: المصدر السابق، ص ٣٠٥-٣٠٦.

نجد [١] ومنها اتجه إلى بغداد سنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م حيث نصحه واليها علي باشا بالذهاب إلى السلطان العثماني في استانبول محملاً إياه رسالة توصية بإعادته للإمارة، ورغم أن السلطان العثماني قد أوصى بعودة عبد المطلب بن غالب ليقيم في مكة المكرمة فقط إلا أن الأمير الجديد محمد بن عون اعترض أدبياً على ذلك فبقي عبد المطلب ابن غالب في استانبول[٢]، ومن ثم استتب الأمر تماماً لمحمد بن عون.

ومن المؤكد أن تلك الأحداث التي مرت بها الحجاز خاصة في مطلع العقد الرابع من القرن الثالث عشر الهجري قد شغلت أمراء الحجاز في شؤونهم الداخلية وبالتالي لم يكن لهم جهود خارجية خاصة في ظل فقدانهم لاستقلاليتهم وسلبها من قبل محمد علي باشا، وكان لهذا الوضع أثر في نجاح الإمام تركي بن عبد الله في تكوين الدولة السعودية الثانية وطرد قوات محمد علي باشا التي لم تنل مساعدة أمراء الحجاز من منطقة نجد.

على أن تولي محمد بن عون لإمارة مكة قد أعاد لها بعضاً من هيبتها المفقودة حيث اتصف بالقوة والعمل على دعم القوات العثمانية في الحجاز، فلم يكن غريباً عليه أن يتجه بنظره إلى مناطق خارج الحجاز مثل عسير [٣] ونجد وغيرها من المناطق المناوئة لنفوذ محمد علي باشا، ولذلك فقد قام في سنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م بحملة عسكرية على المناطق والقبائل الخاضعة للإمام تركي بن عبد الله في عالية نجد والتي دفعت الزكاة للرياض كإعلان لدخولها ضمن نطاق الدولة السعودية الثانية، وإذا كانت المصادر المحلية لم تشر إلى تلك الحملة، فإن الوثائق العثمانية قد أسهبت في الحديث عنها وهو ماتمكنت هذه الدراسة من معرفته من خلال تلك الوثائق.

وتتعدد أسباب قيام الحملة مابين عوامل خاصة برغبات محمد علي باشا وعوامل خاصة تتعلق برغبات محمد بن عون أمير مكة وقائد الحملة؛ فقد كان محمد علي باشا عدواً تقليدياً للأسرة والدولة السعودية، ولذا فقد أغضبه قيام الدولة السعودية الثانية رغم محاولاته المستميته لدعم حامياته في نجد منعاً لذلك، ومما زاد من غضبه أن الإمام تركي

---

(١) أحمد السباعي: المرجع السابق، ٢/٥١٩ .

(٢) EL-Battrik: op.cit. P.165.

(٣) AL-Amr: op.cit. P.53 .

ابن عبد الله حين أنشأ دولته قام بإجراء اتصالات مع والي بغداد كان الهدف منها تهدئة الموقف العثماني، وكسب الوقت كي يعمل لتقوية دولته، وكان رد الفعل لدى محمد علي باشا على ذلك أن قرر حرب الإمام تركي حال الانتهاء من مهمته هو في حروب اليونان معلناً بذلك حالة العداء ضد السعوديين، ومطالباً في نفس الوقت والي بغداد بعدم الرد على خطابات الإمام تركي وتجاهلها [١]، وبذلك أصبح الاحتمال بإرسال حملة ضد الرياض من قبله قائماً بشكل كبير، وهذا ماوافق رغبة محمد بن عون رغم أن الإمام تركي لم يبد رغبة بالتقدم إلى الحجاز أو إلى المناطق التي تخضع لنفوذ محمد علي باشا[٢]، بل كان يميل إلى المسالمة والاقتصار على حكم نجد.

وحيث أن العوائد المالية للقبائل النجدية أو مايسميها محمد علي باشا بالزكاة تشكل مورداً مالياً مهماً لحكومة محمد علي باشا فقد هاله أن يرى الإمام تركي ابن عبد الله يحصل على الزكاة الشرعية التي دفعتها له تلك القبائل عن طيب خاطر، بينما يقف هو وجنوده موقف المتفرج، وكانت قبيلة عتيبة من أبرز القبائل التي حظيت باهتمام محمد علي باشا وتلهفه لسلبها أموالها؛ حيث تشير الوثائق إلى اهتمامه الكبير بتلك القبيلة خاصة القسم القاطن بنجد منها والذي يمتلك الجمال بينما يمتلك القسم القاطن بالحجاز الأغنام[٣]؛ ومما لاشك فيه أن الجمال هي الأهم لمحمد علي باشا لنقل عتاده وقواته، بجانب أهميتها الأخرى.

وقد أرسل محمد بن عون رسالة إلى محمد علي باشا يخبره فيها بقيام الإمام تركي ابن عبد الله بأخذ الزكاة من قبيلة عتيبة القاطنة بحدود الحجاز مع نجد، موضحاً رفض تلك القبيلة دفع الزكاة لرجال ابن عون حين أرسلهم لذلك، ونظراً لما أبدته من ميل للإمام تركي فإن ابن عون قرر إنفاذ حملة عسكرية ضد قبيلة عتيبة التي تخلت عنه

---

(١) محافظ عابدين: محفظة (٢) وثيقة (٢٠).

؛ وثائق عثمانية: ٥/١-٩٢ دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

(٢) منير العجلاني: الإمام تركي بن عبد الله...، ص ١٨١ .

(٣) محافظ عابدين: محفظة (٢٥٠) وثيقة (٣٩٥) رسالة من إبراهيم باشا إلى محمد علي باشا.

لإرغامها على دفع الأموال وإدخالها ضمن نطاق سيادة محمد علي باشا[١]، ومنع أي تحرك محتمل من قبل الإمام تركي للمناطق الحجازية [٢]؛ خاصة في ظل تحالفه مع علي ابن مجثل شيخ قبائل عسير ضد قوات محمد علي باشا في الحجاز [٣].

وقد كان محمد بن عون حريصاً على التقدم بقواته إلى نجد رغبة بمطاردة خصمه ومنازعه على إمارة مكة عبد المطلب بن غالب الذي سبق أن استضيف في الرياض بعد قدومه من لقاء أمير عسير علي بن مجثل حليف الإمام تركي بن عبد الله، ولاشك أن اتجاه عبد المطلب من عسير إلى نجد قد أثار ذعر ابن عون من تحالف محتمل ضده، وتزايدت تلك المخاوف حين اتجه عبد المطلب بن غالب سنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م من نجد إلى والي بغداد العثماني الذي بدا موقفه في تلك الآونه مناوئاً لمحمد علي باشا ومؤيديه بما فيهم ابن عون نفسه الذي عزم على مطاردة عبد المطلب بن غالب وحلفائه، فبدأ نشاطه العسكري ضد نجد وعسير في آن واحد.

ومما زاد من صلاحية الوضع في الحجاز لإنفاذ الحملة تلك الإجراءات الإدارية التي اتخذها محمد علي باشا حين لمس تراخي أحمد باشا والي الحجاز ورغبته في العودة إلى مصر[٤] فوافق على ذلك وعين سليم بك بدلاً منه[٥]، ولم تمض أكثر من ثلاثة أشهر

---

(١) محافظ بحر برا: محفظة (١٣)، وثيقة (٦٤) رسالة من محمد بن عون إلى الجناب العالي عن أخبار تركي ابن سعود وتحركاته في نجد، ٢٥ شعبان ١٢٤٥هـ.

؛ وثائق عثمانية: ٢/٢ك-١٠٢ دارة الملك عبد العزيز بالرياض بنفس الموضوع والتاريخ إلا أنها تحوي بعض المعلومات المختلفة عن الوثيقة السابقة.

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي ....، ص ٢٥٦.

(٣) عايض الروقي: حروب محمد علي ....، ص ١٦٤ .

(٤) محافظ بحر برا: محفظة (١٣)، وثيقة (٢) رسالة من أحمد باشا يكن إلى سنان أفندي يشرح فيها ملل الجنود من الإقامة بالحجاز، ويطلب تعيين محافظ آخر بدلاً منه، نهاية محرم ١٢٤٤هـ.

(٥) معية تركي: دفتر (٤٠) وثيقة (١٩٤) رسالة من محمد علي باشا إلى محمد بن عون حول تعيين سليم بك محافظاً في مكة، ٧ صفر ١٢٤٥هـ.

إلا أن أحمد باشا أعيد إلى منصبه سنة ١٢٤٨هـ واستمر حتى خروج قوات محمد علي باشا نهائياً من الجزيرة العربية سنة ١٢٥٦هـ. أحمد دحلان: المصدر السابق، ص ٣٠٣.

حتى عزل سليم بك هو الآخر وعين بدلاً منه عابدين بك أمير الآلايين العاشر والحادي عشر والذي رفع إلى رتبة أمير لواء وعين محافظاً لمكة بجانب كونه قائداً أعلى للصفوف العسكرية [(١)]، ولاشك أن تعيين صاحب تلك الرتبة العسكرية ينبيء عن توجه محمد علي باشا إلى استخدام قادته وأمرائه في الحجاز في مهام عسكرية ضد المناطق المعادية لنفوذه خاصة نجد وعسير.

وحين أصبحت الظروف مهيأة بهذا الشكل تم تكوين حملة من الحجاز قوامها خمسمائة من الفرسان، ورماة البنادق، ومعهم أعداد كبيرة من الجنود والموظفين المختصين بتسجيل الزكاة، وكان قائد هذه القوة الأمير محمد بن عون نفسه مما يؤكد اهتمامه بموضوع الحملة وأهدافها، كما انضم إلى الحملة أخوه هزاع بن عون بقوات من الطائف.

وقد تحركت الحملة من مكة المكرمة يوم ١٣ رجب ١٢٤٥هـ متجهة إلى نجد حيث وصلت إلى "دفينة"* بأعالي نجد يوم ٢٣ من الشهر نفسه، ومن الدفينة اتجه هزاع إلى عسير بينما واصل محمد سيره إلى نجد[(٢)].

وعلى الرغم من أن الهدف المعلن لهذه الحملة كان تأديب قبيلة عتيبة إلا أن محمد ابن عون هاجم قبيلة البقوم وقتل عدداً من رجالها، واستولى على أمتعتهم وجمالهم، ثم اتجه بقواته إلى قبيلة عتيبة الموالية للإمام تركي بن عبد الله فنشب قتال بين الطرفين نتج عنه مقتل ما يقارب تسعة رجال من القبيلة المذكورة، كما استولت قوات محمد بن عون

---

(١) ديوان خديوي تركي: دفتر (٧٦٠) وثيقة (٣١٣) حول تعيين عابدين بك محافظاً لمكة بدلاً من سليم بك، ٢ جمادى الأولى ١٢٤٥هـ.

؛ معية تركي: دفتر (٤٠) وثيقة (٢٤٠) رسالة من محمد علي باشا إلى محمد بن عون حول التعاون مع عابدين بك، ٥ جمادى الأولى ١٢٤٥هـ، نقلاً عن عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: من وثائق ...، ٨٢/١-٨٣.

* الدفينة منزل بين الحجاز والرياض وتسمى الدثينة وهي ماء معروف تسكنه قبائل عتيبة، ويقع إلى الغرب من بلدة عفيف. عبد الله بن محمد الشايع: نظرات في معاجم البلدان، ج٣، ط١، الرياض: مرامر للطباعة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ١٩٢. سعد بن عبد الله بن جنيدل: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (عالية نجد)، ج٢، الرياض: دار اليمامة، د.ت.ن، ص٥٢٤.

(٢) محافظ بحر برا: دفتر (١٣) وثيقة (٦٤).

؛ وثائق عثمانية: ٢/٢ك-١٠٢. دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

على بعض خيولها، ومن الواضح أن ابن عون لم يكن هدفه تأديب قبيلة عتيبة فحسب بدليل تقدمه إلى داخل الأراضي النجدية حيث عسكر في "غنمة" * على بعد ثلاثة أو أربعة أيام من الرياض الأمر الذي أثار الخوف في نفوس بعض زعماء القبائل من مطير وعتيبة وحرب فذهبوا إلى ابن عون طالبين الأمان، ومن المرجح أن ذلك الموقف كان رغبة منهم بمنع تقدمه إلى عمق الأراضي النجدية، وقد وافق ابن عون على منحهم الأمان على أن تؤدي قبيلة عتيبة له "الزكاة"، وأن يأخذ من كل بيت جملاً كعقاب عام لهم، مع التزامهم بعدم التعرض للحجاج المارين بأراضيهم كما تقول الوثائق العثمانية(١).

ومما ساعد محمد بن عون على التقدم إلى الأراضي النجدية وتحقيق بعض النجاح انشغال القوات السعودية بمواجهة تحركات أمراء بني خالد ضد بعض الأراضي السعودية في شرقي نجد(٢) في نفس الوقت الذي كان ابن عون يتقدم من الغرب الأمر الذي يوحي بوجود ترتيب مسبق بين هاتين القوتين المناوئتين للقيام بذلك العمل، لذا فإن الإمام تركي ابن عبد الله لم يقم بمجابهة عسكرية ضد ابن عون لرغبته بتهدئة الأحوال مع الحجاز كي

---

* لايوجد موضع يحمل اسم "غنمة" في خط سير الحملة ومجال تحركاتها، وقد حددها بعض الباحثين بالبلدة الواقعة قرب عرعر بإمارة الحدود الشمالية. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي .. ص ٢٥٦، إلا أنه من المستبعد أن الحملة وصلت إلى تلك الجهات خلال أقل من عشرة أيام وهي المدة التي استغرقتها الحملة للوصول من مكة المكرمة إلى الدفينة، ولايمكن أن تتحرك الحملة من الدفينة إلى الحدود الشمالية دون أن تنزل مواضع أخرى، ثم أن مهمة ابن عون في حملته كانت تتعلق بحربه مع الإمام تركي فلاحاجة للذهاب إلى أبعد من نجد! بل إن الوثيقة توضح أن غنمة المقصودة لاتبعد كثيراً عن الرياض، ومما يؤكد ذلك أن مشايخ قبائل نجد كمطير وعتيبة وحرب التقوا بابن عون في ذلك المنزل، والذي نرجحه أن المقصود "غثمة" وليست "غنمة"، وغثمة تقع إلى الشمال الشرقي من الدفينة منزل ابن عون السابق وفي الطريق إلى نجد، وغثمة من مناطق وجود قبائل عتيبة الموالية للإمام تركي والتي كانت أحد أهداف الحملة، وتقع بمنطقة عفيف. عبد الله الشايع: المرجع السابق ١٧٢/٣ خريطة رقم ٤، وكذلك حمد الجاسر: المعجم الجغرافي (المعجم المختصر) ٨٨٩/٢. والخطأ في أسماء البلدان والمواضع والأشخاص أمر شائع في تلك الوثائق.

(١) محافظ بحر برا: محفظة (١٣) وثيقة (٦٤) .

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٤٥/٢ .

يتمكن من مواجهة أمراء بني خالد حيث بدأ استعداداته المكثفة لهذا الأمر.

ومن المؤكد أن هذا الموقف من الإمام تركي قد أغرى محمد بن عون بالتقدم إلى داخل الأراضي النجدية متجاوزاً الهدف المعلن لحملته المتمثل في تأديب قبيلة عتيبة، من هنا قرر التحرك إلى بلدة الشعراء *[1] لمهاجمة القوات السعودية من الناحية الغربية في وقت تقدمت فيه قوات أمراء بني خالد من الشرق بقيادة ماجد بن عريعر إلى بلدة حرمة بمنطقة سدير[2]، غير أن المعلومات التي وصلت إلى ابن عون عن استعداد أهالي الشعراء للمقاومة جعلته يعدل عن فكرته، خاصة مع مالمسه في جيشه من قلة الذخائر وعلف الدواب، في ظل ابتعاده عن مكة المكرمة مركز التموين؛ وبناءاً على ذلك فإن ابن عون أقام في موضعه لمدة ثمانية أيام متردداً باتخاذ قراره، وحين أدرك صعوبة موقفه قرر العودة إلى مكة المكرمة فوصلها يوم ١١ شعبان ١٢٤٥هـ ٥ فبراير ١٨٣٠م[3].

---

* الشعراء من قرى الدوادمي في عالية نجد وتقع إلى الجنوب الغربي منها على بعد ٣٥ كيلاً: سعد ابن جنيدل: المرجع السابق ٧٦٢/٢. عبد الله بن خميس: المجاز بين اليمامة والحجاز، ط٤، الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص ص ٨٩-٩١، وقد عرفها بعض من تناولوا الحملة بموضع آخر قرب الطائف بعيد عن ساحة تحركات الحملة وذلك استناداً على ترجمة إحدى الوثائق حيث وردت الكلمة تحت اسم "شعره". عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: من وثائق...، ٨٨/١ نقلاً عن محافظ بحر برا: محفظة (١٣) وثيقة (٦٤)، والواقع أن وثيقة أخرى أوردت الكلمة بالشكل الصحيح "شعراء" مما يوضح ذلك اللبس. وثائق عثمانية: ٢/٢ك-١٠٢، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

(١) محافظ بحر برا: محفظة (١٣) وثيقة (٦٤).
؛ وثائق عثمانية: ٢/٢ك-١٠٢، دارة الملك عبد العزيز بالرياض.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٤٥/٢، ويشير عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي ...، ص ٢٥٨، إلى أن عدم تصدي الإمام تركي للحملة كان بسبب إرساله عمر بن عفيصان لغزو الأحساء وانشغال القوات السعودية بذلك، غير أن تلك المهمة التي قام بها ابن عفيصان كانت في محرم ١٢٤٥هـ، أي قبل قدوم حملة ابن عون بستة أشهر، في حين كان هجوم ماجد ابن عريعر على حرمة عقب ذلك ومتزامناً مع قدوم حملة ابن عون. عثمان بن بشر: المصدر السابق ٤٥/٢.

(٣) محافظ بحر برا: محفظة (١٣) وثيقة (٦٤).

وبذلك انتهت فعاليات حملة محمد بن عون أمير مكة ضد الدولة السعودية الثانية، لكنها فشلت في الوصول إلى عمق الأراضي النجدية، وظل نشاطها مقتصراً على مواجهة القبائل الموالية للإمام تركي بن عبد ا لله، و لم تصل تلك الحملة إلى بلدة الشعراء في عالية نجد خوفاً من مواجهة سعودية قوية رغم انشغال القوات السعودية حينذاك بمواجهة هجوم أمراء بني خالد الذي تزامن مع حملة ابن عون.

ويتضح من طريقة إعداد الحملة أنها لم تكن تدرك حقيقة القوة السعودية فحملة قوامها خمسمائة من الفرسان لايمكنها مواجهة قوة الإمام تركي بن عبد ا لله الفتية، وإلى جانب سوء التقدير هذا كان ابن عون يركن إلى قوات ماجد بن عريعر متوقعاً منها إشغال السعوديين عن مقاومته بأي شكل من الأشكال، ورغم ذلك فإن المقاومة الذاتية لبلدان نجد أجبرت ابن عون على الانسحاب.

ويُظهر تزامن تحرك الحملة تجاه نجد مع تحرك قوات حجازية مصرية أخرى تجاه عسير أثر اتصالات الإمام تركي بن عبد ا لله وتحالفه مع أمراء عسير في إثارة خوف وغضب محمد بن عون ومن خلفه محمد علي باشا ضد هاتين القوتين اللتين عزما على القضاء عليهما، وفي نفس الوقت فقد دلت الحملة على أن الهدف المعلن لها لم يكن حقيقياً؛ فرغم اصطحاب الحملة لبعض الموظفين المختصين بتسجيل الزكاة، وإجبار قبيلة عتيبة على دفع "الزكاة" لابن عون إلا أنه عزم على التقدم إلى نجد تحقيقاً لهدفه الأهم وهو القضاء على دولة الإمام تركي بن عبد ا لله التي أثارت خوفه وخوف محمد علي باشا في مصر.

كما أثبتت الحملة أن موقف بعض زعماء القبائل لايمكن الاعتماد عليه سلباً أو إيجاباً؛ خاصة في ظل خوفهم الشديد الناتج عن قناعتهم بقوة الحملات القادمة من الحجاز، والمدعومة من محمد علي باشا، مما دفعهم للقدوم إلى ابن عون تهدئة له ومنعاً من تقدمه إلى عمق نجد، دون أن يبدوا أية محاولة للمقاومة التي اعتقدوا استحالتها، في حين كان واقع الحال يخالف ذلك إذ أن ابن عون وبمجرد سماعه عن عزم أهالي الشعراء على المقاومة قرر العودة من حيث أتى.

و لم تحقق الحملة النجاح السياسي المؤمل بفرض السيطرة على القبائل رغم

مازعمه محمد بن عون من نجاحه في "ربط قبائل عتيبة بنظام وإدخالها تحت الطاعة" [(١)]، وكل ماحققته الحملة هو الحصول على شيء من الأموال والجمال التي قدم بها موظفوه من تلك القبيلة فضمت إلى الجمال التابعة لحكومة محمد علي باشا في الحجاز بمعرفة الوالي عابدين بك[(٢)].

وقد أتاح فشل تلك الحملة الفرصة للإمام تركي بن عبد الله لجمع قواه ووضع حد لعداء أمراء بني خالد، إذ لم يلبث بعد شهر واحد من انسحاب ابن عون أن تمكن من الإطاحة بقوة أمراء الأحساء نهائياً ومن ثم تمكن من السيطرة على المنطقة مستعيداً جزءاً مهماً من دولة آبائه[(٣)]، وتلك نتيجة إيجابية عظيمة لايمكن مقارنتها بما حققه محمد ابن عون من مكتسبات في حملته البائسة التي أعقبها توقف النشاط العسكري المعادي ضد الدولة السعودية الثانية الذي كان ينطلق من الحجاز بدعم وتأييد من محمد علي باشا لإدراك ابن عون عجزه عن مواجهة الدولة السعودية الناشئة، وحين أراد ابن عون تحريض محمد علي باشا وحثه على إرسال المزيد من القوات لقتال الإمام تركي ابن عبد الله أصبح الخيار العسكري مستبعداً في ظل ظروف محمد علي باشا العسكرية الخارجية في الشام مما جعله ينصح ابن عون بالتفاهم الودي مع الإمام تركي بن عبد الله، والسير معاً للهدوء والسكينة[(٤)].

وهكذا دب الفشل في مساعي محمد بن عون، وفشلت حملته العسكرية ، وأصبحت الفرصة سانحة أمام الزعيم السعودي الإمام تركي بن عبد الله لتوطيد حكمه، وتوسيع دولته في المجال الحيوي لها وهي منطقة الأحساء التي عانت الدولة السعودية الثانية من عداء أمرائها وهجماتهم كما عانت الدولة السعودية الأولى من قبل، لذا وجب على الإمام تركي وضع حد لذلك العداء وإزالته بشكل نهائي كي لاتصبح الدولة السعودية الثانية تحت خطر مزدوج مرة أخرى.

---

(١) محافظ بحر برا: محفظة (١٣) وثيقة (٦٤).

(٢) محافظ بحر برا: محفظة (١٣) وثيقة (٦٤).

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٤٧-٤٩.

(٤) عايض الروقي: حروب محمد علي ...، ص٢١٥ .

*** موقف أمراء بني خالد والمتعاونين معهم من قيام الدولة السعودية الثانية:**

لم يكن موقف بني خالد أمراء الأحساء المناوىء للدولة السعودية الثانية جديداً؛ بل كان متجدداً إذ أن موقفهم العدائي قد ترسخ إبان الدولة السعودية الأولى لدرجة أن وصل الأمر بهم إلى التعاون مع القوات العثمانية ممثلة بوالي بغداد داود باشا، ثم إبراهيم باشا والذي التقى به آل عريعر وقدموا له فروض الطاعة والولاء أثناء حصاره للدرعية؛ الأمر الذي مكنهم من العودة إلى إمارة الأحساء تحت السيادة العثمانية، واستمروا في ذلك ما يقرب من عشر سنوات.

وعند ظهور الإمام تركي بن عبد الله على المسرح السياسي، وتمكنه من قهر الحاميات العثمانية وإقامة الدولة السعودية من جديد دب الخوف والفزع في نفوس أمراء الأحساء[١] لظهور هذه القوة الفتية، وأدركوا حتمية استعادتها الأملاك السابقة للدولة السعودية ومنها الأحساء التي تعتبر في نفس الوقت امتداد طبيعي لنجد خاصة مع كونها مصدر قوة للدولة الجديدة لما تتمتع به من قوة اقتصادية وسياسية، إضافة إلى أن تركها تحت سيطرة آل عريعر المعروفين بمواقفهم العدائية خطر يتهدد أمن نجد ذاتها [٢]ومن شأنه أن يجعل الدولة السعودية تقع تحت خطر مزدوج من الشرق والغرب.

ولأن آل عريعر أدركوا تلك الحقيقة فقد عملوا سريعاً على توطيد إمارتهم في الأحساء، وإبعاد كل مامن شأنه تشكيل قوة سعودية أو موال لها؛ وذلك تمهيداً لفرض سيطرتهم المطلقة على الأقليم، ومن ثم التقدم لحرب الدولة السعودية في عقر دارها، ومن هنا رأوا ضرورة التخلص من القائد البحري الشهير رحمة بن جابر الحليف القوي لآل سعود في المنطقة؛ الذي عمل الإمام تركي على دعم قوته منذ عام ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م ليتمكن من تقويض إمارة بني خالد، كما أن رحمة من جانبه كان يرغب الاستفادة من الدعم السعودي لتحقيق أهدافه في البحرين وشواطيء الخليج العربي [٣].

---

(١) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص٦٥.

(٢) منير العجلاني: الإمام تركي بن عبد الله...، ص ١٦٧ .

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي ...، ص ٢٥٢، عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: صراع الأمراء، ط١، لندن: دار الساقي، ١٩٩٠م، ص ٨٦، ومع أن جمال زكريا قاسم: الخليج العربي، ص ٣٧٧ أشار إلى أن رحمة بن جابر كان يقاتل ضد السعوديين منذ استعادة الإمام -

ولذا فقد قام آل عريعر بالتحالف مع شيوخ البحرين سنة ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م بشن هجوم بحري ضد رحمة الذي كان قد فقد بصره، وكبر في السن، ورغم ماأبداه من دفاع ومقاومة إلا أن انفجار الذخائر في سفينته أودى بحياته [١].

وقد نتج عن نهاية رحمة قوة موقف أمراء بني خالد كثيراً في الأحساء [٢]، الأمر الذي شجعهم في تلك السنة على مهاجمة الأراضي السعودية للمرة الأولى منذ قيام الدولة السعودية الثانية حيث تقدمت قواتهم ونزلت حفر العتك* على بعد مائة وخمسين كيلاً شمال الرياض وكان هدفها تكوين تحالف مع بعض القوى المناوئة للإمام تركي وقواته[٣]، ومن الواضح أن تلك القوة لم تكن بحالة تسمح لها بمواجهة السعوديين مباشرة، لذا لجأت إلى محاولة التعاون مع قوى أخرى، غير أن الإمام تركي بن عبد الله سرعان ماأفشل هذا المخطط حين أرسل قواته لوأد هذا التحالف في مهده والقضاء عليه، وقد تمكنت من هزيمة أمراء بني خالد والاستيلاء على كثير من أموالهم[٤].

وفي العام التالي ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٨م عزم أمراء بني خالد على تكوين حملة كبيرة ضد الإمام تركي بن عبد الله فبدؤوا بجمع القوات لهذا الغرض، فما كان من الإمام تركي إلا أن استعد لمواجهتهم، واتخذ بعض الاحتياطات التي تنبيء عن براعته العسكرية حين أمر بردم موارد المياه في حفر العتك وأم الجماجم** [٥] لمنعهم من الوصول إلى الماء

= تركي بن عبد الله للأحساء، إلا أن الأحداث التاريخية تؤكد أن استعادة الإمام تركي للأحساء كانت سنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م أي بعد مقتل رحمة بحوالي ثلاث سنوات.

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٣٢-٣٣، محمد بن خليفة النبهاني: المصدر السابق، ص١٠٢-١٠٣.

(٢) Philby: op.cit. p.160.

* حفر العتك: موضع وافر المياه العذبة ويقع بالقرب من روضة التنهات على بعد ١٥٠ كيلاً شمال الرياض. عبد الله بن خميس: معجم اليمامة ١/٣٣٤-٣٣٥.

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي...، ص ٢٥٢ .

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٣٢ .

** أم الجماجم: منهل معروف شمال الأرطاوية في الحدود الغربية والجنوبية الغربية للدهناء. عبد الله ابن خميس: معجم اليمامة ١/١١١.

(٥) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٣٩ .

الأهمية القصوى في حروب الصحراء، وبالتالي شل حركتهم العسكرية، وإعاقتهم عن تنفيذ أي هجوم على نجد [١].

ومن المؤكد أن تلك الإجراءات قد منعت أمراء بني خالد من الهجوم الذي خططوا له عبر تلك الحملة، بل إن القوات السعودية بدأت منذ أوائل عام ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م بأخذ زمام المبادرة ومهاجمة الأحساء ذاتها لإرهاب أمراء بني خالد، وإضعافهم اقتصادياً؛ وبالتالي منعهم من التفكير في مهاجمة نجد مرة أخرى، لذا قام القائد السعودي عمر بن عفيصان بمهاجمة الأحساء، والاستيلاء على قافلة تجارية كانت في الطريق إليها من ميناء العقير[٢]، غير أن هذا الإجراء السعودي لم يكن رادعاً لأمراء بني خالد عن عدائهم للدولة السعودية فلم يلبثوا أن كونوا قوة جديدة بقيادة طلال بن حميد تقدمت إلى بلدة حرمة في سدير التي حاولت المقاومة، واشتبكت مع القوات المهاجمة؛ مما نتج عنه مقتل تسعة رجال من أهالي البلدة، وجرح عدد كبير منهم، ثم عادت القوات المهاجمة من حيث أتت[٣].

والملاحظ أن هجمات أمراء بني خالد تلك تزامنت مع حملة أمير مكة محمد ابن عون التي قام بها ضد الأراضي السعودية في عالية نجد، ولاشك أن هذا ينبيء عن وجود اتفاق بين هاتين القوتين المناوئتين للتخلص من الإمام تركي ودولته الناشئة، وقد أشارت بعض المراجع التاريخية إلى استنجاد أمراء بني خالد بأمراء الحجاز ضد الدولة السعودية الثانية في ظل انشغال والي بغداد داود باشا بمشاكله مع فارس[٤] وعدم وجود حليف قوي لهم في تلك الفترة.

وحين فشلت حملة ابن عون سالفة الذكر عمل أمراء بني خالد على تكوين حملة كبيرة تضم بين جنباتها قوات متعددة من قبائل مطير وعنزة وسبيع وبني حسين وكان

---

(١) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي...، ص ٢٥٣ .

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٤٥، Philby: op.cit. p.161 .

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٤٥ ويذكر عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٥٧ أن عدد قتلى حرمة ستة رجال.

(٤) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: نجديون وراء الحدود...، ص ٢١٠ .

هدف تلك الحملة الزحف إلى الرياض نفسها [١]، والقضاء على الدولة السعودية الثانية في عقر دارها، وقد تولى قيادة تلك الحملة ماجد بن عريعر زعيم بني خالد نفسه، وبمساندة من أخيه محمد الذي يكبره سناً ، وذلك لإتمام ماقام به ابن عون حيث أن الفارق الزمني بين نشاطيهما لايتعدى شهرًا واحدًا، والإعداد لمثل هذه الحملة لابد وأن يكون قد بدأ بفترة زمنية كافية.

وقد انطلقت قوات أمراء بني خالد من الأحساء متجهة إلى نجد حيث استقرت في منطقة بين الدهناء والصمان في رمضان من سنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م، وحين علم الإمام تركي بن عبد الله بتحرك تلك القوات أعلن النفير العام في بلدان نجد وقبائلها، فاجتمعت لديه قواتها بما فيها قبائل مطير وسبيع بفروعها الرئيسية رغم انضمام بعض فروعها إلى ابن عريعر، كما انضمت قوات السهول وقحطان وآل شامر والعجمان والدواسر إلى القوات السعودية بقيادة الأمير فيصل بن تركي حيث اتجه لصد هجوم أمراء بني خالد قبل تغلغل قواتهم داخل الأراضي السعودية، وظهرت براعة الأمير فيصل بن تركي العسكرية منذ وصوله إلى أرض القتال؛ حيث نزل موضعاً يمكنه من الحصول على الماء وفي نفس الوقت يحول دون حصول أعدائه عليه، وحين نشب القتال برزت القوة السعودية في مواجهة جموع بني خالد، واستمرت الاشتباكات عشرين يوماً حدث خلالها حادث كان عظيم الأهمية وهو وفاة ماجد بن عريعر متأثراً بمرضه[٢] الأمر الذي رفع من معنويات القوات السعودية وحط من معنويات خصومهم خاصة مع تقدم السن بمحمد بن عريعر

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٤٧-٤٨، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي...، ص ٢٥٨، عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ١٦٥ .

(٢) محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٦٨. عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٤٨، عبد الله ابن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٥٧، وتذكر بعض المصادر أن ماجداً قتل خلال المعارك الأولى مع السعوديين. مقبل الذكر: العقود الدرية، ورقة ٥٨، Philby:op.cit. p.162 الكسي فاسيلييف: المرجع السابق، ص ٢١٧، غير أن رواية الفاخري وابن بشر هي الأقرب ولو كان قد قتل على يد القوات السعودية لبادرا بذكره، كما أن الوثائق البريطانية تؤيد روايتهما. محمد نخلة: المرجع السابق، ص ٥٢، سعيد آل عمر: المرجع السابق، ص ١٨١.

وعجزه عن تحمل مسؤولية القيادة[١]، وحين أدرك الأمير فيصل بن تركي هذا الوضع سارع بطلب المزيد من النجدات فقدم إليه مايقارب ألف ومائتي مقاتل بقيادة الإمام تركي نفسه[٢]، مما يدل على أهمية المواجهة مع أمراء بني خالد والخطر الذي شكلته حملتهم تلك على الدولة السعودية الثانية.

وحين وصل الإمام تركي بن عبدا لله إلى أرض القتال في العشر الأواخر من رمضان ١٢٤٥هـ/١٨٣٠م اتخذ مقر قيادته مقابل مقر قيادة خصومه [٣]، وتمكن مع ابنه فيصل من تطويق قوات أمراء بني خالد مما أثار الهلع والذعر في صفوفها، وحين نشبت أقوى معركة خاضتها القوات السعودية خلال حكم الإمام تركي بن عبد الله يوم ٢٧ رمضان تلقت قوات أمراء بني خالد هزيمة كبيرة، زاد منها انسحاب بعض القبائل من صفوفها أثناء المعركة خاصة قبائل مطير التي خشيت من تطورات الحرب، وحين أدرك محمد وبرغش آل عريعر أن الهزيمة حاقت بقواتهما بادرا بالهرب والتراجع إلى الأحساء، بعد أن قتل الكثير من أتباعهما، واستولت قوات الإمام تركي على كثير من أمتعتهم وأموالهم ومواشيهم وأسلحتهم[٤].

ولقد ترتب على معركة السَّبِّيَّة تلك نتائج كبيرة ومؤثرة على مجريات الأحداث السياسية، فبالإضافة إلى الغنائم والأموال الكثيرة التي غنمها السعوديون واستمروا في جمعها

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٤٨/٢-٤٩، ١١١، عبد الله بن محمد البسام، تحفة المشتاق...، ورقة ٢٥٨، وقد تنازل محمد عن القيادة لابن اخيه برغش بن زيد بن عريعر. Winder: op.cit. p.176.

(٢) سعيد آل عمر: المرجع السابق، ص ١٨١، منير العجلاني: الإمام تركي بن عبد الله...، ص ١٧٤.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٤٨/٢، مقبل الذكير: العقود الدرية، ورقة ٥٩ .

(٤) وتسمى تلك المعركة معركة "السَّبِّيّة" لكثرة ماسبي فيها من الغنائم والأموال. عثمان بن بشر: المصدر السابق ٤٧/٢-٤٨. بينما يذهب إبراهيم بن عيسى: تاريخ بعض الحوادث...، ص١٥٨، أن الأسم يطلق على مكان المعركة منذ القدم، وهو موضع امتداد لرمل الدهناء إلى الجنوب الغربي من ماء معقلا. حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (المنطقة الشرقية)، ج٢، الرياض: دار اليمامة، د.ت.ن، ص٨٣١-٨٣٣.

ما يقارب عشرة أيام[١]؛ ترتب على المعركة نتيجة سياسية مهمة وهي نهاية سيطرة أمراء بني خالد على الأحساء، ودخولها في نطاق الدولة السعودية الثانية التي نجحت بإزالة إحدى القوى المناوئة لها، رغم محاولة محمد بن عريعر المقاومة والتحصن في بلدة الأحساء إلا أن تقدم الإمام تركي بقواته إلى المنطقة أدى إلى مسارعة الأهالي والأعيان لمبايعته؛ الأمر الذي أضعف موقف ابن عريعر فلم يجد أمامه بداً من الاستسلام، ورغم ماأبداه مع أخيه ماجد من عداء متواصل ضد الدولة السعودية لما يزيد عن اثني عشر عاماً إلا أن الإمام تركي بن عبد الله عامله بلطف وإحسان وسمح له بأخذ ما يحتاجه من الخيل والإبل[٢]، فرحل إلى العراق[٣]، بينما هرب ابن أخيه برغش إلى جهة غير معروفة[٤].

ومن المؤكد أن ثقة الإمام تركي بنفسه وقواته هي التي دعته إلى تسامحه مع ابن عريعر؛ إذ أن خروجه إلى العراق أحد أهم مراكز القوى المناوئة للدولة السعودية الثانية لم يكن ذا تأثير، وبتلك النهاية انتهى حكم أمراء بني خالد ممثلين بآل عريعر، ولم يشكلوا أي خطر يذكر ضد الدولة السعودية منذ ذلك الوقت [٥].

وقد عمل الإمام تركي بن عبد الله على ترتيب الأوضاع في الأحساء إدارياً وعسكرياً كما استقبل كثيراً من وفود بلدان المنطقة وقبائلها [٦].

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٤٩/٢، ويذكر منير العجلاني: الإمام تركي بن عبد الله...، ص ١٧٤ أن عدد ماغنمه السعوديون من الإبل وصل إلى مائة ألف رأس ونحو مليون من الأغنام، ورغم ماقد يحويه هذا التقدير من مبالغة إلا أنه ينبيء عن كثرة الغنائم بشكل عام.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٤٩/٢، مقبل الذكير: العقود الدرية، ورقة ٥٩ .

(٣) عايض الروقي: حروب محمد علي ...، ص ١٦٦.

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٤٩/٢ .

(٥) استمر موقف آل عريعر العدائي ضد الدولة السعودية فحاولوا العودة للسلطة عن طريق التعاون مع حملات محمد علي باشا خاصة حملة خورشيد باشا سنة ١٢٥٤هـ، ثم حاولوا من جديد عن طريق التعاون مع العثمانيين إبان حملة مدحت باشا على المنطقة سنة ١٢٨٨هـ،غير أنهم في كلتا المحاولتين لم يصلوا إلى السلطة الفعلية، وسرعان ماانتهى دورهم التاريخي في المنطقة، بعد أن ربطوا موقفهم بموقف القوى المناوئة للدولة السعودية الثانية دون فائدة تذكر.

(٦) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٤٩/٢-٥٠.

والملاحظ أن أمراء بني خالد لم يجدوا خلال صراعهم مع الإمام تركي دعماً يذكر من القوى المناوئة للدولة السعودية، ويعود ذلك إلى انشغال والي بغداد داود باشا بنزاعه مع فارس [١]، إضافة إلى التغييرات الأخيرة التي طرأت على موقف محمد علي باشا وعلاقته بذلك الوالي نتيجة لبدء مطامع والي مصر في الشام وتوتر علاقته بالدولة العثمانية بشكل عام، ولذا فإن داود باشا لم يشأ أن يقحم نفسه في صراع مع السعوديين رغبة في عدم دفعهم لتأييد خصمه الجديد محمد علي باشا رغم استبعاد ذلك فعلياً، ورغم احتمال ظهور تقارب أمراء بني خالد مع محمد علي باشا إلا أن ذلك لايعني له شيئاً في ظل انقراض قوة أمراء بني خالد.

وأياً كان الأمر فإن أمراء بني خالد حين أدركوا موقف داود هذا اتجهوا بطلب النجدة من محمد علي باشا وحكومته في الحجاز؛ خاصة مع ماأبداه أمراء الحجاز من دعم لأمراء بني خالد[٢]، وتعاون اتضح كثيراً إبان حملة ابن عون السابقة ضد نجد؛ وشكل تقارباً بين الجانبين ضد الدولة السعودية الثانية.

وبالفعل فإن سيطرة الدولة السعودية الثانية على الأحساء أثارت ثائرة والي الحجاز عابدين بك خاصة بعد فشل حملة محمد بن عون على نجد، لذا أرسل عابدين بك إلى محمد علي باشا يبلغه بخطورة الوضع في نجد والأحساء التي ضمها الإمام تركي إلى دولته، وفي نفس الوقت يستأذنه بشن حملة جديدة ضد الإمام تركي في أقرب وقت ممكن[٣].

ومن الواضح أن عابدين بك لم يكن جاداً في رغبته بقتال الإمام تركي لأنه لم يكن بحاجة إلى الاستئذان من محمد علي باشا، خاصة أن الأمر لم يحتج لذلك حين هاجم محمد بن عون نجداً في السنة الماضية، لكن هذا الوالي أراد الظهور أمام محمد علي باشا

---

(١) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: نجديون وراء الحدود...، ص ٢١٠ .

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٠ .

(٣) معية تركي: دفتر (٤٠) وثيقة (٤١٢) رسالة من محمد علي باشا إلى عابدين بك حول رأيه في قتال الإمام تركي، ٢٧ صفر ١٢٤٦هـ.

٤ معية تركي: دفتر (٤٠) وثيقة (٤١٣) رسالة من محمد علي باشا إلى أمير مكة حول رأيه في قتال الإمام تركي، ٢٧ صفر ١٢٤٦هـ.

بمظهر الحريص على قمع كل حركة سعودية، وهي السياسة التي اختطها سيده منذ مايزيد على عشر سنوات، كما أنه كان يدرك أن مشاغل محمد علي باشا ستمنعه من إيلاء الاهتمام الكافي بطلبه هذا.

وبالفعل فقد جاء الرد من محمد علي باشا بتاريخ ٢٧ صفر ١٢٤٦هـ في رسالتين وجههما إلى عابدين بك ومحمد بن عون، تضمنتا ذلك المعنى حيث أوضح أنه مشغول بإكمال نواقص جيشه، وتنظيم أحواله الإدارية، ووجههما بإسداء النصح للإمام تركي بالخضوع والهدوء وإن لم يفعل فإن القضاء عليه أمر سهل بواسطة جنود "كسيل العرم"[١]، ومما لاشك فيه أن هذا الرد من محمد علي باشا يوضح عدم جديته في اتخاذ موقف حازم تجاه الإمام تركي خاصة مع انشغاله بحروب الشام، واستعداده لخوض معارك جديدة مع العثمانيين؛ الأمر الذي يؤكد استبعاد مثل هذا العمل [٢]، في ظل إدراك محمد علي باشا أيضاً لتماسك البيت السعودي وتنامي قوته [٣].

وعلى أية حال فإن أمراء بني خالد لم يجدوا دعماً يذكر سواء من ولاة بغداد العثمانيين أو من محمد علي باشا الأمر الذي مكن الإمام تركي بن عبد الله من مد سيطرته بهدوء على كامل إقليم الأحساء، وبسط الأمر فيه، وإنهاء الفوضى والحروب التي كانت سائدة هناك منذ نهاية الدولة السعودية الأولى[٤].

كما تمكن الإمام تركي بن عبد الله على إثر ذلك أيضاً من مد سيطرته إلى ماوراء الأحساء حيث تم عقد اتفاق بينه وبين حكام البحرين التزم هؤلاء بموجبه بدفع الزكاة له وإخلاء قلعة الدمام مقابل حماية الإمام تركي للبحرين واحترام استقلالها[٥].

---

(١) معية تركي : دفتر (٤٠) وثيقة (٤١٣).
؛ معية تركي : دفتر (٤٠) وثيقة (٤١٢).

(٢) عايض الروقي: حروب محمد علي ... ص ٢١٤ .

(٣) بدر الدين عباس الخصوصي: "محمد علي والخليج العربي" مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت، ع٥ يونيو ١٩٧٤م، جمادى الأولى ١٣٩٤هـ، ص ١٠٢.

(٤) سعيد آل عمر: المرجع السابق ص ١٨٢ .

(٥) ج.ج. لوريمر: المرجع السابق ١٦٣٣/٣، عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: صراع الأمراء، ص ٨٨.

وفي نفس الوقت تلقى الإمام تركي بن عبد الله مبايعة وطاعة وفود من رأس الخيمة، وعُمَان، وعجمان، وغيرها من إمارات الساحل العماني[١] التي رحبت بعودة الدولة السعودية الثانية إلى تلك المناطق.

على الأن الأمر لم يصف تماماً للإمام تركي؛ إذ ظل أنصار آل عريعر يقومون بإثارة المشاكل ضده [٢]، ومما زاد الوضع سوءاً محاولة حكام البحرين استغلال ذلك بدفع بعض بني خالد لإحداث القلاقل ضد الإمام تركي وأمرائه في المنطقة خاصة في القطيف[٣] منذ سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣١م حيث جاءت تمرداتهم الأولى متزامنة مع محاولة مشاري بن عبد الرحمن الثورة ضد خاله الإمام تركي في تلك السنة[٤] وهو مايوحي بوجود تعاون بين أمراء بني خالد ومحمد علي باشا الذي كان خلف محاولة مشاري تلك.

غير أن المشاكل برزت بشكل أكبر سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م حين أعلن العماير من بني خالد الثورة ضد أمير القطيف عبد الله بن غانم [٥] بتحريض من شيخ البحرين عبد الله بن أحمد [٦]، الأمر الذي دفع الإمام تركي لإرسال ابنه فيصل على رأس حملة عسكرية لإخماد الثورة، فاستغل مشاري بن عبد الرحمن ذلك الوضع وقام بتنفيذ جريمته باغتيال خاله الإمام تركي.

لقد لعب أمراء بني خالد دوراً لايقل أهمية عن دور والي مصر في مقتل الإمام تركي حيث هيؤوا الوضع وسهلوا مهمة مشاري بن عبد الرحمن، وفي نفس الوقت فإنه لايمكن تبرئة شيخ البحرين الذي تشير الدلائل إلى أنه المحرض الرئيسي على ثورة بني خالد، كما أنه المستفيد منها ومن مقتل الإمام تركي، كما عبر عن ذلك بنفسه لامن

---

(١) عايض الروقي: حروب محمد علي ....، ص ١٦٦ .

(٢) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: صراع الأمراء، ص ٨٨ .

(٣) فتحية نبراوي، ومحمد مهنا: المرجع السابق، ص ٣١٣ .

(٤) ج.ج لوريمر: المرجع السابق، ١٦٣٣/٣ .

(٥) عثمان بن بشر: المصدر السابق، ٦١/٢ .

(٦) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ١٧٣ .

حيث إظهار الفرح والسرور فحسب بل بالتقدم بقواته إلى دارين وتاروت وسيهات ضمن الأراضي السعودية بمنطقة الأحساء، وسواء كان تحريضه على الثورة بموجب اتفاق مسبق مع الأطراف ذات العلاقة بمقتل الإمام تركي أم لا فإن من المحقق ظلوعه في تلك المؤامرة.

وقد شهد نزاع الدولة السعودية الثانية مع أمراء بني خالد خلال تلك الفترة ظهور بعض القوى المحلية في الأحساء التي لعبت دوراً في مجريات الأحداث حيث كانت تساند الدولة السعودية تارة وتقف ضدها تارة أخرى، وهو نهج طبيعي في الحياة القبلية داخل الجزيرة العربية في تلك الفترة، إذ أن قسماً من القبيلة كان يتخذ موقفاً تجاه الدولة السعودية الثانية مغايراً لموقف قسم آخر من نفس القبيلة يساند الدولة السعودية ويدعمها(١)..

وقد كان لقبيلة العجمان (٢) دور بارز ومهم في أحداث المنطقة منذ عهد الإمام تركي بن عبد الله، ورغم قلة المشاكل التي أحدثوها في تلك الفترة إلا أن انشغال الإمام تركي وقواته بمواجهة أخطار القوى الأخرى كأمراء الحجاز وأمراء بني خالد جعل مشاكل العجمان مصدر قلق متزايد للدولة السعودية الثانية التي لم ترغب بفتح مزيد من

---

(١) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢٢٨/١ .

(٢) العجمان أبناء مرزوق بن علي بن هشام من مذكر بن يام بن أصبا بن رافع بن مالك بن جشم من همدان من قحطان، وسموا بالعجمان نسبة إلى جدهم علي بن هشام الملقب بعجيم لعجمة في لسانه. والعجمان من قبائل يام التي تسكن نجران، وقد انتقلوا إلى نجد في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري، وفي عهد الإمام تركي برزت قوتهم وكان يعاملهم معاملة حسنة فأنزلهم أراضي بني خالد بعد سيطرته على الأحساء سنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م خاصة أنهم كانوا من أعوانه في معركة السبية، وقد تزايدت قوة العجمان حين عُيِّن فلاح بن حثلين زعيماً لهم، غير أنهم لم يشكلوا خطراً ضد الدولة السعودية الثانية في تلك الفترة بل كانوا من أنصارها.

عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٤٥/٢، إبراهيم بن عيسى، عقد الدرر .. ص ٢٦، ج فورستر سادلير: المصدر السابق، ص ص ٢١٠-٢١٢، حمد الجاسر: جمهرة أنساب.. ٥٢٢/٢-٥٢٤. ورغم ماأثاره العجمان من مشاكل فيما بعد إلا أن ذلك لايعني أن جميع أفراد وقوى هذه القبيلة كانوا يسلكون نفس المسلك، بل إن قسماً منها كان بجانب القوات السعودية. لزلي مكلو غلن: ابن سعود مؤسس مملكة، ترجمة محمد شيا، ط١، بيروت: شركة المطبوعات، ١٩٩٥م، ص٢٦٤.

الجبهات الداخلية أو الخارجية ضدها في وقت تعمل جاهدة لتوطيد نفوذها على منطقة الأحساء المهمة.

ولأجل ذلك فإن الإمام تركي بن عبد الله اكتفى بأخذ الزكاة من تلك القبيلة كتعبير عن ولائها له، وحين رفض العجمان دفعها سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م قرر الإمام تركي قتالهم فأدركهم الخوف وسارعوا إلى التنفيذ، غير أن السنة التالية شهدت اشتباكاً مسلحاً بين قبيلة العجمان والقوات السعودية في أم ربيعة بمنطقة الأحساء بسبب تردد العجمان في إبداء الطاعة والولاء، وقد لاذت قوات قبيلة العجمان بقيادة زعيمها فلاح ابن حثلين بالهرب، غير أنه لم يلبث أن قدم بنفسه إلى الإمام تركي للاعتذار والمبايعة خاصة حين سبقه إلى ذلك زعماء قبيلة آل مرة فوجد نفسه وحيداً، ورغم قبول الإمام تركي للموقف الجديد من فلاح بن حثلين إلا أنه أدرك ضرورة تأديبه لبعض الوقت فسجنه في الرياض، ثم لم يلبث أن عفا عنه وأطلق سراحه وأعاده لزعامة القبيلة(١).

ومنذ ذلك الوقت لم تبدر من قبيلة العجمان مشاكل جديدة بل إنهم كانوا من أعوان الأمير فيصل بن تركي حين عاد من الأحساء إلى الرياض للأخذ بثأر والده حين استشهد سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م، ولا أدل على ولاء العجمان آنذاك من تولي أحد أفرادهم وهو بداح العجمي قيادة الجيش الذي قام بحصار مشاري وتسلق أسوار القصر(٢)، الأمر الذي يدل على المكانة التي حظي بها العجمان خلال تلك الفترة.

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٥٥-٥٧، Winder: op.cit, p85.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٦٧/٢، وقد استشهد بداح سنة ١٢٥٢هـ حين كان يساهم في صد حملة اسماعيل بك ضد الدولة السعودية الثانية. نفس المصدر ٩٧/٢ .

*** توقف نشاط محمد علي باشا مؤقتاً ضد نجد:**

على الرغم من النزعة العدائية المتأصلة لدى محمد علي باشا إزاء الدولة السعودية إلا أن نشاطه المناوئ تجاهها لم يكن على وتيرة واحدة؛ إذ شهدت بعض الفترات تقلصاً ملحوظاً في حملاته ضدها، حيث لم تشهد الفترة منذ ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٤م وحتى استشهاد الإمام تركي بن عبد الله سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م أي اشتباك مباشر بين الطرفين رغم أهمية تلك الفترة.

ومن المؤكد أن ذلك لايرجع إلى تحسن نوايا محمد علي باشا تجاه الدولة السعودية بقدر مايرجع إلى انشغاله وعدم تمكنه من مواصلة حملاته ضدها؛ بدليل محاولاته السابقة بإثارة السلطان العثماني ضد الإمام تركي بن عبد الله، وبدليل استخدام بعض القوى المحلية داخل الجزيرة العربية للانتقام من ذلك الإمام والذي تمكن من إقامة الدولة وإعادة بنائها، وهو الأمر الذي يشكل ضربة معنوية كبيرة لمحمد علي باشا وقواته؛ خاصة أن ذلك العمل من الإمام تركي قد جاء على حساب حاميات محمد علي باشا نفسه التي كان قد أقامها في نجد تحدياً للإمام تركي ومحاولاته.

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن الإمام تركي بن عبد الله قد دان بالولاء والتبعية لحكومة محمد علي باشا(١)، بل ويرى البعض أن الإمام تركي بن عبد الله كان قد التزم بدفع مبلغ سنوي لحكومة محمد علي باشا(٢)، بيد أن الأحداث التاريخية والواقع الذي تؤكده المراجع التاريخية الموثوق بها هو أن الإمام تركي قد سعى للمهادنة وعدم المجابهة مع خصمه اللدود محمد علي باشا(٣) رغبة منه بعدم الاصطدام بتلك القوة العسكرية المتمكنة وهو لازال في طور البناء والتشييد لدولته الفتية(٤)، ومما يؤكد ذلك أن الإمام تركي بن عبد الله كان يتصرف بحكم دولته باستقلالية تامة بعيداً عن أي

---

(١) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ١٨٨.

(٢) ج.ج لوريمر: المرجع السابق ١٦٣٢/٣ .

(٣) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٧١ ، عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث. القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م، ص ٢٠٨.

(٤) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ١٨١ .

سلطة لممثل حكومة محمد علي باشا[١].

إن الأسباب الحقيقية لتوقف نشاط محمد علي باشا ضد الدولة السعودية الثانية تنحصر في ظروفه الخارجية المتمثلة بانشغاله بحروب اليونان والبحر المتوسط؛ التي كان يمثل فيها السلطان العثماني في مطلع العقد الرابع من القرن الثالث عشر الهجري وهي نفس الفترة التي عمل فيها الإمام تركي بن عبد الله على إعادة بناء الدولة السعودية من جديد، وقد اعترف محمد علي باشا نفسه بأن انشغاله بحروب اليونان قد حال بينه وبين التدخل في شؤون نجد خلال تلك الفترة [٢].

وفي أعقاب انتهاء تلك الحرب سنة ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م [٣] لم يكد محمد علي باشا يلتقط أنفاسه منها إلا ودخل في نزاع كبير مع السلطان العثماني نفسه طمعاً بالحصول على مناطق الشام وذلك سنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م، حيث حاول الحصول بطرق ودية على مايريد، وحين لم يتحقق ذلك بدأ صراعه المسلح مع القوات العثمانية في سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م فيما عرف بحرب الشام الأولى [٤]، الأمر الذي زاد من انشغاله عن الجزيرة العربية وأحوالها ولم يكن في وضع يسمح له بتوفير القوات اللازمة لقتال الإمام تركي بن عبد الله، لإدراكه أن من سوء التدبير فتح جبهتين للقتال في الشام ونجد في آن واحد[٥].

ولقد نتج عن تلك الحرب انشقاق الصف العثماني حيث أصبح محمد علي باشا معادياً للسلطان العثماني؛ وبالتالي تعذر عملهما سوياً ضد الإمام تركي بن عبد الله على غرار ماحدث إبان الحملات السابقة، ولاشك أن هذا قد خفف العبء على الدولة السعودية الثانية وقلص من خطر القوى المناوئة لها خارجياً وداخلياً.

ورغم انشغال محمد علي باشا بتلك الحروب فقد كان عاقداً العزم على قتال

---

(١) ج.ج لوريمر. المرجع السابق ١٦٣٢/٣.

(٢) معية تركي: دفتر (٢٢) وثيقة ٤٢٣ .

(٣) أمين سعيد: المرجع السابق، ص ١٤٥ .

(٤) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٤٤ .

(٥) عبد العزيز نوار: المرجع السابق، ص ٢٠٨.

السعوديين حال تمكنه من ذلك؛ لـذا فقـد أبلـغ والي الحجـاز عـابدين بـك في صفـر سـنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م بأن القضاء على الدولة السعودية الثانية أمر سهل التحقيق خاصة أنه -أي محمد علي- قد تمكن من تكوين جيـش قـوي مـدرب مسـلح يسـتطيع تنفيـذ تلـك المهمة بنجاح، ولكن قبل ذلك رأى محمد علي باشا ضـرورة الانتهـاء مـن قـانون الحكـم الجديد الذي عزم على إيجـاده والعمـل بموجبـه، ومـن ثـم الانتهـاء مـن ترتيبـات الحكـم الداخلية ليبدأ العمل خارجياً ضد الإمام تركي بن عبد الله ودولته (١).

غير أن تلك الآمال لم تتحقق إذ سرعان ماشغل محمد علي باشا بأمر علـى درجـة كبيرة من الخطورة وهو الثورة التي قام بها بعض الجند الغير نظاميين في جيشـه في الحجـاز بزعامة تركجة بيلمز * ضد الوالي الجديد في الحجـاز خورشـيد باشـا ** الـذي تـولى هـذا المنصب بعد وفاة الوالي السابق عابدين بك سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١ م (٢).

---

(١) معية تركي : دفتر (٤٠) وثيقة (٤١٢) .

* هو محمد أغا أحد مماليك مصطفى بك صهر محمد علي باشا، وكلمة تركجـة بيلمـز تعـني الـذي لايتحدث اللغة العربية، وكان قائداً لفرقة يزيد عددها عن ألفي شخص من الجند الغـير نظـاميين في الحجاز، وقد قام بالثورة بسـبب تـأخر مرتبـات الجنـد، وفي سنة ١٢٤٨هـ تم إخمـاد الثـورة وهرب تركجة محمولاً بالسفن البريطانية واستقر به المقام في البصـرة وعـين رئيسـاً لسـفنها تحـت أمرة والي بغداد حيث اتحدت مصالحهما لمواجهة محمد علـي باشـا ومطامعـه في العـراق. عـايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ١٣٠، ٤٧٧-٤٧٨. وتفيد الوثائق العثمانية أن تركجـة قـد قتل على يد والي بغـداد في منتصـف سـنة ١٢٥٤هــ. محـافظ الحجـاز: محفظـة (٥) وثيقـة ٢٦٤ حمراء. رسالة من محرم أغـا محـافظ المدينـة المنـورة إلى باشمعـاون الخديـوي حـول مقتـل تركجـة، ٢٥ جمادى الآخرة ١٢٥٤هـ. بينما تشير وثيقة أخـرى إلى أنـه تمكـن مـن الإفـلات والهـرب إلى شمال العراق. محافظ الحجاز: محفظة (٩) وثيقة (١٧٤) حمراء. رسالة من محافظ المدينة المنورة إلى كبير معاوني محمد علي باشا، ٢٤ ذي القعدة ١٢٥٥هـ.

** هو خورشيد باشا، وكلمة خورشيد بالتركية تعني الشمس، وهو قائد الباني جاء إلى مصر صغيراً وتعلم في مدارسها، وقد غادر الحجاز إلى مصر بعد ثـورة تركجـة، ثـم عـاد إلى الجزيـرة العربيـة بحملته ضد الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٥٤هــ/ ١٨٣٨م وبعـد ذلـك عـين وكـيلاً للجهاديـة بمصر ثم مديراً للدقهليـه، وتـوفي بـالمنصورة سـنة ١٢٦٥هــ. عثمـان بـن بشـر: المصـدر السـابق ٩٨/٢، خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة...، ٦١/١.

(٢) معية تركي: دفتر (٤٠) وثيقة (٧١٠) رسالة من الجناب العالي إلى قـاضي مكـة وأعيانهـا بشـأن تعيين خورشيد بك محافظاً لمكة، ٢٠ محرم ١٢٤٧هـ.

والواقع أن تلك الثورة كانت تمثل التحول الذي طرأ على العلاقات بين السلطان العثماني ومحمد علي باشا، ولذا فإن السلطان العثماني حاول الإفادة من الثورة حين أصدر أمراً بتعيين قائدها والياً على الحجاز لزيادة الضغط على محمد علي باشا الذي كان يخوض حرباً ضد الدولة العثمانية، فأصبح لزاماً عليه تشتيت جهوده بين مهمتين في آن واحد، ولم يكن الأمر يحتمل الانتظار، لذا فإن محمد علي باشا الحريص على الاحتفاظ بسيطرته ونفوذه في الجزيرة العربية خاصة الحجاز لم يلبث أن أرسل القوات من مصر بقيادة أحمد باشا لإخماد الثورة [(١)]، وهو ماتحقق بالفعل سنة ١٢٤٨هـ/[(٢)] ١٨٣٢م.

وبعيداً عن نتائج تلك الثورة على الأطراف المعنية بها فإن مايهمنا هو القول أن ثورة تركجة بيلمز زادت من مشاغل وأعباء محمد علي باشا، مما أدى إلى استمرار توقف نشاطه المناوىء للدولة السعودية الثانية طوال العقد الرابع من القرن الثالث عشر الهجري، مقتصراً على الدعم المعنوي لمحاولات يائسة من قبل قوى أخرى داخل الجزيرة العربية هدفها النيل من القوة السعودية المتنامية.

وتبعاً لسياسة محمد علي باشا التي انتهجها تجاه الدولة السعودية الثانية في تلك الفترة يمكننا القول أن محمد علي باشا حاول العمل على كسب ود بعض الأمراء السعوديين المقيمين في مصر، وأظهر الحرص على راحتهم ومنهم دوسري بن عبد الوهاب أبو نقطه [*] الذي كان والده أحد أبرز قادة جيوش الدولة السعودية الأولى، حيث أبدى

---

(١) عايض الروقي: حروب محمد علي ....، ص ٤٧٧ .

(٢) أحمد السباعي: المرجع السابق ٢/٥٢٠ .

* دوسري بن عبد الوهاب أبو نقطة، كان والده أحد قادة جيوش الدولة السعودية الأولى، وقد أخذ دوسري إلى مصر بعد نهاية تلك الدولة، وتشير الوثائق إلى أن محمد علي باشا كان يرغب بتعيينه أميراً بإحدى بلدان عسير. معية تركي دفتر (١٤) وثيقة (٣٨٠)؛ معية تركي دفتر (٧٤٦) وثيقة (٣٦)، غير أنه أرسل من قبل محمد علي باشا كموفد إلى الإمام فيصل، كما أرسل ضمن الحملة المصرية على عسير، ورغم ذلك فقد كان دوسري -كما جاء على لسانه- يميل إلى الجانب السعودي ويتمنى هزيمة قوات محمد علي باشا. موريس تاميزيه: رحلة في بلاد العرب (الحملة المصرية على عسير ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م) ترجمة وتعليق محمد بن عبد الله آل زلفة، ط١، الرياض: مطابع الشريف، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٣٥.

محمد علي باشا رغبته بتعيين دوسري أميراً في منطقة عسير مبدياً اهتمامه بتعيين أهالي البلاد في إماراتها [١]، بدلاً من أمراء يرسلهم من مصر.

كما أن تلك السياسة التي انتهجها محمد علي باشا قد أدت إلى عدم انصياعه للطلبات المتكررة التي كان ولاته في الحجاز يرسلونها إليه طالبين فيها تجريد الحملات ضد الإمام تركي بن عبد الله حين تمكن من السيطرة على الأحساء، بل إن محمد علي باشا لم يسمح لوالي الحجاز عابدين بك حتى بتكوين حملة من الحجاز نفسها لهذه المهمة، وكل ماقام به حث كل من عابدين بك وأمير الحجاز محمد بن عون على اتباع سياسة ضبط النفس واستخدام أسلوب الموعظة والمهادنة واللين مع الإمام تركي بن عبد الله وعدم الدخول معه في نزاع مسلح [٢].

وعلى إثر ذلك فإن أمير الحجاز محمد بن عون لم يقدم المساعدات العسكرية التي ألح في طلبها مشاري بن عبد الرحمن لقتال خاله الإمام تركي بن عبد الله وذلك حين التجأ إلى مكة المكرمة سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م مستنجداً بابن عون الذي اقتصر دوره على استضافة مشاري والاعتذار عن مساعدته عسكرياً ضد خاله، في ظل سياسة محمد علي باشا وولاته وأمرائه الرامية إلى تكثيف النشاط والجهد في النزاع مع السلطان العثماني ووقف النشاط المناوىء للدولة السعودية الثانية آنذاك، لذا فقد تم دعم مشاري معنوياً من قبل أمراء الحجاز، وتم إقناعه بأن الأسلوب الملائم هو العودة إلى نجد، والاعتذار من خاله عما بدر منه وطلب العفو والسماح [٣]، مع إضمار العداء والعمل ضده، في وقت واصل الإمام تركي بن عبد الله خطواته لتوطيد حكمه في الأحساء وساحل عمان، وتأديب بعض المتمردين الرافضين لدفع الزكاة [٤].

---

(١) معية تركي: دفتر (١٤) وثيقة (٣٨٠) رسالة من الجناب العالي إلى محافظ مكة المكرمة حول موضوع تعيين دوسري ابن أبو نقطه أميراً في إحدى المناطق، ١١ رمضان ١٢٣٩هـ.

؛ معية تركي: دفتر (٧٤٦) وثيقة (٣٦) رسالة من الديوان الخديوي إلى أمير مكة حول تأجيل تعيين دوسري أبو نقطة أميراً، ٩ ربيع ثاني ١٢٤٥هـ.

(٢) معية تركي: دفتر (٤٠) وثيقة (٤١٢).

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٥١/٢، ٥٨ .

(٤) عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٥٨، ٢٦٢ .

كما أن سياسة محمد علي باشا في تلك الفترة أظهرت عدم تعاونه مع بعض زعماء القبائل المعارضين للإمام تركي بن عبد الله في نجد ومنهم عجيل بن حمود أحد زعماء قبيلة عنزة الذي رفض دفع الزكاة واشتبك في قتال مع قوات الدولة السعودية الثانية التي يقودها الأمير فيصل بن تركي، وإزاء ذلك اتفق عجيل مع بعض مشايخ قبائل سبيع وقحطان والعجمان وشمر وغيرهم على قتال الإمام تركي بن عبد الله متخذين وسيلتين لهذا الهدف؛ أولاهما: أن ينتحل عجيل ابن حمود شخصية أحد أفراد آل سعود وهو خالد بن سعود بن عبد العزيز المقيم بمصر ويذهب إلى نجد كي يلتف الناس من حوله، ويتمكن من الإطاحة بحكم الإمام تركي ابن عبد الله[(١)].

وبالفعل اتجه عجيل إلى بريدة، وأعلن أنه الأمير خالد بن سعود وأنه تمكن من الهرب من مصر عن طريق السويس متنكراً بهيئة سائل، وأنه وصل إلى ينبع، ثم إلى بدر، ومنها اتجه إلى نجد، وحين علم الإمام تركي بن عبد الله بذلك أمر بإكرامه، فأقام في بريدة، وتزوج فيها، ثم انتقل إلى الرياض [(٢)] للكيد بالإمام تركي [(٣)] الذي أكرمه، غير أن أناساً يعرفون خالداً لم يلبثوا أن اكتشفوا حيلة عجيل فأبلغوا الإمام تركي بن عبد الله بذلك[(٤)]، فتم القبض عليه وسجنه، إلا أنه تمكن من الهرب واتجه إلى الحجاز [(٥)] عازماً على تنفيذ الوسيلة الثانية وهي: طلب المساعدة من محمد علي باشا وحكومته في الحجاز مقابل تسليم حكم نجد بعد نجاح المهمة إلى سلطات محمد علي باشا، لذا اتجه عجيل إلى

---

(١) خديوي تركي: دفتر (٧٨٠) وثيقة (٤٦٤) رسالة من ديوان الخديوي إلى المهردار تقرير وارد من الشيخ عجيل من قبيلة عنزة، ٢٤ شوال ١٢٤٧هـ.

؛ خديوي تركي: دفتر (٧٨٠) وثيقة (٥٣٨) رسالة من ديوان الخديوي إلى سليمان أغا محافظ المدينة المنورة حول فرار خالد بن سعود، ٧ ذي القعدة ١٢٤٧هـ.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٥٨/٢ .

(٣) Philby: op.cit. p. 166.

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٥٨/٢ .

(٥) خديوي تركي: دفتر (٧٨٠) وثيقة (٤٦٤).

؛ خديوي تركي: دفتر (٧٨٠) وثيقة (٥٣٨).

المدينة المنورة وبصحبته ستين هجاناً، وحين اقترب منها خرج إليه محتسبها إبراهيم الشوربجي، فاصطحبه إلى منزله معتقداً أنه خالد بن سعود، حيث كانت أخباره قد وصلت إلى المدينة المنورة، وبعد ذلك أبلغ الشوربجي محافظ المدينة المنورة سليمان أغا بالخبر، فاعتقد سليمان أغا أن عجيلاً هو خالد بن سعود، رغم أنه تخلى عن ادعائه، وأعلن عن شخصيته الحقيقية، وهدفه الحقيقي بطلب المساعدة من محافظ المدينة المنورة لمباغتة الإمام تركي بن عبد الله، والقبض عليه، ومن ثم تسليم الحكم لجنود محمد علي باشا، إلا أن المحافظ المذكور لم يصدق ماقاله عجيل وأصر على إرساله إلى مصر باعتباره خالد بن سعود[1]، رافضاً تقديم المساعدة التي طلبها؛ لأن حكومة محمد علي باشا ترى أن الوقت لم يحن بعد لإرسال الحملات العسكرية ضد نجد وذلك استمراراً لسياسة محمد علي باشا التي اتخذها في تلك الفترة والتي ترمي إلى إيقاف النشاط المناوىء للدولة السعودية الثانية، وتركيز الاهتمام بمناطق أخرى [2].

وقد تأكدت هذه السياسة بشكل واضح عندما وصل عجيل إلى القاهرة فتم إجراء تحقيق معه فأكد ماقاله لمحافظ المدينة المنورة، غير أن محمد علي باشا لم يلتفت إلى طلب المساعدة الذي تقدم به المذكور، وأمر بكتابة تقرير بذلك وإرساله مع عجيل إلى المدينة المنورة ليبقى في دار الضيافة دون تقديم أي مساعدة له، كما طلب من سليمان أغا إعادة التحقيق مع عجيل للتأكد من هويته، وفي نفس الوقت تم إبلاغ المحافظ بأن خالد ابن سعود الحقيقي لايزال في القاهرة، وأنه لم يغادرها [3].

وحين أعيد التحقيق مع عجيل أكد أقواله السابقة فبقي في دار الضيافة [4] دون تقديم أي عون له سواء من جانب محافظ المدينة المنورة أو من قبل محمد علي باشا، بل إن

---

(١) خديوي تركي: دفتر (٧٨٠) وثيقة (٤٦٤).
؛ خديوي تركي: دفتر (٧٨٠) وثيقة (٥٣٨).
(٢) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٨١ .
(٣) خديوي تركي: دفتر (٧٨٠) وثيقة (٤٦٤).
؛ خديوي تركي: دفتر (٧٨٠) وثيقة (٥٣٨).
(٤) خديوي تركي: دفتر (٧٨٠) وثيقة (٤٦٤).

المصادر تشير إلى أن عجيلاً قد قتل بتدبير من محمد علي باشا نفسه [١]، وقد يعود ذلك إلى تشكك محمد علي باشا بأمره وخشيته من أن يكون يضمر مؤامرة ضده، إضافة إلى أن انتحاله شخصية خالد بن سعود الذي لازال موجوداً في مصر أمر يثير البلبلة والاضطراب في الجهاز الأمني لوالي مصر في وقت هو أحوج مايكون إلى تهدئة الأوضاع الداخلية وتركيز الجهد على المشاكل الخارجية التي يواجهها في ذلك الوقت.

وعلى أية حال فإن محاولة عجيل بن حمود تلك لم يكتب لها النجاح وفشل بالحصول على أي دعم يذكر نتيجة لتوقف نشاط محمد علي باشا المناوىء للدولة السعودية الثانية؛ في وقت تمكن الإمام تركي من تشديد قبضته على حلفاء عجيل، وتوطيد حكمه في وسط الجزيرة العربية[٢].

أما على الصعيد الخارجي فقد أدت سياسة محمد علي باشا المتحفظة إلى عدم تعاونه مع سلطان مسقط السيد سعيد ضد الإمام تركي بن عبد الله حسب اقتراح بريطاني يتم بموجبه العمل بين والي مصر وسلطان مسقط للحيلولة دون التوسع السعودي في ساحل عمان، كما أن محمد علي باشا لم يقم بممارسة أي ضغط سياسي ضد الإمام تركي بن عبد الله بموجب الاقتراح السابق، رغم المحاولات البريطانية بالعمل على دفع محمد علي باشا لإخضاع الإمام تركي لسلطته، وذلك تمهيداً لإتاحة الفرصة لصنع السياسة البريطانية الجديدة إزاء تلك المشكلة[٣]، غير أن محمد علي باشا ظل ملتزماً الصمت؛ فلم يقم بشيء من ذلك في ظل سياسة إيقاف نشاطه المناوىء للدولة السعودية خلال تلك الفترة.

إن سياسة محمد علي باشا تلك قد أتاحت الفرصة أمام الإمام تركي بن عبد الله لانتهاز موقف تاريخي يرتبط بظروف محمد علي في الشام للعمل على إعادة بناء الدولة

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٥٨/٢، Philby: op.cit. p. 166 ، ويرى البعض أن عجيلاً ربما كان عميلاً لمحمد علي باشا. Winder: op.cit. p.84.

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد علي...، ص ٢٦٨ .

(٣) عايض الروقي : حروب محمد علي...، ص ١٨٠-١٨١ .

السعودية من جديد [١] وإخضاع بلدان نجد [٢] وتأديب المتمردين على دولته الناشئة، كما أن الفترة مابين ١٢٤٧هـ-١٢٤٩هـ/ ١٨٣١-١٨٣٣م التي تمثل فترة حرب الشام الأولى قد شكلت فرصة كبيرة للإمام تركي بن عبد الله كي يدعم نفوذه خاصة أن محمد علي باشا ظل طوال فترة حكم ذلك الإمام رافضاً القيام بأي تدخل عسكري مباشر ضد نجد [٣]، رغم إنه حاول قدر الإمكان إيقاف التوسع السعودي بما أتيح له من وسائل تمثلت بالدعم المعنوي لولاته في الحجاز وحثهم على المحافظة على الوضع القائم، مع محاولة الاستفادة من الأوضاع السائدة في الجزيرة العربية عامة ونجد خاصة لمنع أي تقدم سعودي محتمل إلى الحجاز.

ولقد كان من نتائج حرب الشام الأولى حدوث تغير مهم في المواقف وتغير في موازين القوى، إذ أصبح محمد علي باشا هو القوة المناوئة البارزة للدولة السعودية الثانية؛ في ظل تدهور علاقاته مع السلطان العثماني الذي حاول عبر ولاته في العراق التقرب إلى السعوديين والعمل معهم ضد أطماع والي مصر، كما أن إنهاء الإمام تركي رسمياً لإمارة أمراء بني خالد، وضعف موقف أمراء الحجاز بعد فشل حملتهم ضد نجد قد جعل محمد علي باشا وحيداً في موقفه العدائي تجاه الدولة السعودية الثانية، وهذا ماقلص نشاطه المعادي ضدها في ظل ظروفه الخارجية، مما مكن الإمام تركي من العمل وبقوة على توطيد حكمه وبناء دولته بعيداً عن مضايقات القوى المناوئة ونشاطها العدائي ضده.

وعلى الرغم من أن ظروف حكومة محمد علي باشا لم تساعدها بعد إيقاف حرب الشام الأولى سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م بموجب اتفاقية كوتاهية على العودة إلى نشاطها في نجد بنفس القوة التي كانت عليها إبان حملات محمد علي باشا ضد الدولة السعودية الأولى[٤]؛ إلا أنه لم يغب عن تفكير محمد علي باشا أمر القضاء على الدولة

---

(١) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ١٨٣ .

(٢) الكسي فاسيلييف: المرجع السابق، ص ٢١٧ .

(٣) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٢١٨ .

(٤) المرجع السابق، ص ٢١٨-٢١٩، ولمزيد من المعلومات عن صلح كوتاهية انظر نفس المرجع، ص ص ٨٩-٩٤ .

السعودية الثانية[1] خاصة أنه قد تشجع بانتصاراته التي حققها في الشام، وبالسمعة التي نالها دولياً في أعقاب تلك الأزمة، وتدخل الدول الأوربية لحلها في كوتاهية، فبدأت مطامعه التوسعية والاستقلالية تتضح بشكل كبير، فقرر ترك سياسته السابقة بإيقاف نشاطه العسكري المناويء للدولة السعودية الثانية، وبدأ العمل من جديد لتجريد الحملات العسكرية ضدها[2] متشجعاً بما حل بالقيادة السعودية التي رزئت بفقدان مؤسس الدولة الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود والذي تشير الدلائل إلى ظلوع محمد علي باشا بمؤامرة اغتياله.

ومن هنا فإن الفترة الأولى من حكم الإمام فيصل بن تركي ستشهد تجريد الحملات العسكرية من مصر إلى نجد بهدف القضاء على الحكم السعودي نهائياً وإعادة البلاد إلى ماكانت عليه بعد القضاء على الدولة السعودية الأولى.

ويتبين لنا من خلال هذا الفصل أن الإمام تركي بن عبد الله قد عمل لمواصلة جهوده لإعادة بناء الدولة السعودية من جديد وذلك عن طريق جهاده المتواصل ضد الحاميات العثمانية التي أبقيت لمنعه من ذلك العمل، وقد نجح الإمام تركي بن عبد الله بدعم ومؤازرة من الأهالي بطرد تلك الحاميات من نجد وتكوين الدولة السعودية الثانية التي عملت على تجنيب البلاد كل مامن شأنه تعريضها لعدوان خارجي من القوى المناوئة للدولة الجديدة.

ولذلك فقد عمل الإمام تركي على امتصاص الغضب العثماني ضده فبادر بإجراء الاتصالات بوالي بغداد العثماني عارضاً عليه تنقية الأجواء بين الطرفين، ومحاولاً الحصول على اعتراف عثماني بدولته التي نجح بتكوينها، مما قلص من حدة العداء العثماني له خاصة في ظل انشغال محمد علي باشا والي مصر العثماني بحروب خارجية جعلته عاجزاً عن اتخاذ أي إجراء عسكري ضد الدولة السعودية الثانية.

وإذا كان بعض الباحثين يرى أن محمد علي باشا لم يكن مدركاً لأبعاد تحركات

---

(١) معية تركي: دفتر (٢٢) وثيقة (٤٢٣) .

(٢) عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ٥٢ .

الإمام تركي بن عبد الله، وأنه رأى أنها ليست من الخطورة إلى درجة أن يشغل بها تفكيره ووقته[1]، إلا أن الواقع يؤكد عدم إغفال محمد علي باشا لخطورة تحركات الإمام تركي بن عبد الله على نفوذه وسيطرته في نجد، خاصة أن محمد علي باشا نفسه قد عمل على مطاردة الإمام تركي بحملات متتابعة للقبض عليه منذ سنة ١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م، فكيف لايهتم بتحركاته في مرحلة تمكن فيها من طرد بقايا تلك الحملات وهي الحاميات التي وضعها والي مصر للترصد للإمام تركي، كما أن الوثائق العثمانية تؤكد الاهتمام الكبير لمحمد علي باشا بدعم حامياته لصد هجمات الإمام تركي، وأصدر أوامره المتكرره لقادته في الحجاز لمساندة تلك الحاميات التي تعاني من حصار القوات السعودية بقيادة الإمام تركي نفسه [2].

ولقد واصل الإمام تركي مسيرته بنجاح، ولم تفلح محاولات أمراء الحجاز وتعاونهم مع أمراء بني خالد لوقف نمو الدولة السعودية الثانية وتوسع رقعتها، وانتهى الأمر بالقضاء على إمارة بني خالد وضم الأحساء إلى الدولة السعودية، وتوقف نشاط أمراء الحجاز ضد الدولة السعودية الثانية تبعاً لتوقف نشاط محمد علي باشا ضدها حين شغل بنزاعه مع الدولة العثمانية بسبب أطماعه التوسعية التي رغب بتحقيقها في الشام، وتبعاً لذلك حدث الانقسام في الصف العثماني، وبدأ نشاط تلك القوة المناوئة للدولة السعودية بالتضاؤل، وحدث تغير في مواقف ولاة الدولة العثمانية ليصبح النزاع سائداً بين السلطان العثماني وواليه في مصر الأمر الذي أفاد منه الإمام تركي بن عبد الله لمواصلة بناء دولته بعيداً عن عداء القوى المناوئة، وعلى رأسها محمد علي باشا الذي رفض الدخول في مواجهات عسكرية مع الإمام تركي، وظل دوره يقتصر على محاولات التفاهم الودي معه، وفي نفس الوقت استخدام وسائل غير معلنة للقضاء عليه، وقد نجح بتأليب مشاري بن عبد الرحمن لقتله والتخلص منه، كما نجح بالتخلص من مشاكله الخارجية، وتفرغ من نزاعه ضد الدولة العثمانية ليعود من جديد لحروبه ضد الدولة السعودية وضد الإمام فيصل بن تركي الذي نجح بالسيطرة على الأوضاع في دولته بعد استشهاد والده، ليبدأ مرحلة جديدة من النزاع العسكري مع محمد علي باشا وبقية القوى المناوئة للدولة السعودية الثانية.

---

(١) EL-Battrik. op.cit. P.179.

(٢) معية تركي: دفتر (٢١) وثيقة (٣٨).

الفصل الثالث
الحملات المناوئة للدولة السعودية الثانية خلال الفترة الأولى من حكم الإمام فيصل بن تركي
(١٢٥٠-١٢٥٩هـ/ ١٨٣٤-١٨٤٣م)

المبحث الأول: موقف الإمام فيصل بن تركي من قوات محمد علي باشا في الحجاز.

المبحث الثاني: حملة إسماعيل بك وخالد بن سعود (١٢٥٢هـ/١٨٣٦م).

المبحث الثالث: حملة خورشيد باشا واستسلام الإمام فيصل بن تركي (١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م).

المبحث الرابع: سيطرة قوات محمد علي باشا على نجد والموقف منها.

المبحث الخامس: معاهدة لندن وأثرها على الأحداث التاريخية في نجد (١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م).

*** موقف الإمام فيصل بن تركي من قوات محمد علي باشا في الحجاز:**

بعد انقطاع قارب الاثنتي عشرة سنة عاد محمد علي باشا لمزاولة نشاطه العسكري في نجد ومحاولة إخضاعها لحكمه؛ ويعلل الباحثون في هذا المجال اتخاذه لهذا الموقف بتعليلات مختلفة منها ماهو مرتبط بسياسة الإمام فيصل بن تركي الذي تولى الحكم في مطلع سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م حيث يرى البعض أن الإمام فيصل بن تركي رفض دفع أي مبالغ مالية لحكومة محمد علي باشا[١]، والواقع أن هذا الرأي لاترجحه الأحداث التاريخية إذ أنه لم يثبت تاريخياً أن حكومة الإمام تركي بن عبد الله كانت تدفع هذه المبالغ من قبل، ومن المؤكد أن هذه المبالغ لاتعني الكثير لمحمد علي باشا بدرجة تجعله يحشد جيوشه من أجلها[٢].

بينما يعلل البعض اتخاذ محمد علي باشا لهذا الموقف العدائي بأطماع الإمام فيصل ابن تركي التي بدأت تمتد إلى الحجاز التابعة لمحمد علي باشا[٣]، ولايمكن الأخذ بهذا القول إذ لم يبدر من الإمام فيصل أي تصرف بهذا الشأن خاصة وأنه في وضع لايمكنه من ذلك [٤].

وثمة أسباب أخرى تتداول بين الباحثين وتتعلق بالموقف العثماني الجديد تجاه محمد علي باشا الذي أصبح خصماً وعدواً للدولة العثمانية إثر حرب الشام الأولى وماتبعها من مستجدات في مواقف الطرفين، حيث عمل العثمانيون على توجيه ضربة لمحمد علي باشا وقواته داخل الجزيرة العربية بإثارة نقمة القوى المحلية ضده؛ إذ أوعز السلطان العثماني إلى والي بغداد علي باشا بتشجيع الإمام فيصل بن تركي على التصدي لمحمد علي باشا وأطماعه [٥]، وإبلاغه بقرب صدور فرمان يعترف بسلطة الإمام فيصل بن تركي على

---

(١) محمود حسن منسي: تاريخ الشرق العربي الحديث، القاهرة: دار الوزان، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص٢٠٦. حصة السعدي: المرجع السابق، ص ٦٣.

(٢) دلال السعيد: المرجع السابق، ص ٧٠.

(٣) أحمد شلبي: المرجع السابق، ص ١٦٣ .

(٤) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي...، ص ٢٨٢ .

(٥) مستور محمد الجابري: المرجع السابق، ص ٣٣.

كافة أنحاء الجزيرة العربية، مع تقديم الدعم المادي للقبائل هناك لضمان مساندتها له ضد محمد علي باشا[١]، فأدى هذا التقارب السعودي العثماني إلى غضب محمد علي باشا من الإمام فيصل بن تركي ومحاولة إقصائه عن الحكم، حيث اعتبره حاكماً عثمانياً يظفر برضى بغداد ذات الصلة المباشرة باستانبول[٢]، بل إن تلك الاتصالات العثمانية امتدت إلى أمير الحجاز محمد بن عون حيث أرسل علي رضا والي بغداد أبي الثناء الألوسي مفتي بغداد إلى مكة المكرمة ليعرض على ابن عون التعاون مع العثمانيين ضد محمد علي باشا[٣].

غير أن الأسباب الرئيسية لعودة نشاط محمد علي باشا وحملاته ضد الدولة السعودية الثانية تتمثل بظروف محمد علي باشا ذاته وحقيقة موقفه من قيام تلك الدولة؛ فمن المعروف أن محمد علي باشا هو العدو اللدود للدولة السعودية منذ دورها الأول الذي كانت نهايته على يد هذا الوالي، وحين أعيد بناء الدولة في دورها الثاني رأى في قيامها قوة تهدد سيادته[٤] في نجد بل وفي الجزيرة العربية، خاصة مع تزايد قوة تلك الدولة واتساعها، فعزم على ضربها والقضاء عليها وأعلن أنه سوف يسوق "جنوداً كسيل العرم.." ضدها [٥]، ورغم تلك الرغبة الجامحة لدى والي مصر إلا أن ظروفه الخارجية لم تمكنه من تنفيذ شيء حيالها، حيث شغل في مسألة اليونان ثم حرب الشام الأولى واللتين استغرقتا كثيراً من وقته مما أتاح الفرصة لبناء الدولة السعودية الثانية بهدوء.

---

(١) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ١٩١، ويبالغ البعض كثيراً في هذا التوجه وأن الدولة العثمانية أرادت استخدام الإمام فيصل لمهاجمة قوات محمد علي في الشام أو في مصر ذاتها. فتحية نبراوي ومحمد مهنا: المرجع السابق، ص ٢٦٤.

(٢) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: نجديون وراء الحدود...، ص ٢١١ .

(٣) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ١٤٦، ١٩٢، ويضيف هذا الباحث أن ذلك أثار سخط محمد علي باشا ضد ابن عون والذي أصبح يوصف منذ عام ١٢٥١هـ في الوثائق المصرية بعدم الانقياد لأوامر والي مصر، وفي صفر ١٢٥٢هـ استدعي ابن عون إلى القاهرة وبقي فيها حتى انسحاب قوات محمد علي باشا من الجزيرة العربية بموجب معاهدة لندن سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م.

(٤) عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ٥٢.

(٥) معية تركي: دفتر (٤٠) وثيقة (٤١٢).

وحين فرغ محمد علي باشا من كثير من مهامه الخارجية [١] خاصة حروبه في الشام قرر إعادة نشاطه في الجزيرة العربية وسط ظروف جديدة، ودوافع مستجدة كونه في تلك الحقبة يعمل لحسابه الخاص وأطماعه التوسعية لا لحساب السلطان العثماني الذي أصبح خصماً له، ولذا فإن محمد علي باشا حين نجح بالاستيلاء على بلاد الشام بدأ يرسم الخريطة التوسعية لدولته، فشملت تلك الخريطة كل شبه الجزيرة العربية والعراق والخليج العربي[٢].

ومن المرجح أن تلك الأطماع كانت هي السبب الرئيسي في عودة نشاط محمد علي باشا ضد الدولة السعودية التي رأى في وجودها حجر عثرة في سبيل تحقيق أحلامه خاصة في ظل خوفه من مواجهة سعودية محتملة من تلك الجهة إذا مانشب الصراع من جديد بينه وبين السلطان العثماني[٣] الذي بدا أكثر تقارباً مع السعوديين في تلك الآونة.

وعند تولى الإمام فيصل بن تركي زمام الأمور في الدولة السعودية الثانية قرر محمد علي باشا استئناف نشاطه العسكري المناوىء لها بعد أن كان يرى أن الوقت لم يحن لذلك إبان حكم الإمام تركي [٤]، ومما زاد من إصراره على هذا النهج فشل محاولته بإثارة الشقاق داخل البيت السعودي وتحريضه مشاري بن عبد الرحمن على التخلص من الإمام تركي بن عبد الله، وقد تمثل هذا الفشل في سرعة استعادة الإمام فيصل بن تركي لزمام الأمور في دولته وسرعة التفاف الناس من حوله، فرأى محمد علي باشا ضرورة القضاء على ذلك الإمام الذي رفض الخضوع له، لذا فليس من المستغرب أن تعتبر الوثائق المصرية خبر القبض على الإمام فيصل بن تركي وإقصائه عن الحكم بشارة كبيرة لدى محمد علي باشا وحكومته[٥].

---

(١) محمد ثنيان الثنيان: "انقضاض عنيزة على جنود خورشيد باشا وحصاره لها" مجلة جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد ١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٢٤٨.

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي...، ص٢٨١، محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص٩٤. بدر الدين الخصوصي: المرجع السابق، ص ١٠٢.

(٣) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٢٢٥.

(٤) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٩٤.

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (٧) وثيقة (١٥٧) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى الباشمعاون الخديوي، غرة ربيع الأول ١٢٥٥هـ.

كما أن الوضع الإداري في الحجاز كان مشجعاً لحكومة محمد علي باشا على استئناف النشاط المناوىء للدولة السعودية الثانية خاصة حين أعيد أحمد باشا إلى منصبه السابق كوال على الحجاز لتلك الحكومة منذ منتصف عام ١٢٤٨هـ وهو الذي عرف بنشاطه الكبير وعمله الدؤوب في سبيل تنفيذ أهداف وخطط محمد علي باشا في الجزيرة العربية حيث بدأ ذلك العمل مع مطلع عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م [(١)].

وقبل أن يباشر محمد علي باشا نشاطه العسكري ضد الإمام فيصل بن تركي والدولة السعودية الثانية كان لابد له من استخدام أسلوب جس النبض معه، والعمل على إيجاد المبرر لذلك النشاط فاتخذ لذلك **وسيلتين** تمثلت **أولاهما** بإرسال أحد تجار البحرين ويدعى عبد الله بن مشاري من مكة المكرمة إلى الأحساء مفوضاً من قبل والي الحجاز أحمد باشا بجباية عائدات المنطقة والتي تقارب أربعاً وعشرين ألف روبية [(٢)]، كما كان مفوضاً بإدارة الأمور في الإقليم باسم والي الحجاز [(٣)]، في وقت كانت الأحساء تخضع لسلطة الإمام فيصل بن تركي.

ومن المرجح أن إرسال ابن مشاري بهذه المهمة كان لجس نبض الإمام فيصل، ومعرفة مدى تمسكه بمنطقة الأحساء والقطيف، والإيحاء إليه بأن تلك المنطقة تتبع لمحمد علي باشا، إضافة إلى الرغبة بإشغال الإمام فيصل عن دعم ومساندة ثورة عسير التي عزم والي الحجاز أحمد باشا على قمعها[(٤)]، كما أن من أسباب إرسال ابن مشاري العمل على الحصول بواسطته على قواعد سياسية في المنطقة تمهيداً لإخضاعها لسيطرة محمد علي

---

(١) أحمد دحلان: المصدر السابق، ص ٣٠٩ .

(٢) سعيد آل عمر: المرجع السابق، ص ١٨٤.

(٣) عايض الروقي: حروب محمد علي ...، ص ١٩٣، وتفيد بعض المراجع أن ابن مشاري قد وصل إلى مسقط ولقي مساعدة حاكمها الذي زوده بقارب حمله إلى الأحساء، بينما وصل أبناؤه برسائل من حكومة بومباي البريطانية فيها طلب تسهيل مهمة والدهم، وقد وجد ابن مشاري الدعم من حكام البحرين لتحقيق هدفه. محمد نخلة: المرجع السابق، ص ٦٥. هناء العوهلي: المرجع السابق، ص ٨٥-٨٦.

(٤) محمد نخلة: المرجع السابق، ص ٦٥.

باشا[١].

ولما كان الإمام فيصل بن تركي يدرك المخاطر التي ستنتج عن مهمة ابن مشاري فقد تحرك سريعاً واتخذ اجراءات حاسمة حيث أمر عامله في المنطقة عمر بن عفيصان بطرد ابن مشاري والذي بادر بالهرب حين سمع بذلك، كما أرسل قواته بقيادة زويد العبد لتوطيد الأمن والاستقرار في الإقليم الشرقي من دولته [٢]، ليوحي إلى محمد علي باشا بمدى تمسكه بتلك المنطقة المهمة والحساسة وأنه لن يسمح لأي قوة بسلبها.

وحين فشلت وسيلة محمد علي باشا تلك وأدرك مدى قوة موقف الإمام فيصل ابن تركي، وتمسكه بأراضي دولته بادر باتخاذ **الوسيلة الثانية** وهي الضغط على ذلك الإمام لإجباره على دعم القوات المصرية التي عزم على إرسالها للقضاء على ثورة أهالي عسير الذين تمكنوا بقيادة عايض بن مرعي من إلحاق هزيمة فادحة بقوات والي الحجاز أحمد باشا وأمير مكة محمد بن عون عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م، كما غنموا الكثير مما تركه أعداؤهم[٣].

وكان محمد علي باشا يدرك مدى ارتباط موقف أهالي عسير بموقف الإمام فيصل ابن تركي، واتصالاتهم به للتنسيق ضد قوات والي مصر [٤]، كما كانت الشكوك تراود السلطات المصرية عن دعم عسكري يقدمه الإمام فيصل لأهالي عسير [٥]، واتضح الأمر كثيراً عن العلاقة بين الإمام فيصل بن تركي وأهالي عسير حين أرسلوا له كثيراً مما غنموه في معركتهم الأخيرة ضد قوات محمد علي باشا[٦]، كتأكيد على ولائهم له ورغبتهم

---

(١) سعيد آل عمر: المرجع السابق، ص ١٨٥.

(٢) عايض الروقي: حروب محمد علي ....، ص ١٩٣ .

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٨٤-٨٥، أحمد دحلان: المصدر السابق، ص ٣١٠.

(٤) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٣٠٦، ويرى بعض الباحثين أن الإمام فيصل كان يعمل لتشجيع أهالي عسير على الثورة ضد قوات محمد علي باشا. مستور محمد الجابري: المرجع السابق، ص ٣٤.

(٥) ج.ج لوريمر: المرجع السابق ، ٣/١٦٣٧.

(٦) عثمان بن بشر: المصدر السابق، ٢/٨٥. Philby: op.cit. p.174 .

بالانضمام تحت لواء دولته [١].

ولقد أدى هذا الموقف المتقارب بين الإمام فيصل بن تركي وأهالي عسير إلى قلق محمد علي باشا خاصة حين بدأ والي العراق العثماني يولي هذا الأمر اهتمامه ويتابع أخبار عسير بواسطة الإمام فيصل بن تركي[٢]، ولذا فإن والي مصر اتخذ أسلوب التهديد مع الإمام فيصل بن تركي حين أرسل إليه وفداً بزعامة دوسري بن عبد الوهاب أبو نقطة ليطلب منه دفع الخراج وبعض المطالب الأخرى [٣] المتمثلة بدعم قوات محمد علي باشا في الحجاز والمزمع إرسالها إلى عسير بالجمال بعدد يقدره البعض بعشرة آلاف جمل[٤]، إضافة إلى إعلان التبعية لحكومة الحجاز [٥]، وضرورة القدوم لمقابلة والي الحجاز أحمد باشا للتباحث معه في أمر القضاء على ثورة عسير[٦].

ولاشك أن إرسال دوسري كان بهدف اختبار ولائه لمحمد علي باشا، وإحراجه مع من كان تابعاً لهم، ولاسيما أن دوسري كان لايزال يحتفظ بالود والولاء للدولة السعودية[٧] رغم إقامته طويلاً في مصر وماأولاه له محمد علي من عناية ورعاية.

ويعلل ابن بشر مطالب محمد علي باشا تلك بالتذرع لمناصبة فيصل العداء ومن ثم إرسال قواته إلى نجد للسيطرة عليها[٨] خاصة أنه يدرك مدى العلاقة القوية التي تربط الإمام فيصل بأهالي عسير مما يجعل قبوله للطلب أمراً بعيد المنال في ظل معرفته التامة بأن

---

(١) عايض الروقي: حروب محمد علي ....، ص ١٩٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٧.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق، ٨٦/٢ .

(٤) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة ..، ٤٥/١، ويقدره البعض الآخر بخمسة عشر ألف جمل: Winder: op.cit. p.108 .

(٥) عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ٥٦ .

(٦) محمد نخلة: المرجع السابق، ص ٦٧ .

(٧) موريس تاميزيه: المرجع السابق، ص ٣٥ وهذا ينفي صفة الخيانة التي وصف البعض بها دوسري. منير العجلاني: عهد الإمام فيصل بن تركي، ط١، بيروت، دار النفائس، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص ٣٧.

(٨) عثمان بن بشر: المصدر السابق، ٨٦/٢ .

جيش محمد علي باشا في الحجاز مصدر خطر كبير عليه سواء استخدم ضد دولته أو ضد ثورة عسير [١].

وعلى أية حال فإن الإمام فيصل بن تركي رأى أن من المصلحة أن يلجأ إلى أسلوب اللين مع محمد علي باشا كي يتجنب الصدام الحربي مع قواته[٢]، فأرسل أخاه جلوي بن تركي إلى الحجاز محملاً بالهدايا للوالي أحمد باشا [٣] مبدياً رغبته في طيب العلاقة [٤] ومبيناً صعوبة وضعه الاقتصادي [٥] وصعوبة المرحلة التي تعيشها دولته وهي في طور البناء [٦].

وتبين الوثائق المصرية أن محمد علي باشا ركز في طلباته السابقة على موضوع دعم قوات الحجاز بالجمال من قبل الإمام فيصل بن تركي ، إضافة إلى حضوره للحجاز والتفاهم مع ولاتها، دون التركيز على المطالب الأخرى [٧]، لذا فإن الإمام فيصل ابن تركي الحريص على تجنب الصدام مع محمد علي باشا قد وافق على لسان أخيه جلوي ابن تركي على تقديم خمسة الآف جمل مقابل الحصول على اعتراف من محمد علي باشا بدولته، كما طلب دعمه ببعض من الجنود لتسهيل جمع ذلك العدد من الجمال، وكتأمين له ضد أي هجوم متوقع من قوات والي مصر الذي رفض العرض مصراً على تقديم العدد المحدد من الجمال، وعلى ضرورة قدوم الإمام فيصل بن تركي بنفسه إلى الحجاز، ومن ثم يمكن الاعتراف به وبدولته وإمداده بالجنود، وإن رفض فإن الجنود الذين طلبهم سيذهبون لقتاله في نجد وليس لمساعدته[٨].

---

(١) عبد الله العثيمين : تاريخ المملكة ...، ١/٢٤٢ .

(٢) عايض الروقي : حروب محمد علي...، ص ١٩٧.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق، ٢/٨٦.

(٤) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي ...، ص ٢٨٢ .

(٥) دلال السعيد: المرجع السابق، ص ٧٠ .

(٦) عايض الروقي: حروب محمد علي ...، ص ١٩٨.

(٧) معية تركي: دفتر (٦٦) وثيقة (٥٤٩) رسالة من الجناب العالي إلى أحمد باشا بشأن التفاهم مع فيصل بن تركي، ٢٠ جمادى الأولى ١٢٥١هـ.

(٨) هناء العوهلي: المرجع السابق، ص ٩٢-٩٣ .

ومن الواضح أن محمد علي باشا كان يدرك أن الإمام فيصل لن يقبل بذلك الطلب لضخامة العدد المطلوب من الجمال، ولأن قدومه للحجاز مخاطرة كبيرة قد ينجم عنها القبض عليه هو وإرساله إلى مصر، ولم تفلح محاولة الإمام فيصل بن تركي بتوسيط والي الحجاز أحمد باشا لإقناع حكومة محمد علي باشا بالموافقة على مطلبه [١]، بل أن جلوي بن تركي وقبل أن يعود إلى نجد اطلع بواسطة والي الحجاز على ماعزم عليه محمد علي باشا من إقصاء الإمام فيصل بن تركي عن الحكم، وتعيين خالد بن سعود المقيم في مصر بدلاً منه [٢]، لأنه وكما تقول الوثائق أبدى استعداده لمهاجمة عسير بجنود من أهل نجد حين وصوله إلى هناك[٣]، الأمر الذي يدل على ارتباط كبير بين عودة نشاط محمد علي باشا المناوىء للدولة السعودية الثانية وبين موضوع القضاء على ثورة عسير.

وقد أعلن محمد علي باشا سياسته تلك بشكل رسمي منذ شهر محرم سنة ١٢٥٢هـ في رسالتين ينبيء مضمونهما عن اهتمامه الكبير بالأمر واستعداده للحضور بنفسه إلى الجزيرة العربية لتنفيذ ماعزم عليه من تجريد حملة عسكرية قوية ضد الإمام فيصل بن تركي لأنه "أظهر عدم الانقياد بتردده في إعطاء بعض مايلزم للجيش..." [٤]، ولأنه بذلك قد "أظهر التمرد..." [٥].

وهكذا كان اعتذار الإمام فيصل بن تركي عن تقديم المساعدة ذريعة لمحمد علي باشا لبدء حملاته العسكرية من جديد ضد الدولة السعودية الثانية، وقد عاد جلوي ابن تركي من مكة المكرمة إلى نجد ليبلغ أخاه الإمام فيصل بما سمعه من والي الحجاز عما عزم عليه محمد علي باشا، كي يتخذ مايراه مناسباً.

---

(١) عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ٥٧ .

(٢) عايض الروقي: حروب محمد علي ...، ص ١٩٨.

(٣) Hatti Humayun: No. 23133. Tarihi: 8-10-1254.

(٤) معية تركي: دفتر (٧٠) وثيقة (٤٠٧) رسالة من الجناب العالي إلى عباس باشا بشأن إرسال الغلال إلى الحجاز لدعم حملة إسماعيل بك، ١٩ محرم ١٢٥٢هـ.

(٥) معية تركي: دفتر (٧٤) وثيقة (٤٨٩) رسالة من الجناب العالي إلى حبيب أفندي بشأن تجريد حملة ضد فيصل بن تركي، ٢٩ محرم ١٢٥٢هـ.

*** حملة إسماعيل بك وخالد بن سعود (١٢٥٢هـ/١٨٣٦م):**

كان السبب المعلن لقيام تلك الحملة رفض الإمام فيصل بن تركي تقديم المساعدة لقوات محمد علي باشا في الحجاز[١] ودعمها بالجمال [٢]، والواقع أن ذلك السبب لم يكن إلا ذريعة لمحمد علي باشا ليعود إلى الجزيرة العربية بأطماعه المتجددة الرامية للسيطرة عليها، والانطلاق منها إلى الخليج العربي والعراق العثمانية[٣] ولإحكام السيطرة على الشام، والقضاء على أي نفوذ عثماني في المشرق العربي خاصة بعد أن أصبح يسيطر على المقدسات الإسلامية، وبعد أن أصبح لديه جيش قوي[٤] مدرب على الطراز الفرنسي[٥] ظهرت إمكاناته بشكل واضح خلال الحروب التي خاضها ضد القوات العثمانية في حرب الشام الأولى والتي أظهرت رغبة والي مصر بالاستقلال [٦]، وتكوين امبراطورية كبرى، وإذا كانت الدولة السعودية الثانية ووسط الجزيرة العربية هدفاً رئيسياً لمحمد علي باشا وقواته فإنها لم تكن الهدف الوحيد بدليل تحرك قواته على عدة محاور داخل الجزيرة العربية استهدفت إخضاع نجد وعسير واليمن لسيطرته[٧]، وبدليل إلحاح محمد علي باشا الشديد لجمع الجمال التي يعتبرها "دعائم الجيش" في حروب الجزيرة العربية من كافة القبائل في الحجاز ونجد، وضرورة تزويده بالأعداد المتوقع الحصول عليها من الجمال ليتسنى له "معرفة الإجراءات.." التي سيتخذها [٨]، الأمر الذي يدل على أن الجمال لم تكن

---

(١) معية تركي: دفتر (٧٠) وثيقة (٤٠٧) .

؛ معيةتركي: دفتر (٧٤) وثيقة (٤٨٩).

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (١) دون رقم (٦٩ قديم)، رسالة من خورشيد باشا إلى محمد علي باشا ولي النعم حول عدد الجمال المطلوبة من نجد لإرسالها إلى عسير، ٢٩ ربيع الآخر ١٢٥٣هـ.

(٣) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٢٦٧، مالك رشوان: المرجع السابق، ص ١٩٣.

(٤) معية تركي: دفتر (٤٠) وثيقة (٤١٢).

(٥) عمر طوسون: المصدر السابق، ص ٤٦-٤٧.

(٦) مصطفى النحاس جبر: آل سعود في الجزيرة العربية، ط١، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٤٢، جبران شامية: المرجع السابق، ص ٧٠ .

(٧) ل.أ. سيديو: المرجع السابق، ص ٤٤٧ .

(٨) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٢٨) حمراء، رسالة من أحمد باشا إلى وزير الداخلية بمصر =

غايته بل وسيلة لدعم قواته وتحركاتها في المحاور المحددة، وفي ضوء ذلك صدرت الأوامر بتكوين حملة عسكرية تنطلق من مصر للقضاء على الدولة السعودية الثانية.

ويلاحظ من خلال الحملة الجديدة اتخاذ محمد علي باشا سياسة جديدة في حملاته العسكرية ضد الدولة السعودية الثانية حينما قرر أن تكون قيادة تلك الحملة مشتركة بين قادته وبين بعض أمراء آل سعود المقيمين في مصر منذ نهاية الدولة السعودية الأولى، حيث جعل من بين قادة الحملة الأمير خالد بن سعود الذي تقرر تعيينه أميراً على نجد بدلاً من الإمام فيصل بن تركي، ويعود هذا الإجراء إلى أن خالداً كان مطيعاً لتعليمات محمد علي باشا وتنفيذ مايريد حين تعهد له باستعداده عند توليه زمام الأمور في نجد بمهاجمة عسير بجنود من هناك[١]، كما أن محمد علي باشا هدف من ذلك إلى زرع الشقاق بين الأسرة السعودية وضرب بعضها ببعض [٢]، خاصة بعد فشل محاولته السابقة مع مشاري بن عبد الرحمن، إضافة إلى إيجاد شرخ في صفوف الدولة السعودية الثانية حين يوالي بعض الأهالي الأمير خالد ويوالي البعض الأخر الإمام فيصل وكلاهما من أسرة آل سعود التي تحظى بالولاء في المنطقة ليتمكن بسياسة التفرقة تلك من إخضاع المنطقة لنفوذه وهيمنته[٣]، ومن المؤكد أن محمد علي باشا كان يعتقد أن إرسال خالد بن سعود ضمن الحملة يعطي عملياته في نجد نوعاً من الشرعية أمام الأهالي وصفة الشرعية كذلك أمام بريطانيا والقوى الأخرى[٤]، خاصة بعد أن أدرك من خلال حملاته السابقة أن أهل نجد لايخضعون لأي حاكم أجنبي[٥] فظن أن ذلك سيذلل الصعاب أمام الحملة [٦] وأن

= حول طلب استصدار أمر لخورشيد باشا لإرسال كشوف الجمال المطلوبة، ١١ ربيع الثاني ١٢٥٣هـ.

(١) Hatti Humayun: No. 23133. Tarihi: 8-10-1254.

(٢) دلال السعيد: المرجع السابق، ص ٧١ .

(٣) EL-Battrik: op.cit, p. 181 ، عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/٢٤٢ .

(٤) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٢٦٧.

(٥) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٢٠٢ .

(٦) محمد الثنيان: المرجع السابق، ص ٢٤٨.

الأهالي سيتقبلون الأمر ويطيعون خالداً [١].

ولم يكن خالد بن سعود ليعين في منصب إمارة نجد ويرسل ضمن قيادة الحملة لولا ثقة محمد علي باشا الكبيرة به خاصة أنه كان يعمل كاتباً في ديوانه [٢] كموظف من الدرجة العالية منذ سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٥م [٣]، مما ينفي ماذكره البعض بأن خالداً كان سجيناً فأطلق سراحه لتلك المهمة[٤]؛ فليس من المعقول أن يكلف بتلك المهمة وهو معتقل سياسي لدى محمد علي باشا، وتبين الوثائق المصرية أن محمد علي باشا اختار شخصية خالد بن سعود بناء على تشاور مع حبيب أفندي مأمور ديوانه، ثم صرف النظر عن ذلك إلا أنه عاد بتاريخ ٢٨ صفر ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م ليقرر إرسال خالد بمهمته تلك[٥]، وفي ٨ ربيع الأول ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م أصدر محمد علي باشا أمراً بمنحه رتبة "قائمقام" من الدرجة الثانية وإعطائه وسام تلك المرتبة[٦]، البالغة قيمته ألف ومائة وخمسة وأربعون قرشاً عثمانياً [٧]، كما منح راتباً شهرياً مقداره ٢٥٠٠ قرشاً، وذلك

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق، ٨٨/٢، وقد يكون محمد علي باشا أخذ تلك الفكرة من خلال محاولة عجيل بن حمود السابقة بانتحال شخصية خالد بن سعود وترحيب الأهالي به. وقد حاول محمد علي باشا استخدام هذه السياسة في حملاته على عسير، حين أرسل دوسري أبو نقطة ضمن الحملة المصرية إلى تلك المنطقة في نفس الفترة. موريس تاميزيه: المصدر السابق، ص ٣٥.

(٢) معية تركي: دفتر (٧٤) وثيقة (٧٥١) رسالة من الجناب العالي إلى حبيب أفندي حول منح الرتب لخالد بن سعود، ١٨ ربيع الأول ١٢٥٢هـ.

؛ معية تركي: دفتر (٧٤) وثيقة (٦٩٩) رسالة من الجناب العالي إلى حبيب أفندي حول منح الرتب لخالد بن سعود لانتدابه إلى نجد، ١٨ ربيع الأول ١٢٥٢هـ.

(٣) EL-Battrik: op.cit, p.180.

(٤) ج.ج لوريمر: المرجع السابق، ١٦٣٧/٣ .

(٥) معية تركي: دفتر (٧٤) وثيقة (٦٥٢) رسالة من المعية إلى حبيب أفندي بشأن اختيار أحد أفراد آل سعود لحملة إسماعيل بك، ٢٨ صفر ١٢٥٢هـ.

(٦) معية تركي: دفتر (٧٤) وثيقة (٦٩٩). "والقائمقام ينوب عن أمير الآلاي، وهو في المرتبة العاشرة من الرتب العسكرية في حكومة محمد علي باشا وشعارها عبارة عن هلال ونجمة من الذهب والنجمة مرصعة بالألماس، ويبلغ مرتبها ٣٠٠٠ جنيه". عمر طوسون: المصدر السابق، ص ٤٠-٤١.

(٧) خديوي تركي: دفتر (٨٥٥) بند متفرقات، من الديوان الخديوي إلى سر عسكر نجد حول =

بمناسبة انتدابه إلى نجد (١).

أما القائد الرئيسي للحملة فقد كان إسماعيل بك مدير شرطة القاهرة السابق الذي يحمل مرتبة أمير آلاي "ميرالاي"(٢)، وقد بلغ قوام الحملة حسب الأوامر الأولى بتكوينها ألف من الفرسان العرب في مصر وألف من المشاة المغاربة، كما عين لخدمة إسماعيل بك ومرافقته وحمايته ثلاثون شاباً من الأغوات أقوياء البنية تم اختيارهم من قبل الباشجاويش*(٣)، كما ضمت الحملة مجموعة من الأتراك والألبان والبدو المصريين(٤)، على أن يُضم إليها حين تصل الجزيرة العربية ثلاثمائة من المشاة المقيمين في الحجاز ومجموعة أخرى من المشاة سيتم إرسالهم من الشام (٥)، وزودت الحملة بعدد من

= سحب بعض النياشين من خالد بن سعود، ٢٢ ربيع الأول ١٢٥٥هـ، وتشير هذه الوثيقة إلى أن خالد بن سعود فقد ذلك الوسام في معركة الحلوة.

(١) معية تركي: دفتر (٧٤) وثيقة (٧٥١).

(٢) معية تركي: دفتر (٧٤) وثيقة (٤٨٩). "وشعار تلك الرتبة هلال ونجمة من الذهب مرصعين بالألماس، ومرتبها يبلغ ٨٠٠٠ جنيه". عمر طوسون: المصدر السابق، ص ٤٠-٤١، كما منح إسماعيل بك لقب حاكم الدرعية "حكمدار الدرعية". معية تركي: دفتر (٧٤) وثيقة (٨٧٠) رسالة من الجناب العالي إلى حبيب أفندي، ٢١ ربيع الثاني ١٢٥٢هـ. رغم أن العاصمة السعودية كانت الرياض إلا أن الدرعية استمرت محتفظة بأهميتها لدى محمد علي باشا وقادته باعتبارها مهد الدولة السعودية التي تواجه مناوئة وعداء ذلك الوالي.

* الباشجاويش رتبة عسكرية تعني رئيس فرقة وهي في المرتبة الثالثة من الرتب العسكرية، ومرتبها ٤٠ جنيهاً. عمر طوسون: المصدر السابق، ص ٤١.

(٣) معية تركي: دفتر (٧٤) وثيقة (٥١٧) رسالة من الجناب العالي إلى حبيب أفندي بشأن إرسال حسن أغا رئيس الأدلاء إلى نجد ٢٦ محرم ١٢٥٢هـ.

؛ معية تركي: دفتر (٧٤) وثيقة (٤٨٩)، ويوافق ابن بشر ماتذكره الوثائق المصرية عن أعداد جنود الحملة. عثمان بن بشر: المصدر السابق، ٢/٨٨ .

(٤) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٩٦، الكسي فاسيلييف: المرجع السابق، ص٢٢٥.

(٥) معية تركي: دفتر (٧٤) وثيقة (٨١٠) رسالة من الجناب العالي إلى حبيب أفندي، ٣ ربيع الآخر ١٢٥٢هـ.

؛ معية تركي: دفتر (٧٤) وثيقة (٨١١) رسالة من الجناب العالي إلى حبيب أفندي، ٣ ربيع الآخر ١٢٥٢هـ.

المدافع [١]، وطبيب [٢]، وخزينة خاصة بمصاريف الجيش[٣]، ورقيب على الغلال[٤] وبعض الخبراء الزراعيين [٥].

كما تم دعم الحملة بالأموال اللازمة التي ترسل تباعاً عن طريق المدينة المنورة [٦]، بجانب كميات كبيرة من الحنطة والشعير والفول [٧] والكساوي [٨] وغيرها .

وقد أصدر محمد علي باشا أوامره إلى عباس باشا* وبقية موظفيه في مصر

---

(١) يقدرها بعض المؤرخين بستة عشر مدفعاً، ج.ج لوريمر: المرجع السابق، ١٦٣٧/٣، بدر الدين الخصوصي: المرجع السابق، ص ١٢٥ . بينما يقدرها البعض الآخر بثلاثة مدافع. هناء العوهلي: المرجع السابق، ص ٩٨.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (٢٣٦) زرقاء. رسالة إلى أحمد باشا حول توفير الطبيب للحملة.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٣) وثيقة (٢٢٩) حمراء. رسالة إلى وزير الداخلية حول ترتيب الشؤون المالية للحملة.

(٤) معية تركي: دفتر (٧٠) وثيقة (٦٤٠). رسالة من الجناب العالي إلى مدير المنوفية لإرسال رقيب للغلال لحملة إسماعيل بك، ٢١ ربيع الثاني ١٢٥٣هـ.

(٥) معية تركي: دفتر (٧٧) وثيقة (١٥١) رسالة من الجناب العالي إلى الباشا الوكيل حول إرسال إبراهيم الألفي مع إسماعيل بك، ربيع الثاني ١٢٥٢هـ. وتبين هذه الوثيقة أن محمد علي باشا حاول دعم الحملة ببعض قادته للاستفادة من خبرتهم الحربية رغم إصابتهم في معارك سابقة. وكان الزي الرسمي للجيش المتجه إلى نجد يتكون من المعطف القصير ذي شبك فوق الصدر، وسروال متسع إلى الركبة، وطربوش أحمر، وحزام عريض يشد به الوسط، وحذاء تركي أحمر اللون، ولفافة على الساق بين السروال والحذاء، وكان طابع الجيش طابعاً فرنسياً بأنظمته وحركاته. عمر طوسون: المصدر السابق، ص ص ٣٨-٣٩، ٤٦-٤٧.

(٦) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٥٥) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى وزير الداخلية حول نقل المون إلى إسماعيل بك، غرة جمادى الأولى ١٢٥٣هـ.

(٧) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٩٣) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة بشأن إرسال الجنود والذخائر لإسماعيل بك، ٩ صفر ١٢٥٣هـ.

(٨) محافظ الحجاز : محفظة (٢) وثيقة (١٠٦) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى وزير الداخلية حول تأخر إرسال الكساوي لإسماعيل بك، ٦ جماد ثاني ١٢٥٣هـ.

* عباس حلمي بن أحمد طوسون بن محمد علي باشا من زوجته "بنبا قادين" وقد ولد عباس في =

والحجاز ومحافظي جدة والمدينة المنورة وينبع بتوفير كل ماتحتاجه الحملة من مؤن وعتاد وذخيرة ورجال وحذرهم من أي تقصير [١].

وتمثلت مهمة الحملة بالقضاء أولاً على حكم الإمام فيصل بن تركي ومن ثم تعيين خالد بن سعود أميراً على نجد[٢]، إضافة إلى العمل على توطيد سيطرة محمد علي باشا وسلطته في الجزيرة العربية والحصول بشتى الطرق على أكبر قدر ممكن من الجمال التي تضمن سهولة تنقل قواته في صحراء تلك المناطق[٣]، كما كلفت الحملة بالاهتمام بالجوانب الزراعية، وتقدير زكاة المحاصيل، وقبضها من المزارعين، والاستفادة منها في مؤونة الجيش وإعاشته [٤]، وبجانب ذلك كان على قادة الحملة استقطاب زعماء القبائل إلى جانبهم والإستفادة منهم في إخضاع بلدانهم وضمان عدم مقاومتها للحملة [٥].

= جدة عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م إبان حملات محمد علي باشا ضد الدولة السعودية الأولى، وقد كان عباس مقرباً من محمد علي باشا الذي منحه بعض الصلاحيات الإدارية، وبعد وفاة عمه إبراهيم باشا في نهاية عام ١٢٦٤هـ/ نوفمبر ١٨٤٨م أصبح والياً على مصر، فبدأ سياسة جديدة تمثلت بتوطيد علاقاته مع العثمانيين، لدرجة أن ابنه إبراهيم إلهامي تزوج "منيرة" بنت السلطان عبد المجيد، كما شهد عهد عباس تحسن علاقات مصر مع الدولة السعودية الثانية، وكانت وفاته سنة ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م. طه حسين الدالي: أوضاع مصر في عهد عباس الأول (١٨٤٨-١٨٥٤م) . رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩١م، ص٢، ٥، ١٧، ٢٧١، ٢٨١، ٢٣٦.

(١) معية تركي: دفتر (٧٠) وثيقة (٤٠٧).
؛ معية تركي: دفتر (٧٤) وثيقة (٧٨٠).

(٢) Hatti Humayun: No. 23133. Tarihi: 8-10-1254.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة دون رقم.
؛ محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٢٨) حمراء.
؛ محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٨٩) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى وزير الداخلية، ١٧ رجب ١٢٥٣هـ.

(٤) محافظ عابدين: محفظة (٢٥٥) وثيقة ٢/٥٦. رسالة من اللواء إسماعيل بك إلى صاحب الدولة حول تقدير زكاة القصيم، ٢٥ محرم ١٢٥٣هـ.

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٨٩) حمراء.

تحركت قوات الحملة عن طريق السويس – قنا – القصير – ينبع [١]، بينما تم نقل قائديها إلى الجزيرة العربية بواسطة نوع سريع من السفن يسمى "فنجة" [٢] لضمان راحتهما، وكان تحرك الحملة من القاهرة في ربيع الثاني من عام ١٢٥٢هـ يوليو ١٨٣٦م[٣]، وحين علم الإمام فيصل بن تركي بوصول الحملة إلى ينبع بادر بإرسال محمد بن ناهض* أمير قصر بسام بمنطقة السر للالتقاء بقادتها، ومعرفة نواياهم وأحوال حملتهم وإمكاناتها، وفي نفس الوقت كان على ابن ناهض محاولة الوصول إلى تفاهم مع إسماعيل بك لوقف تقدم الحملة، وتفادي الصدام المسلح حيث قدم له الهدايا القيمة، وقد أبلغ ابن ناهض الإمام فيصل أن قوام الحملة ألفي مقاتل، وأن قادتها قد أصروا على التقدم لقتال الإمام فيصل رافضين الدخول في أية مفاوضات معه، فواصلت القوات الغازية تقدمها من ينبع إلى المدينة المنورة ومنها إلى الحناكية[٤].

ومن هنا أدرك الإمام فيصل بن تركي أن الاشتباك المسلح مع الحملة أمر حتمي، ورأى ضرورة المسارعة بأخذ الاحتياطات اللازمة للمواجهة فاستشار أتباعه في الخطوة التي يجب اتباعها بهذا الشأن؛ فبرز رأيان **الأول** أشار به الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ويقتضي إقامة الإمام وقواته في منطقة متوسطة بين الدهناء وبلدان نجد وذلك لتحقيق الأهداف الآتية:

---

(١) عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ٥٥.

(٢) معية تركي: دفتر (٤) وثيقة (٤٩٩)، رسالة من الجناب العالي إلى حسين أفندي بشأن إرسال إسماعيل بك وخالد بن سعود بسفينة سريعة، ٩ ربيع الأول ١٢٥٢هـ.

(٣) هناء العوهلي: المرجع السابق، ص ٩٩ .

* محمد بن ناهض الحربي وكان أميراً على عنيزة في عهد الإمام تركي بن عبد الله . محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٩٦.

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق، ٢/٨٨، ويشير مقبل الذكير: العقود الدرية..، ورقة ٦٤، إلى أن إرسال ابن ناهض كان بعد وصول الحملة إلى الحناكية، غير أن هذا مستبعد لأن ابن ناهض قد عاد إلى الإمام فيصل وأخبره بأخبار الحملة قبل رحيلها من المدينة المنورة. عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٨٨.

١) البقاء على مقربة من رجال البادية الذين يتخذون من الدهناء مرعى لمواشيهم ليتسنى له ضمهم إليه، وتأليف قلوبهم، وضمان مساعدتهم له حين ينشب القتال.

٢) الاستفادة من إمكانات الوشم وسدير الزراعية، والحصول منها على البر والتمر لتموين قواته.

٣) الاستفادة من إمكانات الإحساء الزراعية بالحصول على الحبوب لنفس الغرض.

٤) إرسال فرق من قواته إلى القصيم لتبقى مرابطة هناك مما يجعل قادة الحملة يحجمون عن التقدم إلى الوشم والعارض خوفاً من مهاجمة تلك الفرق لهم.

٥) صعوبة وصول قوات الحملة إلى صحراء الدهناء؛ إذ أن الجنود سيلاقون الهلاك خلال يوم أو يومين من تقدمهم إليها [(١)].

أما الرأي **الثاني** فقد أشار به عبد الله بن علي بن رشيد أمير جبل شمر ويقتضي توجه الإمام فيصل بقواته إلى القصيم لتحقيق الأهداف التالية:

١) الوصول إليها قبل أن تصلها قوات الحملة مما يمكنه من التصدي لها قبل اتخاذ مراكز لها في بلدان المنطقة التي تعتبر أول منطقة محصنة في طريق الحملة.

٢) تدعيم موقف أهلها وتشجيعهم على الثبات بوجه الحملة ومقاومتها [(٢)].

٣) أهمية القصيم الاقتصادية واهتمام قادة محمد علي باشا بها وهو ما تمثل في اهتمام إسماعيل بك بها وحرصه على الاستفادة من إمكاناتها الاقتصادية [(٣)]، حيث كان يرى أن عنيزة هي "باب نجد..." [(٤)].

---

(١) عبد الرحمن بن قاسم: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ج٩، ط٢. الرياض: دار الإفتاء، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٨٨ .

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (١٩) حمراء. رسالة من الطائف إلى وزير الداخلية بمصر، ٨ ربيع الثاني ١٢٥٣هـ.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٧٣) حمراء. رسالة إلى وزير الداخلية، ١٠ رجب ١٢٥٣هـ.

ومن المرجح أن الإمام فيصل قرر في البداية الأخذ بالرأي الأول حين تحرك بقواته من الرياض إلى الخفيسية* قرب الدهناء في نهاية شهر شوال ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م، إلا أنه وبعد أن مكث أياماً قرر الأخذ بالرأي الثاني الذي يقتضي التوجه للقصيم ومواجهة الحملة، وربما كان ذلك بتأييد الأكثرية في جيشه، كما أنه أراد الوقوف عن كثب على تحركات الحملة، وأياً كان الأمر فإنه اتجه إلى المنطقة واتخذ من الصريف** معسكراً لقواته وبقي هناك مايزيد على الشهر (١).

وقد أدى طول إقامة الجيش السعودي في الصريف إلى تقدم حملة إسماعيل بك واحتلالها الرس في ٢ ذي الحجة ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٧م (٢)، ومن المرجح أن دخول الرس لم يكلف الحملة شيئاً من الناحية العسكرية ويعود ذلك إلى إدراك الأهالي من خلال التجارب السابقة لعدم إمكانية المقاومة التي لن تحدث إلا الدمار للبلدة دون فائدة، في ظل عدم وجود الجيش الرئيسي للدولة السعودية (٣) الذي لايزال في الضريف.

وإذا كان سقوط الرس بيد الحملة يعني سهولة سقوط بقية بلدان القصيم، فإن

---

* الخفيسية: موضع بين الصمان والدهناء شمال ماء معقلا. حمد الجاسر: المعجم الجغرافي... (المنطقة الشرقية) ٦١٨/٢.

** الصريف ماء شرقي القصيم على بعد ٢٧ كيلاً من بريدة، وهو موضع قديم. محمد بن ناصر العبودي: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (بلاد القصيم)، ج٤، الرياض: دار اليمامة، د.ت.ن، ص١٣٤٦.

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٨٩/٢ .

(٢) عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٥٦.

(٣) محمد السلمان: الأحوال السياسية..، ص ٩٦، ويعلل البعض خضوع الرس سلماً بانحياز أميرها إلى جانب الحملة وتقديمه الجمال لإسماعيل بك ومرافقته له. هناء العوهلي: المرجع السابق، ص ١٠٠-١٠١. غير أن الوثائق المصرية تؤكد وعلى لسان أمير الرس هذا أن تقديمه الجمال للحملة كان بضغط من قادتها، ولم يكن لوحده في هذا الأمر إذ شاركه زعماء البلدان والقبائل الأخرى، وكان ذلك بعد دخول الحملة لبلدان القصيم وتعذر مقاومتها، كما أن هذا الأمير بقي محتجزاً بالقوة لدى قادة الحملة لمدة ثلاثة أشهر لم يسمح له خلالها بالعودة إلى بلده مما يدل على أن ماحدث لم يكن برضاه. محافظ عابدين: محفظة (٢٦٢) مرفق عربي للوثيقة (٩٨) معلومات من مشايخ عربان نجد عن أخبارها بحضور خورشيد باشا، ٢٧ جمادى الأولى ١٢٥٣هـ.

القوات السعودية قد تأخرت في تجميع قوتها والسير لمواجهة الحملة، إذ أنها توجهت من الصريف إلى عنيزة ومنها إلى بريدة لاستصحاب قواتهما[(١)]، وكان من الأجدى الاتفاق على مكان معين في الطريق إلى الرس، ولاشك أن ذلك قد مكن إسماعيل بك من التقاط أنفاسه وطلب المدد من الحجاز[(٢)]، وبعد ما يزيد على عشرة أيام وصلت القوات السعودية إلى رياض الخبراء فمكثت هناك عشرين يوماً دون أي اشتباك مع قوات الحملة[(٣)].

وقد كان لموقف بعض البلدان في المنطقة والناتج عن ضعف الإمكانات، والخوف من قوات الحملة أثر سلبي واضح رغم محاولات الإمام فيصل أثناء إقامته في رياض الخبراء إرسال بعض القوات إلى الشنانة* إلى الجنوب الغربي من الرس بقيادة زويد العبد بناء على طلب أهلها المتفق مع رغبة الإمام فيصل وذلك بهدف إيقاع قوات الحملة المقيمة في الرس بين فكي كماشة بحيث تحاصرها قواته من الشمال الشرقي وقوات زويد العبد من الجنوب الغربي، إلا أن أهالي الشنانة رفضوا إدخال قوات زويد في البلدة متعللين بغياب أميرها في الرس[(٤)]، مما يعني أن مصير أميرها كمصير أمير الرس حيث وقعا تحت ضغط قادة الحملة بدليل وجودهما معاً هناك[(٥)].

وحين أراد الإمام فيصل اتخاذ تكتيك عسكري يقتضي التراجع من رياض الخبراء إلى بريدة أو عنيزة ومهاجمة المنضمين للحملة من القبائل حدث الخلل في صفوفه حيث

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق، ٨٩/٢ .

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (١٠٤) حمراء. رسالة من إسماعيل بك عن تحركاته في نجد إلى صاحب الدولة، ١٩ صفر ١٢٥٣هـ.

(٣) ويذكر ابن بشر أن نزول الإمام فيصل بن تركي في رياض الخبراء كان في أيام التشريق، وأن رحيله من عنيزة عائداً إلى الرياض كان في ٢٥ ذي الحجة ١٢٥٢هـ. عثمان بن بشر: المصدر السابق، ٨٩/٢-٩٠.

* الشنانة بلدة إلى الجنوب الغربي من الرس على بعد حوالي خمسة أكيال منها.

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق، ٨٩/٢.

(٥) ويذكر Philby: op.cit. p175 أن أهالي الشنانة أرسلوا أميرهم لمفاوضة قادة الحملة على الصلح.

اعتقد قسم من القوات أن الهزيمة قد حلت بهم، وأن الجيش قد لاذ بالفرار، فاضطربت أحوال القوات السعودية رغم محاولات الإمام فيصل بن تركي احتواء الأمر؛ إلا أن التخاذل والفشل ظلا ملازمين للقوات، وحين وصل إلى عنيزة يوم ٢٥ ذي الحجة[١] أدرك أن ذلك التكتيك لم يكن في صالحه[٢]، وهنا اتخذ قراره بالعودة إلى الرياض[٣]، والبحث عن خطة جديدة تمكنه من مجابهة الحملة.

إن مهمة الإمام فيصل بن تركي في القصيم لم تلق النجاح المتوقع حيث أن تراجع القوات السعودية وانسحابها من القصيم كان دافعاً لإسماعيل بك للتقدم لإتمام السيطرة على بلدان القصيم بمجرد خروج قوات الإمام فيصل من عنيزة[٤]، ولئن كانت الوثائق المصرية تؤكد على أهمية عنيزة السياسية والاستراتيجية للحملة واصفة إياها بأنها "بوابة نجد"[٥]، إلا أن الحملة اصطدمت بأول مقاومة عسكرية لدى محاولتها دخولها البلدة، حيث حاول الأهالي إغلاق الأبواب وحمل السلاح، غير أن تلك المقاومة لم تدم طويلاً؛ إذ سرعان ماتم عقد الصلح بين أمير البلدة يحيى بن سليمان وقادة الحملة تم بموجبه الاتفاق على دخول قوات الحملة إلى عنيزة، وأدى هذا الصلح إلى خضوع بريدة تلقائياً حيث سارع أميرها عبد العزيز آل عليان لمقابلة إسماعيل بك وخالد بن سعود ومصالحتهما[٦]، وقد غدت عنيزة مركزاً للحملة، واضطر أمير البلدة للتعاون مع إسماعيل بك ليصبح أحد قادته الذين كلفهم بالسيطرة على جبل شمر[٧].

وفي أعقاب استقرار إسماعيل بك في عنيزة بدأت الإمدادات تصل إليه من المدينة

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٩٠/٢ .

(٢) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٩٩ .

(٣) مقبل الذكير: العقود الدرية...، ورقة ٦٤ .

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٩١/٢ .

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٣١) حمراء، مرفق من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة حول الاستعدادات اللازمة قبل التحرك إلى نجد، ٢٩ رجب ١٢٥٣هـ.

(٦) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٩١/٢ .

(٧) المصدر السابق ٩١/٢ .

المنورة بواسطة الجمال التي وفرها بعض زعماء القبائل وأمراء البلدان [١]، كما قدم إليه عدد من زعماء القبائل الآخرين وعرضوا عليه الطاعة؛ إلا أن رد إسماعيل بك تجاههم اتسم بالصلافة والوعيد والتهديد الأمر الذي بث الرعب في نفوسهم [٢]، وجعلهم يتهربون من الانضمام إليه ويلتحقون بقوات الإمام فيصل بن تركي[٣].

وعلى الصعيد الاقتصادي كلف إسماعيل بك بعض خبرائه الزراعيين بتقدير إنتاج وزكاة الحبوب في القصيم فقدرت حسب ذلك الخرص بـ٥٦٦٠ إردباً بحيث يصبح مقدار زكاتها التي سيتم قبضها ٢٨٣ إردباً، ومن خلال مقارنة إسماعيل بك لمقدار الزكاة مع احتياج جنوده اتضح له أن تلك الزكاة لن تكفي، لذا فإنه أرسل مراراً إلى محافظ المدينة المنورة طالباً تزويده بحاجة الجند والدواب، إلا أن ذلك المحافظ اعتذر بعدم توفر شيء من تلك المؤونة لديه [٤]، مما جعل إسماعيل بك في موقف حرج، وحين وصل الأمر إلى محمد علي باشا أصدر أمراً إلى إسماعيل بك بشراء المون اللازمة من القصيم نفسها خاصة حين أبلغ عن طريق خورشيد باشا محافظ المدينة المنورة أن المحاصيل الزراعية في القصيم كانت جيده جداً في تلك السنة، ولما في ذلك من توفير للوقت وأجرة النقل، غير أن إسماعيل بك نفى أن يكون المحصول جيداً وأنه لن يكفي لتموين الجيش، فبذلت مساعي من والي الحجاز أحمد بك لاقناع حكومة القاهرة بضرورة إرسال المؤن من مصر إلى المدينة المنورة تمهيداً لإرسالها إلى إسماعيل بك في عنيزة[٥]، غير أن الأوامر صدرت إلى إسماعيل بك بشراء مؤنة الستة أشهر المقبلة من محصول نجد [٦].

---

(١) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٢) مرفق عربي للوثيقة (٩٨).

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (١٣٥) حمراء من محمد بن فيصل الدويش إلى محمد علي باشا، ١٥ ربيع الأول ١٢٥٤هـ.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (١٠٤) حمراء.

(٤) محافظ عابدين: محفظة (٢٥٥) وثيقة ٢/٥٦ .

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (١٩) حمراء.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٩٣) حمراء.

(٦) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (١٠٧) حمراء. رسالة من أحمد باشا إلى وزير الداخلية بمصر، ٢١ صفر ١٢٥٣هـ.

وقد عزم إسماعيل بك على فرض سيطرته على أراضي نجد حيث قرر أن تكون منطقة جبل شمر هدفه الأول، ويعود السبب في اختيار تلك المنطقة إلى معرفته بمدى الصداقة التي تربط أميرها عبد الله بن رشيد بالإمام فيصل بن تركي مما يجعل المنطقة مصدر خطر على الحملة فيما لو غادرت عنيزة إلى الرياض مباشرة إذ أن ابن رشيد سيكون جبهة خلفية ضد إسماعيل بك في وقت تواجه الحملة قوات الإمام فيصل، وهذا مايذهب إليه أحد الباحثين بقوله "إن المصريين لم يكونوا يثقون بالأخوين من آل رشيد..." [(١)]، وهو ماأكدته الوثائق المصرية في أن انعدام الثقة بهما يعود لصداقتهما وإخلاصهما للإمام فيصل، إضافة إلى عدم قدومهما للقاء قادة الحملة[(٢)].

وهناك سبب آخر لتوجه إسماعيل بك إلى جبل شمر وهو الترحيب الذي لقيه من قبل عيسى بن عبيد الله بن علي أحد أفراد أسرة آل علي أمراء جبل شمر قبل انتقال إمارتها إلى ابن رشيد منذ سنة ١٢٥٠هـ[(٣)]، فقد فر عيسى إلى المدينة المنورة هرباً من محاولة عبيد بن علي بن رشيد اغتياله، وهناك التقى بقائدي الحملة ورحب بهما أملاً بالحصول على إمارة الجبل على حساب عبد الله بن رشيد؛ فأدرك إسماعيل بك أن من مصلحته ومصلحة عيسى الاستيلاء على الجبل [(٤)] أولاً، وإبعاد ابن رشيد عن إمارتها، ومن ثم وضع الترتيب الإداري الذي كان يرغبه محمد علي باشا فيها، والذي فشلت

---

(١) الكسي فاسيلييف: المرجع السابق، ص ٢٢٥ .

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٨٩) حمراء.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٩٢/٢. ويرى أحد الباحثين أن عيسى بن علي نفسه لم يتول الإمارة قبل قدوم الحملة. "عبد الله العثيمين: بحوث...، ص٥٥"، بينما يؤكد البعض الآخر أنه تولى الإمارة من سنة ١٢٣٤هـ إلى ١٢٤٩هـ عقيل بن ضيف الله القويعي: أقوال ومسائل في أخبار منطقة حائل. ط٢، حائل: مطابع النهضة الوطنية، ١٤١٨هـ، ص١٠٣، فهد بن علي العريفي: حائل. الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، ١٤١٢هـ، ص٧٨.

(٤) يذكر أحد المؤرخين أن عيسى بن علي قد نجا من محاولة عبيد بن علي بن رشيد لقتله مع إخوته في قرية السليمي والتجأ إلى قادة الحملة. عبد الله العثيمين: نشأة إمارة آل رشيد، ص ٥٦، بينما يذهب مؤرخ آخر إلى أن عيسى حين نجا من القتل وصل إلى المدينة المنورة والتقى بمحافظها الذي وعده بإعادته للإمارة. جورج أوغست فالين: المصدر السابق، ص١٠٢.

حملة حسن بك "أبي ظاهر" بتحقيقه من قبل.

وبناء على ذلك كوَّن إسماعيل بك قوة من أربعمائة فارس بقيادة إبراهيم المعاون، ومائة من راكبي الإبل بقيادة يحيى بن سليمان أمير عنيزة، وأسند القيادة العامة لعيسى ابن علي، حيث كلفوا بالاستيلاء على جبل شمر، والقبض على عبد الله بن رشيد (١)، فانطلقت تلك القوة من عنيزة، واستقرت جنوب شرق قفار *، وأخذت ترسل العيون بأزياء دراويش إلى حائل وقفار لمعرفة أخبارهما(٢)، ومدى استعدادهما لصد الهجوم المنتظر، أما ابن رشيد فقد علم بأمر تلك القوة وقرب هجومها على حائل فما كان منه إلا أن بادر بالهرب إلى قرية جبة ** والتجأ لدى أميرها ابن رخيص *** الذي رحب به(٣)، ومما يلفت الانتباه أن ابن رشيد قد علم بهجوم تلك الحملة عن طريق يحيى ابن سليمان (٤) أحد القادة المرسلين من قبل إسماعيل بك الأمر الذي يؤكد أن انضمامه للحملة لم يكن عن اقتناع بقدر ماكان خوفاً من بطش قادتها.

ومن المؤكد أن خروج ابن رشيد من حائل قد فوت فرصة كبيرة على إسماعيل بك للقبض عليه، كما أنه من جانب آخر قد أتاح لعيسى بن علي دخول البلدة في محرم سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م دون مقاومة تذكر؛ ليتخذ من قصر آل علي مقراً لإمارته، في وقت عانى الأهالي من جور إبراهيم المعاون وسلبه أموالهم (٥).

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٩٢/٢.

* قفار بلدة جنوب حائل على بعد ١٥ كيلاً منها إلى الشرق من جبال أجا وسكانها من قبيلتي تميم وشمر. حمد الجاسر: المعجم الجغرافي... (شمال المملكة) ١١٠٩/٣.

(٢) أبو عبد العزيز: "حول تاريخ آل رشيد" مجلة العرب، س١٠، ج٩-١٠، ربيع الأول-ربيع الثاني، ١٣٩٦هـ/ مارس - إبريل ١٩٧٦م، ص ٧٩٠.

** جبة من أشهر قرى منطقة حائل شمال جبل أجا ويسكنها فروع من سنجارة من شمر. حمد الجاسر: المعجم الجغرافي (مختصر)، ٢٢٩/١.

*** ابن رخيص هو أحد شيوخ سنجارة من قبيلة شمر وكانوا أمراء بلدة جبة. الويس موزل: "تاريخ بيت ابن رشيد"، مجلة العرب، ج٧-٨، س١٠، محرم-صفر ١٣٩٦هـ/ يناير-فبراير ١٩٧٦م، ص٥٥٩-٥٦٠.

(٣) عبد الله العثيمين: نشأة إمارة...، ص ٥٧.

(٤) مقبل الذكير: العقود الدرية...، ورقة ٦٥ .

(٥) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٩٢/٢ . ويذكر "عبد الله العثيمين: نشأة إمارة آل رشيد ...،-

وحين ضمن إسماعيل بك الموقف في جبل شمر قرر الزحف إلى عاصمة الدولة السعودية الثانية -الرياض- ولاسيما أن الأنباء قد وصلته بانسحاب الإمام فيصل ابن تركي منها، إذ أنه فوجيء بموقف أهلها الذين رفضوا التعاون معه ضد الحملة، بسبب خوفهم من الأعمال القمعية التي ألفوها من قبل جنود تلك الحملات[١]، إضافة إلى مللهم من كثرة الحروب والمصادمات[٢]، كما أن قسماً منهم أصبح يميل إلى تأييد خالد ابن سعود؛ لأنهم اعتقدوا أحقيته بالحكم[٣] في ظل الدعايات التي بدأ أنصاره ببثها ضد الإمام فيصل[٤]، الأمر الذي جعل أهالي الرياض يحاولون منع الإمام فيصل بن تركي من أخذ ممتلكاته الموجودة في القصر بحجة أنها أصبحت حقاً لخالد بن سعود [٥].

ومن المؤكد أن مادفعهم لاتخاذ ذلك الموقف هو سماعهم بما حققته الحملة من نجاح في القصيم، خاصة حين فشلت قوات الإمام فيصل بصدها، فأدركوا أنها ستصل الرياض لامحالة، وأن صمودهم لن يخلف إلا الدمار الذي يعقبه سيطرتها على العاصمة.

وقد قرر الإمام فيصل بن تركي من جانبه ترك الرياض والتوجه إلى الخرج رغبة بتجنب حرب خاسرة [٦]، لعله يعيد ترتيب أوراقه ويضمن وجود المساندين له بدلاً من أهل الرياض الذين خسر مساندتهم، في ظل اقتناعه بعدم جدوى البقاء والمقاومة بقوات غير متكافئة مع خصمه [٧] الذي كسب تأييد عدد من بلدان نجد سلماً أو حرباً.

= ص ٤٨." رواية لهوبير مفادها أن خالد بن سعود هو الذي قدم بنفسه إلى حائل وبعد ثلاثة أشهر من استيلائه عليها عين عيسى بن علي أميراً فيها، غير أن تلك الرواية لاتنسجم مع الأحداث التي أوردتها المصادر كابن بشر وغيره.

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٩٠، مقبل الذكير: العقود الدرية..، ورقة ٦٤.

(٢) دلال السعيد: المرجع السابق، ص ٧٣.

(٣) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/٢٤٤ .

(٤) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ١٩٥-١٩٦، عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ٥٨.

(٥) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٩٠.

(٦) أمين سعيد: المرجع السابق، ص ١٤٨.

(٧) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي...، ص ٢٨٧-٢٨٨، عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ٥٨.

ولم يمكث الإمام فيصل بعد انسحابه من الرياض في الخرج بل واصل سيره إلى الأحساء بسبب رغبته بالابتعاد عن مجال تحرك الحملة والاستقرار بمكان يجد فيه المنعة إلى جانب قائده الشجاع عمر بن عفيصان [١] مما يتيح له الفرصة لتنظيم صفوفه من جديد، والاستفادة من غنى المنطقة الاقتصادي، إضافة إلى ماقد يحصل عليه من دعم ولاة العراق العثمانيين [٢] الذين أصبحوا يشاركونه العداء لحملات محمد علي باشا في الجزيرة العربية، ومما زاد في رغبة الإمام فيصل بن تركي بالذهاب إلى الأحساء ماتذكره الوثائق من أن مشايخ قبيلة العجمان قدموا إليه في الخرج وصحبوه إلى المنطقة مماساهم في التفاف زعماء قبائل عتيبة ومطير وسبيع حوله وتأييدهم له[٣] مما يعني أنه أصبح محل تأييد بادية نجد وقبائلها حين لم يحظ بتأييد حاضرتها، وقد كان وصوله إلى الأحساء في نهاية محرم ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م[٤].

وبعد انسحاب الإمام فيصل إلى الأحساء وصل إلى عنيزة وفد من زعماء الرياض لمبايعة قائد الحملة إسماعيل بك والانضمام إليه[٥].

وقبيل تحرك الحملة إلى الرياض تم سحب القوات الموجودة في حائل فلم يبق منها سوى ١١٠ مقاتل [٦]، وذلك للاستعانة بها في الزحف إلى الرياض، كما تم تدعيم الحملة ببعض المشاة والمؤن من المدينة المنورة [٧]، وقد سارع إسماعيل بك بالتحرك من

(١) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي...، ص ٢٨٧، دلال السعيد المرجع السابق، ص٧٣، محمد نخلة: المرجع السابق، ص ٦٨.

(٢) هناء العوهلي: المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (١٠٤) حمراء.

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٩٠/٢ .

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (١٠٤) حمراء.

؛ عثمان بن بشر: المصدر السابق ٩٢/٢ .

(٦) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٧٧) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى المعية السنية حول أخبار نجد، ١٦ جمادى الأولى ١٢٥٣هـ. ويذكر ابن بشر أن عدد من بقي في حائل مائة فقط. عثمان بن بشر: المصدر السابق ٩٢/٢.

(٧) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٩٣) حمراء.

عنيزة إلى الرياض دون انتظار وصول تلك المؤن التي كان يحملها حوالي ألف وثمانمائة جمل برفقة بعض زعماء قبائل وبلدان نجد، واكتفى إسماعيل باستئجار ألف وخمسمائة جمل من قبيلتي عتيبة ومطير لنقل معدات الجيش ومؤنه إلى الرياض[١]، بعد أن أبقى في عنيزة قواتاً بقيادة عربي أغا للمرابطة استعداداً لأي تحرك قد يقوم به عبد الله بن رشيد لاستعادة إمارة جبل شمر، وكان بجانب عربي أغا عدد من كبار رجال بلدان القصيم[٢].

وفي ٢٧ محرم ١٢٥٣هـ/ ٢٥ مايو ١٨٣٧م تحرك إسماعيل بك وخالد بن سعود من عنيزة باتجاه الرياض[٣]، حيث وصلاها في ٧ صفر[٤]، وعندئذ دخل خالد بن سعود القصر ليعلن نفسه حاكماً على البلاد وليبدأ مرحلة جديدة لتثبيت حكمه ومجابهة الإمام فيصل بن تركي، وتبين الوثائق مدى ثقة قادة الحملة بنجاح مهمتهم بعد دخولهم الرياض؛ إذ اعتقدوا أن مسألة نجد قد انتهت، وأن أهالي وأمراء بقية بلدانها سيأتون إليهم سراعاً لتقديم الولاء[٥].

وبناء على تلك الثقة قرر إسماعيل بك التحرك للأحساء لمطاردة الإمام فيصل ابن تركي معتقداً أن أهالي الأحساء لن يجرؤوا على مقاومة الحملة، إلا أن احتياج الحملة للمؤن والذخائر والجنود قد جعل إسماعيل بك يؤجل تنفيذ ماعزم عليه؛ حيث أصبح

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (١٠٤) حمراء.
؛ محافظ عابدين: محفظة (٢٦٢) مرفق عربي للوثيقة (٩٨) .

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (١) مرفق الوثيقة (٧٧) حمراء. رسالة من عربي أغا إلى خورشيد عن أخبار نجد، غرة جمادى الأولى١٢٥٣هـ.
؛ محافظ الحجاز:محفظة(١) وثيقة(٦٦) حمراء.رسالة من محافظ المدينة محمد تيمور إلى صاحب الدولة حول تحركات إسماعيل بك، ١٠جمادى الأولى ١٢٥٣هـ.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (١٠٤) حمراء.

(٤) محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٧٣، عثمان بن بشر: المصدر السابق ٩٢/٢ .

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (١٠٨) حمراء. رسالة من سليمان محافظ جدة إلى وزير الداخلية، ٢١ صفر ١٢٥٣هـ.
؛ محافظ عابدين: محفظة (٢٥٥) وثيقة ١/٥٦. رسالة من إبراهيم باشا إلى الجناب العالي حول ماأنجزته حملة إسماعيل بك في نجد، نهاية محرم ١٢٥٣هـ.

وضعه حرجاً؛ فلم يعد يملك شيئاً من المال ليدفعه أجرة لأصحاب الجمال من قبيلة عتيبة التي حملت قواته للرياض، وأصبح يماطلهم ويسوف في دفع الأجرة بل إنه اضطر لإطلاعهم على خطته الرامية للتحرك إلى الأحساء وأنه سيستأجر جمالهم من جديد لحمل قواته إلى هناك[١]، وفي نفس الوقت عانى إسماعيل بك من تأخر إرسال المؤن والذخائر من المدينة المنورة بل ومن مصر رغم طلباته المتكررة بذلك[٢]، بل أن الأمر ازداد سوءاً حين اتضح أن محافظ المدينة المنورة تيمور أغا كان يصرف المبالغ المخصصة لحملة إسماعيل على جهات أخرى[٣]، كما أنه كان يحتجز بعضها في خزينة المدينة ويرسلها على دفعات متباعدة وبكميات ضئيلة [٤]، لدرجة أن ماوصله خلال ستة أشهر بلغ ١١٤٠٠ إردباً من الغلال، ومايزيد عن ٣١٠٠ قنطاراً من الدقيق، وأصناف أخرى، غير أنه لم يصرف لحملة إسماعيل بك منها سوى ٣٤٤٣ إردباً من الغلال و ٢٢٩٤ قنطاراً من الدقيق والأصناف الأخرى [٥].

وقد أثار هذا التصرف ثائرة حكومة محمد علي باشا في الحجاز ممثلة بخورشيد باشا الذي رفع الأمر إلى محمد علي باشا نفسه والذي أصدر أوامره إلى تيمور أغا بعدم صرف جنيه واحد من الذخائر المخصصة لنجد إلى غير وجهتها [٦].

كما أن إسماعيل بك نفسه قد أرسل إلى محمد علي باشا محتجاً على تصرفات تيمور أغا وتأخره بإرسال أكياس النقود المخصصة لنجد حيث لم يرسل سوى ٤٠٠ كيساً من أصل ٨٠٠ كيساً وصلت من مصر إلى خزينة المدينة المنورة، مما جعل محمد

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (١٠٤) حمراء.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (١٠٨) حمراء.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (١٠٧) حمراء.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٣٦) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى المعية السنية حول ماأرسل إلى إسماعيل بك في نجد، ١٥ ربيع الثاني ١٢٥٣هـ.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٣)، رسالة من محافظ المدينة المنورة تيمور أغا إلى وزير الداخلية حول إرسال النقود لحملة إسماعيل بك، ٢ ربيع ثاني ١٢٥٣هـ.

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٣٦) حمراء.

(٦) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (١٠٧) حمراء.

علي باشا يصدر أوامره لتيمور أغا بإرسال كامل المبلغ إلى إسماعيل بك، كما أوصى بسرعة إرسال ١٢٠٠ كيساً من مصر إلى المدينة المنورة تمهيداً لإرسالها إلى إسماعيل بك، رغم ما تذرع به تيمور أغا من عدم توفر الأمن في الطريق إلى الرياض [(١)].

وقد حاول إسماعيل بك الاستفادة من مصادر البلاد المحلية خاصة الزكاة فأرسل خبرائه الزراعيين لخرصها في البلدان التي خضعت له فبلغ مقدارها ١٥٦٧ إردباً وثُمن الإردب، إلا أن ذلك المقدار لم يف باحتياج الجنود البالغ ٢٤٢٢ إردباً وثلث، مما جعل إسماعيل بك يلجأ إلى الاعتماد على الحنطة والتمر كقوت للجنود، كما قلص عليق الدواب إلى النصف، واستمراراً لوضع إسماعيل بك الحرج نراه حين يطلب بعض الكساوي لإهدائها لبعض مشايخ البلاد في صفر ١٢٥٣هـ[(٢)] لم تصل هذه الكساوى إلى المدينة من مصر إلا في جمادى الأولى، وفي السادس من جمادى الثانية -أي بعد أربعة أشهر- يبلغ محافظ المدينة المنورة وزير الداخلية بمصر أن إرسالها إلى نجد يحتاج لجلب الجمال[(٣)].

وفي نفس الوقت كان إسماعيل بك مطالباً بسرعة إرسال الجمال التي كان محمد علي باشا قد طلبها سابقاً من الإمام فيصل بن تركي لإرسالها إلى عسير [(٤)]، فأصبحت المهام أمام إسماعيل بك متعددة في وقت تعذر حصوله هو على المدد والدعم، غير أن مهمته الأساسية كانت في نظره هي الأهم ألا وهي إتمام سيطرته على نجد، والتقدم إلى ماوراء الرياض جنوباً حيث كانت تلك الخطوة نقطة تحول في مسيرة الحملة.

وبينما تشير المصادر المحلية إلى أن السبب في تقدم إسماعيل بك إلى جنوبي نجد كان غضبه من أهالي بلدانها بعد رفضهم الخضوع للحملة حين أرسل إليهم في أعقاب

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٥٥) حمراء.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (١٠٤) حمراء.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٠٦) حمراء.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة دون رقم.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٢٨) حمراء.رسالة من أحمد شكري إلى صاحب العاطفة حول إرسال مختار أغا بالبغال إلى نجد والجمال المطلوبة منها، ١١ ربيع ثاني ١٢٥٣هـ.

استقراره بالرياض[١]، فإن الوثائق تذكر سبباً آخر لإقدام إسماعيل بك على ذلك وهو اعتداء أهالي الحوطة* والحريق** في جنوبي نجد على جمال بعض زعماء القبائل والبلدان التي انضمت للحملة، وأخذ مايقارب ثلاثمائة منها، مما أدى إلى غضب إسماعيل بك وتصميمه على تأديب أهالي البلدتين، وإذا أدركنا حاجة الحملة الماسة للجمال فإن السبب الأخير لايقل عن سابقه، وأياً كان السبب فإن إسماعيل بك أصر على رأيه في التوجه إلى الجنوب رغم تحذير بعض المؤيدين له من قبائل وبلدان نجد[٢].

وقبل تحرك قوات الحملة جنوباً عمل إسماعيل بك وخالد بن سعود على الاستعداد بشكل كاف حيث كُلّف الحدادون بتصنيع الأدوات اللازمة للمعركة المرتقبة، كما كلفت بلدان نجد الواقعة تحت سيطرة الحملة بإرسال قواتها إلى الرياض للانضمام للحملة[٣]، الأمر الذي أدى إلى تكوين جيش كبير بلغ عدد المشاركين فيه من أهل نجد حاضرة وبادية أكثر من ضعف عدد القوات الغازية التي كانت في مجملها لاتتجاوز ألفين وخمسمائة مقاتل حين قدمت نجد بقي منها في جبل شمر مائة وعشرة جنود وثمانية وثلاثون ظلوا مرابطين في عنيزة[٤]، بينما استبقى إسماعيل بك لحماية الرياض مائتي مقاتل[٥]، وقد وصل تعداد الجيش المتجه إلى جنوبي نجد سبعة الآف مقاتل بقيادة إسماعيل بك وخالد بن سعود[٦]، حيث تحرك من الرياض في ١٦ ربيع الآخر ١٢٥٣هـ/

---

(١) محمد الفاخري: المصدر السابق، ص١٧٣، عثمان بن بشر: المصدر السابق ٩٢/٢.

* حوطة بني تميم وهي من بلدان جنوبي نجد وتقع بين منطقتي الخرج والأفلاج، وتبعد حوالي ١٥٠ كيلاً من الرياض. عبد الله بن خميس: معجم اليمامة ٣٥٤/١-٣٥٥.

** الحريق: بلدة في أعلى وادي نعام على بعد ١٧٠ كيلاً جنوب الرياض. المرجع السابق: ٣١٢/١-٣١٥.

(٢) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٢) مرفق عربي للوثيقة (٩٨).

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٩٢/٢.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٧٧) حمراء.

(٥) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٩٤/٢ .

(٦) المصدر السابق ٩٣/٢. Philby: op.cit. p. 176، الكسي فاسيلييف: المرجع السابق، ص ٢٢٥، وقد انضم للحملة بعض علماء نجد ومنهم الشيخ إبراهيم بن سيف الذي اشترك في معركة الحلوة. محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (٨٧) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة حول إرسال ابن الشيخ إبراهيم بن سيف إلى مصر لطلب العلم، ٣ جمادى الأولى=

١٨٣٧م[1]، وحين وصلت القوات إلى الخرج انضم إليها فهد بن عفيصان بقوات تلك البلدة رغم أنها رفضت الخضوع للحملة من قبل؛ غير أن الخوف من ذلك الجيش اللجب دفع ابن عفيصان ومن معه للانضمام إلى صفوفها، واستقر رأي قادة الحملة على مهاجمة بلدة الحلوة، وبعد أن سلكت قوات الحملة طريقاً وعراً وصلت إلى حرة قرب بلدة الحلوة التي كان أهلها قد استعدوا للقتال ونقلوا أسرهم إلى بلدة الحوطة، وبمجرد وصول قوات إسماعيل بك وخالد بن سعود إلى تلك الحرة بادرها أهالي الحلوة بالقتال [2]؛ فنشبت معركة عنيفة بين الطرفين في يوم ٢٢ ربيع الآخر ١٢٥٣هـ/ ٢٥ يوليو ١٨٣٧م[3]، عرفت بمعركة "الحلوة" نسبة لمكان وقوعها حيث دار القتال الضاري[4] الذي استعمل فيه المهاجمون المدافع مما أدى إلى تفوقهم ومقتل اثني عشر رجلاً من أهالي الحلوة ودخول بعض المهاجمين للبلدة، غير أن مبادرة قوات الحوطة والحريق للاشتراك في القتال أدت إلى رفع الروح المعنوية لأهالي الحلوة فظهر تفوقهم النسبي، ولم يلبث أن تجلت البراعة العسكرية لدى الأمير عبد الله بن إبراهيم آل سعود حين ركز هجومه على ميسرة الجيش

= ١٢٥٤هـ، ومن المؤكد أن انضمامه للحملة كان تجنباً لأذى قادتها بعد أن ثبت تمكنها في نجد، وإلا فالشيخ إبراهيم عرف بعدائه لحملات محمد علي باشا حيث سبق أن هرب من وجه إبراهيم باشا إلى رأس الخيمة، كما أنه قد حظي بثقة الإمام فيصل فيما بعد فعينه قاضياً للرياض. عبد الله ابن عبد الرحمن البسام: علماء نجد...، ١/١١٦.

(١) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٧٧) حمراء، محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٧٣، عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٩٣، ويتفق هذان المصدران مع الوثيقة في الشهر الذي خرجت فيه الحملة، بينما يذكر إبراهيم بن عيسى: تاريخ بعض الحوادث...، ص ١٦٣، أن خروج الحملة من الرياض إلى جنوبي نجد كان في ربيع الأول.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق، ٢/٩٣.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٧٧) حمراء، بينما يذكر محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٧٣، عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٩٣، أن معركة الحلوة تلك وقعت يوم ١٥ ربيع الآخر سنة ١٢٥٣هـ.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٦٦) حمراء، وتذكر الوثيقة أن القتال استمر من العصر إلى المساء بينما يذكر عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٩٣، أن القتال بدأ صباحاً واستمر من ارتفاع النهار حتى بعد الظهر.

التي تضم المدافع والجنود النظاميين بقيادة إبراهيم المعاون باعتبارها مركز الثقل بالنسبة للحملة، حيث تمكن هو وأتباعه من الاستيلاء على المدافع وأسقطوها من رأس الجبل[١]، مما ساهم في تخاذل القوات المهاجمة فحلت بها هزيمة نكراء.

وتحدد إحدى الوثائق المصرية أهم أسباب تلك الهزيمة في خسارة المهاجمين لقوة مدافعهم التي تكسرت عجلاتها وأصبح من العسير تحريكها في أراضي المعركة [٢] قبل أن يتمكن الأمير عبد الله من الاستيلاء عليها الأمر الذي أدى إلى هروب المنضمين للحملة من أهالي نجد وترك المعركة خاصة قبيلة مطير[٣]، فانهارت الروح المعنوية لبقية أفراد الحملة، كما أن جنود الحملة عانوا من شدة العطش بسبب صحراوية مكان المعركة[٤] الأمر الذي أدى إلى هروب كثير منهم خاصة أتباع إبراهيم أغا من أرض المعركة[٥]، وزاد الأمر سوءاً بالنسبة للحملة هلاك الكثير من أولئك الجنود الهاربين عطشاً بسبب سلب الرواحل التي تحمل الماء [٦] على يد أهل الخرج الذين كانوا من أتباع الحملة [٧] والذين أصبحوا ضدها شأنهم شأن قبيلة مطير وغيرها ممن انسحب من أرض المعركة مما يدل على أن انضمامهم للحملة في الأصل لم يكن عن قناعة تامة بقدر ماكان رد فعل لأحداث سابقة، وممازاد وضع الحملة حرجاً أن أهل الخرج لم يكتفوا بالانسحاب من أرض المعركة بل انقلبوا على قوات الحملة، وقاموا بقيادة ابن عفيصان بمهاجمتها لسلب مابقي معها من أموال بعد تراجعها من أرض القتال[٨].

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٩٤، Winder: op.cit.p. 113 .

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٧٧) حمراء.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٧٧) حمراء.

؛ محافظ عابدين: محفظة (٢٦٢) مرفق عربي للوثيقة (٩٨).

(٤) Winder: op.cit.p. 113.

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٧٧) حمراء.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٦٦) حمراء.

(٦) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٧٧) حمراء.

؛ محافظ عابدين: محفظة (٢٦٢)، مرفق عربي للوثيقة (٩٨).

(٧) هناء العوهلي: المرجع السابق، ص ١١٨.

(٨) عثمان بن بشر : المصدر السابق ٢/٩٤. Philby: op.cit, p.177 .

ومما لاشك فيه أن السبب الأهم في انتصار أهالي الحلوة وبقية بلـدان جنوبـي نجـد كان عامل الثقة بالنفس، والصمود بوجه الأعداء، والتنسيق العسكري فيما بينهم والـذي يتضح بتوقيت تدخل أهالي الحوطة والحريق في المعركة بعد أن ظن جنود الحملة أنهم قاب قوسين أو أدنى من النصر.

وعلى أية حال فقد ترتب على المعركة ضربة هائلة لقوات الحملة باعتراف الوثائق المصرية نفسها حتى أن إسمـاعيل بـك قـد فكـر بطلـب الأمـان علـى نفسـه مـن الأهـالي، واختفى عن الأنظار، وحين وصل ذلك الخـبر إلى المدينـة المنـورة صـدرت أوامـر مشـددة بالتكتم عليه وعدم إفشائه [(١)]، وفي نهاية المطاف تمكن إسمـاعيل بـك وبعـض قادتـه مـن الانضمام إلى خالد بن سعود، والهرب إلى الرياض مع من بقي من قواتهما والذين يـتراوح عددهم من ٨٠٠ إلى ٨٢٨ مقاتل [(٢)].

ومن نتائج هذه المعركة مقتل أعداد كبيرة من قوات الحملة أوصله أحد المؤرخـين المعاصرين إلى ثلاثة آلاف وخمسمائة جندي[(٣)]، وهو رقم محتمل جداً خاصـة أن الوثـائق المصرية نفسها تقدر من عاد مع إسماعيل بك إلى الرياض بعد المعركة بثمانمائة مقاتل فقط، بينما كان عدد قواته الأصلية التي خرجت معه للقتال يصل إلى سبعة آلاف مقـاتل، منهـا مايزيد عن الألفين من جنود الحملة الأساسين القادمين من مصر، كما خسر إسماعيل بـك عدداً من أبرز قادته والذين حاول تعويض أُسَرِهم مادياً بعد هلاكهم في تلك المعركة[(٤)].

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٧٣) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى المعيـة السـنية حـول أعمال حملة إسماعيل بك في نجد، ١٤ جمادى الأولى ١٢٥٣هـ.

(٢) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٢) مرفق بالوثيقة (٥٤) حمراء. خطاب إلى خالد بن سعود يطلب منه الصمود بعد هزيمة الحلـوة، ٢٣ جمـادى الأولى ١٢٥٣هـ. نقـلاً عـن عبـد الرحيـم عبـد الرحمـن عبد الرحيم: من وثائق...، ٥٧٣/١-٥٧٥.

؛ محافظ عابدين: محفظة (٢٦٢) مرفق عربي للوثيقة (٩٨). بينما يذكر عثمـان بـن بشـر: المصـدر السابق، ٩٤/٢، أن عدد الناجين من قوات إسماعيل بك ٢٠٠ فقط.

(٣) محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٧٤ .

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٨٦) حمراء. رسالة إلى وزير الداخلية بمصر، ٢٢ جمادى الثانية ١٢٥٣هـ.

إضافة إلى ذلك خسر إسماعيل بك أعداداً كبيرة من الجمال منها ألف وخمسمائة جمل تابعة لبني سالم [١]، بجانب خسارته لمدافعه بسبب استيلاء القوات السعودية على بعضها وتلف البعض الآخر [٢]، وكثير من أسلحة جنوده القتلى والتي أخذها السعوديون[٣]، وكميات كبيرة من الذهب والفضة والخيام [٤].

أما خالد بن سعود فقد أضاع وسام القائمقامية الممنوح له من قبل والي مصر، حيث سقط منه في أرض المعركة، وكانت ردة الفعل لدى محمد علي باشا أن خصم قيمته البالغة حوالي ١١٤٥ جنيه من الاستحقاقات المادية لخالد بن سعود[٥]، كما أن الهزيمة كان لها وقع سيء على الوضع النفسي لخالد بن سعود خاصة حين رأى كثيراً من أنصاره والمنضمين إليه يتخلون عنه، فأدرك أن انضمامهم إليه من قبل لم يكن إلا اتقاء لشر قادة الحملة، وبعد أن كان خالد يعتقد أن الأمر قد حسم لصالحه أصبح عليه بعد المعركة أن يرتب أوراقه من جديد لاحتواء الموقف السيء الذي أحاط به.

ورغم توقف الأعمال العسكرية إلا أن آثار معركة الحلوة ظلت تحيط بقادة الحملة حيث أعلن أهل الرياض العصيان ضد الحملة قيادة وجنوداً، مما دعا إسماعيل بك للاستعانة ببعض العلماء كالشيخ إبراهيم بن سيف لنصح الأهالي ودعوتهم للطاعة [٦]، غير أن الأكثرية صمدت في موقفها بل وطلبت من إسماعيل بك تعيين خالد بن سعود أميراً، أو أن ترحل الحملة من بلدتهم، ولأن إسماعيل بك كان يدرك أن الأهالي لم يتخذوا هذا الموقف إلا بعد ماراوه من تدهور أوضاع الحملة على إثر هزيمة الحلوة فقد رضخ

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٢) مرفق بالوثيقة (١٦٦)حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى أحمد شكري، ٢٤ جمادى الآخرة ١٢٥٣هـ.
؛ محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٧٣) حمراء.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (١) مرفق عربي بالوثيقة (٧٧) حمراء. رسالة من يحيى أمير عنيزة إلى خورشيد باشا، غرة جمادى الأولى ١٢٥٣هـ.
؛ محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٧٣).

(٣) عبد الرحمن بن قاسم: المصدر السابق ٢٢٨/٩.

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٩٤/٢ .

(٥) خديوي تركي: دفتر (٨٥٥) وثيقة (بند متفرقات).

(٦) محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (٨٧) حمراء.

لطلبهم، وأعلن تعيين خالد بن سعود أميراً على الرياض، فبايع الأهالي وبعض زعماء القبائل من خارج الرياض خالداً، بينما احتفظ إسماعيل بك بمنصبه كقائد عام للحملة "سر عسكر" ورغم ذلك أصبحت أكثرية القبائل على عداء مع الحملة إذ أن قبائل قحطان وسبيع وعتيبة والدواسر والعجمان ومطير أعلنت تأييدها للإمام فيصل بن تركي المقيم في الأحساء[1].

وقد أصبح من بقي من فرسان الحملة بدون خيول صالحة للعمل، كما أن معنويات الجنود محطمة وأكثرهم لايصلح للعمل بعد أن كثر استخدامهم لدرجة تجعل من المتعذر أن "يرجى منهم نفع.." وتخوف قادة الحملة من أن حالة أولئك الجنود "ستسري كالعدوى.." في بقية زملائهم ولذا "تجب إعادتهم.." إلى مصر والاستعاضة عنهم بآخرين[2].

وهنا أدرك الإمام فيصل بن تركي تلك الظروف التي ألمت بالحملة بعد معركة الحلوة والتي اعتبرها نصراً لا لأهل جنوبي نجد فحسب بل نصراً لقوات الدولة السعودية الثانية قاطبة، وضربة موجعة لأعدائه حيث كان يفخر بذلك الانتصار كما عبر عن ذلك في أشعاره[3]، ولذا حاول انتهاز الفرصة المواتية للإجهاز على بقية الحملة، فجهز قواته منطلقاً من الأحساء إلى الرياض ماراً بالخرج حيث انضمت إليه قواتها وقوات جنوبي نجد يتقدمها الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ فتقدمت القوات السعودية تجاه الرياض، وحين علم إسماعيل بك وخالد بن سعود بذلك قررا مواجهتها قبل أن تصل إلى الرياض؛ فخرجت قواتهما من الرياض بقيادة خالد بن سعود، والتقت بقوات الإمام فيصل

---

(١) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٢) مرفق عربي للوثيقة (٩٨).

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٣١) حمراء. رسالة من أحمد شكري في الطائف إلى وزير الداخلية بمصر، ١٣ شعبان ١٢٥٣هـ.

(٣) يقول الإمام فيصل في ذلك الانتصار:

حنا حمينا نجد من كل فساق	من حمر مصر والوجيه المناكير
أول نراسلهم بتسجيل وأوراق	واليوم بأطراف الرماح السماهير

عبد الله العثيمين: "الشعر النبطي مصدراً لتاريخ نجد" ضمن كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ج١، الرياض: جامعة الرياض، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٣٨٨.

ابن تركي قرب المصانع* ونجحت قوات الإمام في خداع خصمها بواسطة كمين خرج فجأة بعد أن نشب القتال ليهاجم قوات خالد الذي أصيب هو ومن معه بالذعر، فعزم على الهرب للرياض، بينما توجه عدد من أهالي الرياض ومعهم بعض العسكر للجوء إلى منفوحة، فتتبعتهم قوات الإمام فيصل وضربت الحصار عليهم في البلدة، فاضطروا لطلب الأمان لهم وللأهالي ، وعلى إثر ذلك فتحت أبواب البلدة لقوات الإمام فيصل، وتمكن من السيطرة عليها من جديد (١)، واتخذها مقراً لقواته وقاعدة لعملياته العسكرية التي عزم على القيام بها ضد الحملة في الرياض، ويعود سبب ذلك لقربها من الرياض، وموقعها إلى الجنوب منها؛ مما يمكنه من الارتداد سريعاً إلى بلدان نجد الجنوبية عندما تحتم الظروف ذلك.

وعلى أية حال فإن الإمام فيصل حين ضمن موقف منفوحة اتجه بقواته إلى الرياض حيث ضرب حصاره عليها في اليوم الأول من جمادى الآخرة ١٢٥٣هـ/ سبتمبر ١٨٣٧م، وطالت مدة الحصار مما زاد من وضع البلدة والحملة الاقتصادي السيئ، بينما تزايد موقف الإمام فيصل قوة بعد أن قدمت إليه قوات من سدير والمحمل، ولذا أدرك قادة الحملة أن كل مايمكنهم عمله هو تحصين البلدة، والعمل على إغلاق المنافذ المؤدية إلى داخلها، والتخلص من أعوان الإمام فيصل الموجودين فيها، وإخراج من لايمكن الاستفادة منه إلى خارج البلدة(٢)، إضافة إلى إلحاحهم الشديد في الحصول على الدعم والنجدات العاجلة من حكومة محمد علي باشا في الحجاز؛ حيث سارع والي الحجاز أحمد باشا بإرسال موفد إلى نجد ليأتيه بأخبار الحملة بشكل دقيق، وكان هذا الموفد هو منصور بن زيد أحد أمراء الحجاز الذي زود بخطاب حاد اللهجة إلى أهالي نجد حذرهم

---

* قرية كثيرة النخيل قرب منفوحة، وهي الآن من ضواحي الرياض. عبد الله بن خميس: معجم اليمامة، ٢/٣٧٠.

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٩٥ .

(٢) المصدر السابق ٢/٩٥، وتشير إحدى الوثائق المصرية إلى أن الإمام فيصل قد استخدم في حصاره لمدينة الرياض مدفعين كان أحدهما من غنائم معركة الحلوة، محافظ عابدين: محفظة (٢٦٢) وثيقة (٩٠) حمراء. تقرير أحمد كاتب رئيس الأدلاء عن الصلح بين فيصل وخالد بن سعود، غرة شوال ١٢٥٣هـ.

فيه أحمد باشا من الوقوف ضد الحملة، وبيَّن أنه بصدد تجهيز حملة كبرى لإنقاذها، وطلب من منصور بن زيد البقاء في الرياض حتى تأتي تلك الحملة الجديدة والتي لم يعق قدومها إلا تأخر جمع الجمال من القبائل لنقلها إلى الرياض [١].

ووجه أحمد باشا خطاباً إلى خالد بن سعود أوضح له فيه أن الحرب سجال والهزيمة أمر محتمل وطمأنه بأنه بصدد إرسال أحد "الآلايات" العسكرية ومعها خمسمائة خيالاً، وطلب منه استغلال انتسابه لآل سعود بكسب ولاء الأهالي، وفي نفس الوقت حاول أحمد باشا التلويح لخالد بن سعود بوجوب إطاعته باعتباره الحاكم الإداري لحكومة محمد علي باشا في الحجاز، وإن لم يفعل فإن القوات التي سترسل سوف تكلف بتأديبه هو أولاً، كما طلب منه تأمين معيشة العساكر في الرياض، والضغط على القبائل، ومعاملة كل منها حسب مقتضى الحاجة من شدة ولين، وفي الختام أبلغه أن هناك مبلغاً من المال مع محمد أغا ومجموعة من الفرسان في المدينة المنورة، وطلب منه إرسال مائة وخمسين من الهجانة من قبله لنقلهم إليه[٢].

وقد كتب أحمد باشا إلى خورشيد باشا القائد العسكري في منطقة المدينة المنورة طالباً منه إرسال أحد الآلايات الموجودة لديه إلى نجد، غير أن خورشيد باشا اعتذر بسبب صعوبة الأحوال الأمنية في منطقته الأمر الذي يجعل من المتعذر إرسال فرسانه إلى نجد واقترح تجنيد بعض الحجاج المغاربة الذين سيأتون إلى المدينة المنورة للزيارة حيث يتم تكوين سريتان قوام كل منهما مائة فارس كي يرابطوا في تلك المناطق لحين عودة الفرسان من نجد [٣]، وفي نفس الوقت أوصى خورشيد بضرورة زيادة العدد المقرر

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٦٩) حمراء. رسالة من أحمد شكري في الطائف إلى وزير الداخلية حول إرسال الشريف منصور لمعرفة أخبار نجد وتزويده بخطاب إلى مشايخ المنطقة، ١٣ جمادى الأولى ١٢٥٣هـ.

؛ محافظ الحجاز محفظة (٢) وثيقة (١٧٣) حمراء. صدور أوامر لخورشيد باشا بتاريخ ١٣ جمادى الثانية ١٢٥٣هـ بالاستعداد للتحركات الحربية في نجد.

(٢) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٢) وثيقة (٥٤) حمراء. نقلاً عن عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: من وثائق...، ١/٥٧٣-٥٧٥.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٨٤) حمراء. رسالة من أحمد شكري في الطائف إلى وزير الداخلية بمصر، ٢٢ جمادى الأولى ١٢٥٣هـ. =

إرساله إلى نجد من قواته حيث أن الموجود لديه في حدود ستمائة فرد فقط وهم قوام الآلاي الخامس عشر الغير متكامل، وطلب حينئذ توفير مؤونة ثلاثة أشهر قادمة لهم[(١)].

ولإنقاذ إسماعيل بك وحملته عمل خورشيد باشا على زيادة أجرة الجمالة المكلفين بنقل النجدات والمؤن حتى انتهاء تلك المهمة، حيث زيدت أجرة الجمل الواحد إلى اثني عشر ريالاً بعد أن كانت سبعة ريالات فقط منذ حملة إبراهيم باشا ضد الدولة السعودية الأولى، وتمت الزيادة بحضور خمسين من الأعيان وأمراء القبائل يتقدمهم أمير ينبع عبد الله ابن عبد المعين حيث صادق الجميع على ذلك[(٢)].

ورغم الجهود التي بذلت لإنقاذ حملة إسماعيل بك إلا أن محاولات الدعم تلك قد اصطدمت بمشكلة كبيرة وهي اضطراب الأمن في نجد الناتج عن نشوب الصراعات بين القبائل بعد معركة الحلوة وهزيمة الحملة، مما جعل النجدات والرسل المرسلة إلى إسماعيل بك لاتتمكن من الوصول إلى الرياض إذ سرعان ماتعود إلى القصيم خوفاً من الاعتداءات التي درج كثير من أفراد القبائل والبلدان على شنها ضد كل من يعتقدون أن له علاقة بالحملة [(٣)]، لذا فإن السفر إلى "ماوراء عنيزة..." أصبح متعذراً بالنسبة للحملة وأتباعها[(٤)] بعد أن "تنبهت آذان العربان..." على إثر معركة الحلوة "... وراحوا يتشاورون خلسة فيما بينهم..."[(٥)]، حتى أن بعض الزعماء المحليين الموالين للحملة

= ؛ محافظ الحجاز: محفظة (٢) مرفق بالوثيقة (١٦٦) حمراء.

وقد تزايدت ثورات قبيلة حرب وهجماتها على قوافل محافظ المدينة المنورة بعد سماعها بهزيمة إسماعيل بك في الحلوة. محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٣١) حمراء.

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٧٣) حمراء، وتؤكد هذه الوثيقة أن خورشيد باشا أبدى اهتماماً كبيراً بمسألة إنقاذ حملة إسماعيل بك ورفع الحصار عنها.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١١١) حمراء. رسالة من خورشيد باشا في ينبع إلى وزير الداخلية بمصر حول زيادة أجرة الجمالة ، ١٥ رمضان ١٢٥٣هـ.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٧٧) حمراء.

؛ محافظ عابدين: محفظة (٢٦٢) مرفق عربي للوثيقة (٩٨).

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٧٣) حمراء.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٦٦) حمراء.

(٥) محافظ الحجاز : محفظة (١) وثيقة (٦٦) حمراء.

قد تعرضوا لهجوم من أهالي بلدة القصب * في منطقة الوشم ومن أهالي منطقة السر مما دعاهم للهرب إلى عنيزة ومنها إلى الرس ثم إلى المدينة المنورة [١].

وإزاء ذلك الوضع قررت حكومة الحجاز إيصال النجدات إلى عنيزة فقط دون أن تتقدم إلى الرياض وكلفت المشرفين عليها بالاستقرار في عنيزة وإرسال خبر قدومهم إلى إسماعيل بك مع أحد زعمائها ليتم التشاور في الطريقة المناسبة لإيصال المساعدات والدعم إلى الحملة [٢].

وبعد مضي أكثر من شهرين من الحصار قرر الإمام فيصل بن تركي اقتحام البلدة فشن هجوماً شاملاً لتسلق أسوارها يوم ٧ شعبان ١٢٥٣هـ/ ٥ اكتوبر ١٨٣٧م، ورغم ماواجهته قواته من صمود وضربات أسلحة المتحصنين إلا أنهم واصلوا محاولاتهم لدخول البلدة، وكادوا يتمكنون من ذلك لولا وصول بعض النجدات إلى الحملة من قبيلتي سبيع وقحطان بشكل مفاجيء ومهاجمتها لقوات الإمام فيصل من الخلف[٣]، والأهم من ذلك وصول أحد أفراد قبيلة سبيع أثناء الحصار قادماً من الرس وهو يحمل خبر قدوم حملة كبيرة على رأسها خورشيد باشا بنفسه[٤]، وأن هناك مايقارب ثمانمائة من الجنود قد وصلوا الرس في الطريق إلى الرياض[٥]، لذا قرر الإمام فيصل بن تركي فك الحصار عن

---

* القصب بلدة شرقي الوشم تحد من الشرق بالعتك ومن الغرب والجنوب رمل الرغام ومن الشمال الحمادة ومنحدرات طويق الغربية. عبد الله بن خميس: معجم اليمامة ٢/٢٨٨.

(١) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٢) مرفق عربي للوثيقة (٩٨)، وقد أدت تلك الأوضاع الأمنية السيئة إلى رفع أجرة الهجانة حاملي الرسائل مابين عنيزة والرياض إلى ١٨٠ ريالاً، وأصبح الهجان يستغرق أكثر من أسبوعين دون أن يتمكن من الوصول إلى الرياض فيضطر للعودة إلى عنيزة. محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٧٧) حمراء.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (١٧٣) حمراء.
محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (١٦٦) حمراء.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق، ٢/٩٥-٩٦.

(٤) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٢) وثيقة (٩٠) حمراء. وقد عُين خورشيد باشا في تلك الفترة محافظاً للمدينة المنورة بدلاً من تيمور أغا . محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (٣٥٠). رسالة من أحمد شكري في الطائف إلى وزير الداخلية، ١٤ رجب ١٢٥٣هـ.

(٥) إبراهيم بن ضويان: المرجع السابق، ورقة ١٨ .

الرياض يوم ١٢ شعبان ١٢٥٣هـ/ ١٠ اكتوبر ١٨٣٧م وتراجع بقواته إلى منفوحة[١].

ومن الواضح أن كلاً من الإمام فيصل بن تركي والأمير خالد بن سعود قد سئما حالة الاستنفار العسكري الدائمة تلك فأصبحا يبحثان عن حل سلمي، وتوضح الوثائق أن خالد كان هو المبادر للإتصال بالامام فيصل حين أرسل إليه وفداً من قبيلة سبيع لإبلاغه بقرب قدوم خورشيد باشا بحملة عسكرية وأن مصيراً سيئاً ينتظره وأن عليه الانسحاب إلى الأحساء [٢].

وبعد جهود مكثفة ومراسلات بين الإمام فيصل وخالد بن سعود تم عقد اجتماع بينهما بين الرياض ومنفوحة يوم ١٧ شعبان، استغرق مايزيد عن ثلاث ساعات وانفض دون نتيجة تذكر[٣]، ويؤكد أحد المؤرخين أن اجتماعاً آخر عقد يوم ٢٥ شعبان تم فيه الصلح بين الجانبين، على أن يرحل إسماعيل بك وقواته إلى الحجاز وأن يبقى خالد ابن سعود في الرياض[٤]، إلا أن بعض الوثائق تداركت ذلك وذكرت أن الصلح الذي تم بوساطة قبيلة سبيع اقتضى أن يذهب الإمام فيصل بقواته للأحساء، وأن يبقى خالد ابن سعود وإسماعيل بك في الرياض[٥]، ومن خلال مجريات الأحداث التاريخية وتضارب محتويات الوثائق[٦] يمكن القول أن الصلح لم يتم حقيقة وذلك لتصادم الأهداف والمطالب، فبينما يرغب خالد بن سعود بالسيطرة على الرياض مدعماً بقوات الحملة فإن

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٩٥-٩٧.

(٢) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٢) وثيقة (٩٠) حمراء.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٩٧ .

(٤) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٤٠٨ .

(٥) محافظ عابدين : محفظة (٢٦٢) وثيقة (١٣) رسالة من خورشيد إلى محمد علي باشا حول الصلح بين خالد بن سعود وفيصل بن تركي، ٢٠ رمضان ١٢٥٣هـ.

(٦) ذكرت وثائق أخرى أن فيصل بن تركي أرسل موفداً من قبله يطلب الأمان من خورشيد باشا مقابل إتمام الصلح، وأن خورشيد باشا كان يدرك أن هدفه كسب الوقت بدليل تنظيمه لقواته من جديد. محافظ عابدين: محفظة (٢٦٢) وثيقة (٩٠) حمراء. تقرير من خورشيد باشا عن الحوادث بين فيصل بن تركي وخالد بن سعود، غرة شوال ١٢٥٣هـ، مما يعني بداية مرحلة جديدة من المفاوضات بين خورشيد باشا والإمام فيصل بن تركي.

الإمام فيصل وأهل نجد لايمكن أن يقبلوا بحكم محمد علي باشا ومن يواليه من القوى المناوئة للدولة السعودية الثانية.

ومن هنا فقد عادت الاشتباكات مجدداً بين الطرفين، وبدأ رجال الإمام فيصل بمهاجمة بعض الإمدادات المرسلة إلى الرياض، غير أن بعضاً من تلك الإمدادات وصل إلى قوات الحملة داخل الرياض(١)، ولاسيما أن إسماعيل بك وخالد بن سعود واصلا العمل لجلب القوات الموجودة في الرس للاستفادة منها بناء على توجيهات خورشيد باشا (٢)، حيث تم إرسال إبراهيم المعاون إلى القصيم بحماية من قبيلة سبيع للعمل على اصطحاب تلك القوات إلى الرياض،وحين وصل المعاون إلى القصيم علم بتحرك خورشيد باشا بالحملة الجديدة إلى نجد(٣).

وهكذا انتهى الدور الفعلي لحملة إسماعيل بك وخالد بن سعود؛ إذ لم تقم الحملة بعد ذلك بأي نشاط عسكري أو إداري، وظلت قابعة في الرياض حتى تحركت طلائع الآلاي الخامس عشر باتجاه أراضي نجد، فأرسل خورشيد باشا معاونه حسين أفندي مع رئيس الأدلاء سليمان المللي ومعهما بعض الجنود إلى الرياض في نهاية محرم ١٢٥٤هـ/ أبريل ١٨٣٨م(٤)، ليحلوا محل إسماعيل بك وقواته التي طلب منها العودة إلى مصر(٥).

وحين وصلت قوات حسين أفندي وسليمان المللي إلى الرياض، عاد إسماعيل بك وقواته وبرفقته حسين أفندي إلى القصيم، ومنها إلى الحجاز حيث التقى بخورشيد باشا في

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٩٧-٩٨.

(٢) محافظ عابدين. محفظة (٢٦٢) وثيقة (٩٠) حمراء.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٩٨.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (١٠٨) حمراء. رسالة من محافظ المدينة محرم بك إلى صاحب الدولة حول تحرك الآلاي الخامس عشر إلى نجد، ٢٨ محرم ١٢٥٤هـ.

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (٣) وثيقة (٢٩٣) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى وزير الداخلية حول تحرك حسين أفندي إلى الرس وعودته، غاية ذي القعدة ١٢٥٣هـ، وتشير هذه الوثيقة إلى أن قوات حسين أفندي في طريقها من المدينة المنورة إلى نجد قد ارتكبت أعمالاً عنيفة ضد القبائل التي امتنعت عن تزويده بالإبل، حيث قتلت حوالي مائة شخص، واستولت على ثمانية الآف من الغنم وألف وخمسمائة من الإبل، ودمرت البيوت.

الحناكية في طريقه [١] إلى نجد، وبعد ذلك رحل إسماعيل بك إلى مصر [٢].

لقد كان لهذه الحملة العسكرية تأثيرات مختلفة على مسيرة الأحداث التاريخية في وسط الجزيرة العربية، وصلتها بحكومة محمد علي باشا في مصر حيث كانت أول حملة يتم إعدادها وإرسالها من مصر منذ حملة إبراهيم باشا على الدرعية سنة ١٢٣٣هـ إذ كانت الحملات تعد من الحجاز، مما يدل على مدى اهتمام محمد علي باشا بها وتوفير ماتحتاجه لإنجاح مهمتها وتحقيق أهدافه في المنطقة، وقد سلك محمد علي باشا في إعدادها أسلوباً جديداً يتمثل باختيار أحد قادتها من أهالي نجد بل ومن أسرة آل سعود وذلك للوقيعة بين أفرادها ولضمان تأييد الأهالي لذلك القائد، ورغم تأييد الكثير من الأهالي لخالد إلا أن ذلك التأييد كان دافعه الخوف من الحملة وماستثيره من متاعب لهم، إذ لم يلبث كثير منهم أن تخلى عن موقفه خاصة بعد هزيمة تلك الحملة في معركة الحلوة.

وإذا كانت الحملة قد اتخذت نفس الطريق التاريخي لحملات محمد علي باشا (المدينة – الحناكية – الرس – عنيزة)، واتخذت نفس المراكز العسكرية لها، فإنها قد حاولت كسب موقف الأهالي وزعماء القبائل بشتى السبل؛ حيث سلكت سبيل الإكرام والهبات مع بعض منهم، بينما سلكت سبيل الإرهاب والبطش مع البعض الآخر، وتجلى مع وجود هذه الحملة مدى الخوف والقلق الذي أحاط ببلدان نجد وقبائلها من الحملات السابقة، لذا لم يواجه إسماعيل بك مقاومة تذكر عدا مقاومة ضئيلة في عنيزة ثم الصمود البطولي لأهالي بلدان جنوب نجد في معركة الحلوة، ومن هذا المنطلق تأرجح ولاء زعماء القبائل تجاه الحملة؛ ففي الوقت الذي اتصل كثير منهم بقادتها وعرضوا مساعدتهم حين وصلت القصيم تغير هذا الموقف من قبل نفس الزعماء حيث أنهم انضموا لقوات الإمام فيصل بن تركي بعد استقرارها بالأحساء.

وقد برزت أهمية الجمال بالنسبة لقادة الحملة بشكل كبير حيث انحصرت مطالبهم من القبائل فيها، نظراً لما تلعبه من دور مهم وبارز في حروب الصحراء ونقل

---

(١) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد علي ....، ص ٣٠٣ .

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٠١/٢ . ويسمي ابن بشر سليمان المللي بـ(ملا سليمان) وحسين أفندي بـ(حسن معاون).

ذخائر ومعدات الحملة خلالها، كما أبرزت الحملة الأهمية الاقتصادية لمنطقة القصيم من خلال إمكاناتها الزراعية الأمر الذي دعا إسماعيل بك للاعتماد عليها لتمويل قواته بعد توقف المساعدات القادمة إليه من الحجاز، إضافة إلى أن مقداراً كبيراً من الزكاة المقدرة على منتوجات المنطقة كان له دور مهم في دعم الحملة واكتفائها إلى حد ما.

وكان لولاة محمد علي باشا في الحجاز -أحمد باشا في مكة المكرمة وخورشيد باشا في المدينة المنورة- دورٌ كبيرٌ في مساندة الحملة منذ قيامها حتى خروجها من نجد، غير أن هذا الدور اتضح بشكل كبير بعد هزيمتها في معركة الحلوة، حيث قام أحمد باشا بدور إداري وسياسي لتثبيت قادة الحملة وضمان استمرار موقف الأهالي بجانبها، كما قام خورشيد باشا بإرسال الإمدادات المادية إليها، ورغم أن تلك الإمدادات قد اصطدمت بوضع الطرق الأمني المتوتر إلا أنها ساعدت على أن يرفع الإمام فيصل ابن تركي الحصار عن الرياض حين سمع بقدومها ووصولها إلى الرس.

وقد برز دور القوى المناوئة للدولة السعودية في دعم هذه الحملة أو الوقوف ضدها لسبب أو لآخر؛ ففي الوقت الذي غاب فيه دور أمراء بني خالد نتيجة لإبعادهم عن إمارة الأحساء ظهر دور أمراء الحجاز في تأييد الحملة من خلال شخصية منصور ابن زيد الذي أرسله أحمد باشا إلى نجد بمنشور تحذيري لأهلها يحثهم فيه على الوقوف بجانب الحملة بعد معركة الحلوة(١).

كما بينت الحملة مدى الخلاف الذي اتسعت هوته بين محمد علي باشا والولاة العثمانيين، وذلك من خلال الرسالة التي بعثها والي بغداد العثماني علي رضا باشا إلى الإمام فيصل بن تركي في ٢٢ شعبان ١٢٥٣هـ وجه فيها عتابه إليه لعدم اتصاله به خلال الفترة التي شهدت قدوم الحملة وتعيين خالد بن سعود أميراً في نجد بدلاً منه، كما بين له

---

(١) أما حكومة أمراء الحجاز المتمثلة بالأمير محمد بن عون فلم يبرز لها دور يذكر في هذه الحملة وذلك بسبب احتجاز ابن عون لدى محمد علي باشا في مصر بعد فشل حملته مع أحمد باشا ضد عسير واختلافهما بعد ذلك وغضب محمد علي باشا منه، وقد استبقى ابن عون في القاهرة ولم يعد إلى الحجاز إلا بعد خروج قوات محمد علي باشا من الجزيرة العربية نهائياً عام ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م. أحمد السباعي: المرجع السابق ٢/٥٢١-٥٢٢ .

رغبته بالمساعدة وإعادة تنصيبه حاكماً في بلاده خاصة أنه يعتبر من المنتمين لجانب الدولة العثمانية، وتمنى له العون والنصر على قوات محمد علي باشا، وطلب منه الرد برسالة يوضح فيها الطريقة المثلى للمساعدة التي يمكن تقديمها له من بغداد(١).

وبذلك دخل الولاة العثمانيون في العراق ميدان الحرب ضد قوات محمد علي باشا في نجد بصورة غير مباشرة(٢) وبالوسائل الدبلوماسية، حيث قام علي رضا باستغلال نشاط قوافل العقيلات النجدية التجارية في العراق مستفيداً من علاقتهم الحسنة معه فكلف زعيمهم سليمان بن غنام بتوجيه رسالة إلى الإمام فيصل بن تركي يحثه فيها على مكاتبة حكومة بغداد، وإعلان الطاعة للسلطان العثماني، ويبلغه أن علي رضا على استعداد لتقديم مايحتاجه من مساعدات(٣)، غير أن الإمام فيصل بن تركي لم يرد على أي من الرسالتين بشيء(٤) لإدراكه عدم جدية علي رضا بتقديم مساعدات ملموسة.

ورغم ذلك لم يتوقف علي رضا عن محاولته لتحريض الإمام فيصل بن تركي على المواجهة حيث طلب من أحد كبار التجار النجديين المقيمين في الكويت أن يكتب للإمام فيصل ليبلغه تمنياته له بالنصر في الحروب التي يخوضها ضد قوات محمد علي باشا، وفي نفس الوقت يبدي الاستعداد لإرسال بعض الجنود إليه حين يتم له النصر، ويحثه على أن يكتب إلى والي بغداد بطلب تزويده بأمر من السلطان العثماني يؤكد فيه تبعيته للدولة العثمانية، وحين يعلن ذلك الأمر ترغم قوات محمد علي باشا على الانسحاب من المنطقة باعتباره لايزال واليا خاضعاً للسلطان العثماني(٥).

---

(١) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٤) مرفق للوثيقة (٢٦١) حمراء. رسالة من علي باشا إلى فيصل ابن تركي حول التعاون بينهما، ٢٢ شعبان ١٢٥٣هـ. وتؤكد إحدى الوثائق المصرية أن علي رضا وجه تلك الرسالة أثناء وجوده في جنوبي العراق. محافظ عابدين: محفظة (٢٦٤) مرفق عربي للوثيقة (٢٦١) رسالة من فيصل ابن تركي إلى خورشيد باشا حول مراسلاته مع والي بغداد وأمير عسير، ١٩ محرم ١٢٥٤هـ.

(٢) عبد العزيز نوار : المرجع السابق، ص ٢٠٩ .

(٣) المرجع السابق، ص ٢٠٩، هناء العوهلي: المرجع السابق، ص ١٥٤.

(٤) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٤) وثيقة (٢٦١).

(٥) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٢٣١ .

غير أن تلك الرسالة لم تصل إلى الإمام فيصل بن تركي حيث وقعت بيد قادة محمد علي باشا، ووصلت إلى خورشيد باشا عن طريق المكلفين بمراقبة الرسل القاصدين مقر الإمام فيصل[١]، وحتى لو وصلت الرسالة إلى الإمام فيصل بن تركي فإن المتوقع أنه سيستمر بتجاهل الرد على علي رضا؛ لأن تلك الرسالة أوضحت سلبيته بشكل أكبر حين أشار إلى أن إرسال جنود من قبله لدعم الإمام فيصل بن تركي سيكون بعد انتصار الإمام فيصل على قوات محمد علي باشا، أي في وقت هو ليس بحاجتها، والمهم في تلك الرسائل أنها كانت مثار اهتمام خورشيد باشا حين قدم بحملته التي كان من أولويات مهامها الحصول على الرسائل التي اعتبرها أدلة تخطيط عثماني سعودي ضد حكومة محمد علي باشا وقواته في الجزيرة العربية بدافع المصالح المشتركة بين الطرفين، والواقع أن تلك الرسائل أوضحت مدى تباين مواقف الولاة العثمانيين ومحمد علي باشا في تلك الفترة من الدولة السعودية الثانية بعد أن كانوا قوة مناوئة تعمل متحدة للقضاء على أي وجود للدولة السعودية في الجزيرة العربية.

وقد أظهرت هذه الحملة التعاون المشترك بين فارس ومحمد علي باشا حيث أرسل محمد رحيم الشيرازي من فارس رسالة إلى أحمد باشا والي الحجاز عرض فيها دعم إسماعيل بك بما يتراوح بين خمسة إلى عشرة الآف خيال يذهبون إلى نجد مع قائد يرسل خصيصاً لذلك، وذلك كمساعدة لإسماعيل بك على إثر هزيمته في الحلوة ووقوعه تحت الحصار الضارب من قوات الإمام فيصل بن تركي في الرياض[٢]، غير أن شيئاً من ذلك لم يحدث إذ أن حكومة محمد علي باشا كانت تعمل جاهدة لانقاذ الحملة بقواتها الذاتية المرسلة إلى نجد.

ولقد كانت النتيجة النهائية للحملة فشل إسماعيل بك وخالد بن سعود في إنهاء حكم الإمام فيصل بن تركي وهو هدف الحملة الرئيسي، رغم النجاح الذي حققاه بالسيطرة على أجزاء كبيرة من دولته إلا أن ذلك لم يكن نتيجة للمعارك بقدر ماكان

---

(١) هناء العوهلي: المرجع السابق، ص ١٥٦.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (٤٢) حمراء. من محمد رحيم الشيرازي إلى أحمد باشا حول حملة إسماعيل بك، ١٥ شعبان ١٢٥٣هـ.

نتيجة لتخوف الأهالي وعدم مقاومتهم للحملة، كما أن سيطرتها على العاصمة والتقدم جنوباً أعقبهما هزيمة نكراء للحملة وخسارتها العدد والعدة، وارتدادها إلى الرياض لتبقى الفترة الزمنية التالية تعاني من حصار القوات السعودية التي قدمت بقيادة الإمام فيصل ابن تركي لتصبح في موقف المهاجم، فيما أصبحت الحملة تعاني من ضائقة اقتصادية جعلت الجنود لايجدون المأكل والمشرب، الأمر الذي جعل البعض منهم يلجأ لنشاط تجاري يكفي قوته اليومي[١]، و لم تفلح جهود حكومة محمد علي باشا لإنقاذ الحملة من ذلك الحصار الذي جاوزت مدته الشهرين، مما دعا قادتها إلى اللجوء للوسائل الدبلوماسية والتفاوض مع الإمام فيصل بن تركي، كما أن رفع الحصار الذي تم قبيل تلك المفاوضات لايعني أن قوات الحملة قد تخلصت مما تعانيه؛ بل إن الحصار عاد من جديد على إثر فشل المفاوضات الأمر الذي أكد لحكومة محمد علي باشا في الحجاز ضرورة إرسال حملة جديدة بعدد وعتاد أكبر من سابقتها لتخليص إسماعيل بك وقواته، ولتقويض دولة الإمام فيصل بن تركي.

ويمكننا القول هنا أن النجاح الذي كسبه محمد علي باشا من حملة إسماعيل بك وخالد بن سعود تمثل في تمكنها من تمهيد الطريق للحملة القادمة كي تسيطر على وسط الجزيرة العربية مجدداً، وتتمكن من إيقاف نمو الدولة السعودية الثانية.

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (٣٨) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة حول أخبار نجد، ٩ محرم ١٢٥٤هـ.

*** حملة خورشيد باشا واستسلام الإمام فيصل بن تركي (١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م):**

من المؤكد أن الأسباب الرئيسية لإرسال حملة خورشيد باشا هي نفسها أسباب إرسال حملة إسماعيل بك السابقة التي لم تتمكن من تحقيق أهدافها، وحل فيها الفشل؛ خاصة بعد هزيمتها في معركة الحلوة [١]، ثم حصارها في الرياض من قبل قوات الإمام فيصل بن تركي، في الوقت الذي اتضح لمحمد علي باشا ضعف موقف إسماعيل بك وخالد بن سعود وضرورة إنجادهما بحملة جديدة[٢] تحقق أهدافه المعروفة بالقضاء على حكم الإمام فيصل بن تركي[٣] ومن ثم التقدم لتحقيق أهدافه التوسعية في العراق عن طريق الجزيرة العربية بعد توقف نشاطه في الشام على إثر معاهدة كوتاهيه[٤].

ومما زاد من إصرار محمد علي باشا على إرسال الحملة الجديدة ما لمسه من تقارب بين الإمام فيصل بن تركي ووالي العراق العثماني اتضح من خلال الرسائل القادمة من العراق إلى نجد والتي وقع بعضها بيد رجال محمد علي باشا فعلم بمحاولة علي رضا التعاون مع الإمام فيصل بن تركي من أجل التخطيط المشترك ضده[٥] لذا كان من أولى مهمات خورشيد باشا الحصول على تلك الرسائل كدليل مادي لذلك التخطيط[٦].

وتبين الوثائق المصرية أن التخطيط لإنفاذ الحملة بدأ منذ هزيمة حملة إسماعيل بك وخالد بن سعود في الحلوة، حيث أرسل والي الحجاز أحمد باشا رسالة إلى خالد بن سعود بتاريخ ١٣ جمادى الأولى ١٢٥٣هـ أي بعد تلك الهزيمة يبلغه فيها بقرب إرسال حملة عسكرية جديدة إلى نجد[٧]، وفي نفس الوقت صدرت الأوامر إلى خورشيد باشا محافظ

---

(١) أمين الحلواني: المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٨٦) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى وزير الداخلية حول إرسال الآلاي الخامس عشر إلى نجد، ١٥ رجب ١٢٥٣هـ.

(٣) أحمد دحلان: المصدر السابق، ص ٣١٢، ضاري الرشيد: المرجع السابق، ص ٣٣.

(٤) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٢٠٤.

(٥) محمد الثنيان: المرجع السابق، ص ٢٤٨.

(٦) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٤) وثيقة (٢٦١).

(٧) محافظ الحجاز: محفظة (١) وثيقة (٦٩) حمراء.

المدينة المنورة [(١)] بالاستعداد للقيام بحملة عسكرية إلى نجد[(٢)]، مما يدل على أنه القائد للحملة المزمع إرسالها إلى هناك، حيث كلف باستصحاب الآلاي الثالث والعشرين إلى القصيم بتاريخ ٢١ جمادى الآخرة ١٢٥٣هـ[(٣)]، أي بعد حصار الإمام فيصل بن تركي للرياض بعشرين يوماً مما يدل على أن إنقاذ إسماعيل بك ومن معه أبرز أهداف الحملة.

غير أن خورشيد باشا أوضح أن ذلك الآلاي غير مكتمل حيث أن أحد أورطاته* موجودة في مكة المكرمة، وبعض جنوده يتلقون علاجهم في جدة، كما أن جنود الثلاث أورطات الأخرى صغار السن و لم يتعودوا على أجواء الجزيرة العربية، واقترح خورشيد

---

(١) عقد لخورشيد باشا قيادة الآلايين الخامس عشر والحادي والعشرين المتأهبين للسفر من مصر إلى الحجاز ثم سافر هو على إثرهما، وبقي هناك قائداً لهما، ثم تم تعيينه محافظاً للمدينة المنورة، بدلاً من تيمور أغا، وفي جمادى الثانية سنة ١٢٥٣هـ تم اختياره قائداً للحملة المزمع إرسالها إلى نجد، وكانت رتبته العسكرية مير ميران "أمير أمراء" وهي رتبة تعلو رتبة إسماعيل بك "أمير لوا"، ولايعلو رتبة خورشيد باشا تلك سوى رتبة "سر عسكر"، حيث يبلغ مرتب رتبة الميرميران ١٢٥٠٠ جنيه، وشعارها ثلاث نجوم داخل هلال وكلها من الذهب المرصع بالألماس.

"- محافظ عابدين: محفظة (٢١٢) وثيقة (٩٩). رسالة من الجناب العالي إلى سر عسكر الحجاز حول العقد لخورشيد على الآلايين ١٥، ٢١، ربيع الأول ١٢٥١هـ.

- معية تركي: دفتر (٦٧) وثيقة (٢٣٥). رسالة من الجناب العالي إلى سر عسكر الحجاز حول سفر خورشيد إلى الحجاز، ٢٤ رجب ١٢٥١هـ.

- معية تركي: دفتر (٦٦) وثيقة (٦٧٠) رسالة من الجناب العالي إلى خورشيد باشا لإرسال الآلاي ١٥ للحجاز واللحاق به، ٤ جمادى الثانية ١٢٥١هـ.

- معية تركي: دفتر (٦٩) وثيقة (٦٩) رسالة من الجناب العالي إلى والي الحجاز حول سفر خورشيد باشا للحجاز، ١١ رجب ١٢٥١هـ.

- صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي. القاهرة: مكتبة الأنجلو: ١٩٩١م، ص١٣٢.

- عمر طوسون: المصدر السابق، ص٤٠-٤١".

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (٣٥٠).

؛ محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٧٣) حمراء.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٨٦) حمراء.

* الأورطة تعني فرقة من الآلاي حيث ينقسم الآلاي إلى أربع أورطات كما تبين الوثائق.

باشا إرسال الآلاي الخامس عشر بدلاً منه رغم النقص في عدد جنوده بما يقارب ستمائة جندي(١)، إلا أن إرساله "أوفق للمصلحة من الآلاي الثالث والعشرين..."(٢)، والذي رأى خورشيد باشا أن يحل محل الآلاي الخامس عشر ليرابط في منطقة المدينة المنورة بعد أن يتكامل جنوده لحفظ الأمن فيها خلال فترة غياب خورشيد باشا في نجد (٣).

ورغم صدور الأوامر إلى خورشيد مبكراً لإنفاذ الحملة إلا أنه تأخر في السير إلى نجد لما يقارب الستة أشهر وذلك لرغبته بالاستعداد التام، وإعطاء الحملة كل احتياجاتها ومؤنها؛ خاصة أن القوات التي أرسلها إلى القصيم كنجدة لإسماعيل بك في ٨ رجب من نفس العام قد استنفدت المؤن الموجودة في خزينة المدينة المنورة(٤)، لذا رأى خورشيد باشا أن يتزود جنود حملته بمؤنة ستة أشهر قادمة من سمن وأرز وبقسماط وليست ثلاثة أشهر كما رأى أحمد باشا والي الحجاز (٥).

وفي نفس الوقت طلب خورشيد باشا صرف الاستحقاقات المالية لجنود الحملة كاملة قبل تحركهم إلى نجد، كما كتب إلى أحمد باشا الموجود في الطائف في ٢٣ شعبان ١٢٥٣هـ لشراء بعض اللوازم الضرورية لهم، غير أن هذا الطلب لم يجد تجاوباً سريعاً(٦)

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٧٣) حمراء، وكان الآلاي الخامس عشر مرابطاً في الجديدة قرب المدينة المنورة ويبلغ تعداد قواته حوالي ٢٥٥٥ جندياً. محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (٤) حمراء. رسالة من أحمد شكري إلى وزير الداخلية حول سفر الآلاي ١٥ إلى نجد، ٣ شعبان ١٢٥٣هـ.

؛ عمر طوسون: المصدر السابق، ص ١٦٩.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٨٦) حمراء. وقد طلب خورشيد إرسال ٦٠٠ من عساكر السودان القدماء لاتمام النقص. محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٣١) حمراء.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (٤) حمراء.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٨٦) حمراء.

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (٣٥٠).

؛ محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٣١) حمراء.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (٣) وثيقة (٦١) حمراء. رسالة من درويش علي بري محافظ ينبع إلى ولي النعم حول تحرك خورشيد إلى نجد، ٢٢ ذي الحجة ١٢٥٣هـ.

(٦) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (٩٤) حمراء. رسالة من خورشيد باشا في ينبع إلى وزير الداخلية بمصر حول صرف استحقاقات الآلاي المتجه إلى نجد، ٩ رمضان ١٢٥٣هـ.

خاصة في ظل انشغال أحمد باشا بمشاكل عسير وتوجيه اهتمامه لها [(١)]، لذا فإن خورشيد باشا اضطر لاقتراض الأموال اللازمة من أهالي المدينة المنورة ومن مدير الحرم النبوي شريف بك من أجل صرف رواتب الجنود المسافرين، ولصرف أجرة الجمال التي ستقوم بنقل الجيش وذخائره[(٢)].

وكان خورشيد باشا يهدف من خلال تأخره بالسير إلى نجد تدعيم الآلاي الخامس عشر بـ١٦٠٠من المشاة، وعدد إضافي من فرسان الجهادية ليصل عدد فرسان الحملة إلى ١٥٠٠ فارس على الأقل، إضافة إلى دعم الحملة بالمدافع المطلوبة لنصبها في الرس والرياض وجبل شمر، ومدفعين متنقلين مع الحملة، ومثلهما في عنيزة، مع ضرورة وضع الترتيب الإداري المطلوب في منطقة المدينة المنورة بتعيين عثمان بك محافظاً بها[(٣)]، ويلاحظ أن أحمد باشا كان يختلف مع خورشيد باشا في الإعداد للحملة إذ يرى دعمها بمدفعين فقط، وأن يعين عثمان بك لإدارة العسكر في ينبع وليس محافظاً للمدينة المنورة[(٤)].

كما حرص خورشيد باشا على تزويد الحملة بخزينة خاصة للمصاريف، وتعيين إبراهيم أفندي أمين شونة المدينة المنورة أميناً لها لأنه يجيد اللغتين العربية والعثمانية، مع إرسال شخص آخر لتسلم عهدة شونة المدينة المنورة، وتعيين مساعد لإبراهيم أفندي بمنصب كاتب الخزينة[(٥)].

ورغم وجود طبيب خاص بخورشيد باشا ضمن الحملة وهو "جوزيف أرتون"[(٦)] وطبيب أوربي آخر إلا أن خورشيد باشا رأى ضرورة تدعيم الحملة بطبيب ثالث هو

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٧٣) حمراء.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (٩٤) حمراء.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٣١) حمراء.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (٣٥٠)، وتشير الوثائق المصرية إلى أن محرم بك هو الذي عين محافظاً للمدينة. محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (٩٤) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة، ٢٤ محرم ١٢٥٤هـ.

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (٣) وثيقة (٢٢٩) حمراء.

(٦) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: صراع الأمراء، ص ١٠٥.

الخواجه "مصرانو" حكيم باشي مستشفى جده، ومنحه رتبة "بكباشي" لحثه على مرافقة الحملة وتحمل عناء السفر، إلا أن طلبه قوبل بالرفض بحجة عدم استحقاق الطبيب المذكور لتلك الرتبة[١].

وتعتبر مهمة توفير الجمال اللازمة من القبائل لحمل جنود الحملة وذخائرها عامل مهم في تمهل خورشيد باشا في التحرك إلى نجد، ومن الواضح أن تلك المهمة كانت مهمة شاقة ومعيقة لخورشيد باشا الذي قدر احتياجه منها بعشرة الآف جمل، في ظل ارتفاع أجرة الجمل الواحد إلى خمسة عشر ريالاً بعد أن كانت محددة بإثني عشر ريالاً فقط إبان حملة إسماعيل بك [٢]، مماجعل خورشيد باشا يعمل على استقطاب زعماء القبائل وتحسين علاقته بهم بغية توفيرهم للعدد المطلوب؛ فعندما كان خورشيد باشا في المدينة المنورة عمل على استدعاء عبد الله بن علي بن رشيد أمير جبل شمر السابق، وكان خورشيد باشا يهدف من استدعائه حثه على التعاون معه بجمع الجمال، وتسهيل مهمة الجيش، وضمان الموقف في جبل شمر [٣]، وجمع الأخبار منها عن طريق بعض رجاله في المنطقة [٤]، أما ابن رشيد فإن مادفعه إلى مهادنة خورشيد باشا والالتقاء به القوة التي كانت تضمها الحملة، إضافة إلى معرفته بأن الإمام فيصل بن تركي نفسه سيعمل على التفاهم مع خورشيد باشا[٥]، كما أنه أدرك أن الحكمة تقتضي ذلك إذا ماأراد العمل على استعادة إمارة جبل شمر سواء بدعم من خورشيد باشا، أو على الأقل بضمان حياده حتى يتم حسم النزاع بينه وبين خصمه عيسى بن علي [٦]، حيث كان الصراع يدور

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (٢٣٦) زرقاء.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٣١) حمراء.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٨٩) حمراء.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٨٦) حمراء.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (٢٦٤) حمراء، وقد وصلته بالفعل عن طريق تلك المنطقة بعض الأخبار عن أحوال العراق والتي كانت هدفاً لقوات محمد علي باشا كما أشارت تلك الوثيقة.

(٥) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢٤٨/١ .

(٦) عبد الله العثيمين: نشأة إمارة آل رشيد، ص ٦٢، ويذكر بعض الباحثين أن من أسباب ترحيب ابن رشيد بالانضمام إلى خورشيد باشا هو استعانة خصومه آل علي بالولاة العثمانيين في العراق الذين وافقوا على دعمهم ضده. نجاة عبد القادر جاسم: العثمانيون وشمال شبه جزيرة العرب، =

بينهما منذ أن بدأ ابن رشيد محاولة استعادة الإمارة متخذاً من قفار مركزاً له[١]، ومستغلاً عودة جنود إسماعيل بك إلى عنيزة إذ لم يبقى لدى عيسى سوى مائة وعشرة جنود[٢]، وهكذا أصبح الجو ممهداً للقاء ابن رشيد بخورشيد باشا حيث عقد اللقاء في المدينة المنورة يوم ١٦ رجب ١٢٥٣هـ/ ١٦ اكتوبر ١٨٣٧م، وتم الاتفاق بينهما على عودة ابن رشيد لإمارة جبل شمر وإلباسه الخلع، مقابل تعهده بتزويد الحملة بجمال القبائل القاطنة في تلك المنطقة[٣].

وهكذا أسفر اللقاء عن عودة عبد الله بن رشيد لإمارة جبل شمر بالقوة وباعتراف خورشيد باشا[٤] الذي بادر بمحاولة جني ثمار ذلك الاتفاق حين كلف ابن رشيد

= ١٨٤٠م-١٩٠٩م، (رسالة دكتوراه) قسم التاريخ، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٧٦م، ص ١٥٢، والواقع التاريخي يثبت أن العثمانيين ممثلين بولاة العراق لم يقدموا أي مساعدة تذكر للإمام فيصل ليقف ضد عدوهم اللدود خورشيد باشا؛ فكيف يقدمون المساعدة لأسرة آل علي التي لافائدة يرجونها منهم، بل إن الأحداث تؤكد أن آل علي ممثلين بعيسى بن علي لجؤوا إلى قادة محمد علي باشا إبان حملة إسماعيل بك، واستمروا في هذا التوجه رغم استبعادهم من الإمارة مجدداً، بل أن عيسى بن علي نفسه بقي مع خورشيد باشا حيث عينه مديراً لبيت المال في الأحساء.

(١) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢٤٨/١، ويذكر ضاري الرشيد: المرجع السابق، ص ٦٨ أن خورشيد تعرف على مواهب ابن رشيد بواسطة شخص يدعى العريفي والذي عاد من المدينة المنورة إلى حائل، وطلب من ابن رشيد الذهاب إلى خورشيد باشا.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (١) مرفق بالوثيقة (٧٧) حمراء. رسالة من عربي أغا إلى خورشيد باشا عن أخبار نجد، ١ جمادى الأولى ١٢٥٣هـ.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٨٩) حمراء.

(٤) توطدت علاقة ابن رشيد بخورشيد باشا الذي سعى لدى محمد علي باشا لتخصيص مرتب شهري لأمير جبل شمر. جورج أوغست فالين: المصدر السابق، ص ١١٠-١١١، عبد الله العثيمين: نشأة إمارة آل رشيد، ص ١٩-٢٠، ٦٣-٦٤، ٩٥. ويرى بعض الباحثين أن الفضل في بروز أسرة آل رشيد يعود إلى موقفها المتعاون مع الحكم المصري خاصة إبان حملة خورشيد باشا. جمال زكريا قاسم: "الدوافع السياسية لرحلات الأوربيين إلى نجد والحجاز خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين" ضمن كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ج٢، ص١٦-١٧، والواقع أن الفضل في بروز هذه الأسرة يعود إلى الإمام فيصل بن تركي الذي عين أحد =

بالذهاب لجلب الجمال من منطقته، وأرسل برفقته محمد أغا رئيس الهوارية وعدد من الجنود [١] يقدر بـ مائة وخمسين جندياً لقتال الممتنعين عن ذلك، وقد هاجم ابن رشيد ومن معه قبيلة عنزة وأخذ منهم مايقارب خمسمائة جملاً، كما أخذ من بعض الأعراب ألفاً أخرى حيث تم إرسالها إلى خورشيد باشا قبل أن يعود ابن رشيد لتسلم الإمارة[٢]، وتشير الوثائق إلى أن محمد أغا قد ترك خمسين من خيالته في جبل شمر [٣]، ومن المرجح أنهم قد دخلوا حائل بصحبة ابن رشيد للقضاء على أية مقاومة محتملة من قبل آل علي، وكان وجود هؤلاء الخيالة برفقة ابن رشيد سبباً لتخلي عيسى بن علي عن المقاومة، حيث بادر بالهرب من حائل والتجأ إلى خورشيد باشا لاسيما وأن هناك قوة أخرى من الفرسان بقيادة حسين اليازجي كانت ترابط قرب منطقة جبل شمر [٤].

وعلى أية حال فإن استتباب الوضع لحملة خورشيد باشا قد شجعه على التفكير بالتحرك من المدينة المنورة تجاه نجد بعد أن تكونت لديه قوة تزيد عن ألفين وخمسمائة مقاتل وهي قوة الآلاي الخامس عشر [٥]، إضافة إلى أعداد أخرى من الفرسان والمشاة، وكان من المتوقع أن تتزايد قوات الحملة كلما توغلت إلى نجد نتيجة لانضمام النجدات

= أفرادها وهو عبد الله بن علي بن رشيد أميراً على جبل شمر، لتصل تلك الأسرة للإمارة للمرة الأولى في تاريخها وذلك سنة ١٢٥٠هـ، عثمان بن بشر: المصدر السابق ٨٤/٢، وقد استمرت هذه العلاقة حميمة جداً بين الإمام فيصل وعبد الله بن رشيد الذي ساعد ذلك الإمام في استعادة إمارته بعد خروجه من سجنه بمصر سنة ١٢٥٩هـ.

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٨٩) حمراء.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٨٦) حمراء. وتؤكد هذه الوثيقة أنه كان من المقرر أن يرسل محمد أغا إلى الرس كنجدة لإسماعيل بك، إلا أن خورشيد باشا عدل عن هذا الرأي وقرر إرساله برفقة ابن رشيد، مما يدل على اهتمامه بضمان موقف جبل شمر قبل التحرك إلى نجد.

(٢) ضاري الرشيد: المرجع السابق، ص ٧٢-٧٣.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٧٨) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى حسين باشا كبير معاوني الجناب العالي، غرة ذي القعدة ١٢٥٤هـ.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٨٦) حمراء.

(٥) عمر طوسون: المصدر السابق، ص ١٦٩ .

المتوقفة في الرس والقوات المقيمة في عنيزة وغيرها من بلدان نجد إليها، إضافة إلى القوات الغير نظامية المقدرة بثلاثة الآف وخمسمائة فرد، كما ضمت الحملة عشرة مدافع هي مكمن خطورتها وقوتها[١].

وقد رأى خورشيد باشا قبل تحركه من المدينة المنورة إلى نجد أن يعمل على كسب موقف الإمام فيصل بن تركي مؤقتاً كي لايتخذ الاحتياطات اللازمة لمواجهة الحملة، وحتى يُتم رفع حصاره عن الرياض بعد فشل مفاوضاته مع خالد بن سعود، لذا انتهز خورشيد باشا فرصة قيام الإمام فيصل بن تركي بإيفاد أحد رجاله إليه وهو في المدينة المنورة عارضاً الصلح وطالباً الأمان؛ ورغم أن خورشيد باشا كان يدرك أن إرسال فيصل لموفده ماهو إلا محاولة للتمكن من ترتيب أوراقه وقواته من جديد لإخراج قوات محمد علي باشا من الرياض، إلا أنه قَبِلَ مبدأ التفاوض فأرسل عبد الله بن عبد المعين أمير ينبع وجهينة إلى الرياض يوم ٢٨ رمضان ١٢٥٣هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٨٣٧م للتفاوض مع الإمام فيصل في رفع الحصار عن الرياض [٢].

وتبين الوثائق أن تصرف خورشيد باشا هذا كان بإيعاز من محمد علي باشا وذلك بهدف تجنب قتال لامبرر له فيما لو نجح موفد خورشيد باشا بإقناع الإمام فيصل بالانسحاب من الرياض إلى الأحساء وإرسال أخيه جلوي كرهينة إلى خورشيد باشا مقابل منحه الأمان، أما لو فشلت المفاوضات فإن الفرصة سانحة لخورشيد باشا لترتيب الأوراق واستكمال الاستعداد حتى يتمكن من الزحف بنفسه لقتال الإمام فيصل ابن تركي[٣].

---

(١) بدر الدين الخصوصي: المرجع السابق، ص ١٢٦، الكسي فاسيلييف: المرجع السابق، ص ٢٢٦، ويضيف فاسيلييف أن عدد قوات خورشيد باشا كان أربعة الآف مقاتل، بينما تشير الوثائق إلى أن العدد الإجمالي للحملة في عنيزة قد بلغ ستة الآف مقاتل. محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (٢٣٦) زرقاء، مما يؤكد تزايد عدد الحملة كلما توغلت في الأراضي النجدية.

(٢) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٢) وثيقة (٩٠) حمراء.

؛ عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٩٨ .

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٤) مرفق بالوثيقة (٢٧١) زرقاء. رسالة من خورشيد باشا إلى باشمعاون حول التفاوض مع الإمام فيصل لفك الحصار، ٩ ذي القعدة ١٢٥٣هـ. =

وقد وصل عبد الله بن عبد المعين إلى مقر إقامة الإمام فيصل بن تركي في ٢٢ شوال من نفس العام، وبعد ستة أيام تم الاتفاق على انسحاب الإمام فيصل إلى الأحساء في غضون ٣-٤ أيام قادمه، وإرسال أخيه جلوي كرهينة لدى خورشيد باشا وقد بدأ الإمام فيصل بالفعل استعداده لمغادرة الرياض (١).

والواقع أن رواية الوثائق تلك حول مهمة عبد الله بن عبد المعين تختلف عما جاء في المصادر والمراجع المحلية التي تؤكد أن قدوم عبد الله بن عبد المعين كان بغرض الاتفاق مع الإمام فيصل على إبقائه في ملكه(٢)، ويمكن الجمع بين الروايتين بأن الاتفاق كان يقضي بمغادرة الإمام فيصل بالفعل إلى الأحساء ليحكمها وبموافقة خورشيد باشا، ومما دفع الإمام فيصل على قبول ذلك إدراكه لخطورة وضعه خاصة بعد وصول ابن عبد المعين وإبلاغه بمدى قوة الحملة القادمة(٣)، إلا أن فيصلاً غير خط سيره فجأة ليستقر في جنوبي نجد؛ بسبب نقض الصلح من قبل قوات محمد علي باشا المقيمة في الرياض، حين قامت بمهاجمة جمال الإمام فيصل، مما أدى إلى نشوب قتال بين تلك القوات وأتباع الإمام فيصل نتج عنه مقتل عشرين جندياً من قوات محمد علي باشا وأربعة من أتباع الإمام فيصل ابن تركي (٤) الذي اعتبر ذلك العمل نقضاً للاتفاق؛ فقرر المقاومة متشجعاً بتفوق أتباعه في

= ؛ محافظ عابدين: محفظة (٢٦٢) وثيقة (٢١٨) رسالة من خورشيد إلى صاحب الدولة حول المفاوضات مع الإمام فيصل، ٥ ذي القعدة ١٢٥٣هـ.

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٤) مرفق بالوثيقة (٢٧١) زرقاء. رسالة من خورشيد باشا إلى جناب الخديوي حول المفاوضات مع الإمام فيصل، ٢٤ ذي القعدة ١٢٥٣هـ.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٩٨/٢، حيث يذهب إلى أن الإمام فيصل بادر بعد مفاوضاته مع عبد الله بن عبد المعين بالانسحاب إلى جنوبي نجد، بينما يرجح عبد الله العثيمين: بحوث...، ص ١٥٩-١٦٠ أن الاتفاق اقتضى أن يحكم الإمام فيصل الأحساء وجنوبي نجد، وتبقى الرياض وبقية نجد تابعة لخالد بن سعود.

(٣) مقبل الذكير: العقود الدرية...، ورقة ٦٦ .

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٤) مرفق بالوثيقة (٢٧١) زرقاء، ولم يستبعد خورشيد باشا أن يتخذ الإمام فيصل من تلك الحادثة ذريعة لعدم تنفيذ الاتفاق. ويرى عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٢٠٥-٢٠٦ أن تغيير الإمام فيصل لخطته وتوجهه إلى الدلم كان بسبب تشكيك =

ذلك الاشتباك، وفي نفس الوقت قرر أن تكون المقاومة من جنوبي نجد لمعرفته بموقف أهلها الرافض للوجود العثماني، وكان هذا الموقف قد اتضح له كثيراً إبان حملة إسماعيل بك.

ولم يعلن الإمام فيصل بن تركي قراره الجديد بالمقاومة بل إنه أرسل إلى خورشيد باشا في ٢٨ ذي القعدة من نفس العام يبلغه بانسحابه إلى الخرج وأنه أبقى أخاه جلوي مع عبد الله بن عبد المعين[١]، وقد استقر الإمام فيصل بن تركي بعد انسحابه في الخرج ثم انتقل إلى الدلم بعد انضمام قوات الخرج والفرع له، وبدأ في إتمام الاستعداد للمقاومة[٢].

وهكذا كانت النتيجة الأبرز لمهمة عبد الله بن عبد المعين ومفاوضاته مع الإمام فيصل هي رفع الحصار عن الرياض [٣] بشكل نهائي بعد أن عانت منه قوات محمد علي باشا مايزيد عن خمسة أشهر، كما أن نجداً أصبحت مقسمة بين قوات محمد علي باشا والإمام فيصل بن تركي الذي احتفظ بجنوبي نجد والأحساء، وإن كان قد خسر وسط نجد وإمكاناتها البشرية[٤].

كما ترتب على قدوم عبد الله بن عبد المعين إلى نجد وبقائه فيها اطلاعه على وصول رسائل من قبل والي العراق علي رضا باشا إلى الإمام فيصل بن تركي والتي كان يحرضه فيها على مقاومة إسماعيل بك وقواته وعدم قبول الصلح مع خالد بن سعود، فنقل

= أتباعه في شروط الصلح، إضافة إلى أن خورشيد باشا لم يتقيد بالصلح حين بدأ المسير إلى نجد.

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٤) مرفق بالوثيقة (٢٧١) زرقاء. رسالة من خورشيد باشا إلى باشمعاون الخديوي حول الصلح مع الإمام فيصل بن تركي. وقد وصل جلوي إلى خورشيد حين كان في المدينة المنورة في مطلع ذي الحجة ومعه الهدايا التي أرسلها الإمام فيصل إلى خورشيد باشا. عثمان ابن بشر: المصدر السابق ٢/٩٨-٩٩، ومن المرجح أن خورشيد باشا لم يعامل جلوي كرهينة بدليل منحه حرية التنقل كما اتضح حين وصلت الحملة إلى القصيم، ولو كان يعامل معاملة الرهينة لوضع تحت الحراسة المشددة. دلال السعيد: المرجع السابق، ص ٧٧.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/٩٨ .

(٣) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٢٠٥ .

(٤) Winder: op.cit. p.116.

ابن عبد المعين ذلك إلى خورشيد باشا[١]، ولذا فإن خورشيد باشا أرسل إلى الإمام فيصل بن تركي يطلب منه إرسال رسائل علي باشا وأمير عسير عايض بن مرعي التي وصلت إليه مؤخراً، وقد رد الإمام فيصل بن تركي على ذلك بتاريخ ١٩ محرم ١٢٥٤هـ/ ١٤ أبريل ١٨٣٨م نافياً تلقيه رسائل من عايض بن مرعي، ومبيناً أن رسالة علي باشا كانت تعبيراً عن صداقة بينهما بدأت بسبب حماية علي باشا لأطراف الدولة السعودية الثانية من هجمات القبائل في حدودها الشمالية، وأشار الإمام فيصل أنه لم يرد على تلك الرسالة؛ مما جعل مندوب علي رضا يبقى حتى تاريخه منتظراً الرد، ونقل الإمام فيصل إلى خورشيد باشا رغبته بإقامة علاقة حسنة بينهما وأن يتم تزويد أخيه جلوي الموجود برفقته بخطاب عفو قبل عودته إلى نجد[٢].

وبعد إنهاء عبد الله بن عبد المعين لمهمته اتجه إلى الرياض وبقي فيها خمسة وعشرين يوماً حدث خلالها خلاف بينه وبين رؤساء العسكر الذين أظهروا له عدم اللباقة[٣]، بسبب مللهم من طول الحصار وغضبهم من قدومه لوحده دون خورشيد باشا وقواته التي كانوا يأملون أن ترفع عنهم حصار الإمام فيصل، وتنقذهم من وضعهم العسكري والاقتصادي السيء.

وحين عاد عبد الله بن عبد المعين إلى خورشيد باشا عمل الأخير على مكافأته نظير ماقام به من جهود فأرسل إلى محمد علي باشا شارحاً الجهود التي قام بها في مساندة الحملة، وموضحاً قلة دخله المادي، وكثرة جماعته وعبيده، وطالباً ترتيب معاش شهري يصرف له من قبل حكومة محمد علي باشا[٤].

ومن الواضح أن خورشيد باشا كان عاقداً العزم على التقدم تجاه نجد لمواجهة

---

(١) هناء العوهلي: المرجع السابق، ص ١٥٤، ويذكر محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص١٠٢ أن عبد الله بن عبد المعين قد ناقش مع الإمام فيصل أثناء مفاوضاتهما موضوع تلك الرسائل.

(٢) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٤) وثيقة (٢٦١).

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (٣٨) حمراء.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (٣٧) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة حول جهود عبد الله بن عبد المعين، ٩ محرم ١٢٥٤هـ.

الإمام فيصل بن تركي دون تقيد ببنود الصلح [١]، وذلك لأنه يدرك الخطر الذي يشكله وجود الإمام فيصل في نجد، وأن الأهالي وإن كانوا رسمياً خاضعين لحملات محمد علي باشا إلا أنهم لايعتمد عليهم في ظل وجود الإمام فيصل[٢]، ومما زاد من إصراره على ذلك ماأبداه الإمام فيصل من استعداد للمواجهة المحتملة مع خورشيد باشا، حيث بدأ من الدلم باتخاذ إجراءات إدارية هدفها السيطرة على ماتبقى له من أراضي نجدية بجانب الأحساء وساحل عمان[٣] والتي كانت من مطامع وأهداف حملة خورشيد باشا.

بدأ خورشيد باشا عملية التحرك من المدينة المنورة إلى الحناكية منذ ٢٤ ذي القعدة ١٢٥٣هـ ١٨ فبراير ١٨٣٨م حيث كلف حسين اليازجي أحد قادته بالتقدم إليها كطليعة للحملة فقام اليازجي بارتكاب أعمال عنيفة تجاه سكان تلك المنطقة حيث قتل منهم حوالي مائة وأربعين رجلاً وأرسل آذان بعضهم إلى خورشيد باشا في المدينة كتعبير عن فرض سيطرته على تلك المنطقة، كما استولى على مايقارب ألف وأربعمائة من الإبل ومايزيد عن خمسة الآف من الغنم [٤]، وكان الهدف من تلك الأعمال إدخال الخوف في نفوس القبائل وزعمائها وإرغامهم على متابعة الحملة وتقديم الدعم لها [٥].

وفي غرة ذي الحجة ١٢٥٣هـ/ ٢٥ فبراير ١٨٣٨م تحرك خورشيد باشا بنفسه إلى الحناكية[٦] بصحبة أورطتين من الآلاي الخامس عشر، وقد أصدر أوامره بطحن الحنطة الموجودة في شونة المدينة المنورة وتسليمها مع تعيينات مدة ستة أشهر قادمة إلى الأورطتين المتبقيتين من الآلاي الخامس عشر ومن ثم إرسالهما سريعاً إليه [٧].

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٤) مرفق بالوثيقة (٢٧١) زرقاء.

(٢) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٢٠٧.

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي...، ص ٣٠٠-٣٠١.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٣) وثيقة (٢٦٦) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى وزير الداخلية، ٢٤ ذي القعدة ١٢٥٣هـ.

(٥) محمد السلمان: الأحوال السياسية ...، ص ١٠٢ .

(٦) هناء العوهلي: المرجع السابق، ص ١٣٩ .

(٧) محافظ الحجاز: محفظة (٣) وثيقة (٦١) حمراء.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (٣) وثيقة (٣٤٦) حمراء. رسالة من محافظ المدينة إلى وزير الداخلية بمصر حول تحرك خورشيد إلى نجد، ١٧ ذي الحجة ١٢٥٣هـ.

وفي الحناكية وفد على خورشيد باشا كثير من زعماء قبائل شمر وعتيبة وحرب وعنزة معلنين الولاء [١]، فطلب منهم خورشيد باشا تزويده بالجمال اللازمة لنقل قواته وأعطى يوم ١٥ محرم ١٢٥٤هـ/ ٩ أبريل ١٨٣٨م كموعد نهائي لذلك[٢]، كما أرسل إلى القوات المقيمة في القصيم ألفي كيس من النقود، وطلب المزيد من المدينة المنورة [٣].

وقد استجاب زعماء القبائل لطلبات خورشيد باشا بتوفير الجمال، بسبب خوفهم من أعمال قواته الوحشية، حيث وصلت الجمال المطلوبة يوم ١٨ محرم ١٢٥٤هـ/ ١٢ إبريل ١٨٣٨م أي بعد الموعد المحدد بثلاثةأيام، وفي ٢١ محرم/ ١٥ أبريل أرسل خورشيد باشا ألفي جمل منها إلى المدينة المنورة لنقل بقية القوات إلى نجد[٤]، وقد أدى موقف زعماء القبائل.باستجابتهم لخورشيد باشا إلى سلوك البقية ممن كانوا يساندون الإمام فيصل مسلكهم حيث أرسل أمير قبيلة مطير محمد الدويش موفداً من قبله إلى خورشيد باشا فوصل الحناكية يوم ٢٠ محرم/ ١٤ أبريل والتقى به وسلمه رسالة من الدويش يخبره فيها بأنه سيقابله في القصيم، وقد رد خورشيد باشا عليه طالباً منه تقديم ألفي جمل "كفاتحة خدمة..." وبداية تعاون بينهما [٥].

ولقد أدرك خورشيد باشا أن مسير حملته إلى القصيم سيكون أمراً ميسراً خاصة

---

(١) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٤) وثيقة (٢٠٨) زرقاء. رسالة من خورشيد باشا إلى القائد العام حول العمليات والتحرك إلى نجد، ربيع الأول ١٢٥٤هـ.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٣) وثيقة (٣٧٢). رسالة من خورشيد إلى وزير الداخلية حول تحرك أورطتين إلى الرس، ٢٣ ذي الحجة ١٢٥٣هـ.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٣) وثيقة (٣٦٩). رسالة من خورشيد إلى وزير الداخلية حول تموين القوات بين الرس والرياض، ٢٣ ذي الحجة ١٢٥٣هـ.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (١٠٨) حمراء.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (٩٤) حمراء.

وقد أرسل محافظ المدينة محرم بك بذلك الأمر إلى مصر. محافظ الحجاز: محفظة(٤) وثيقة (١٤٥) حمراء. رسالة من محافظ المدينة محرم بك إلى سني الهمم حول تحرك خورشيد إلى نجد، ١١ صفر ١٢٥٤هـ.

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (٩٤) حمراء.

بعدما رآه من موقف زعماء القبائل لذا قرر التحرك إلى الرس فغادر الحناكية يوم ٣ صفر/ ٢٨ أبريل متبعاً خطة تقتضي تقسيم قواته إلى قسمين بحيث يسير أحدهما يوماً ثم يتوقف لحين قدوم القسم الآخر، وكان يهدف بذلك إلى تخفيف الازدحام على الطريق والماء، وحين اقترب من الرس اتحد القسمان معاً ووصلا بقيادته إلى قرية الرويضة* شمال الرس يوم ١٦ صفر/ ١١ مايو واتخذها مقراً له بسبب عذوبة مائها ووفرة مراعيها، وبقي فيها يومين التقى خلالها بعدد من أتباع محمد الدويش زعيم قبيلة مطير والذين أرسلهم بزعامة أخيه الحميدي ليبلغوا خورشيد باشا أنه سيلتقي به في عنيزة، ومن الرويضة أرسل خورشيد بعض رجاله إلى الرس لجمع الجمال، وقبل تحرك خورشيد باشا من الرويضة أبقى في الرس زبير أغا لضمان السيطرة عليها، وعدم تشكيل أهلها خطراً خلفياً للحملة المتجهة إلى الرياض.

وفي ١٨ صفر/ ١٣ مايو تحرك خورشيد باشا باتجاه عنيزة، وفي الطريق إليها قدم إليه أمير بريدة عبد العزيز بن محمد آل عليان وأعلن طاعته، كما قدم إليه بقية أمراء القصيم باستثناء أمير عنيزة يحيى السليم الذي أرسل أخاه بدلاً عنه، فما كان من خورشيد باشا إلا أن رفض قبول وفادته، وأصر على قدوم يحيى بنفسه، ولم يجد يحيى بداً من ذلك حيث التقى بخورشيد باشا وأعلن الطاعة مع عدد من زعماء بلدة عنيزة، ثم واصل خورشيد تقدمه إلى البلدة ووصلها يوم ٢٠ صفر/ ١٥ مايو ونصب معسكره خارجها [١].

ولقد كان وصول خورشيد إلى عنيزة حدثاً مهماً بالنسبة للحملة وذلك لما تمثله تلك البلدة من أهمية كبرى حيث كان خورشيد يسميها "بوابة نجد"، وكان يرى ضرورة الاحتفاظ بها، وإبقاء أورطتين أو أكثر من القوات بها[٢]، لذا فإنه كان حريصاً

* الرويضة تصغير روضة وتقع إلى الشمال من الرس، ولاتبعد الآن عنها سوى كيلين فقط.

(١) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٤) وثيقة (٢٠٨) زرقاء. ويذكر محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ١٠٤ أن عدم خروج يحيى للقاء خورشيد كان بسبب خوفه من عقابه لقتله عبد الله الجمعي أمير عنيزة السابق من قبل حكومة محمد علي باشا.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٢) وثيقة (١٣١) حمراء.

على دخول البلدة وعدم الاكتفاء بالتمركز خارج أسوارها، وقد لاحت له الفرصة لتحقيق ذلك في اليوم الثالث من وصوله حين نشبت معركة مسلحة بينه وبين أهلها اختلفت المصادر في سببها؛ حيث تذكر المصادر المحلية أن سببها سرقة ناقتين لخورشيد باشا واتهامه لاثنين من أهل عنيزة بالسرقة وقتلهما؛ مما أدى إلى تطور الأحداث إلى معركة دامية استمرت نحو ثلاثة أيام [(١)]، بينما تشير الوثائق وعلى لسان خورشيد باشا أن السبب نزاع نشب داخل سوق عنيزة بين أحد الجنود وأحد البدو مما أدى إلى تدخل من في السوق من الأهالي والجنود فتحول الأمر إلى معركة عسكرية [(٢)].

وعلى أية حال فإن خورشيد باشا قد استخدم مدافعه في هذه المعركة لقصف البلدة لينتهي الأمر بصلح بين الطرفين بعد تكبدهما عدد من القتلى تتفاوت في تقديره المصادر المحلية والوثائق[(٣)]، وقد كان من نتيجة تلك المعركة والصلح الذي أعقبها أن دخلت قوات خورشيد باشا إلى داخل البلدة[(٤)]، ومنح أهلها الأمان بعد أن وافقوا على

---

(١) محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٧٤، عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٠٢/٢، ويذكر عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق ...، ورقة ٢٦٨ أن ماسرق ثلاث من الإبل.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (٢٢٥) زرقاء. رسالة من محافظ المدينة إلى صاحب الدولة حول معركة عنيزة مع خورشيد باشا، ١٣ ربيع الأول ١٢٥٤هـ.

؛ محافظ عابدين: محفظة (٢٦٤) وثيقة (٢٠٨) زرقاء.

(٣) تقدر المصادر المحلية قتلى جيش خورشيد في معركة عنيزة بتسعين قتيلاً، بينما يذكر صالح القاضي: تاريخ نجد..، ص ٦٨ أنهم سبعون. أما قتلى عنيزة فيقدرهم محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٧٤، عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٠٢/٢، بخمسين قتيلاً. ويقدرهم عبد الله ابن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٦٨، بثلاثين. فيما يذكر إبراهيم ابن عيسى: تاريخ بعض الحوادث...، ص ١٦٣، أنهم عدة رجال.
أما الوثائق فتقدر قتلى جيش خورشيد بـ١٢ قتيلاً و ١٨ جريحاً، وقتلى عنيزة بـ٤٠٠ قتيلاً، ومن الواضح أن هذه الأرقام فيها مبالغة واضحة حيث تميل إلى التقليل من خسائر جيش خورشيد باشا مقابل زيادة خسائر أهل عنيزة. محافظ عابدين: محفظة (٢٦٤) وثيقة (٢٠٨) زرقاء. وكمصدر محايد فإن Winder: op.cit p.117 يقدر القتلى من الطرفين مابين ١٤٠ إلى ٤١٨ قتيل.

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٠٢/٢، بينما يذكر البعض أن خورشيد ظل خمسة أشهر خارج عنيزة. محمد الثنيان: المرجع السابق، ص ٢٦٩-٢٧٠.

تقديم الدعم الكامل للحملة، وترتب على هذه المعركة هدم أبراج وأسوار عنيزة بمدافع خورشيد باشا وهو ماكان يهمه لمنع أي مقاومة مستقبلية من الأهالي، بينما لم يقدم على تدمير البلدة ذاتها لما لها من أهمية تجارية داخل الجزيرة العربية وخارجها[١]، مما يدل على رغبته بالاستفادة من تلك الميزة الاقتصادية.

ولقد كان عامل الوقت مهماً لدى خورشيد باشا للتحرك تجاه الإمام فيصل ابن تركي بعد تلك المعركة ويتضح ذلك في رسالته إلى القاهرة بتاريخ ٩ جمادى الآخرة ١٢٥٤هـ/ أغسطس ١٨٣٨م التي أوضح فيها ضرورة القضاء على الإمام فيصل المقيم بالخرج لما يشكله من خطر متزايد في ظل دعم أهالي جنوبي نجد له، لذا فإن خورشيد باشا فكر بإرسال وفد من قبله إلى الإمام فيصل برئاسة عبد الله بن عبد المعين إلا أنه عدل عن ذلك بحجة مرض ابن عبد المعين، و لم يلبث خورشيد باشا أن بيّن حقيقة رأيه في نزاعه مع الإمام فيصل موضحاً بأن الأهالي في نجد لن يكونوا مخلصين وصادقين في أي عمل يسند إليهم ما لم يتم القضاء على الإمام فيصل بن تركي[٢]، مما يؤكد النية المبيتة لدى خورشيد باشا في القضاء على الإمام فيصل ودولته لأن بإمكانه إرسال مندوب آخر بدلاً من عبد الله بن عبد المعين إن كان صادقاً في السعي للصلح مع الإمام فيصل ابن تركي.

لقد قام خورشيد باشا خلال بقائه في عنيزة بمحاولة التقرب إلى بعض الطبقات الاجتماعية ذات النفوذ والسلطة في نجد لضمان وقوفهم إلى جانبه، أو على الأقل عدم معارضتهم له، حيث نراه يحاول كسب ود زعماء القبائل عن طريق كسوتهم بالمعاطف المتنوعة فزعماء القبائل الكبار يقدم لهم المعاطف الثمينة والشالات من الدرجة الممتازة "عال العال"، ومنهم أقل مكانة يقدم لهم شالات متوسطة المستوى "درجة وسطى"، والفئة الأدنى أعطيت النوع الرديء "درجة دون"؛ وبعد فترة وجيزة من استقراره في عنيزة كان قد نفد مامعه من معاطف وشالات فأرسل إلى مصر طالباً ٢٠ معطفاً و ٢٠ شالاً من الكشمير "عال العال" و ٥٠ معطفاً وشالاً من الدرجة الوسطى وحوالي ٢٥٠

---

(١) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٤) وثيقة (٢٠٨) زرقاء.

(٢) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص٢٠٧.

معطفاً وشالاً من "درجة دون" ليقدمها للوافدين إليه في عنيزة من زعماء القبائل [١].

كما حاول التقرب إلى العلماء والمشايخ وكسب ودهم، وكان يدرك أن "احترام قضاة نجد وسماع كلامهم هو بمثابة فرض العين عند أهل نجد..." لذا فقد استجاب لطلب الشيخ إبراهيم بن سيف بإرسال ابنه محمد إلى الجامع الأزهر للمجاورة لمدة سنتين طلباً للعلم، وكتب إلى حكومة محمد علي باشا طالباً تخصيص مرتب وقوت يومي قدر كفايته طوال مدة إقامته، ولم يكن محمد علي باشا ليرد هذا الطلب الذي من شأنه تحسين صورته أمام أهل نجد فأصدر أمراً بالموافقة على الطلب[٢].

كما عمل خورشيد باشا خلال بقائه في عنيزة على تهيئتها عسكرياً لتكون قاعدة خلفية لقواته في نجد[٣]، حيث عمل على بناء قصر الصفا فيها بعد هدمه من قبل أهالي عنيزة إبان حملة حسن أبي ظاهر، وعمل على تزويد القصر بالجنود والأسلحة والذخائر[٤]، وكان خورشيد باشا يهدف من ذلك العمل إلى اتخاذه حصناً لقواته التي سيبقيها حين يغادر إلى الرياض خوفاً من تكرر ثورة الأهالي ضده، كما قام خورشيد باشا بإعادة بناء بعض الحصون المخربة[٥].

وقد أرسل خورشيد باشا أمير ينبع عبد الله بن عبد المعين المرافق له إلى المدينة المنورة لمتابعة نقل بقية قوات الحملة ومؤنها إلى عنيزة بواسطة سبعة الآف جمل أرسلها خورشيد باشا بصحبة البكباشي حسين نوري أفندي[٦]، كما أرسل إلى أحمد باشا موضحاً ضرورة تكاتف الجهود لسرعة إرسال بقية القوات من الحجاز إلى

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (٢٤٠) زرقاء. رسالة من خورشيد باشا إلى حسين باشمعاون حول إرسال الكساوي له في عنيزة، ١٧ ربيع الأول ١٢٥٤هـ.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (٨٧) حمراء .

(٣) Winder: op.cit. p.117 .

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٠٣/٢ .

(٥) محمد السلمان: "معركة عنيزة ضد حملة خورشيد" مجلة العرب، س٢٢، ع٩-١٠، ربيع الأول- ربيع الثاني ١٤٠٨هـ/ نوفمبر-ديسمبر ١٩٨٧م، ص ٦٢٨.

(٦) محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (٥) حمراء. رسالة من محافظ المدينة محرم بك إلى باشمعاون الخديوي حول عودة عبد الله بن عبد المعين إلى المدينة المنورة، ٥ ربيع ثاني ١٢٥٤هـ.

عنيزة[١] وضرورة تدعيم الحملة مالياً بعد أن صرف كل مالديه من مال كأجرة للجمال التي اتفق مع أصحابها على نقل القوات والمؤن بين القصيم والرياض [٢].

وتدل تلك الإجراءات على أن خورشيد باشا قد اعتبر عنيزة آخر محطة له للتزود والتموين قبل مواجهته مع الإمام فيصل بن تركي، فحرص على ألا يترك شيئاً من الاستعدادات المادية والعسكرية والإدارية إذ أنه لن يجد وقتاً لشيء من ذلك حال مغادرته إلى الرياض.

ومع كل هذه الإجراءات والجهود التي بذلها خورشيد باشا إلا أنه قد عانى من بعض الصعوبات التي أعاقت تحركه إلى الرياض في الوقت المحدد، وكان من أهم تلك الصعوبات عدم توفر المؤن الكافية بخزينة المدينة المنورة، فحين أرسل خورشيد باشا عبد الله بن عبد المعين إلى المدينة المنورة للإشراف على نقل القوات منها إلى عنيزة، لم يتمكن من تنفيذ ذلك بسبب قلة المؤن المتوفرة في المدينة المنورة، فاضطر للتوجه إلى ينبع ومعه ألف وخمسمائة جمل لجلب المؤن للمدينة المنورة، ومن ثم نقل بقية القوات إلى عنيزة[٣].

وقد أدى عدم توفر المؤن في المدينة المنورة إلى تعذر تحرك الأورطتين المتبقيتين من الآلاي الخامس عشر المكلف بمهمة نجد من المدينة إلى عنيزة معاً وذلك لتعذر إمكانية توفير مؤنهما في وقت واحد، لذا فإن أحدهما قد تحرك إلى نجد يوم ١٧ ربيع الآخر ومعه ٣١٠ من الخياله بقيادة علي بك الشركسي دون أن تصرف لهم بعض اللوازم لعدم توفرها، أما الأورطة الثاني فقد بقي في المدينة المنورة انتظاراً لاستكمال استحقاقاته والتي يتم العمل على جلبها من ينبع[٤]، وتبعاً لذلك فقد تأخر إرسال قوات من عنيزة للرياض لتحل محل القوات المنهكة هناك والتي طلب منها العودة إلى مصر فبقيت لمدة تزيد عن

---

(١) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٤) وثيقة (٢٠٨) زرقاء.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (٢٤١) زرقاء. من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة لصرف أجرة الجمال، ١٧ ربيع الأول ١٢٥٤هـ.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (٥) حمراء.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (٢٥) حمراء. رسالة من محافظ المدينة إلى باشمعاون الخديوي حول تحرك أورطة واحد فقط من الآلاي ١٥ إلى نجد، ١٧ ربيع ثاني ١٢٥٤هـ.

الشهرين انتظاراً لقدوم بقية الآلاي الخامس عشر الذي يقوده علي بك الشركسي[١] والذي لم يصل عنيزة إلا في نهاية شهر جمادى الآخرة ١٢٥٤هـ[٢].

كما عانى خورشيد باشا من بعض المشاكل المرتبطة باختلال الأمن في طريق نقل قواته من الحجاز إلى نجد حيث كثرت الاعتداءات على القوافل المرسلة مابين ينبع والقصيم حاملة المؤن إلى الحملة في عنيزة [٣]، بل إن الاعتداءات امتدت إلى كبار قادته في تلك المناطق حيث قتل أمير اللواء عثمان بك المكلف بإدارة العسكر في ينبع على يد أحد أفراد القبائل في منطقة الجديدة[٤].

ونظراً لأن خورشيد باشا لم يكن باستطاعته منع تلك الاعتداءات المعبرة عن رفض الأهالي لوجود قواته فقد حاول اللجوء إلى تقليص حجم القوافل وإرسال النقود مباشرة من الحجاز إلى خالد بن سعود في الرياض ليقوم بشراء المؤن من هناك مباشرة، إلا أن هذه الطريقة لن تجدي في ظل الصعوبات الاقتصادية الـتي تعيشها الرياض آنذاك مما يجعل الأسعار مرتفعة والعرض أقل من الطلب [٥].

أما البريد فقد كان عقبة أخرى لخورشيد باشا خلال فترة وجوده في عنيزة حيث تم فقدان كثير من الرسائل والأوامر المرسلة من مصر والحجاز إليه بسبب قيام بعض

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (٢٧٣) زرقاء. رسالة من خورشيد باشا إلى المعية حول إرسال بعض القادة إلى الشام لإحضار الجنود والمواشي، ٢٧ ربيع الأول ١٢٥٤هـ.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (٢٦٤) حمراء.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (١٧٢) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى كبير معاوني الجناب العالي يشكو من كثرة الاعتداءات على القوافل المرسلة من ينبع إلى المدينة والقصيم، ١٥ جمادى الآخرة ١٢٥٤هـ.

(٤) محافظ عابدين: محفظة (٢١٤) وثيقة (٢٢٠). رسالة من خورشيد باشا إلى سر عسكر الحجاز، ٢٥ جمادى الأولى ١٢٥٤هـ، وقد اتهم خورشيدباشا الإمام فيصل بتدبير الحادث كما أشارت تلك الوثيقة، مما يدل على سوء ظنه بالإمام فيصل بن تركي وانعدام الثقة بينهما.

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (١٧٢) حمراء.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (٦٤) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة حول أخبار حملته وحاجته للمؤن، ٣ رجب ١٢٥٤هـ.

أفراد القبائل بمهاجمة حاملي تلك الرسائل، وسلبها، والإطلاع عليها، مما جعل كثير من خطط الحملة مكشوفة، وأصبحت الضرورة ملحة لإعادة استنساخ تلك الرسائل المفقودة مماأعاق تنفيذ ماجاء فيها من تعليمات، كما كان على خورشيد باشا ورجال حملته مطاردة المعتدين [١]، مما أضاع الوقت والجهد لدى قائد الحملة وجنودها، وقد لجأت حكومة الحجاز إلى كتابة الرسائل الموجهة لخورشيد باشا باللغة العثمانية كي لايعلم أفراد القبائل بمضمونها[٢].

وممازاد من مشكلة البريد تلك تأخر محافظ المدينة المنورة محرم بك في إرسال خطابات محمد علي باشا الموجهة إلى خورشيد باشا، مما جعل الأخير يتقدم بشكوى إلى محمد علي باشا ضد المحافظ، فأصدر محمد علي باشا أوامره لمحرم بك في ٥ ربيع الثاني ١٢٥٤هـ بوجوب إرسال الخطابات المتبادلة بين مصر وخورشيد دون تأخير، وسرعة عرض مايتعلق بمحمد علي باشا من أخبار بشكل فوري، وقد نفى محرم بك أن يكون قد أخر شيء من الرسائل[٣].

أما على الصعيد الصحي فقد واجه خورشيد باشا في عنيزة مشكلة قلة الكوادر الطبية في حملته، بعد أن مرض الطبيب الأوربي المصاحب لها، والذي عاد إلى الحجاز لتلقي العلاج هناك، لذا طلب خورشيد باشا من جديد تزويد الحملة بالطبيب "مصرانو" وأرسل إلى حكومة محمد علي باشا في الحجاز طالباً منح "مصرانو" رتبة "بكباشي" ونقله من مستشفى جدة لمصاحبة الحملة في عنيزة للحاجة الملحة له لعلاج الجرحى[٤]، وحين

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (١٩٥) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى المعية حول الاستيلاء على بعض المكاتبات، ٩ جمادى الثانية ١٢٥٤هـ.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (١٠٨) حمراء. رسالة من محافظ المدينة محرم بك إلى باشمعاون حول كتابة الرسائل باللغة العثمانية لمنع مصادرتها، ٩ شعبان ١٢٥٤هـ، وقد تطلب ذلك الإجراء توفير المزيد من الموظفين الملمين باللغة العثمانية، وهو مالم يعط لمحافظ المدينة حيث جاء الرد من مصر بالاكتفاء بموظفيه الحاليين.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (٤٨) حمراء. رسالة من محافظ المدينة إلى عالي الهمم، ٢٥ ربيع ثاني ١٢٥٤هـ.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (٢٣٦) زرقاء. ويبدو أن خورشيد باشا قد عانى بعد معركة =

رفض ديوان الجهاديه طلبه هذا رَشَّح طبيباً آخر هو الطبيب الشهير "شديفو" [(١)]، حيث اقترح على ديوان الجهادية تعميد شديفو بصحبة الحملة التي يجب عدم تركها بلاطبيب، كما أن بعد المسافة بين نجد والحجاز يحتم استمرار الطبيب بصحبة الحملة وليس علاج أفرادها فقط والعودة إلى الحجاز، بل إن خورشيد رأى ضرورة دعم حملته بطبيبين على الأقل لأن الواحد لايكفي لمتابعة جميع أفراد الحملة[(٢)].

وقد وفد إلى خورشيد باشا في عنيزة عدد من زعماء القبائل والبلدان النجدية ومن أبرزهم أمير جبل شمر عبد الله بن رشيد [(٣)] والذي التقى خورشيد باشا للمرة الثانية بعد لقائهما السابق في المدينة المنورة، وكان اللقاء الجديد بعد شهر من عودة ابن رشيد لإمارة جبل شمر[(٤)]، حيث لقي الترحيب من خورشيد باشا جرياً على سياسته باجتذاب الأمراء والزعماء إلى جانبه.

كما وفد إليه فهد الصييفي أمير قبيلة سبيع وأحمد السديري أمير سدير[(٥)]، وأمير قبيلة مطير محمد بن فيصل الدويش والذي كان قد اتفق مع خورشيد على هذا اللقاء من قبل[(٦)]، وقد استقبلهم خورشيد بالإكرام والترحيب[(٧)]، وكان يهدف بذلك إلى حثهم على دعم الحملة بالجمال التي كانت شغله الشاغل[(٨)]، وقد طلب من الدويش تزويد

= عنيزة من كثرة الجرحى، ممايدل على عدم صدق ماذكره آنذاك بأن جرحى جيشه بلغ ١٨ جريحاً فقط، كما يظهر أن خورشيد لايريد أن يقوم طبيبه الخاص بعلاج المرضى والجرحى من الجنود.

(١) شديفو Chedufau كان رئيس الأطباء في حملة محمد علي باشا على عسير سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٢م وقد ظل ثمان سنوات في الجزيرة العربية، وله براعة في التشخيص والعلاج وإزالة الأورام. موريس تاميزيه: المصدر السابق، ص ٩٧، جاكلين بيرين: المرجع السابق، ص٢٥٣، EL-Battrik: op.cit. p.266.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (٢٣٦) زرقاء.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/١٠٢-١٠٣ .

(٤) صالح القاضي: تاريخ نجد...، ص ٦٩.

(٥) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/١٠٣ .

(٦) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٤) وثيقة (٢٠٨) زرقاء.

(٧) محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (١٣٥) حمراء.

(٨) Winder: op.cit. p.117.

الحملة بثلاثة آلاف جمل فتعهد الدويش بتنفيذ ذلك[(١)].

وكان من أبرز الأحداث خلال فترة بقاء خورشيد باشا في عنيزة هروب الأمير جلوي بن تركي إلى أخيه الإمام فيصل بن تركي في الخرج، وكان جلوي بصحبة خورشيد باشا منذ ذهابه إليه في المدينة المنورة برفقة عبد الله بن عبد المعين، وقد تمكن جلوي من الهرب؛ بعد أن استأذن خورشيد باشا بالذهاب إلى بريدة لقضاء بعض حاجاته، وحين وصلها هرب من هناك إلى الخرج[(٢)] في ربيع الأول سنة ١٢٥٤هـ[(٣)]، وقد أرسل خورشيد باشا رسالة إلى الإمام فيصل يستفسر فيها عن سبب هروب الأمير جلوي، غير أن الإمام فيصل لم يوضح شيء من ذلك لخورشيد باشا الذي وصف رد الإمام فيصل بأنه دلالة على سوء مقصده[(٤)].

مما يعني أن جلوي بن تركي قد اتخذ قراره بالهرب رغبة بإبلاغ الإمام فيصل بما يخفيه خورشيد باشا من مكر سيء ضده، وأنه يعمل بجد ليل نهار لجمع الجمال واستقدام القوات لشن هجوم عليه، ولاشك أن هذا الأمر قد أزعج خورشيد باشا وكشف نواياه مما جعله يبادر بالاستفسار من الإمام فيصل عن سبب هروب أخيه، غير أن الإمام فيصل قد علم بنواياه ومكره فأرسل بردّ لم يشف غليل خورشيد باشا والذي لجأ بدوره إلى أحمد باشا والي الحجاز يبلغه ويستشيره بالأمر وذلك بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (١٣٥) حمراء، ورغم أن الدويش كان بجانب الإمام فيصل إبان حصاره لحملة إسماعيل بك في الرياض إلا أنه أدرك كغيره من زعماء القبائل والبلدان خطر الحملة الجديدة فبادر بلقاء قائدها ودعمه بالجمال اتقاء لشره، وبعد ذلك بادر بإرسال رسالة إلى محمد علي باشا يعلن فيها موقفه هذا، ويطلب منه الموافقة على استئناف إرسال المخصصات التي سبق أن قررها إبراهيم باشا له من قبل، كما طلب الموافقة على استمرار قبيلة مطير بتحصيل بعض العوائد التي درجت على أخذها من الأحساء، وطلب التبعية المباشرة لمحمد علي باشا دون وسيط، ولاشك أن هذه المطالب توضح أن الدويش حاول الحصول على تلك المزايا المادية التي قطعت عنه فترة من الزمن لذا أعلن ولائه للحملة ولمحمد علي باشا كما تذكر تلك الوثيقة.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٠٣/٢ .

(٣) هناء العوهلي: المرجع السابق، ص ١٤٩ .

(٤) محافظ عابدين: محفظة (٢١٤) وثيقة (٢٢٠).

١٢٥٤هـ حيث أن الموضوع يحتاج لمشاورات وتفكير عميقين[١]، ونظراً لما يعانيه البريد بين الحجاز وعنيزة من تأخير في إرسال الرسائل [٢]؛ ولأن المسافة بين المنطقتين تستغرق مايقارب الشهر [٣]؛ فإن المتوقع أن يكون رد أحمد باشا قد وصل إلى خورشيد باشا في حدود أواخر شهر جمادى الآخرة من ذلك العام.

تحرك خورشيد باشا من عنيزة بقواته التي يقارب عددها خمسة الآف مقاتل [٤]، بعد أن ترك في عنيزة مايزيد على الألف مقاتل بقيادة علي بك الشركسي[٥]، وكان خروجه من عنيزة في بداية العشر الأواخر من شهر رجب سنة ١٢٥٤هـ[٦]، حيث وصل المذنب* يوم ٢١ من ذلك الشهر[٧]، ثم اتجه إلى قرية عسيلة في الطريق بين المذنب والوشم ومنها أرسل إلى الحجاز طالباً المزيد من المؤن بعد أن فشل بخطته الرامية

---

(١) محافظ عابدين: محفظة (٢١٤) وثيقة (٢٢٠).

(٢) محافظ الحجاز : محفظة (٥) وثيقة (٤٨) حمراء.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (٢٣٦) زرقاء.

(٤) قدر خورشيد عدد قواته حين كان في عنيزة بستة الآف مقاتل. محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (٢٣٦) زرقاء. وترك منها قرابة الألف هم قوام أورطتي الآلاي ١٥ في عنيزة وسار بالبقية للرياض.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٢٢) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى باشمعاون الخديوي، ٧ شوال ١٢٥٤هـ.

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (٦٤) حمراء.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٢٢) حمراء.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٢٩) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى باشمعاون الخديوي حول ترك أورطتين في عنيزة مع علي بك، ٨ شوال ١٢٥٤هـ.

(٦) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٠٣/٢ .

* المذنب من بلدان منطقة القصيم، كانت تسمى "المذانب" وتقع بين عنيزة ومنطقة السر، وهي إلى جنوب عنيزة على مسافة أقل من يوم واحد منها. محمد بن عبد الله بن بليهد: المرجع السابق ١٠٨/٢.

(٧) محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (٦٣) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة، ٢٣ رجب ١٢٥٤هـ.

إلى شرائها من نجد؛ بسبب ارتفاع الأسعار بشكل كبير(١)، وعقب ذلك واصل خورشيد تحركه إلى الرياض ماراً بمنطقة الوشم وانضم إليه بعض الجنود الماكثين في القويعية*(٢)، وحين وصل الرياض انضم إليه خالد بن سعود بقواته(٣)، فقام خورشيد باشا بإبقاء مائة وعشرة من المشاة بقيادة محمد أغا الفاخري للحراسة فيها (٤)، إضافة إلى بعض من لايستطيعون تحمل السفر من قواته(٥)، ثم تحرك من الرياض ماراً بمنفوحة، ومنها أرسل عيونه لتتبع أخبار الإمام فيصل بن تركي فعلم أنه قد استعد وجمع أنصاره في الدلم**، ولذا فقد توجه خورشيد باشا إلى الحائر وبقي فيها منتظراً لحاق ٤٦٠ من قواته المتأخرة، وحين لحقت به واصل سيره(٦)، فوصل في اليوم التالي إلى

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (٦٤) حمراء. وتؤكد هذه الوثيقة أن سعر الإردب من الغلال قد بلغ ٢٠ ريالاً.

* هي قاعدة إقليم العرض وهي بلدة ذات إمارة من إمارات الرياض. عبد الله بن خميس: المجاز بين اليمامة والحجاز، ص١٤، حمد الجاسر: المعجم الجغرافي ..(مختصر)، ١٠٣٢/٢.

(٢) وقد فقد خورشيد باشا ٦٠ من خيوله في ثرمداء بسبب مرضها مما دعاه لإبقائها في ضرما القريبة لتتغذى بالحشائش، ولكنه لم يستفد منها في بقية حروبه. محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٣٠) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة تتضمن إحصائية لقواته وخسائره، ٨ شوال ١٢٥٤هـ.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٠٣/٢.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٣٠) حمراء.

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٥٢) أصلية. رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة، ٢٢ شعبان ١٢٥٤هـ.

** الدلم قاعدة إقليم الخرج قديماً، وهي على بعد مائة كيلاً جنوب الرياض. عبد الله بن خميس: معجم اليمامة ٤٣١/١-٤٣٦.

(٦) يذكر خورشيد أن عدد قواته حينذاك يزيد عن ٢٠٠٠ مقاتل حيث نقص منها من بقي في الرياض ولم يذكر خورشيد الجند الغير نظاميين ورجال القبائل وأهل الرياض المنضمين للحملة. كما ذكر أن من اشترك بمعركة الدلم من قواته النظامية قارب ٣٠٠٠ الآف. محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٣٠) حمراء .

؛ محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٥٢) أصلية.

نعجان* على مسافة ساعة ونصف من الدلم مقر الإمام فيصل فوجدها خالية من أهلها، ومنعاً لاتخاذها حصناً ضد قواته قام خورشيد باشا بإبقاء من فقدت خيولهم في ثرمداء من قبل وعددهم ستين فارساً كقوة في أبراج البلدة مع عشرة فرسان آخرين (١).

أما الإمام فيصل فقد اجتمعت لديه قوات بلدان جنوبي نجد وبوادي الخرج والأحساء وبقية أنصاره من الرياض وغيرها فرابط بتلك القوات قرب الدلم، بعد أن أبقى في السلمية** سبعمائة من رجاله، وبعض الخيالة والمشاة في زميقة*** ، كما قام بخزن المؤن لديه في الدلم واستعد للقتال بحفر خندق حولها (٢).

وتحرك خورشيد باشا من نعجان يوم ١٣ شعبان سنة ١٢٥٤هـ وحين اقترب من الدلم أرسل فرقتين من الخيالة لمهاجمة الإمام فيصل بينما أخذ بقية الجيش بإنزال الأحمال في ذلك المكان، وعندما علم الإمام فيصل بقدوم خيالة خورشيد باشا خرج إليها بنحو خمسة الآف من رجاله(٣)، فبادر خورشيد باشا بالتحرك بالمشاة بعد تقسيمهم إلى

---

* نعجان إحدى قرى الخرج الجنوبية وهي كثيرة المزارع والنخيل. عبد الله بن خميس: معجم اليمامة ٤٢٠/٢.

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٣٠) حمراء.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٥٢) أصلية.

** السلمية إحدى بلدان الخرج الشرقية وكان أمراؤها من أسرة آل عفيصان. عبد الله بن خميس: معجم اليمامة ٢٩/٢.

*** زميقة قرية من قرى الخرج جنوب الدلم، وهي آخر قرى الخرج من الناحية الجنوبية. عبد الله ابن خميس: معجم اليمامة ٥٣٦/١.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٥٢) أصلية. بينما يذكر ابن بشر أن حفر الخندق لم يتم إلا بعد هزيمة قوات الإمام فيصل في معركة الخراب، وهذا أمر مستبعد إذ أن الاستعداد بهذا الشكل لابد أن يتم مبكراً، كما أن تتابع المعارك بعد الخراب لن يعطي الفرصة والوقت لحفر الخندق، وبلدان جنوبي نجد التي شاركت قواتها مع الإمام فيصل هي الحوطة والحريق والحلوة ونعام ونعجان وزميقة.

(٣) ويذكر خورشيد في إحدى رسائله أن كثيراً من أتباع الإمام فيصل كانوا ممن أجلوا عن نجد إبان حملتي حسين بك وحسن أبي ظاهر على نجد، وأنهم كانوا يشاركون في القتال بجانب الإمام فيصل ثم يعودون من حيث أتوا. محافظ عابدين: محفظة (١٦٧) وثيقة (١٦٣) حمراء.

فرقتين، وقد نشب القتال لمدة ثلاث ساعات في معركة عرفت بمعركة (الخراب)، نسبة إلى المباني الخربة التي دارت بها المعركة وانتهى الأمر بهزيمة قوات الإمام فيصل وتراجعها إلى الدلم[١].

ومن الواضح أن تلك المعركة كانت ضارية وإن لم تطل مدتها، ورغم هزيمة قوات الإمام فيصل إلا أن بداية المعركة جاءت في صالحها بدليل قتلها لما يقارب ثمانمائة من قوات خورشيد باشا بينما خسرت هي حوالي مائتين من أفرادها[٢].

وتقدم خورشيد باشا بقواته لحصار الدلم فور نهاية المعركة لكن قوات الإمام فيصل نجحت في منع دخول قوات خورشيد باشا للبلدة مما دفع به إلى استخدام المدافع وقصفها، ونجحت قوات الإمام فيصل المحصنة بالدلم بمنع أعدائها من الوصول إلى مياه الشرب[٣]، إضافة إلى ماعانته الحملة من نقص في الذخائر الحربية، مما جعل خورشيد باشا يرسل إلى مصر طالباً دعمه بمزيد منها [٤]، وقد اتضح أثر ذلك في المعارك التالية مع قوات الإمام فيصل خاصة في معركة "قصر هينة" التي خسرت فيها قوات خورشيد باشا خمسة وعشرين قتيلاً و اثنين وعشرين أسيراً، رغم نجاحها أخيراً بدخول القصر [٥]، واستمرت معاناة القوات الغازية واضطرابها حين اشتبكت مع قوات الإمام فيصل التي كان يقودها عمر بن عفيصان وعبد الله بن بتال في معركة "زميقة" يوم السابع من رمضان فخسرت القوات الغازية بعض كبار قادتها ومنهم حسين أغا الكردي [٦].

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٥٢) أصلية، عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٠٣/٢ .

(٢) محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٧٥، محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٥٢) أصلية. ولم يذكر خورشيد باشا في هذه الوثيقة عدد قتلى جيشه في تلك المعركة، بينما ذكر عدد القتلى في جيش الإمام فيصل بن تركي فقط.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٠٤/٢ .

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٧٩) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى حسين باشا كبير معاوني الجناب العالي حول الحاجة للقذائف المدفعية، ٢ ذي القعدة ١٢٥٤هـ.

(٥) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٠٥/٢ .

(٦) وقد تم تعيين مصطفى أغا ابن أخيه بدلاً منه. محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٥) حمراء مكرر. رسالة من خورشيد باشا إلى باشمعاون الخديوي حول تعيين بعض القادة بدلاً ممن قتلوا في معارك نجد، ٤ شوال ١٢٥٤هـ.

غير أن فشل قوات ابن عفيصان بمصادرة قافلة كبيرة قادمة من الرياض لدعم قوات خورشيد باشا ونجاح تلك القافلة بالوصول إلى الحملة في العاشر من رمضان سنة ١٢٥٤هـ قد أدى إلى ارتفاع الروح المعنوية لجنودها في ظل انهيار الروح المعنوية للقوات التابعة للإمام فيصل والتي بدأت بالتفرق إلى بلدانها، بل أن أهل زميقة تركوا بلدتهم مخلفين الكثير من الأسلحة والمؤن، فدخلتها قوات خورشيد باشا بقيادة حسين اليازجي واستولت على مافيها [١].

ورغم توقف الاشتباكات العسكرية بين قوات الإمام فيصل بن تركي وقوات خورشيد باشا منذ السادس عشر من رمضان[٢]، إلا أن موقف الإمام فيصل أخذ في التراجع نتيجة لكثرة المعارك وقسوتها، وطول مدة الحصار التي جاوزت أربعين يوماً[٣]، وتزايد الموقف سوءاً حين أرسل بعض أهالي الدلم إلى خورشيد باشا طالبين الصلح، كما ذهب وفد من أهالي الحوطة إليه وحصلوا منه على الأمان؛ مما دعا أقاربهم المرابطين مع الإمام فيصل إلى السير في ركبهم[٤]، وقد رفض الإمام فيصل اقتراحاً من بعض أتباعه بالخروج خارج الدلم والاستعداد للمواجهة من الأودية القريبة[٥]؛ لأنه أدرك صعوبة موقفه، وعدم جدوى المقاومة[٦]، ولذا فقد رأى افتداء الأهالي والبلاد بنفسه فأرسل إبراهيم بن عبد الله أبي ظهير إلى خورشيد باشا للتفاوض معه في العشر الأواخر من

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٠٦/٢، وقد بلغ مجموع ماحصل عليه خورشيد في الدلم ٨٠٠ قذيفة مدفع. محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٧٩) حمراء.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٥) حمراء مكرر. ومنذ ذلك التاريخ لم تذكر المصادر شيئاً عن وقوع اشتباكات عسكرية بين الجانبين.

(٣) أمين الريحاني: المرجع السابق، ص ٩٤.

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٠٥/٢-١٠٦.

(٥) عبد الرحمن بن قاسم: المصدر السابق ٢٢٨/٩ .

(٦) وتذكر بعض المصادر العثمانية أن فيصلاً هرب بنفسه من الدلم، ثم تم القبض عليه في قصره بالرياض من قبل خورشيد باشا. عبد الفتاح أبو علية: حجاز سياحتنامة، ص ٦٣ غير أن هذا أمر مستبعد، ومخالف لما ورد في المصادر القريبة من الأحداث، ولأن الرياض كانت في ذلك الوقت تحت قبضة وحراسة قوات خورشيد باشا.

رمضان [(١)]، وقد تم الاتفاق بينهما على استسلام الإمام فيصل بن تركي، وإلقائه السلاح، وأن يذهب للإقامة في مصر، مقابل منحه الحق بأخذ أمواله، وعفو خورشيد باشا عن أتباعه[(٢)]، وتشير الوثائق إلى أن فيصلاً رغب البقاء في المدينة المنورة، وطلب من خورشيد باشا ذلك، و كماكان متوقعاً فقد رفض خورشيد باشا الطلب[(٣)] بسبب خشيته أن يتمكن الإمام فيصل بن تركي في المدينة المنورة من جمع قواه من جديد، والاتصال بأعوانه، فيعود الأمر كما كان بالنسبة لحكومة محمد علي باشا.

وقد سلم الإمام فيصل نفسه في العشر الأواخر من رمضان وبقي لدى خورشيد باشا أربعة أيام [(٤)]، وفي الثاني من شوال ١٢٥٤هـ/ ١٩ ديسمبر ١٨٣٨م أرسل إلى مصر ومعه أخوه جلوي[(٥)]، حيث كلف حسين اليازجي ومابين ٣٥ إلى ٤٢ فارساً بحراسته[(٦)]، وكان هذا الحدث آخر نتائج حملة خورشيد باشا الذي حقق أهم أهداف

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٠٧/٢ .

(٢) عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ٦٤ .

(٣) عابدين: محفظة (٢٦٧) وثيقة (٨) أصلية (٤٤) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة، ٢١ محرم ١٢٥٥هـ.

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٠٧/٢ .

(٥) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٦) وثيقة (٦) أصلية، تقرير من أحمد باشا سر عسكر الحجاز عن خورشيد باشا وحملته، نهاية رمضان ١٢٥٤هـ.

(٦) محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٣٠) حمراء.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٢١) حمراء. رسالة من خورشيد إلى حسين باشمعاون الخديوي، ومرفقات إحصائية لحرب الدلم، ٧ شوال ١٢٥٤هـ.

؛ محافظ عابدين: محفظة (٢٦٧) وثيقة (٨) أصلية (٤٤) حمراء.

؛ محافظ عابدين: محفظة (٢٦٧) وثيقة (٩) أصلية (٤٨) حمراء. رسالة من خورشيد إلى صاحب الدولة حول حسن اليازجي ومرافقته للإمام فيصل، ٢١ محرم ١٢٥٥هـ. ويذكر عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٠٧/٢ أن ابني فيصل عبد الله ومحمد أرسلا معه، غير أنه ذكر في موضع آخر ١١٣/٢ أنهما ذهبا مع خالد بن سعود إلى ثرمداء سنة ١٢٥٥هـ، إلا أن الوثائق تؤكد بقائهما في نجد مع حوالي ٢٠٠ من أقاربهما، وقد أوعز خورشيد باشا للإمام فيصل بطلب قدومهما =

محمد علي باشا في القضاء على حكم الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد ابن سعود ، ولذا فقد كان وصول ذلك الخبر إلى مصر بشارة تستحق المكافأة لدى حكومة محمد علي باشا[1].

وإذا كان مسير الحملة لم يتوقف بعد فإن المرحلة التي وصلت إليها والأعمال الناتجة عنها حتى حروب الدلم واستسلام الإمام فيصل بن تركي هي الأبرز في دور الحملة بشكل عام، ذلك أن ماقام به خورشيد فيما بعد من أعمال ماهي إلا ثمار ونتائج لهذه المرحلة التي أنهى بها حكم الإمام فيصل في فترته الأولى، وأوقف مسيرة الدولة السعودية الثانية، وسيطر على أراضي نجد بأكملها، وقضى على أية مقاومة مستقبلية محتملة، بعد أن وضع بذور التفرقة بين الأمراء والزعماء والعلماء وحتى الأهالي؛ وذلك بتأليب بعضهم على بعض، وتقريب فريق دون آخر، وهي السياسة التي طالما سار عليها قادة محمد علي باشا في نجد، وذلك للاستفادة من العناصر المحلية، ودعم الأهالي للحملة عن طريق ترغيبهم بالمال لحثهم على توفير الجمال لنقل معداتها وذخائرها، ثم كانت المماطلة مع هؤلاء وعدم دفع أجرتهم نهجاً سار عليه خورشيد باشا لتزيد متاعبهم الاقتصادية سوءاً، فلاهم الذين كسبوا من ورائه شيئاً ولاهو الذي تركهم يعملون بعيداً عنه لكسب معيشتهم، كما أن تلف إبلهم كان واقعاً مريراً لم ينالوا عنه عوضاً في ظل ارتفاع كبير للأسعار تسبب فيه كثرة الجنود، وطلبهم للغذاء مما جعل العرض أقل من الطلب فارتفعت الأسعار خاصة في البلدان التي تعرضت للحصار مثل عنيزة والرياض وبلدان جنوبي نجد [2].

وإذا كانت حملة خورشيد باشا جاءت استكمالاً لحملة إسماعيل بك وصراعها مع الإمام فيصل؛ فإنها لم تكن كذلك بعد معارك الدلم إذ قامت بأعمال جديدة وسيطرت

= مع بقية أهله إلى مصر، ويبرر خورشيد باشا تصرفه هذا بالخوف من تمردهما على حكومة محمد علي باشا، وقد صدرت الأوامر بإرسال الجميع إلى مصر بتاريخ ١٩ ربيع الأول ١٢٥٥هـ. محافظ عابدين: محفظة (٢٦٧) وثيقة (٨) أصلية (٤٤) حمراء.

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٧) وثيقة (١٥٧) حمراء.

(٢) هناء العوهلي: المرجع السابق، ص ١٦٧-١٦٨.

على أراضي جديدة وحققت كثيراً من أهداف عودة نشاط محمد علي باشا العسكري في نجد والجزيرة العربية.

فقد خرج خورشيد باشا من تلك المعارك بمعنويات مرتفعة رغم الظروف العسكرية والاقتصادية التي حلت بجيشه الذي تناقص عدده نتيجة للقتلى والجرحى، كما أن خيوله البالغة ٤٤٨ رأساً لم يعد صالحاً للعمل منها سوى النصف [(١)]، إضافة إلى أن مقتل عدد من القادة أدى إلى صعوبة إيجاد البديل لديه[(٢)]، وبجانب ذلك عانى خورشيد باشا وحملته من صعوبات اقتصادية تمثلت بنقص المؤن والأغذية والنقود، مع معاناته من قلة أعلاف الدواب لدرجة أنه اضطر لإرسال الخيل الخاصة به إلى المدينة المنورة كي تتوفر لها الأعلاف[(٣)]، كما اضطر لطلب المساعدات من الحجاز ومصر له ولقواته، حيث طلب إرسال خمسة آلاف كيساً من النقود[(٤)]، و خمسمائة إردباً من الغلال[(٥)]، إضافة إلى مابين خمسمائة إلى ستمائة فارس، وعلف للخيول يكفي لمدة تصل إلى أربعة أشهر[(٦)]، ولإيجاد وسائل نقل تلك الطلبات تم إرسال إبراهيم الألفي إلى جبل شمر لجلب الجمال اللازمة، كما أرسل علي بك الشركسي قائد القوات المرابطة في عنيزة ألفاً من الجمال لنفس الغرض [(٧)].

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٣٠) حمراء.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٢١) حمراء.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٥) حمراء مكرر. من خورشيد باشا إلى باشمعاون الخديوي، ٤ شوال ١٢٥٤هـ.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٧) وثيقة (٧٥) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى محمد علي باشا، ٢٩ محرم ١٢٥٥هـ.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٧) وثيقة (٤٥) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة حول إرسال النقود، ٢١ محرم ١٢٥٥هـ.

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (٧) وثيقة (٨١) حمراء. رسالة من سليم باشا مأمور الجديدة إلى باشمعاون الخديوي حول إرسال المؤن إلى خورشيد في نجد، آخر محرم ١٢٥٥هـ.

(٦) محافظ الحجاز: محفظة (٧) وثيقة (٧٩) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى باشمعاون الخديوي، ٢٩ محرم ١٢٥٥هـ.

(٧) محافظ الحجاز: محفظة (٧) وثيقة (٦) حمراء. رسالة من سليم باشا إلى باشمعاون الخديوي حول إرسال المؤن لخورشيد باشا، ٧ محرم ١٢٥٥هـ. =

ورغم توفير معظم طلبات خورشيد باشا إلا أنه لجأ لشراء الغلال من بلدان نجد وذلك لعدم كفاية ماأرسل إليه من الحجاز؛ وتوضح الوثائق أن مقدار ماتم شراؤه بلغ ١٣١٠٤ إردباً، كان للقصيم النسبة الكبرى منها؛ بسبب وفرة إنتاجها الزراعي واستقرار الأوضاع فيها بالنسبة للحملة؛ بينما جاءت بلدان جنوبي نجد كأقل بلدان نجد؛ بسبب قلة الإنتاج مقارنة بالقصيم، وبسبب كون المنطقة حديثة عهد بالحملة والحروب التي طال أمدها مما أثر كثيراً في قلة الإنتاج[1]، وبجانب الشراء فإن تحصيل الزكاة كان رافداً مهماً للحملة وتزويدها بالغذاء والمؤن [2].

وبعد أن تخلص خورشيد باشا من كثير من مشاكله العسكرية والاقتصادية بدأ العمل على تحقيق بقية أهداف حملته عبر خطوات متتالية حيث قام بإرسال الجنود إلى بلدان نجد لتثبيت حكمه فيها، كما طلب من زعماء بلدان نجد مقابلته لأخذ تأييدهم له، وقد تعهدوا له بالطاعة والمساعدة[3]، كما قام بهدم أسوار الدلم ثم أرسل حامية إلى السلمية[4]، وأرسل مابين مائة ومائة وخمسين من قواته للسيطرة على وادي

= ونظراً للنقص الشديد في الغذاء فقد طلب خورشيد باشا إعادة الجنود المرابطين في عنيزة إلى المدينة المنورة، غير أن طلبه قوبل بالرفض من حكومة الحجاز.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٢٢) حمراء. محفظة (٧) وثيقة (١٨) حمراء، رسالة من سليم باشا إلى صاحب الدولة، ١٣ محرم ١٢٥٥هـ. وتوضح رسائل خورشيد حاجته الماسة للطعام والمؤن دون الأسلحة. محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٩١) حمراء. رسالة من محرم أغا إلى باشمعاون الخديوي، ٥ ذي القعدة ١٢٥٥هـ.

(١) وقد جاءت كمية مشترياته كما يلي: القصيم = ٤٠٠٠ إردباً، العارض = ١٩٤٨ إردباً، جبل شمر= ٢٥٠٠ إردباً، الوشم= ١٧٢٦ إردباً، الخرج= ٢٥٤ إردباً، القويعية= ٣٨٩ إردباً، سدير= ١٣١٩ إردباً، المحمل= ٤٦٨ إردباً، الأفلاج= ٢٥٠ إردباً، وداي الدواسر=٢٥٠ إردباً. محافظ عابدين: محفظة (١٦٧) وثيقة (١٦٣) حمراء.

(٢) مؤلف مجهول: مخطوط كتب على الورقة الأولى "مال عبد الله بن عياف"، أشيقر: جمعية أشيقر الخيرية، ورقة ١٩.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٧) وثيقة (٩٨) حمراء. رسالة من محرم أغا إلى كبير معاوني الجناب العالي حول سيطرة خورشيد على نجد والأحساء، ٩ صفر ١٢٥٥هـ.

(٤) Winder: op.cit. p.122.

الدواسر[1]، وذلك لتحقيق السيطرة التامة على بلدان نجد ومناطقها.

ثم بدأ في العمل لإخضاع الأحساء، نظراً لمكانتها الاقتصادية والسياسية، وأهميتها الاستراتيجية لضمان السيطرة على نجد من الجهة الشرقية، وباعتبارها أراض سعودية يجب أن تضم إلى ماسيطر عليه من أراض، وإلى جانب ذلك فإن السيطرة على الأحساء تتيح الفرصة لحكومة محمد علي باشا لمد النفوذ إلى العراق وبلدان الخليج العربي، ومن ثم وصلها بالشام لتصبح دولة موحدة خاضعة لنفوذ والي مصر [2].

ولقد حاول خورشيد باشا مد نفوذه إلى الأحساء منذ أن كان في عنيزة وذلك بواسطة استخدام القوى المناوئة للدولة السعودية الثانية كأداة لتحقيق ذلك فاتصل بأمير بني خالد محمد بن عريعر المقيم في العراق، وحثه على الاتجاه للمنطقة والاستيلاء عليها، وقام بإرسال بعض القوات من عنيزة دعماً له[3] غير أن هذا المشروع لم يحقق النجاح الذي كان يأمله خورشيد باشا حيث ظل الأمير السعودي عمر بن عفيصان مسيطراً على المنطقة في تلك المرحلة.

وبعد معارك الدلم استشار خورشيد حكومته في مصر حول قيامه بالاستيلاء على الأحساء بالقوة إلا أن تلك الحكومة لم تؤيده لعدم رغبتها بتفريق القوات وتشتيتها في الشام والجزيرة العربية، ورأت أن يتم منح أهل الأحساء الأمان والسيطرة على منطقتهم سلمياً [4].

ولذا أرسل خورشيد باشا رسائل إلى عمر بن عفيصان وزعماء الأحساء الآخرين طالباً قدومهم إليه ومنحهم الأمان، فقدموا إليه باستثناء ابن عفيصان الذي قرر الهرب

---

(١) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٦) مرفق بالوثيقة (٦) أصلية. رسالة من خورشيد باشا إلى أحمد باشا، ٧ ربيع الأول ١٢٥٥هـ.

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي...، ص ٣١٧، وكان خورشيد باشا يقدر إيرادات ميناء القطيف مابين ٣٠٠ و ٤٠٠ فرانسة. محافظ عابدين: محفظة (١٦٧) وثيقة (١٦٣) حمراء.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (٧٦) حمراء. رسالة من محرم أغا إلى باشمعاون الخديوي، ٢٨ رجب ١٢٥٤هـ.

(٤) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٢٧٧ .

خوفاً من عقاب خورشيد باشا، على أن ذلك الإجراء من قبل خورشيد باشا قد كفل له السيطرة على المنطقة تماماً في شوال ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٩م حيث عين أحمد السديري أميراً فيها، ودعمه بقوة من الفرسان قوامها ١٣٠ فارساً بقيادة أبي خزام المغربي [١].

ورغم أن السديري تمكن من تثبيت الأوضاع في المنطقة إلا أن خورشيد باشا فكر بالذهاب بنفسه إليها للاطمئنان على أوضاعها ثم العودة إلى نجد[٢]، غير أنه عدل عن رأيه هذا، وقرر إرسال قائديه طاهر الجيلاني ومحمد أغا الفاخري ومعهما خمسين رجلاً من قواته كدعم للسديري ومن معه، مما مكنه من السيطرة على جميع بلدان المنطقة [٣].

وقد عمل خورشيد باشا بعد ذلك على الاستفادة من إمكانات الأحساء العسكرية وإصلاح ثمان وعشرين مدفعاً كانت موجودة فيها وبحاجة إلى ترميم[٤]، كما عثر على سبعين مدفعاً في القطيف وبعضاً من الذخائر التي عمل على الاستفادة منها، ولحل بعض المشاكل الاقتصادية حاول خورشيد باشا شراء الغلال من البلدان المجاورة للأحساء فبلغ مجموع مااشتراه من القمح والشعير عشرة الآف إردباً[٥]، كما لجأ إلى فرض الضرائب على الأهالي خاصة بعد تعيين حاكم جديد في المنطقة هو محمد رفعت الذي انتهج الظلم والبطش[٦] لتنفيذ سياسة محمد علي باشا بتطويع الأحساء لخدمة أغراضه الآنيّة والمستقبلية.

وبعد أن تمكن خورشيد باشا من إطباق السيطرة على كامل أراضي الدولة

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/١٠٨-١٠٩ .

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٨٥) حمراء. رسالة من محرم أغا إلى عباس باشا حول عزم خورشيد الاتجاه للأحساء، ٣ ذي القعدة ١٢٥٤هـ.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/١٠٩، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي...، ص ص ٣١٨-٣٢٢، وتشير الوثائق إلى أن خورشيد باشا كان عازماً على إرسال ٢٠٠ فارساً للأحساء. محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٣٠) حمراء.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٧) وثيقة (٣٠) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة حول ترميم مدافع الأحساء، ١٧ محرم ١٢٥٥هـ.

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (٧) وثيقة (٩٨) حمراء.

(٦) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/١١٠ .

السعودية الثانية ومنها الأحساء عمل على وضع الترتيبات الكفيلة بالحفاظ على تلك السيطرة، وبما أن مركزه في نجد هو المعول عليه في ذلك فقد حاول تكثيف الوجود العسكري فيها عن طريق طلب المزيد من القوات خاصة الفرسان لاستخدامهم في تأديب بعض المناطق النائية حيث طلب إرسال خمسمائة فارس لهذا الغرض[١]، إضافة إلى حمولة أربعمائة جمل من الذخيرة، وهذا دليل آخر على أن الهدف من الحملة ليس مجرد القضاء على الإمام فيصل بن تركي فحسب؛ بل ومد السيطرة على أرجاء الجزيرة العربية وبلدان الخليج العربي، وإحكام السيطرة على نجد منعاً لظهور أي مقاومة مستقبلية منها.

وفي أواخر محرم ١٢٥٥هـ/ أبريل ١٨٣٩م غادر خورشيد باشا جنوبي نجد، وحين وصوله إلى الرياض أرسل إلى معاونه حسن أفندي الموجود في ثرمداء بمنطقة الوشم طالباً منه إرسال بعض أتباعه لتقدير زكاة المحاصيل الزراعية في جميع البلدان الخاضعة لحكمه في الأحساء ونجد [٢]، ثم اتخذ خورشيد باشا من ثرمداء قاعدة لحكمه وقرر الإقامة فيها حيث انتقل إليها في بداية شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٥هـ/ يونيه ١٨٣٩م، وقام ببناء قصر له فيها واتخذه مقراً لحكومته هناك [٣]، بينما أسند إدارة الأمور في الرياض إلى خالد بن سعود [٤].

وقد عمل خورشيد باشا بعد ذلك على جمع الجمال من قبائل نجد بشتى الطرق، وكان هذا الإجراء شغله الشاغل، حيث بلغ مجموع ماطلبه منها تسعة الآف جمل، وبسبب كثرة العدد وصعوبة توفيره فإن القبائل بدأت بالرحيل بعيداً عن مقر الحملة هرباً من عقاب خورشيد باشا المحتمل[٥].

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٣٠) حمراء.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١١٢/٢ .

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٧) وثيقة (٩٨) حمراء.

؛ عثمان بن بشر: المصدر السابق ١١٢/٢ .

(٤) إبراهيم بن ضويان: المرجع السابق، ورقة ١٨، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي...، ص ٣١١.

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (٧) وثيقة (٩٨) حمراء.

كما قام بجمع المحاصيل الزراعية من بلدان نجد حيث أرسل جنوده لجلبها إليه في ثرمداء، أما البلدان القريبة من مقر حكمه فقد كلف الأهالي بنقل محصولها إليه بأنفسهم[١]، وكان يهدف بتلك الإجراءات تدعيم موقف قواته وتأمين سبل العيش لها، وفي نفس الوقت إضعاف موقف الأهالي وإشغالهم بتوفير معيشتهم كي لايتفرغوا لمقاومته.

وأدت تلك الإجراءات إلى سيطرة خورشيد باشا بشكل نهائي على كامل شؤون نجد وتوطيد نفوذه فيها، ليبدأ في التطلع إلى بلدان الخليج العربي متخذاً من سيطرته على الأحساء، ومن تبعية كثير من تلك البلدان للدولة السعودية الثانية وسيلة لإدخالها تحت حكم محمد علي باشا[٢].

وقد تفاوت دور القوى المناوئة للدولة السعودية الثانية في دعم الحملة وتسهيل مهامها أو معارضتها؛ حيث كان لأمراء الحجاز دور مهم في ذلك عندما أسدى أمير ينبع عبد الله بن عبد المعين خدمات كبرى للحملة منذ أن كانت في المدينة المنورة؛ وذلك حين كلفه خورشيد باشا بالسفر إلى نجد لمقابلة الإمام فيصل في منفوحة والتفاهم معه في مسألة رفع الحصار عن الرياض[٣]، كما تحمل عبد الله بن عبد المعين مضايقات بعض القادة والجنود المقيمين في الرياض الذين أصابهم طول الحصار بالملل وسوء الحالة النفسية مما دعاهم للتطاول عليه حين زار الرياض بعد مفاوضاته مع الإمام فيصل[٤]، ولم يكن دور عبد الله بن عبد المعين دبلوماسياً فقط بل كان له دور عسكري تمثل بالإشراف على نقل الجنود والمعدات من الحجاز إلى نجد وبرز هذا الدور حين كان خورشيد باشا في عنيزة فأرسله إلى المدينة المنورة لذلك العمل، وحين وصل إلى المدينة المنورة لم يجد المؤن الكافية لنقلها، فما كان منه إلا أن سافر إلى ينبع التي يحظى بإمارتها لينقل منها حمولة

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١١٣/٢ .

(٢) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢٥٣/١ .

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (٢٧١) زرقاء.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (٣٨) حمراء.

مايقارب ألف وخمسمائة جمل من المؤن دعماً لخورشيد باشا وحملته[١]، واستمر عبد الله ابن عبد المعين في خدمة خورشيد باشا أكثر من سنتين ونصف وكان يلازمه في بعض الحروب والاشتباكات ولذا فقد أرسل خورشيد باشا إلى محمد علي باشا واصفاً شجاعته وإخلاصه وموضحاً ظروفه المعيشية الصعبة التي تحتم مساعدته بإجراء مرتب شهري كاف له [٢]، وتشير الوثائق المصرية إلى أن بعض أعيان أمراء الحجاز قد عملوا مع خورشيد باشا كمبعوثين من قبله إلى أمراء القبائل ورؤساء البلدان في نجد[٣].

أما إمارة الحجاز الرسمية الممثلة بالأمير محمد بن عون فقد غاب دورها في دعم هذه الحملة وذلك نظراً لاستمرار احتجاز ابن عون في مصر لدى محمد علي باشا، وبقاء منصبه شاغراً طيلة تلك المدة [٤].

أما أمراء بني خالد فقد برز دورهم من جديد ولأول مرة منذ إبعادهم عن حكم الأحساء على يد الإمام تركي بن عبد الله سنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م، حيث مكثوا في العراق منذ ذلك الوقت، إلا أنهم سرعان مارحبوا بالتعاون مع خورشيد باشا يدفعهم إلى ذلك رغبتهم المتجددة باستعادة إمارة الأحساء، خاصة بعد أن فقدوا الأمل بمساعدة علي رضا لهم لتحقيق مطامعهم[٥]؛ في ظل تحسن علاقاته بالدولة السعودية الثانية نتيجة لتطور الأحداث المترتب على عداء العثمانيين لمحمد علي باشا.

ولقد كان خورشيد باشا على دراية تامة بمشاعر أمراء بني خالد ورغباتهم تلك فأراد الاستفادة من خدماتهم لتحقيق بعض أغراضه في المنطقة والمتمثلة بجعلهم قوة موالية له في الأحساء ذات الغنى الاقتصادي والمزايا المتعددة للإستفادة منها مستقبلاً، وفي نفس الوقت حرمان الإمام فيصل بن تركي من الاستفادة من تلك المزايا وإشغاله بقوة من خلفه

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (٥) حمراء.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (٣٧) حمراء.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (٨٨) حمراء. رسالة من محرم أغا إلى باشمعاون الجناب العالي، ٢٤ ربيع الأول ١٢٥٦هـ.

(٤) أحمد دحلان: المصدر السابق، ص ٣٠٨ .

(٥) عبد العزيز نوار: المرجع السابق، ص ٢١١ .

تجعله محاصراً من خورشيد باشا من جهة وأمراء بني خالد من الجهة الأخرى، كما أن خورشيد باشا أراد أيضاً قطع خط الرجعة على الإمام فيصل فيما لو فكر بالانسحاب من الدلم إلى الأحساء مثلما حدث سابقاً، بجانب رغبة خورشيد باشا بالحصول عن طريق أمراء بني خالد على الجمال من تلك المنطقة (١).

من هنا عمد خورشيد باشا منذ أن كان مع حملته في الحناكية للاتصال بأمير بني خالد محمد بن عريعر عن طريق أحد رجاله كي يقدم لمقابلته، وبعد أن وصل خورشيد باشا إلى عنيزة قدم إليه ابن عريعر (٢) فأسند إليه إمارة الأحساء، وأرسله للاستيلاء عليها وتمكن من الاستيلاء على القطيف بعد تغلبه على قوات عمر بن عفيصان الذي حوصر في الأحساء من قبل ابن عريعر(٣)، وبعد ذلك أرسل ابن عريعر إلى خورشيد باشا طالباً منه النجدات والمساعدة(٤)، فأرسل له خورشيد باشا بعض القوات لإتمام السيطرة على الأحساء والتغلب على ابن عفيضان (٥).

وعلى الرغم من سيطرة ابن عريعر على القطيف وإعلانه التبعية لحكومة محمد علي باشا(٦)، إلا أنه فشل باستعادة إمارة المنطقة سواء لصالحه أو لصالح خورشيد باشا حيث توقف عند الأحساء، ومن الواضح أنه لم يتمكن من دخولها والسيطرة عليها حيث لم يرد أي ذكر لذلك في المصادر والوثائق المعاصرة والتي كان آخر حديثها عن ابن عريعر إبان حصاره للأحساء(٧)، كما أن عمر بن عفيصان بقي أميراً في الأحساء خلال المدة التالية ولم يخرج منها إلا حين أرسل خورشيد باشا بطلبه بعد انتهاء معارك الدلم، فما

---

(١) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٢٧٤.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (٧٦) حمراء.

؛ هناء العوهلي: المرجع السابق، ص ١٤٨.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (٧٦) حمراء.

(٤) محمد نخلة، المرجع السابق، ص ٧٢.

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (٧٦) حمراء.

(٦) عبد العزيز نوار: المرجع السابق، ص ٢١١.

(٧) محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (٧٦) حمراء.

كان منه إلا الهرب خوفاً من بطشه، فأرسل خورشيد باشا أحمد السديري ليحل محله في إدارة المنطقة (١)، مما يعني أن ابن عريعر لم يتمكن من الوصول للإمارة على الإطلاق وإن كان قد أوضح نواياه العدائية تجاه الدولة السعودية الثانية، وحاول دعم أعدائها في أحلك الظروف، غير أنه لم يجن من ذلك شيئاً يذكر.

وفي الوقت الذي كانت قوات الدولة السعوية الثانية منشغلة في الصراع مع حملة خورشيد باشا حاولت عناصر تابعة لأمراء بني خالد تشتيت القوات السعودية في الأحساء حيث قام العماير بشن هجمات بحرية ضد القوارب السعودية في مينائي القطيف والعقير، وقبيل انتهاء حروب الدلم حاولوا تدبير مؤامرة عسكرية لصالح حملة خورشيد باشا وذلك بالتخطيط لمهاجمة القوات السعودية في الهفوف بغتة، غير أن الأمر كشف في حينه وتم إعدام ثلاثة من مدبري المؤامرة (٢).

ومن الواضح أن أمراء بني خالد قد بدؤوا يدركون نوايا خورشيد باشا العدائية تجاههم منذ سيطرته على الأحساء ، حيث قام بطرد العماير من القطيف، بل إنه اتفق مع حكام البحرين على عدم السماح لهم بالعودة إليها دون إذن مسبق منه (٣).

وتزايد موقف أمراء بني خالد سوءاً حين قدم محمد رفعت أفندي ليحل محل أحمد السديري في حكم المنطقة، فعمل على استخدام البطش والقوة والإرهاب، مما جعلهم يفقدون الأمل بالإمارة، خاصة حين وفدوا إلى خورشيد باشا يطلبونها غير أنه رفض، وجدد ثقته بمحمد رفعت أفندي، ولذا لم يكن من الغريب أن يشترك أمراء بني خالد وهم برغش بن زيد بن عريعر ومشرف بن دويحس بن عريعر وأخوه طلال بمؤامرة نتج عنها مقتل محمد أفندي نفسه في غرة شعبان ١٢٥٥هـ/ اكتوبر ١٨٣٩م(٤)، مما أدى إلى إثارة الاضطرابات في الأحساء وإضاعة جهود محمد أفندي في دعم الحملة عن طريق جمع

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٠٨/٢.

(٢) سعيد آل عمر: المرجع السابق، ص ١٨٥-١٨٦.

(٣) بدر الدين الخصوصي: المرجع السابق، ص ١١٠ .

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١١٠/٢-١١١، وقد تم إعدام برغش بن زيد من قبل قوات محمد علي باشا لذلك السبب. سعيد آل عمر: المرجع السابق، ص ١٨٨.

المؤن والغلال من المناطق المجاورة فسارع خورشيد باشا بتعيين محمد شرمي أفندي بدلاً منه، للحفاظ على قوته في المنطقة [(١)].

وبذلك يتضح أن أمراء بني خالد حاولوا الاستفادة من والي العراق العثماني علي رضا للعودة لإمارة الأحساء، وحين فشلوا في ذلك لجؤوا إلى خصمه خورشيد باشا لتحقيق الغرض ذاته، غير أن دعم خورشيد باشا لهم في البداية لم يكن إلا وسيلة لاستخدامهم لخدمة أهدافه إذ لم يلبث أن انفرد بحكم المنطقة، وحينئذ قلب أمراء بني خالد له ظهر المجن، وبدؤوا بإثارة المشاكل بوجهه والتآمر لقتل قادته، فأصبح العداء مستحكماً بين هاتين القوتين المناوئتين للدولة السعودية الثانية حين تضاربت مصالحهما، وبذلك أراد قادة محمد علي باشا إزاحة أمراء بني خالد من طريقهم لإحكام سيطرتهم على الأحساء وماوراءها.

أما موقف الدولة العثمانية من حملة خورشيد باشا فيتضح من خلال دور ولاية العراق العثمانية وماقام به كل من والي بغداد علي رضا باشا وقبطان البصرة تركجه بيلمز تجاهها؛ فمن المعلوم مدى تحسن العلاقات بين علي رضا والدولة السعودية الثانية منذ أن أصبح محمد علي باشا عدواً للدولة العثمانية، ولقد اتضح ذلك التحسن بشكل كبير إبان حملة إسماعيل بك السابقة على نجد، وماقام به والي العراق من مكاتبات لحث الإمام فيصل بن تركي على الصمود والمواجهة، غير أن تلك المكاتبات لم تصل إلى مساعدات ملموسة من شأنها تدعيم الموقف السعودي.

وحين تقدم خورشيد بقواته إلى نجد بدأ الإمام فيصل من جديد بمراسلة علي رضا طالباً منه الدعم والمساعدة[(٢)]، وبدأ التقارب واضحاً بين نجد والعراق كما عبر عن ذلك خورشيد باشا نفسه بتاريخ ٣ جمادى الأولى ١٢٥٤هـ/ يوليو ١٨٣٨م[(٣)]، غير أن علي رضا أحجم عن تقديم المساعدات المطلوبة للإمام فيصل رغم اتحاد رغبتهما بهزيمة

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٨) وثيقة (٧٥) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة حول مقتل محمد رفعت واضطراب الأحوال في الأحساء، ٢٣ شعبان ١٢٥٥هـ.

(٢) هناء العوهلي: المرجع السابق، ص ١٥٦ .

(٣) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٢٣٣-٢٣٤ .

خورشيد باشا والقضاء عليه، وقد برر علي رضا موقفه ذلك بخوفه من إشاعة الخبر بين الناس[١]، غير أن هذا لايبدو مبرراً كافياً لتصرفه هذا، وتبين إحدى الوثائق أن السبب الرئيسي في ذلك ماوصل علي رضا من مكاتبات من أحد أعيان البحرين وهو السيد عبد الجليل طبطبائي زاده يحذره فيها من دعم الإمام فيصل بن تركي، وينصحه بأن ذلك الدعم سيؤدي إلى تقويته بشكل تصعب معه السيطرة عليه، ولذا يجب "أن تكون مساعدته بأشياء صغيرة..."[٢]، غير أن علي رضا لم يقدم مساعدات صغيرة ولاكبيرة لدعم الإمام فيصل بن تركي الذي أصبح الخطر يحيط به أكثر من ذي قبل خاصة حين بدأ خورشيد باشا تحركه من عنيزة باتجاه الرياض تمهيداً لمواجهة القوات السعودية في الدلم، وهنا حاول الإمام فيصل بن تركي الاستنجاد بزعيم آخر من زعماء العراق العثمانية وهو قبطان البصرة تركجه بيلمز العدو اللدود لخورشيد باشا، فأرسل إليه محذراً إياه من مغبة التقاعس عن نجدته، وأن سقوط الدلم بيد خورشيد باشا سيفتح الطريق أمام قوات محمد علي باشا إلى الأحساء ومن ثم إلى البصرة ذاتها [٣].

وقد جاء الرد من تركجه بيلمز في رسالة بعثها إلى الإمام فيصل أبلغه فيها بأنه يستبعد أن يكون خورشيد باشا يخطط للاستيلاء على البصرة، وأن هذه مجرد إشاعة لاصحة لها لأن "الدولة العلية حفظها الله وقعت صلحاً مع محمد علي بشروط وروابط بوسايط جميع الدول، وإذا خالف محمد علي فتحاربه جميع الدول، فكيف يتحرك محمد علي إلى البصرة؟ ويتحارب مع جميع الدول؟..." وهو بذلك يشير إلى صلح كوتاهية الذي أوقفت بموجبه حرب الشام الأولى سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م، كما بين تركجه بيلمز أن هدف حملة خورشيد باشا هو الاستيلاء على نجد وأخذ الأموال والرجال والأسلحة وإرسالها إلى مصر، وطلب من الإمام فيصل أن يتعظ بأعمال محمد علي باشا في الشام، وأوضح أن هدفه نصحه وتحذيره من خورشيد باشا "لأنه يسري في الإنسان كما يسري الدم في الجسد.. وإياك أن تأمنه...".

---

(١) هناء العوهلي: المرجع السابق، ص ١٥٦ .

(٢) Hatt-i Humayan: no 23133. Tarihi:8-10-1254 .

(٣) عبد العزيز نوار: المرجع السابق، ص ٢١٤ .

ويتضح من خلال رسالة تركجه تلك أنه لم يعد الإمام فيصل بمساعدة فعلية، غير أنه قد أفصح عن عزمه على التصدي لخورشيد باشا بطريقة أخرى تتمثل بمحاولة التأثير على جنوده، واجتذابهم إلى العراق لحرمان خورشيد من الاستفادة من خدماتهم [١]، إضافة إلى زيادة الاستعدادات العسكرية لمواجهة محتملة مع قوات محمد علي باشا فيما لو واصلت تقدمها إلى أطراف العراق[٢].

ومن الواضح أنه بالرغم من استسلام الإمام فيصل بن تركي وتوقف فترة حكمه الأولى للدولة السعودية الثانية بإرساله إلى مصر إلا أن صموده ومقاومته للحملة خاصة في معارك الدلم قد نتج عنه شعور وطني قوي من قبل الأهالي صوره بعض الشعراء الذين أشادوا بذلك الموقف من قبل الإمام فيصل والذي تعرض للخيانة ممن عاشوا في كنفه، بينما أثبت كثير من رجاله مدى مايكنونه من ولاء لوقوفهم إلى جانبه ودعمهم ومشاركتهم له في اللحظات الحرجة التي شهدتها البلاد خلال تلك الفترة، وقد كان الشاعر محمد المسلم* أحد الذين وصفوا هذا الموقف الشجاع ونظراً لمعرفته بعزيمة الإمام فيصل فقد تنبأ هذا الشاعر بنصر قريب للإمام فيصل ليرد اعتباره ويجعل من وقفوا ضده يسارعون إلى طلب عفوه[٣]، وهو ماتحقق بالفعل بعد فترة وجيزة، ولاشك أن هذا الشعور يعبر عن

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (١٢١) أصلية، رسالة من محمد (تركجة بيلمز) إلى الإمام فيصل بن تركي يحذره فيها من خورشيد باشا . بدون تاريخ.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٧) وثيقة (٧)حمراء. من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة حول تقرير وارد من البصرة عن الموقف من الحملة، ٣ ربيع ثاني ١٢٥٥هـ.

* هو محمد بن مسلّم أحد أبرز شعراء الأحساء ولايعرف تاريخ ولادته أو وفاته، غير أنه كان معاصراً للشاعر عبد الله بن ربيعة المتوفى سنة ١٢٧٣هـ، وكان محمد بن مسلم يتردد بين الأحساء والرياض لزيارة حكام الدولة السعودية الثانية. عبد الله الحاتم: المرجع السابق ٢/٥٠، ١١٣.

(٣) ومن ذلك قوله حاثاً على طاعة الإمام والوقوف معه ضد الأعداء:

ترا وصف الرعايا والإمام	كما وصف الرعايا عند راعي
يواليها ويسقيها ويحفظ	طوارفها عن الذياب المجاعي
جزا الله خير ربع ساعدوه	على الشدات في كل الوقاعي
وفوا له يوم خان به الصديق	ونسي مروته من لايراعي

عبد الله الحاتم: المرجع السابق ٢/١٣٥-١٣٧ .

رأي طبقة أكثرية الأهالي التي استمرت في ولائها للإمام فيصل بن تركي وللدولة السعودية الثانية.

أما النتيجة الحتمية لحملة خورشيد باشا فقد كانت عودة سيطرة قوات محمد علي باشا على نجد لفترة قاربت السنتين، حاول خلالهما قادته وضع الأنظمة والقوانين لخدمة تلك السيطرة، وفي نفس الوقت توفير المكاسب المادية لحكومتهم عن طريق استغلال إمكانات البلاد، وتسخيرها لصالح أهداف محمد علي باشا التوسعية التي تطلع لتحقيقها في الجزيرة العربية وعلى حساب الدولة السعودية السلفية.

* سيطرة قوات محمد علي باشا على نجد والموقف منها :

على الرغم من تعيين الأمير خالد بن سعود أميراً على نجد من قبل محمد علي باشا ومنحه رتبة جديدة هي "ميرالاي" وهي الرتبة التي تعلو رتبته السابقة "قائمقام" والتي سحبت منه[١]؛ إلا أن الحكم الفعلي كان بيد خورشيد باشا الذي أصبح يدير شؤون البلاد طوال فترة بقائه في نجد، بينما بقيت سلطة خالد بن سعود اسمية فقط [٢]، ومن الواضح أن الهدف من تعيينه في ذلك المنصب يعود إلى رغبة محمد علي باشا بكسب ولاء جزء من أهالي نجد باعتباره من الأسرة الشرعية الحاكمة التي رسخت مكانتها لدى الأهالي منذ قيام الدولة السعودية الأولى.

وقد اقتصر دور خالد بن سعود على التنقل بين الرياض التي عين لإدارة الأمور فيها وبين ثرمداء حيث يقيم خورشيد باشا[٣]، وتظهر الوثائق انعدام أي دور أو سلطة فعلية لخالد بن سعود، حتى أنه حين عزم على تأديب بعض القبائل لاعتدائها على القوافل التابعة له والقادمة من الأحساء إلى الرياض محملة بالتمور ومصادرة حمولة مائة وخمسين جملاً منها منعه خورشيد باشا من ذلك، وطلب منه القدوم إليه في ثرمداء، مما جعل خالد ابن سعود يكف عما عزم عليه، وينفذ ماطلبه منه خورشيد باشا[٤]، وحين سافر إلى الخرج بصحبة مائة وخمسين فارساً لجمع الجمال دون ترتيب مسبق مع خورشيد باشا لقي اللوم والتأنيب[٥]، ويتضح ضعف حكم خالد بن سعود وانعدام سلطته خلال تلك

---

(١) خديوي تركي: دفتر (٨٥٥) بند متفرقات.

(٢) ج.ج. لوريمر: المرجع السابق ١٦٣٩/٣. Winder: op.cit. p.122 .

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٩) وثيقة (٢٣٧) حمراء. رسالة من محرم أغا إلى باشمعاون حول اخبار نجد، ١٨ ذي الحجة ١٢٥٥هـ.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (٢٨) حمراء. رسالة من أحمد باشا إلى مصر حول سحب القوات من الجزيرة العربية، ٥ محرم ١٢٥٦هـ.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٩) وثيقة (٢٣٧) حمراء.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (٢٦) حمراء. رسالة من محرم أغا إلى باشمعاون حول أخبار نجد، ٥ محرم ١٢٥٦هـ.

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (١٠٤) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة، ٢٥ محرم ١٢٥٦هـ.

الفترة من خلال علاقاته الخارجية، فرغم أنه الأمير المعين على نجد، ورغم محاولة خورشيد باشا استغلال اسمه لاستعادة السيطرة على بلدان الخليج وساحل عمان إلا أن خالداً لم يكن له أدنى سلطة في هذا الجانب؛ فقد كتب خالد بن سعود إلى أبناء السلطان سعيد سلطان مسقط طالباً منهم التعاون معه، ودفع الزكاة لموفده سعد بن مطلق المرسل إلى هناك لمد السيطرة على بلدان المنطقة، وجاءت صيغة الخطاب تحمل شيئاً من التهديد في حالة عدم التعاون والامتثال لما يحمله ذلك الموفد[١]، كما أوضح خالد بن سعود في خطابه ذاك ضرورة دفع تعويضات مادية إلى حملة خورشيد باشا[٢].

أثار هذا الخطاب غضب محمد وثويني ابني إمام مسقط، فأرسلاه إلى والدهما المقيم في زنجبار* فبادر بإرسال رسالة إلى محمد علي باشا يبلغه فيها بما بدر من خالد ابن سعود تجاه عمان، ويحذره في نفس الوقت من أن خالد بن سعود سيكون مصدر خطر على حكومة محمد علي باشا كما كان الإمام فيصل بن تركي من قبل، وأخيراً طلب سلطان مسقط من محمد علي باشا كف أذى خالد بن سعود عنه نظراً لحسن العلاقة بين عمان والقاهرة وباعتبار أن خالداً محسوب على دولة محمد علي باشا[٣]، وقد كرر سلطان مسقط نفس ماورد في الخطاب بخطاب آخر أرسله إلى والي الحجاز أحمد باشا بعد يوم واحد من خطابه إلى والي مصر [٤].

وليس من المستبعد أن يكون إرسال خالد بن سعود لخطابه المذكور بإيعاز من خورشيد باشا الذي رغب بمد سيطرته على بلدان الساحل العماني وأخذ الزكاة من

---

(١) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٦)، مرفق عربي بالوثيقة (١٨١) حمراء (٤٣) أصلية. رسالة من خالد بن سعود إلى أبناء سلطان مسقط حول التزامهم بما كان على والدهم، دون تاريخ.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٩) مرفق (أ) بالوثيقة (١٨١)حمراء. رسالة من خالد بن سعود إلى أبناء سلطان مسقط، دون تاريخ.

* زنجبار جزيرة تجاه ساحل تنجانيقا بشرق أفريقيا وكان السيد سعيد يتخذها آنذاك عاصمة له إثر ضعف سلطته في عمان. الموسوعة العربية الميسرة ٩٢٨/١-٩٢٩.

(٣) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٦) مرفق عربي بالوثيقة (١٨١) حمراء (٤٣) أصلية. رسالة من إمام مسقط إلى محمد علي باشا حول رسالة خالد ابن سعود لأبنائه، ١٤ جمادى الأولى ١٢٥٥هـ.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٩) مرفق (ب) بالوثيقة (١٨١) حمراء. رسالة من إمام مسقط إلى أحمد باشا حول رسالة خالد بن سعود لأبنائه، ١٥ جمادى الأولى ١٢٥٥هـ.

مسقط، غير أنه أراد أن يضفي طابع الشرعية على تصرفاته، فجعل مطالبه من ابني إمام مسقط موقعة باسم خالد بن سعود باعتباره وريثاً لحكم أسرته في تلك المناطق، وماذاك إلا دليل آخر على ضعف حكم خالد وأن السيطرة الفعلية بيد خورشيد باشا.

وعلى أية حال فإن موقف خالد بن سعود قد أصبح حرجاً بسبب تلك الرسالة، إذ لم يلبث محمد علي باشا أن أرسل إلى أحمد باشا في الحجاز طالباً منه الكتابة لإمام مسقط معتذراً عما حدث، وأن ذلك بسبب صغر سن خالد بن سعود وقلة خبرته، وأنه سيكتب إليه للكف عن مثل هذه التصرفات[١]، كما أرسل محمد علي باشا خطاباً آخر إلى خالد بن سعود يطلب منه عدم التعرض لإمام مسقط ويلومه على تصرفه السابق[٢].

لقد عمل خورشيد باشا على إحكام سيطرته الإدارية على نجد متخذاً من ثرمداء مقراً له ولجنده منذ أوائل عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م[٣]، وبدأ بوضع ترتيبات حكمه مستنداً على عدد من قادته البارزين، وقد قامت سياسة خورشيد باشا على ركائز في مقدمتها ربط نجد بالمدينة المنورة، وتعيين وكيل دائم لشؤون نجد في المدينة كي يعمل على تسهيل إجراءات تنفيذ مطالبها، كما حرص خورشيد باشا على ربط نجد بموانيء الخليج العربي لتسهيل اتصالها البحري، ونظراً لإدراكه حاجة نجد لوقت كاف لإرساء دعائم الحكم فيها، فقد عمل على استمالة الأهالي والتقرب إليهم، واخذ في انتقاد تصرفات القادة السابقين لحملات محمد علي باشا خاصة حسين بك وحسن أبي ظاهر اللذين ارتكبا أعمالاً وحشية مع الأهالي مما أدى إلى فرارهم خارج نجد، ورأى خورشيد باشا ضرورة استمالتهم وإعادتهم إلى بلدانهم كي لايكونوا مصدر خطر على حكمه[٤].

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٩) مرفق (ج) بالوثيقة (١٨١) حمراء. إرادة رقم (٢٥) إلى أحمد باشا بالرد على خالد بن سعود بعدم التعرض لإمام مسقط، ٣ ذي القعدة ١٢٥٥هـ.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٩) وثيقة (١٠٤) حمراء. رسالة من الجناب العالي إلى أحمد باشا وإلى خالد بن سعود بالكف عن سلطان مسقط، ٣ ذي القعدة ١٢٥٥هـ.

(٣) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٦) مرفق بالوثيقة (٦) أصلية . رسالة من خورشيد إلى أحمد باشا حول تصرفاته في نجد، ١٣ محرم ١٢٥٥هـ.

(٤) محافظ عابدين: محفظة (١٦٧) وثيقة (١٦٣) حمراء.

كما حاول خورشيد باشا التقرب إلى العلماء والمشايخ فأكرم الشيخ محمد ابن مقرن الدوسري[١]، وأرسل محمد بن الشيخ إبراهيم بن سيف إلى مصر لتلقي العلم في الأزهر[٢]، كما أنه لم يتعرض لمنصب القضاء أو يحدث به أي تغيير، بهدف عدم إثارة مشاعر الأهالي وإشعارهم أن شؤون القضاء لاتعنيه بحال من الأحوال[٣].

ويلاحظ أن هذا السلوك من قبل خورشيد باشا أسلوب جديد لقادة محمد علي باشا الذين طالما تميزوا بالبطش والإرهاب، ومن المؤكد أن الأسلوب الجديد يعود إلى اختلاف هدف الحملة إذ اعتبر خورشيد باشا نجداً جزءاً من أملاك حكومة محمد علي باشا التي يجب الحفاظ عليها[٤]، بينما كان هدف الحملات السابقة قمع الحركات الهادفة لإقامة الدولة السعودية الثانية[٥].

وقد قام خورشيد باشا بإجراء ترتيبات لقواته من جديد وأرسل إلى الحجاز كشفاً باسماء الموجودين لديه وأسماء من ماتوا، ومن نقلوا، وحمل الكشف معلومات كاملة عن الجميع [٦] تمهيداً لمعرفة احتياجه الفعلي للقوات والعتاد، والتركيز على الكيف وليس الكم في طلباته منها [٧].

أما عن علاقة خورشيد باشا بالقبائل فإنها ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بمسألة تقديمها الجمال لجيشه الموجود في نجد، وكان خورشيد باشا يرسل مندوباً من قبله لإبلاغ القبيلة بالعدد المطلوب منها تقديمه، ومن يتوانى عن ذلك يكون مصيره الغزو، والتأديب، والاستيلاء على أملاكه، ونظراً لأن تلك القبائل كانت على معرفة سابقة بتصرفات قادة

---

(١) عبد الله بن عبد الرحمن البسام: علماء نجد...، ٣/٩٤٠.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٥) وثيقة (٨٧) حمراء.

(٣) مالك رشوان، المرجع السابق، ص ٢٠٥ .

(٤) الكسي فاسلييف: المرجع السابق، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٥) Winder: op.cit. p123.

(٦) محافظ الحجاز: محفظة (٩) وثيقة (٧) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى باشمعاون الخديوي كشف باسماء من معه في نجد وكناهم ومن قتلوا ومن رحلوا إلى مصر، ١ ذي القعدة ١٢٥٥هـ.

(٧) محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (٧٩) حمراء.

حملات محمد علي باشا فقد بادرت القبائل القريبة من ثرمداء بالرحيل إلى بيشه ورنية، بل إن بعضها ذهب إلى الكويت بمجرد سماعها باقتراب خورشيد باشا وقواته من تلك البلدة[١]، كما أن مبالغة خورشيد باشا في تقدير الجمال المطلوبة كان دافعاً آخر لتلك القبائل للابتعاد عن مناطقها؛ فقد طلب خورشيد باشا من قبيلة قحطان ستة الآف ومن قبيلة مطير ثلاثة الآف جمل، ولم يقبل بدفع نصفها [٢]، ولذلك فإن الدويش زعيم قبيلة مطير عرض تسليم خورشيد سبعمائة جمل فقط هي مايستطيع دفعه، واعتذر بأن قبيلة مطير لاتطيعه في تقديم المطلوب [٣]، وقد رفض خورشيد باشا قبولها وأوفد إليه عبيد ابن رشيد لحثه على تقديم العدد المطلوب [٤]، وحين اعتذر الدويش قام خورشيد باشا بالقبض على أحد أبنائه وربط إطلاق سراحه بتقديم الثلاثة الآف جمل المطلوبة، وعندئذ انتقل الدويش من نجد إلى الأحساء[٥]، ومنها اتجه إلى حدود العراق، وحينئذ أطلق خورشيد باشا سراح ابنه وأرسل إليه مندوباً يطلب منه العودة[٦]، خشية من تعاونه مع والي العراق علي رضا ضد قوات محمد علي باشا في نجد.

كما طلب خورشيد باشا ثلاثة الآف جمل من شيخ قبيلة عتيبة سلطان بن ربيعان وطلب نفس العدد من قبيلة سبيع وقبيلة العجمان[٧]، ولقد حظي موضوع جمع الجمال

---

(١) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٦) مرفق أ-ج بالوثيقة (٦) أصلية، رسالتين من خورشيد باشا إلى أحمد باشا، ١٣ محرم ١٢٥٥هـ، ٢٣ ذي القعدة ١٢٥٥هـ.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (٧) وثيقة (١٣٠) حمراء.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٤) وثيقة (١٣٥) حمراء.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٩) وثيقة (١٣١) حمراء. رسالة من محرم أغا إلى الباشمعاون حول جمع خورشيد باشا للجمال.

(٤) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٦) وثيقة (٤) أصلية (٨٩) حمراء. رسالة من محافظ المدينة إلى صاحب الدولة، غرة صفر ١٢٥٥هـ.

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (٩) وثيقة (١٣١) حمراء.

(٦) محافظ الحجاز: محفظة (٩) وثيقة (١٧٤) حمراء.

(٧) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٦) وثيقة (٤) أصلية (٨٩) حمراء. كما طلب خورشيد ثلاثة الآف جمل من قبيلة عنزة، و خمسة الآف جمل من قبيلة قحطان، وتشير بعض الوثائق إلى أن المطلوب=

باهتمام والي الحجاز أحمد باشا الذي بادر بشن هجمات بالاتفاق مع خورشيد باشا ضد بعض القبائل خاصة قبيلة عتيبة وقبيلة قحطان وقبيلة سبيع التي تأخرت بدفع المطلوب ورحلت عن مساكنها[(١)]، بل إن أحمد باشا أرسل إلى مصر مستفسراً عن إمكانية شراء جمال الحجاج القادمين من الشام، غير أن الرد الوارد إليه من مصر منعه من ذلك نظراً لضعف تلك الجمال وقلة تحملها وأن الأولى جمال القبائل في نجد [(٢)]، مما حدا بخورشيد باشا إلى حث مشايخ قبيلة قحطان وقبيلة شمر وقبيلة عنزة على سرعة توفير الأعداد المتبقية والتي قدرها بـ تسعة الآف وخمسمائة جمل[(٣)].

وعلى الرغم مما أبداه خورشيد باشا من لين في علاقته ببلدان نجد وحاضرتها إلا أنه أظهر حزماً كبيراً مع البادية وقبائلها والتي كان ينظر إليها نظرة عداء واضحة، حيث يرى ضرورة استخدام القوة معها لإجبارها على دفع المطلوب من الجمال والزكاة، ولحماية القرى من هجماتها، وكان يرى أن كون بعض القبائل تحت سلطته لايعني خضوعها له تماماً [(٤)]،كما يصف خورشيد باشا قبائل نجد بالقوة، والتحمل، والصبر[(٥)]،

= من قبيلة مطير أربعة الآف جمل وليس ثلاثة الآف. محافظ الحجاز: محفظة (٨) وثيقة (٤) حمراء. رسالة من أحمد باشا إلى حسين باشمعاون الخديوي حول أخبار قبائل نجد والجمال المطلوبة منها، ٥ رجب ١٢٥٥هـ.

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٧) وثيقة (١٥٧) حمراء.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (٨) وثيقة (٤٤) حمراء. رسالة من خورشيد إلى باشمعاون حول غزو أحمد باشا قبيلة سبيع، ١١ جمادى الآخرة ١٢٥٥هـ.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (٨) وثيقة (٥٨) حمراء. رسالة من أحمد باشا إلى باشمعاون حول عزمه على السفر إلى نجد للتشديد على بعض القبائل لتقديم الجمال المطلوبة منها، ١٤ جمادى الآخرة ١٢٥٥هـ.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٩) وثيقة (١٣٣) حمراء. رسالة من أحمد باشا إلى باشمعاون حول استمرار العمل بجمع الجمال ومدى إمكانية شراء جمال الحجاج، ١٦ رمضان ١٢٥٥هـ.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٩) وثيقة (١٦) حمراء. رسالة من خورشيد إلى الباشمعاون حول تعهد مشايخ القبائل بتقديم الجمال، ٤ شوال ١٢٥٥هـ.

(٤) محافظ عابدين: محفظة (١٦٧) وثيقة (١٦٣) حمراء.

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (٨) وثيقة (٤) حمراء.

مؤكداً أن تلك القبائل لن تدفع الزكاة له، لأنها موالية للإمام فيصل بن تركي، ولاتزال تعارض وجود الحملة في أراضي نجد[١].

وتبعاً لهذه النظرة العدائية من خورشيد باشا تجاه القبائل لم يكن مستغرباً أن يبادر بعضها إلى إعلان العصيان، ورفض دفع الزكاة، وتقديم الجمال والمماطلة في ذلك، بل إن بعضاً منها بدأ يهاجم القوافل الممونة لقوات خورشيد باشا حيث أغارت قبائل العجمان على قافلة تمر مكونة من مائة وخمسين جملاً في طريقها من الأحساء إلى الرياض[٢]، وأخذوا جميع حمولتها في وقت كانت قوات خورشيد باشا تعاني من نقص الغذاء[٣]، كما أن جزءاً من قبيلة شمر قد أصبحت على عداء مع الحملة، وكانت تثير المشاكل ضدها، وسرعان ماتلجأ إلى حدود العراق حيث تجد الحماية من الشيخ صفوق الجربا زعيم عشائر شمر المقيمة في تلك الجهات، والذي منح حكم وإدارة تلك المنطقة من قبل السلطان العثماني[٤] المناوئ لخورشيد باشا وتحركاته في نجد، والمناوئ في المقام الأول لحكومة محمد علي باشا في مصر.

وقد بدأت تلك الاضطرابات بالتنامي والانتشار داخل بلدان نجد نفسها مما أدى إلى نشوب نزاعات ومصادمات بينها كما حدث بين أمير بريدة عبد العزيز آل عليان وأمير جبل شمر عبد الله بن رشيد؛ إضافة إلى اعتداءات قام بها عربان السهول ضد أهل سدير نتج عنها وقوع بعض القتلى والجرحى، مما أدى إلى فشل خورشيد باشا بمحاولته كسب الأهالي فبادر كثير منهم للهرب إلى جنوبي نجد والاحتماء بأهلها، ولعل مما زاد من ذلك الموقف ماعاناه الأهالي بعد ذلك من إجبارهم على دفع الضرائب الباهضة، ومصادرة المحاصيل الزراعية، في ظل القحط الشديد الذي أصاب بلادهم خلال تلك الفترة، وماصاحب ذلك من ارتفاع شديد في الأسعار[٥]، وفي ظل الكساد التجاري

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (١٠٤) حمراء.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (٦٠) حمراء.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (٢٦) حمراء.

(٤) محافظ عابدين: محفظة (١٦٧) وثيقة (١٦٣) حمراء. مما يؤكد أن العثمانيين سعوا لإيواء أولئك المعارضين لخورشيد باشا وحملته، وأوعزوا إلى صفوق الجربا باستقبالهم وحمايتهم.

(٥) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/١١٢-١١٣، ١١٥.

الذي أصاب تجارة قوافل العقيلات النجدية جراء حروب وتحركات حملة خورشيد باشا[١] منذ وصولها نجد ثم امتدادها للأحساء والخليج العربي مما أدى إلى تعطيل الحركة التجارية لتلك القوافل، بعد أن كانت رافداً مهماً من روافد الاقتصاد في نجد.

لقد حاول خورشيد باشا الاستفادة من إمكانات الأراضي الزراعية التي سيطر عليها في نجد، فأحصى بلدانها ومايمكن أن تقدمه من زكاة، ومايمكن شراؤه منها لتمويل الحملة، فبلغ المقدار المحصل كزكاة حوالي ١٢٠١ إردباً بينما وصل مقدار ماتم شراؤه من الغلال حوالي ١٣١٠٤ إردبا، وذلك في سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م[٢]، وقد أخذ خورشيد باشا نصف المحصول[٣]، بينما ترك النصف الآخر كقوت للأهالي للموسم الجديد، غير أن ماأخذه لم يكن كافياً لقوت جنوده، لذا لجأ إلى طرق أخرى من شأنها زيادة الانتاج مستقبلاً فعمل على إعادة بعض المزارعين الذين هربوا من نجد، وقدم لهم بعض المبالغ كسلفة ليعملوا لإصلاح الأراضي في نجد وزراعتها، كما طلب منهم حفر ترعتين في الخرج[٤]، ولم يقتصر ذلك على نجد بل امتد للأحساء التي عمل على استصلاح أراضيها حيث أتم زراعة ألف فدان منها، وأخذ من أهالي الاحساء مقدار ١٤٠٠ إردباً من الأرز على أنه زكاة عن سنة ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م، غير أنه اتضح له بعد ذلك أن الأهالي سبق أن دفعوا زكاة تلك السنة لحاكم الأحساء من قبل الإمام فيصل ابن تركي، وقد انتظم أهالي الأحساء في دفع الزكاة لخورشيد منذ العام ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م[٥]،كما حاول خورشيد الحصول على الغلال عن طريق الشراء من جهات خارجية من الكويت وفارس، وقام بالكتابة إلى القنصل البريطاني في بوشهر للحصول على مساعدته في توفير الغلال المطلوبة[٦]، وفي نفس الوقت ألح على حكومة الحجاز

---

(١) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: نجديون وراء الحدود...، ص ٢٢٧ .

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (١٦٧) وثيقة (١٦٣) حمراء.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٧) وثيقة (١٥٦) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة حول الزراعة في نجد، ١ ربيع الأول ١٢٥٥هـ.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٧) وثيقة (١٥٦) حمراء.

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (١٠٤) حمراء.

(٦) محافظ الحجاز: محفظة (٧) وثيقة (١٥٦) حمراء.

لتوفير المؤن وإرسالها إلى نجد لعدم كفاية ماتم توفيره من الجهات المذكورة[١]، إضافة إلى محاولته التمون من الموجود في خزائن قواته في بلدان نجد كالرس وجبل شمر[٢].

ورغم تلك الجهود التي بذلها خورشيد باشا لحل مشاكله الاقتصادية إلا أنه ظل يعاني من النقص في المؤن وأصبح مطالباً بسداد الديون المستحقة لأهل نجد وهي عبارة عن قيمة مااشتراه من محاصيل لم تدفع قيمتها بعد، لذا عرض الأمر على حكومة محمد علي باشا، وطلب إرسال المبالغ اللازمة لسداد الديون[٣]، فتم إرسال ثلاثة الآف كيس من النقود من مصر لهذا الغرض، وحين أراد محافظ المدينة المنورة إبقاء ألفين منها في خزينة المدينة عارضه خورشيد باشا، وأصر على إرسال المبالغ كاملة نظراً لكثرة الديون والتي أرسل كشفاً بها إلى حكومة محمد علي باشا[٤]، ويتضح من خلال ذلك مدى المعاناة الاقتصادية لخورشيد باشا وحملته مما جعل مصروفاتها عبئاً اقتصادياً على خزائن محمد علي باشا في مصر[٥].

ولم تقتصر مشاكل خورشيد باشا على الصعوبات الاقتصادية بل عانى من مشاكل أخرى كاعتداءات القبائل على القوافل الممونة لقواته مما أدى إلى اختلال الأمن بين بلدان نجد بعضها البعض، وبينها وبين الأحساء أحد مراكز التموين[٦]، كما عانى خورشيد باشا من تمرد بعض قادته مثل سليمان المللي الذي أقدم على تصرفات فردية

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٦) وثيقة (١١٣) حمراء. رسالة من سليم باشا إلى عباس باشا، ١٤ ذي القعدة ١٢٥٤هـ.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (٩) وثيقة (١١٤) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة حول طلب الحنطة لتموين الجيش، ٩ شوال ١٢٥٥هـ.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (١٠٤) حمراء.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٨) وثيقة (٧٧) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى الباشمعاون حول الديون المستحقة لأهل نجد، ٢٣ شعبان ١٢٥٥هـ.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٨) وثيقة (٧) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى الباشمعاون حول ضرورة صرف المبلغ المرسل من مصر لكثرة الديون، ٣ شعبان ١٢٥٥هـ.

(٥) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٢٠٩ .

(٦) محافظ الحجاز: محفظة (٩) وثيقة (٢٣٧) حمراء.

بأخذ بعض الجنود من المدينة إلى نجد دون موافقة خورشيد باشا ومحافظ المدينة مما جعل خورشيد باشا يرفع الأمر إلى محمد علي باشا شخصياً[(١)]، كما أن زبير أغا كان كثير المخالفة لأوامره مماجعله يرفع تقريراً عن سلوكياته إلى محمد علي باشا مبلغاً إياه بعدم صلاحيته للعمل[(٢)]، ولاشك أن عملية استبدال هؤلاء القادة كانت تستغرق وقتاً طويلاً من شأنه التأثير على حكم خورشيد باشا في نجد، وبجانب ذلك عانى خورشيد باشا من بعض مشاكل البريد المتمثلة بتأخر وصول الرسائل إليه عن الوقت المحدد لها وهو نحو عشرين يوماً، حيث أصبح وصولها إليه يستغرق مابين خمسين إلى ستين يوماً وهي مدة طويلة جداً، لذا أرسل إلى محمد علي باشا يبلغه بالمشكلة، وبأن تأخر الرسائل ناتج عن تقصير المسؤولين في المدينة المنورة[(٣)]، فصدرت الأوامر إلى محافظ المدينة المنورة بعدم تأخير الرسائل لديه، إلا أن المحافظ المذكور أوضح أن الرسائل تتأخر حين تصل في وقت لايوجد به رحلات بريدية بين المدينة وثرمداء مما يجعله مضطراً لاستئجار هجان خاص لها تبلغ أجرته ستمائة قرش، ونظراً لارتفاع الأجرة بهذا الشكل يعمد إلى إبقائها يومين أو ثلاثة حتى ترسل مع غيرها، كما أوضح أن بعض الرسائل تتأخر في ينبع، فصدرت الأوامر من محمد علي باشا إلى محافظ ينبع بعدم تأخير الرسائل[(٤)]، فيما بقيت مشكلة ارتفاع الأجرة وإبقاء بعض الرسائل في المدينة انتظاراً لرسائل أخرى دون حل.

إضافة إلى ذلك عانى خورشيد باشا من قلة الكتاب في إدارته حيث أن الموجودين

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٨) وثيقة (١٧) حمراء. رسالة من سليم باشا إلى صاحب الدولة يشتكي تصرفات سليمان المللي، ٣ جمادى الثانية ١٢٥٥هـ.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٨) وثيقة (١٥) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى باشمعاون حول سوء أعمال زبير أغا، ٣ جمادى الثانية ١٢٥٥هـ.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (٨) وثيقة (٣٣) حمراء. رسالة من خورشيد باشا أغا إلى باشمعاون حول سوء أعمال زبير أغا، ٩ جمادى الثانية ١٢٥٥هـ.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٧) وثيقة (٦) حمراء مكرر. رسالة من خورشيد باشا إلى باشمعاون حول تأخر وصول الرسائل إليه، ٣ ربيع الثاني ١٢٥٥هـ.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (٨) وثيقة (٩٧) حمراء. رسالة من محمد أغا إلى باشمعاون حول سبب تأخر الرسائل عن خورشيد باشا، ٩ جمادى الثانية ١٢٥٥هـ.

لديه لايكفي عددهم لإتمام العمل في ظل النشاط المكثف الذي تقوم به الحملة، وكثرة الرسائل المرسلة إلى مصر والحجاز وزعماء القبائل وغيرهم، ورغم أن خورشيد باشا قد أرسل إلى مصر لحل هذه الأزمة في صفر ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م، إلا أنه لم يأت الرد إلا في جمادى الآخرة من تلك السنة (١).

ومهما كان حجم تلك العقبات والمشاكل التي اعترضت خورشيد باشا لبسط نفوذه وسيطرته على نجد إلا أن تحركات محمد علي باشا داخل الجزيرة العربية وفي بعض بلدان الخليج العربي وتطلعه إلى العراق وساحل عمان قد أدت إلى اصطدامه بمصالح بريطانيا الدولة العظمى ذات النفوذ الدولي والوجود المكثف في مياه الخليج العربي وسواحله، والتي رأت ضرورة إيقاف مطامع محمد علي باشا ووضع حد لا لتطلعه إلى الخليج العربي وبلدانه بل لسيطرته على نجد وغيرها من بلدان شبه الجزيرة العربية والشام مما يعتبر أملاك للدولة العثمانية، لذا فقد جاءت معاهدة لندن سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م كضربة قاصمة له ولتوسعاته، وبداية عهد جديد للبلدان التي أخضعها قسراً لسيطرته وحكمه.

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٧) وثيقة (١٤٧) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى رئيس المعاونين حول ضرورة إرسال كتبه إلى نجد.

*** معاهدة لندن وأثرها على الأحداث التاريخية في نجد (١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م):**

أثارت تحركات محمد علي باشا العسكرية والسياسية في الجزيرة العربية والخليج العربي، وماسبقها من تحركات في الشام الريبة والقلق لدى الدول الأوربية وعلى وجه الخصوص بريطانيا ذات المصالح الحيوية في تلك المناطق التي تعتبر طريقها الموصل إلى الهند ومستعمراتها الأخرى في الشرق[١]، لذا فإن الساسة البريطانيين لم يكونوا بوضع يسمح بالسكوت إزاء التقدم العسكري لقوات محمد علي باشا في تلك المناطق في وقت يعلن فيه والي مصر عزمه على الاستقلال عن السيادة العثمانية سنة ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م[٢] وهو نفس الوقت الذي يتابع فيه باهتمام بالغ أخبار تقدم حملة قائده خورشيد باشا في نجد وما يليها من مناطق الخليج العربي.

غير أن تقدم تلك الحملة إلى الأحساء وتهديدها المرتقب للعراق قد حث بريطانيا لاتخاذ خطوات حاسمة لمواجهة تلك التحركات، فعملت على إحكام السيطرة على الخليج العربي بالاستيلاء على جزيرة خرج kharej، والتقرب إلى أمراء وشيوخ المنطقة، والسيطرة على البحر الأحمر عن طريق الاستيلاء على عدن، وإغلاق باب المندب أمام الشق الآخر من قوات محمد علي باشا الموجودة هناك، وفي نفس الوقت عملت بريطانيا على مساندة الدولة العثمانية المهددة من قبل قوات محمد علي باشا[٣]، وتوالت الإنذارات البريطانية لمحمد علي باشا وقادته بعدم المساس بالمصالح البريطانية[٤].

ورغم محاولات محمد علي باشا الجادة بعدم إثارة بريطانيا ضد تحركاته الأمر الذي جعله يتوقف عن دعم خورشيد باشا بإرسال السفن العسكرية إلى الخليج العربي، ويطلب وقف تقدم قواته نحو تلك الجهات[٥] إلا أن ذلك لم يكن كافياً لطمأنة

---

(١) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٤١٤ .

(٢) سليمان الغنام: المرجع السابق، ص ١٠٥ .

(٣) محمد نخلة: المرجع السابق، ص ٨٥، ٨٧ .

(٤) EL-Battrik: op.cit, p. 241.

(٥) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٧) وثيقة (٢) أصلية، (٣٧) حمراء، رسالة من خورشيد باشا إلى عباس باشا يستفسر فيها عن المحذورات التي تمنع إرسال السفن إليه، ١٩ محرم ١٢٥٥هـ.

البريطانيين الذين عملوا على تدويل تلك المسألة، وإدخال الدول الأوربية في النزاع بين السلطان العثماني وواليه في مصر، مما جعل الموقف في غير صالح محمد علي باشا خاصة بعد نشوب الحرب الثانية في الشام، وانتصار القوات المصرية على الجيوش العثمانية، وخسارة العثمانيين لقواتهم البرية والبحرية، واقتراب سقوط عاصمتهم بيد والي مصر[(١)]، وهو وضع يبرر لبريطانيا ومعها روسيا والنمسا وبروسيا [(٢)] التدخل الحاسم لإعادة الأمور إلى نصابها ووقف تحركات محمد علي باشا و"إلقائه في النيل" على حد تعبير وزير الخارجية البريطاني بالمرستون Palmereston[(٣)].

كانت تلك هي الظروف التي وُقّعت فيها معاهدة لندن الشهيرة من قبل بريطانيا وروسيا والنمسا وبروسيا والدولة العثمانية بتاريخ ١٥ جمادى الأولى ١٢٥٦هـ/١٥ يوليو ١٨٤٠م والتي اقتضت ضرورة حماية تلك الدول للدولة العثمانية، ووضع قواتها بخدمة السلطان العثماني لمواجهة محمد علي باشا، وإلزامه بقبول ماتم الاتفاق عليه بخصوص حل الأزمة القائمة بينه وبين السلطان، حيث تقرر منح محمد علي باشوية مصر وراثية في أسرته على أن تظل ولاية عثمانية مرتبطة بالدولة بدفع الضرائب، وتحديد جيشها وأسطولها، وأن يحتفظ بالشام الجنوبية (عكا) طيلة حياته فقط، مقابل انسحابه من جميع الأراضي التي

---

(١) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٤١٤، ٤٢٠ .

(٢) كانت لروسيا مصالح في الدولة العثمانية بمقتضى معاهدة (إنكيار سكليسي ١٨٣٣م) وترغب في التفاهم مع بريطانيا لاستمرار تلك المصالح، أما النمسا فقد عرف عنها السياسة التقليدية الرامية للحفاظ على الوضع القائم ومنع الثورات الانفصالية، كما أنها تسعى للحيلولة دون تمكن النفوذ الروسي في الأراضي العثمانية، بينما لم تكن بروسيا ترغب بنشوب حرب أوربية، وفي نفس الوقت كانت على عداء تاريخي مع فرنسا المقربة من محمد علي باشا والتي تحاول الإصلاح بينه وبين الدولة العثمانية، الأمر الذي جعل دورها في معاهدة لندن يأتي متأخراً ولم تنضم للمعاهدة إلا في ٢٣ جمادى الأولى ١٢٥٧هـ/ ١٣ يوليو ١٨٤١م. بيير رنوفان: تاريخ العلاقات الدولية. ترجمة جلال يحيى. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨م، ص ص ١٢٥-١٤١. عبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق، ص ص ٢٨٥-٢٩٠.

(٣) إبراهيم خليل أحمد: تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، الموصل: جامعة الموصل، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٦٤ .

استولى عليها من قبل، فإن لم يقبل بذلك خلال عشرة أيام من تاريخ المعاهدة تنتزع منه الشام وتبقى له مصر، وإن لم يقبل خلال عشرة أيام أخرى يحق للسلطان العثماني سحب ماقد منحه لمحمد علي باشا، ورغم انقضاء المهلتين الأولى والثانية دون موافقة محمد علي باشا، وتحرك الأساطيل الحربية الأوربية بزعامة بريطانيا وإخراجها لقواته من الشام بالقوة، وأخيراً حصارها للإسكندرية إلا أن مساع ووساطة بريطانية كفلت له حق الحصول على ولاية مصر وراثياً مقابل تطبيقه لبنود المعاهدة، وسحب قواته من الشام، والجزيرة العربية، وماسواهما من أراضي عثمانية[١]، حيث صدر فرمان الباب العالي بالموافقة على ذلك في ذي الحجة ١٢٥٦هـ/ فبراير ١٨٤١م منهياً بذلك الصراع المرير بين الدولة العثمانية وواليها في مصر [٢].

والمهم في الأمر أن تلك المعاهدة قد أكدت انسحاب قوات محمد علي باشا من كل أرض استولى عليها بالقوة ومنها في المقام الأول الجزيرة العربية خاصة إقليمي نجد والأحساء.

ويرى البعض أن انسحاب خورشيد باشا وقواته من الجزيرة العربية كان تنفيذاً لقرارات المعاهدة، وأن الأوامر وردت إلى ذلك القائد بتنفيذ القرارات والعودة إلى مصر[٣]، غير أن الوثائق تبين أن فكرة سحب القوات قد تكونت لدى محمد علي باشا منذ الثاني من رجب ١٢٥٥هـ/ ١٠ سبتمبر ١٨٣٩م بموجب الإرادة رقم ٢١ الصادرة آنذاك، والمتضمنة حصر مهمة خورشيد باشا بتثبيت الحكم لصالح خالد بن سعود، وجمع الجمال ثم العودة إلى مصر، ليقفل باب المصروفات الذي فتح

---

(١) محمد كمال الدسوقي: الدولة العثمانية والمسألة الشرقية. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٧٦م، ص ص ١٨٥-١٨٩. عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ص ٤٢٦-٤٣٧ و ص ص ٥٢٨-٥٣١ وبها النص الإنجليزي للمعاهدة.

(٢) مالك رشوان. المرجع السابق، ص ٣٦٠، ٣٦٣ .

(٣) مقبل الذكير: تاريخ ... (مطالع السعود) ١/ ٩٠. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي...، ص ٣٨٨-٣٨٩. عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ٧٢، محمد العيدروس: السياسة العثمانية تجاه الخليج العربي، ط١، أبو ظبي: دار المتنبي، د.ت.ن ص ٤٣.

لنجد[1]، وتكرر طرح أمر الانسحاب مرة أخرى من قبل محمد علي باشا بتاريخ ١٣ ذي الحجة ١٢٥٥هـ/ فبراير ١٨٤٠م[2]، وفي ١٢ ربيع الأول ١٢٥٦هـ/ مايو ١٨٤٠م أبلغ محمد علي باشا والي الحجاز أحمد باشا بأن خورشيد باشا على وشك الانسحاب من نجد، وطلب منه الانضمام إليه في طريق عودته ومهاجمة بلدة الجديدة[3]، مما يدل على أن محمد علي باشا كان عازماً على سحب قواته من نجد قبل معاهدة لندن بحوالي عشرة أشهر[4].

وفي واقع الأمر أن إقدام محمد علي باشا على ذلك القرار لم يكن إلا بعد إدراكه لخطورة الموقف الذي أصبح يحيط به، وإلا فليس من المعقول أن يتنازل عن كل مكتسباته التي حققها خلال السنوات الأخيرة والتي توجها أخيراً بالسيطرة على الجزيرة العربية، ووصل بسطوته إلى بلدان الخليج العربي وسواحله الغربية.

ويمكن تلمس الدوافع الحقيقية لاتخاذ ذلك القرار من خلال التهديدات البريطانية المستمرة له بوقف تقدم قواته وسحبها، الأمر الذي شكل قلقاً للباشا [5] ليتخذ عندئذ خطوات جادة بسحب قواته تلك اتقاء لغضب بريطانيا التي بدأت العمل لتكوين تحالف دولي ضده، إذ من المؤكد أن توقيع معاهدة لندن لم يتم بين عشية وضحاها بل سبقه اتصالات مكثفة بين الدول المعنية سمع محمد علي باشا بها فحاول تهدئة الموقف الدولي إزاء تحركاته.

كما أن محمد علي باشا أراد تضييق ميادين حروبه ليركز جهوده في الشام التي تأزم الموقف فيها، فحاول عدم تشتيت قواته استعداداً للمصاعب المقبلة[6]، في وقت

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (٨) وثيقة (دون رقم)، إرادة رقم (٢١) صادرة إلى خورشيد باشا لسحب قواته من نجد، ٢ رجب ١٢٥٥هـ.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (٢٨) حمراء.

(٣) محافظ ذوات: محفظة (١) وثيقة (١٣٢) رسالة من الجناب العالي إلى أحمد باشا حول الهجوم على الجديدة، ١٢ ربيع الأول ١٢٥٦هـ.

(٤) عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٤٤٦ .

(٥) المرجع السابق، ص ٤٤٦ .

(٦) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٣٦٦-٣٦٧.

يذهب بعض الباحثين إلى القول أن هدفه من الانسحاب هو الدفاع عن مصر ضد الأسطول البريطاني المرابط حول الإسكندرية[١]، إلا أننا نستطيع أن نقول أن المصاريف الباهضة التي تكلفتها خزينة محمد علي باشا لإمداد تموين قوات خورشيد باشا المرابطة في الجزيرة العربية قد ساهمت باتخاذ القرار حيث تبين الوثائق أن محمد علي باشا حين أمر خورشيد بالانسحاب أراد إغلاق "باب المصروفات الذي فتح لنجد.." [٢]، إضافة إلى الصعوبات التي أصبحت تعانيها تلك القوات نظراً لابتعادها عن مصر وعن مركز التموين في الحجاز الأمر الذي جعل خورشيد باشا يظل فترة خمسة أشهر دون تلقي أية أخبار من القاهرة فأصبح في شبه عزلة[٣].

ويمكن القول أن الأسباب السالفة دفعت محمد علي باشا لاتخاذ قرار الانسحاب، ثم جاءت معاهدة لندن وما تلاها من إجراءات لتؤكد ضرورة إكمال الانسحاب[٤]، ولذا فإن التحركات الأولى لخورشيد باشا وقواته للانسحاب قد جاءت قبل المعاهدة بينما جاءت الخطوات الأخيرة والرحيل فعلياً من نجد بعدها [٥].

وعلى الرغم من صدور الأوامر إلى خورشيد باشا بالانسحاب من الجزيرة العربية إلا أنه مكث مدة تزيد عن خمسة أشهر دون أن يتخذ إجراءات فعلية للتنفيذ، ومن المرجح أن ذلك يرجع إلى أسباب عديدة من أبرزها عدم ترحيب خورشيد باشا بفكرة

---

(١) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ١١٩. EL-Battrik: op.cit, p. 249 .
سعيد بدير الحلواني: العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن ١٩م، ط١، د.م.ن، د.ن، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٥٨، AL-Amr: op.cit, p. 53 .

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (٨) بدون رقم، إرادة (٢١).

(٣) محافظ عابدين: محفظة (٢٦٧) وثيقة (٢) أصلية (٣٧) حمراء.

(٤) جون.ب. كيلي: الحدود الشرقية للجزيرة العربية. ترجمة محمد أمين عبد الله. الكويت: مكتبة الأمل، ١٩٦٨م، ص ٧٢، عبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق، ص ٣١٢.

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (١١) وثيقة (١٤٩) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة حول إجراءاته في الشنانة وتحركه للمدينة، ٣ شعبان، ١٢٥٦هـ.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (١٢) وثيقة (١٣٦) حمراء. رسالة من مصطفى مهدي محافظ ينبع إلى صاحب الدولة حول موعد سفر الآلايات العسكرية إلى مصر، ١١ ذو القعدة ١٢٥٦هـ.

الانسحاب حيث يتبين من خلال رسائله إلى محمد علي باشا مدى حرصه على تثبيت حكم محمد علي باشا في المناطق التي وصلها، وضرورة البقاء فيها، والاستفادة من عائداتها المادية للإنفاق على الجنود، وإزاء الرسائل المتكررة الواردة إليه من مصر اضطر خورشيد باشا لقبول الفكرة، غير أن عملية تنفيذه لها استغرقت وقتاً طويلاً نظراً لحرصه على سرية عملية الانسحاب[١]؛ خوفاً من استغلال القبائل والبلدان النجدية لتراجع قواته وقيامها بمهاجمتها انتقاماً لما قامت به من أعمال حربية في أراضيها، ولذا فإن الوثائق تبرر انسحاب خورشيد باشا من ثرمداء إلى عنيزة بأنه "لقضاء بعض المصالح..." وأن عودة قوات الآلاي من عنيزة إلى الشنانة "كان بقصد تغيير الهواء..."[٢].

ومن جانب آخر فإن عملية انسحاب خورشيد باشا واجهت بعض العقبات التي أخرت التنفيذ ومن أبرزها مسألة جمع الجمال من قبائل نجد وهي من مهام الحملة التي عملت لتنفيذها منذ وقت مبكر، لذا فإن خورشيد باشا ربط موضوع الحصول على الجمال المطلوبة بانسحابه من نجد وقرر أن يؤجل تحركه من نجد ويستمر بجمع الجمال إلى السنة القادمة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م وذلك لعدم وجود القوات الكافية لديه لقتال القبائل الممتنعة عن تقديم الجمال المطلوبة [٣] في ظل انشغاله وتركيز جهوده لفرض السيطرة على بلدان الخليج العربي وسواحله.

وقد حرص خورشيد باشا على استخدام الأساليب الودية مع القبائل، فأرسل بعض رجاله إلى قبائل شمر ومطير وعتيبة وعنزة وغيرها من القبائل للتفاوض معها، والحصول على الجمال[٤]، وبجانب ذلك فقد عانى خورشيد باشا من قلة النقود اللازمة

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (١٣٨) حمراء. رسالة من خورشيد باشا في شقراء إلى الجناب العالي بشأن ترك الجنود مع خالد بن سعود في نجد، ٣ صفر ١٢٥٦هـ.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (١٥٧) حمراء. رسالة من محرم أغا إلى الباشمعاون حول ترتيبات خورشيد باشا للانسحاب من نجد، ٨ صفر ١٢٥٦هـ.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (٩) وثيقة (١١) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة، ٥ ذي الحجة ١٢٥٥هـ.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (٣٤) حمراء. رسالة من محرم أغا إلى الباشمعاون حول انسحاب بعض قوات خورشيد إلى الحجاز، ٧ محرم ١٢٥٦هـ. =

لسداد الديون المستحقة لأهالي الأحساء، وهي مبالغ أخذها منهم سابقاً لشراء الغلال من الكويت وفارس وأجور نقلها إليه، إضافة إلى ديون مستحقة لأهالي نجد وهي ثمن الأرزاق التي تم شراؤها ومبالغ سبق اقتراضها منهم، وصرفت في مصاريف الحملة، كما أن الجنود الغير نظاميين مدينون لبعض الأهالي بالأموال ولابد من سدادها، والأهم من ذلك ضرورة توفير الأموال لدفع أجرة الجمال التي ستقوم بنقل الجيش وذخائره من نجد إلى مصر، أو على الأقل دفع عربون لأصحابها ليقوموا بالنقل، وقد عرض خورشيد في حالة عدم توفر النقود حلاً يقتضي البقاء في نجد والأحساء حتى يحين موعد زكاة عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م للاستفادة منها بدفع تلك المستحقات، إلا أن ذلك سيؤدي إلى مزيد من مصاريف الجنود مما يجعل الفائدة محدودة من تلك الخطوة، غير أن الحل الأمثل هو استصدار أمر من محمد علي باشا بارسال النقود من مصر ومن المدينة المنورة بشكل سريع "لكي ينسحب الجيش في أقرب وقت ممكن..." [١].

وثمة مشكلة أخرى واجهت خورشيد وهي تفرق جنوده في أطراف نجد والأحساء وأن جمعهم يحتاج إلى وقت طويل في ظل السرية المفروضة على تحركات الانسحاب وفي ظل ضرورة التدرج في سحب الجنود [٢].

ومن الواضح أن كثيراً من مشاكل خورشيد قد وجدت طريقها للحل؛ حيث حصل على مجموعة من الجمال تقدر بـ ألف ومائتي رأس، منها سبعمائة رأس أرسلها أمير جبل شمر عبد الله بن رشيد، كما أن الأخبار أتته عن إطاعة الدويش لتعليماته[٣]، وعزمه على إرسال الجمال إليه، كما أن بعض موفديه إلى القبائل لم يصلوا بعد ولكنهم

= ؛ محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (٨٨) حمراء.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (١١٢) حمراء. رسالة من محرم أغا إلى الباشمعاون حول تحركات خورشيد للانسحاب من نجد، ٣ ربيع ثاني ١٢٥٦هـ.

(١) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (١٠٦) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة حول انسحابه من نجد وطريقته، ٢٥ محرم ١٢٥٦هـ.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (١٠٦) حمراء.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (٦٠) حمراء.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (٢٨) حمراء.

أرسلوا إليه يخبرونه بجمع أعداد كبيرة من الإبل وأنهم بانتظار تعليماته[١]، أما الضائقة المالية فقد انفرجت حين أصدر محمد علي باشا إرادة بتاريخ ١٢ ربيع الأول ١٢٥٦هـ/ مايو ١٨٤٠م لإرسال الأموال اللازمة إلى خورشيد باشا المقيم في ثرمداء [٢].

وبناءً على ذلك بدأ خورشيد باشا باتخاذ اجراءات الانسحاب، وكان قد أمر علي بك أمير الآلاي الخامس عشر المقيم في عنيزة بالانسحاب إلى الشنانة قرب الرس محاطاً بالسرية، وبالفعل وصل علي بك إلى الشنانة بأورطتين من قوات ذلك الآلاي[٣]، ومكث بها انتظاراً لقدوم الباشا الذي طلب حضور حسين أفندي ليخلفه في إدارة الأمور بثرمداء حين يتحرك منها إلى الشنانة[٤]، بينما أرسل أمير حريملاء حمد بن مبارك إلى الأحساء لتولي الأمور فيها باسمه[٥]، وأرسل في طلب خالد بن سعود المقيم في الرياض ليلحق به[٦]، ثم خرج من ثرمداء متجهاً إلى القصيم في ربيع الأول ١٢٥٦هـ/ مايو ١٨٤٠م واستقر به المقام في الشنانة مع مائة هجان و خمسة عشر فارساً [٧]، وفي منتصف جمادى الأولى/ ١٥ يوليو وهو يوم توقيع معاهدة لندن خرجت جميع قواته من

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (١١٢) حمراء. وقد بلغ عدد الجمال المحصلة من قبائل شمر وعتيبة ومطير وعنزة ٤٤٥٠ رأساً، محافظ الحجاز: محفظة (١١) وثيقة (٥٨) رسالة من أحمد باشا إلى الباشمعاون حول عدد الجمال المجموعة من قبائل نجد، ١٢ رجب ١٢٥٦هـ.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (١٠٦) حمراء.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (٢٨) حمراء. وكان الأورطتان الآخران متواحدين في ثرمداء مع خورشيد باشا. محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (٨٨) حمراء.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (٦٠) حمراء. ويذكر Winder: op.cit, p. 133 أن القوة التي بقيت في ثرمداء لاتتعدى عشرين رجلاً.

(٥) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/١١٤ .

(٦) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (٨٨) حمراء.

(٧) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (٢١٩) حمراء. رسالة من محرم أغا إلى صاحب الدولة، نهاية ربيع الثاني، ١٢٥٦هـ.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (١١) وثيقة (٢٥٢) حمراء. رسالة من محرم أغا إلى صاحب الدولة حول وصول علي بك إلى المدينة وأن خورشيد باشا في الشنانة، ٢١ جمادى الثانية ١٢٥٦هـ.

ثرمداء ولحقت به، ثم قدم إليه خالد بن سعود في جمادى الآخرة/ أغسطس ومعه مائتا رأس من الجمال وبقي عدة أيام بمعية الباشا[١] الذي أتم إجراءات تنصيبه أميراً على نجد قبل أن يغادر يوم ١٠ رجب/ سبتمبر إلى قرية المستجدة في جبل شمر لاستصحاب جنوده الموجودين هناك، ثم تحرك منها يوم ٢٣ من نفس الشهر باتجاه المدينة المنورة حيث وصلها يوم ٢ شعبان/ اكتوبر، وبعد أن قام بتصفية حسابات حملته وميزانيتها غادر المدينة[٢] مع أتباعه يوم ٢٦ من الشهر نفسه متجهاً إلى ينبع[٣]، فوصلها في ٤ رمضان ١٢٥٦هـ/ نوفمبر ١٨٤٠م [٤]، ثم غادرها بسفينتين جهزتا لحمله إلى مصر[٥]، بينما سبقته إليها قوات الآلاي الخامس عشر المكلف بمهمة نجد والذي غادر ينبع إلى ميناء القصير بمصر يوم ١٧ شعبان/ أكتوبر فيما تابع رحيل بقية الآلايات الموجودة في الجزيرة العربية وكان آخرها رحيلاً هو الآلاي الحادي والعشرين والذي تحرك من ينبع يوم ٢ شوال ١٢٥٦هـ[٦]/ ديسمبر ١٨٤٠م لتخلى الجزيرة العربية من قوات محمد علي باشا بشكل نهائي.

لقد شهدت الشنانة إتمام خورشيد باشا لمراسم تنصيب خالد بن سعود أميراً على نجد بشكل رسمي، وكانت أوامر محمد علي باشا بهذا الشأن تقتضي ترك مائتين أو ثلاثمائة من الجند الغير نظاميين "الباشبوزوق" لدى خالد كقوة تساعده للحفاظ على

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/١١٤ .

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (١١) وثيقة (١٤٩) حمراء. رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة حول إجراءاته في الشنانة وتحركه إلى المدينة، ٣ شعبان ١٢٥٦هـ، ويذكر Winder: op.cit, p.113 أن تاريخ مغادرة خورشيد باشا الشنانة غير معروف إلا أن هذه الوثيقة توضح تاريخ مغادرته وهو العاشر من رجب.

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (١١) وثيقة (٢٥٠) حمراء. رسالة من محرم أغا إلى الباشمعاون حول سفر خورشيد باشا من المدينة إلى أبيار علي، ٢٦ شعبان ١٢٥٦هـ.

(٤) مالك رشوان: المرجع السابق، ص ٣٧٢ .

(٥) محافظ الحجاز: محفظة (١١) وثيقة (٢٠٥) حمراء. رسالة من مصطفى توفيق محافظ ينبع إلى الباشمعاون حول ترتيب سفر خورشيد باشا إلى مصر، ١٦ شعبان ١٢٥٦هـ.

(٦) محافظ الحجاز: محفظة (١٢) وثيقة (١٣٦) حمراء.

حكم نجد، شريطة أن يقتنع خالد بهذا العدد، وأن يكفيهم إيراد نجد، وإلا فإن على خورشيد باشا العودة بجميع الجنود ومعهم خالد نفسه إلى مصر وترك نجد وشأنها[١]، مما يدل على أن محمد علي باشا لم تعد لديه رغبة ولااهتمام بأمور نجد بعد الموقف السيء الذي أصبح يعيشه في تلك الفترة.

إلا أن حرص خورشيد باشا على إبقاء أي قوة ولو رمزية تمثل حكومة محمد علي باشا في نجد قد جعله يعمل جاهداً لإبقاء خالد بن سعود أميراً عليها والاطمئنان على حكمه، لذا جمع مشايخ وأمراء بلدان نجد وقبائلها وقرأ عليهم مرسوم تعيينه بإمارة نجد الصادر من محمد علي باشا، كما ترك له الجنود والفرسان والمشاة بعدد يكفي حاجته، إضافة إلى مدفع مع قذائفه، وبعض الأسلحة [٢] التي أخذها من عنيزة في طريق عودته من ثرمداء[٣]، وقد تم العمل على ربط خالد بن سعود بإدارة محافظ المدينة المنورة التابع لمحمد علي باشا [٤].

وقد بادر خالد بن سعود بإرسال خطاب إلى محمد علي باشا بتاريخ ٩ رجب ١٢٥٦هـ/ سبتمبر ١٨٤٠م يشكره فيه على تعيينه أميراً على نجد، ويذكر فيه استعداده

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (١٣٨) حمراء.

؛ محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (٢٨) حمراء. وكانت أوامر محمد علي باشا قد حددت العدد الذي سيتركه خورشيد باشا مع خالد بن سعود بـ ٢٠٠-٣٠٠ جندي، غير أن إحدى الوثائق بينت أن عدد من بقي لديه ألف جندي مابين مشاة وخيالة.
. I-Mesaili - Muh: no. 2430.c. Tarihi: 1257.
كما أن Winder: op.cit, p. 133 ذكر نقلاً عن تاريخ حودت أن مابقي لدى خالد ألف جندي، بينما يذكر ج.ج لوريمر: المرجع السابق ١٦٤٦/٣ أن العدد ٨٠٠ جندي.

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (١١) وثيقة (١٤٩) حمراء .

(٣) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (٩٠) حمراء. رسالة من محرم أغا إلى باشمعاون، ٢٠ ربيع الأول ١٢٥٦هـ.

(٤) منير العجلاني: عهد الإمام فيصل...، ص ١٤٣، وتشير الوثائق إلى أن محافظ المدينة بعد انسحاب قوات محمد علي باشا هو "مير عبد الحليم". وثائق وطنية (٩٣٩) دارة الملك عبد العزيز، الرياض، تقرير عن غزوة محافظ المدينة "مير عبد الحليم" ضد بعض قبائل مطير، ٢٥ محرم ١٢٥٨هـ.

للخدمة والطاعة لوالي مصر[١]، غير أن الوضع الجديد الذي أصبحت تعيشه نجد والجزيرة العربية عامة قد جعل ارتباط خالد بن سعود يتحول إلى السلطان العثماني عن طريق حكومة الحجاز ممثلة بعثمان باشا والي جدة وأمير مكة محمد بن عون الذي عاد من مصر ليتولى السلطة من جديد، لذا بادر خالد بن سعود بإرسال رسالة إلى ابن عون يبلغه فيها بتطلعه لتنصيبه أميراً على نجد من قبل السلطان العثماني، ويعرض خضوعه للدولة العثمانية، ويطلب استصدار أمر سلطاني بذلك[٢]، وقد رد محمد بن عون برسالة أوضح فيها ضرورة إدراك خالد بن سعود لوضعه الجديد بعد أن كان في السابق بخدمة محمد علي باشا، وأما الآن ففي خدمة السلطان العثماني، ومن رعايا الدولة العثمانية، وطلب منه إرسال أحد رجاله للتفاهم معه، فأرسل خالد رجلاً من اتباعه ليؤكد موقفه وإخلاصه للسلطان العثماني[٣]، وأنه سيمتثل للأوامر الصادرة إليه[٤].

ومن الواضح أن ابن عون قد اقتنع بحقيقة موقف خالد بن سعود لذا أحال الأمر إلى والي جدة عثمان باشا الذي رفعه للصدارة العظمى مرفقاً به خطاب من خالد ابن سعود إلى السلطان العثماني تضمن انقياده وطاعته له، ومُلِيء بالدعاء والتودد[٥]، وفي نفس الوقت أرسل عثمان باشا خطاباً إلى الصدر الأعظم أوضح فيه المصالح المترتبة على تعيين خالد أميراً، كما بين أنه أجرى مشاورات مع محمد بن عون في هذا الأمر فقاما بإرسال الخلعة إليه مع صاجلي زادة مصطفى أفندي من أهالي المدينة، وأوضح عثمان باشا أن خالداً سيستمر مخلصاً للسلطان، وسيرسل إيرادات بلدان نجد السنوية، وأن الأهالي يرحبون بتعيينه أميراً عليهم[٦]، كما اقترح منحه نيشان، وتزويده بخطاب تأييد

---

(١) محافظ الحجاز: محفظة (١١) وثيقة (٤١) حمراء. رسالة من خالد بن سعود إلى صاحب الدولة تحوي الشكر على منحه إمارة نجد، ٩ رجب ١٢٥٦هـ.

(٢) I-Mesaili - Muh: No 2430.A. Tarihi: 1257.

(٣) I-Mesaili - Muh: No 2430.B. Tarihi: 1257.

(٤) I-Mesaili - Muh: No 2430.C. Tarihi: 1257.

(٥) I-Mesaili - Muh: No 2431.A.B. Tarihi: 1257.

(٦) I-Mesaili - Muh: No 2431.C.F. Tarihi: 1257.

من السلطان كي يطلع عليه الأهالي فيطيعونه[١]، وقد صدرت المادة التاسعة من لائحة تنظيمات الأقطار الحجازية وجاء فيها إبقاء خالد بن سعود أميراً على نجد، وطلب منه إرسال دفتر إيرادات بلدانها، وتأدية المستحقات المالية المعتادة [٢]، فوافق السلطان العثماني عليها[٣].

ومن الواضح أن خالد بن سعود قد عمل جاهداً لكسب تأييد الأهالي والأمراء والقضاة فسعى لدى السلطات العثمانية عن طريق عثمان باشا لإبقاء الأمراء والقضاة في مناصبهم[٤]، ونتيجة لذلك أرسل أكثر من خمسين قاضياً وعالماً وأميراً من القطيف وعلى رأسهم أمير القطيف علي بن غانم خطاباً لوالي جدة بتاريخ ١٩ ربيع الثاني ١٢٥٧هـ/ يونيه ١٨٤١م يشكرونه على ذلك الإجراء، وعلى تعيين خالد بن سعود أميراً عليهم ويعلنون الطاعة له[٥]، وبعد يوم واحد أرسل خمسون عالماً وقاضياً وأميراً من الأحساء على رأسهم موسى الحملي خطاباً مشابهاً[٦]، وفي ٢٥ جمادى الأولى أرسل ثلاثة وثلاثون من أمراء وعلماء وقضاة نجد رسالة بنفس المضمون إلى عثمان باشا[٧]، ومن المؤكد أن تلك الرسائل كانت بإيعاز من خالد بن سعود والذي أرفق مع الرسالة الأخيرة رسالة شخصية منه يقول فيها "...أنني عاهدت الله تعالى أنني أخدم السلطان..."[٨]، ولاشك أنه هدف من خلال ذلك التقرب إلى الدولة العثمانية ليحظى بالحصول على حمايتها، والاستعانة بها ضد مايواجهه من أخطار، غير أن علاقته مع السلطات العثمانية لم تدم على ذلك الحال، إذ طرأ عليها بعض الفتور نتيجة لتقصير خالد بن سعود وضعف إدارته للبلاد، حيث تأخر في إرسال دفتر الإيرادات إلى جدة مما ترتب عليه تأخير إرسال

---

(١) I-Mesaili - Muh: No 2431.F. Tarihi: 1257.

(٢) I-Mesaili - Muh: No 2430.C. Tarihi: 1257.

(٣) I-Mesaili - Muh: No 2437.D. Tarihi: 5-1-1260.

(٤) I-Mesaili - Muh: No 2431.D. Tarihi:11-2-1257.

(٥) I-Mesaili - Muh: No 2431.I. Tarihi: 19-4-1257.

(٦) I-Mesaili - Muh: No 2431.H. Tarihi: 20-4-1257.

(٧) I-Mesaili - Muh: No 2431.E. Tarihi: 25-5-1257.

(٨) I-Mesaili - Muh: No 2431.L. Tarihi: 25-5-1257.

العوائد المادية التي تحرص السلطات العثمانية على وصولها في الوقت المحدد، فحاول خالد ابن سعود تهدئة تلك السلطات حين أرسل رسالة إلى عثمان باشا بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٢٥٧هـ/ يوليه ١٨٤١م بين فيها أن سبب تأخر إرسال دفتر الإيرادات عدم تمكنه من تحديد مقدار الإيرادات السنوية لبلدان نجد، ووعد بعمل ذلك قريباً[١].

وعلى الصعيد الداخلي بدأ خالد بن سعود يواجه رفض الأهالي لحكمه بسبب نظرتهم له على أنه تابع للوجود العثماني[٢]، إضافة إلى ماقام به من تحديث في إدارة البلاد بشكل غير من الأنظمة القديمة التي اعتادها الناس وألفوها[٣]، كما أنه لم يستطع إدارة دفة الحكم حيث نشبت الحروب الأهلية بين بلدان نجد مثلما حدث في معركة بقعاء بين القصيم وحائل، ولم تستطع إدارته اتخاذ خطوات فعالة لمنعها، يضاف إلى ذلك شخصية خالد بن سعود المتأثرة بقشور الحضارة الغربية التي ألفها في مصر وجاء بها إلى نجد التي لم تعتد عليها [٤]، وتزايد موقف الأهالي الغاضب ضده بعد رفضه لطلبهم إخراج القوات والجنود الأجانب الموجودين لديه[٥]، ورغم ورود قوافل الجمال المحملة بالغلال إلى خالد بن سعود من الأحساء [٦]، إلا أنه أصبح يعيش في وضع اقتصادي سيء، وأصبح الجنود الموجودين لديه دون مرتبات لمدة طويلة مما أدى إلى سخطهم وتذمرهم[٧]، وتزايد الوضع السيء له حين طلب عثمان باشا منه إرسال أولئك الجنود إلى المدينة المنورة، فطلب هو ضرورة استبقاء مابين أربعين إلى خمسين من المشاة للحفاظ على القلاع في الرياض والقطيف والأحساء، وبين أن هذا العدد لايكفي بل لابد من زيادته إلى ثلاثمائة جندي، وراح يقترح جلبهم من البصرة بواسطة أحد الأهالي مقابل

---

(١) I-Mesaili - Muh: No 2431.K. Tarihi: 25-5-1257.

(٢) الويس موزل: تاريخ الدولة السعودية، ص ٢٣٣، محمد السلمان: الأحوال السياسية..، ص ١٣٢، عبد الله العثيمين: نشأة أمارة آل رشيد، ص ٩٦.

(٣) عبد الفتاح أبو علية: حجاز سياحتنامة، ص ٦٣ .

(٤) راشد الحنبلي: المصدر السابق، ص ٥٠، محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ١٣٢ .

(٥) عايض الروقي: حروب محمد علي..، ص ٤٦٠ .

(٦) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (٦٠) حمراء.

(٧) ج.ج لوريمر: المرجع السابق، ١٦٤٦/٣ .

عدة دنانير لأن جلبهم من الحجاز يكلف الكثير(١)، كما أن موافقة خالد على إرسال المدافع وطلقاتها التي استلمها من خورشيد باشا بناء على طلب عثمان باشا(٢) قد جعلته يعاني من نقص في الإمكانات العسكرية.

وفي ظل هذا الوضع المتردي جاءت حركة عبد الله بن ثنيان* أحد أفراد أسرة آل سعود لتقوض إمارة خالد بن سعود وتنهي وجود القوات العثمانية في نجد.

ولأن عبد الله بن ثنيان كان يدرك مدى كره الأهالي لوجود القوات العثمانية فقد حاول الضرب على نغمة العاطفة الوطنية(٣)، حيث وعدهم بتخليصهم من الحكم العثماني، وأنه "محارب للترك" (٤)، كما حاول الاستفادة من موقف قبائل نجد الرافضة للوجود العثماني، وقبائل المنتفق، وتزايد موقفه قوة حين ظفر بتأييد أهالي بلدان جنوب نجد الذين عرفوا بعدائهم لوجود قوات أجنبية في بلادهم(٥)، وكان موقفهم هذا يستمد القوة من وجود عدد من أفراد أسرة آل الشيخ في تلك المنطقة(٦).

وفي نفس الوقت فإن خالد بن سعود قد خسر تأييد الأهالي بسبب وجود القوات العثمانية إلى جانبه وكونه يستمد قوته منها(٧)، ومن الواضح أنه قد أدرك منذ البداية

---

(١) I-Mesaili - Muh: No 2431.M. Tarihi: 25-5-1257.

(٢) I-Mesaili - Muh: No 2431.N. Tarihi: 25-5-1257.

* هو عبد الله بن ثنيان بن إبراهيم بن ثنيان بن سعود بن محمد بن مقرن، قام بحركته تلك مطالباً بإمارة نجد، وقد تمكن من الانتصار على خالد بن سعود سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م وبقي في الإمارة حتى عودة الإمام فيصل بن تركي من مصر واستعادته لها، وقد توفي ابن ثنيان يوم الجمعة ١٥ جمادى الآخرة ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م، وله ثلاثة أبناء هم محمد وثنيان وعبد الله المسمى على والده والذي ذهب إلى استانبول ومنح لقب "باشا". وبقي هناك حتى وفاته. عثمان بن بشر: المصدر السابق ١١٩/٢، ١٣٤ .

(٣) عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ٧٩ .

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١١٩/٢ .

(٥) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢٥٦/١.

(٦) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ١٣٤ .

(٧) سعيد آل عمر: المرجع السابق، ص ١٨٩.

ضعف موقفه فحاول عرض الصلح على خصمه دون نتيجة، وحين حاول استثارة همم الأهالي تثاقلوا عليه مما دفعه للخروج من الرياض إلى الأحساء في ٢٠ شعبان ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م بحثاً عن أنصار، وانتظاراً لما يسفر عنه الموقف، بعد أن ترك قواته للدفاع عن العاصمة، أما عبد ا لله بن ثنيان فقد أصبح عليه مواجهة الحاميات العثمانية المتبقية في نجد، فتمكن سلمياً من إخراج القوات الموجودة في ضرما إلى ثرمداء، ثم بدأ بالزحف على العاصمة الرياض وتمكن من دخولها يوم الأحد ١٤ شوال ١٢٥٧هـ/ ديسمبر ١٨٤١م، وأصبح في مواجهة مع حاميتها[١] التي يتزعمها سعد بن دغيثر والقائد العثماني المسمى الأبعج، حيث تمكن من القضاء عليها[٢]، وقتل قائدها العثماني، وأجبرها على مغادرة البلاد فغادر الجنود العثمانيون إلى مصر[٣]، وقد نتج عن سيطرة ابن ثنيان على الرياض أن قدم إليها أتباع خالد بن سعود الموجودين معه في الأحساء لينضموا إلى الحاكم الجديد، مما جعل خالد وحيداً لم يجد أمامه إلا الفرار إلى الدمام، ثم إلى الكويت ومنها إلى القصيم[٤] حيث أرسل من هناك مستنجداً بوالي جدة، وطلب دعمه بالمدافع وتعيينه أميراً على القصيم، إلا أن إدراك عثمان باشا لصعوبة موقف خالد بن سعود جعله يرفض ذلك الطلب[٥]، لينتهي به الأمر بالرحيل إلى الحجاز والاستقرار في جدة، حيث خصص قصر لإقامته وأجريت له التعيينات اللازمة ومنها مرتب شهري [٦].

وقد صاحب النزاع بين عبد ا لله بن ثنيان وخالد بن سعود قيام بعض قبائل مطير بشن هجمات على القوافل بين نجد والأحساء والعراق من جهة والمدينة المنورة من جهة

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/١٢٠-١٢٣.

(٢) سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ٢٥ .

(٣) إبراهيم بن عيسى: تاريخ بعض الحوادث...، ص ١٦٥، ويذهب أحد الباحثين إلى أنهم لحقوا بخالد بن سعود في الأحساء. Winder: op.cit, p. 139 .

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/١٢٤ .

(٥) I-Mesaili - Muh: No 2433. B. Tarihi: 15-3-1259.

(٦) أحمد دحلان: المصدر السابق، ص ٣١٢.

I-Mesaili - Muh: No 2437. F. Tarihi: 15-2-1260.

وتشير هذه الوثيقة إلى أن خالد بن سعود مكث في مسقط قبل أن يقدم إلى الحجاز.

أخرى مستغلة انشغال القوات العثمانية بالنزاع القائم في الرياض؛ مما دعا محافظ المدينة عبد الحليم لإرسال قوات لقتال تلك القبائل(١).

على أن النتيجة الأهم لسيطرة ابن ثنيان على الرياض كانت خروج جميع القوات العثمانية الموجودة في نجد والمتمركزة في ثرمداء وعنيزة، أما بقية القوات العثمانية الموجودة مع خالد في الأحساء فقد غادرت إلى القطيف بناء على طلبه، ثم خرجت من الجزيرة العربية، ومن المحتمل أنها اتجهت إلى العراق العثمانية، وبذلك أصبحت نجد خالية تماماً من القوات العثمانية(٢).

وعلى الرغم من تعيين خالد بن سعود أميرا على نجد والأحساء بشكل رسمي من قبل الدولة العثمانية إلا أن تلك الدولة لم تتخذ أي موقف يذكر للوقوف بجانبه ومساندته، مما يدل على عدم أهمية من يحكم نجد في ظل تحطم قوة محمد علي باشا إثر معاهدة لندن، وانتهاء الخطر الذي يتهدد السيادة الأسمية العثمانية فيها بدليل سرعة ترحيب السلطات العثمانية بحكم ابن ثنيان، حيث أرسل إليه والي جدة عثمان باشا خطاباً ينبيء عن ذلك في الوقت الذي كان الصراع على أشده بينه وبين خالد بن سعود، وبمجرد تمكن ابن ثنيان من السلطة بادر بإرسال خطاب مشفوع بتوقيع عدد من أعيان

---

(١) وثائق وطنية (٩٣٩)، دارة الملك عبد العزيز بالرياض.

(٢) Winder: op.cit, p.139-141، ويضيف ذلك الباحث أن طرد القوات الأجنبية يحدث لأول مرة منذ ثلاثين عاماً، غير أن هذا القول لاينطبق على نجد إذ سبق للإمام تركي ابن عبد الله أن طرد الحاميات العثمانية منها سنة ١٢٤٠هـ وأسس الدولة السعودية الثانية، ولم تعد تلك القوات إلا سنة ١٢٥٢هـ إبان حملة إسماعيل بك. ورغم إخراج ابن ثنيان للقوات العثمانية، إلا أن ذلك كان من الناحية الرسمية، إذ أن عدداً من الجنود بقي في مناطق مختلفة خاصة جبل شمر، إذ تذكر المصادر أن حوالي ٢٥٠ منهم التحقوا بخدمة أميرها ابن رشيد وأصبحوا يشكلون حرسه الخاص. الويس موزل: تاريخ بيت ابن رشيد، ص٥٦٠، ويذكر عبد الله العثيمين: نشأة إمارة آل رشيد، ص ٧٤ أنهم ساهموا مساهمات فاعلة في حروب ابن رشيد نظراً لما يتمتعون به من خبرة حربية. وقد أتاح خروج خالد بن سعود من الأحساء الفرصة لابن ثنيان ليمد نفوذه عليها حيث أرسل قواته إليها بقيادة عبد الله بن بتال فسيطرت عليها في محرم ١٢٥٨هـ. عثمان ابن بشر: المصدر السابق ١٢٤/٢.

نجد وعلى رأسهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ وعدد من أفراد أسرته، إضافة إلى عدد من الأمراء ومن بينهم أمراء سبق أن أعلنوا الولاء لخالد بن سعود، وقد احتوى ذلك الخطاب الموجه إلى عثمان باشا والي جدة بتاريخ الأول من جمادى الأولى ١٢٥٨هـ/ يوليه ١٨٤٢م على تنديد بحكم خالد بن سعود وجوره، وفي نفس الوقت تأييد لابن ثنيان وحكمه(١)، ومن الواضح ان ابن ثنيان بدوره حاول استرضاء السلطات العثمانية وإيضاح الدعم الذي يحظى به من الأهالي والعلماء والأمراء، وفي ٤ جمادى الأولى ١٢٥٨هـ/ يوليه ١٨٤٢م أرسل ابن ثنيان وفداً برئاسة محمد بن جلاجل إلى الحجاز، وزوده بالهدايا إلى كل من عثمان باشا ومحمد بن عون(٢)، وكانت الهدايا عبارة عن أربعة رؤوس من الخيل وأربع من الإبل وعشر كساوي من القيلان الفاخر(٣)، وقد بادلاه بهدايا (٤) تم إرسالها مع صاجلي زاده مصطفى أفندي الذي قدم إلى نجد بصحبة ابن جلاجل(٥)، ومن ثم صدر مرسوم سلطاني بتعيين ابن ثنيان أميراً على العارض والأحساء، فيما لم تلحق القصيم بإمارته(٦)، لوجود فكرة عند العثمانيين بإسناد إمارتها إلى خالد بن سعود بناء على طلب تقدم به حين كان في تلك المنطقة، كما طلب دعمه بالمدافع والأسلحة، غير أن عثمان باشا لم يقتنع بذلك الطلب، وبناء على توصية من مبعوثه إلى ابن ثنيان مصطفى أفندي أوصى بإلحاق إمارة القصيم بحكم ابن ثنيان الذي أثبت ولاءه ودعا بالخطبة للسلطان العثماني(٧)، وبين أنه إن لم يتم ذلك فسوف تحصل غائلة عظيمة، كما بين عثمان باشا أن هذا الرأي هو مايراه أيضاً أمير مكة محمد بن عون

---

(١) I-Mesaili - Muh: No. 1798. A. Tarihi: 1-5-1258.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/١٢٦ .

(٣) I-Mesaili - Muh: No. 1798. B. Tarihi: 4-5-1258.

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/١٢٦ .

(٥) I-Mesaili - Muh: No. 1799. C. Tarihi: 13-9-1258.

(٦) I-Mesaili - Muh: No. 1799. D. Tarihi: 4-5-1258.

(٧) I-Mesaili - Muh: No. 1799. D. Tarihi: 4-5-1258.

؛ I-Mesaili - Muh: No. 2433. B. Tarihi: 15-3-1259.

ليصبح ابن ثنيان أميراً على الأحساء ونجد[1] ماعدا جبل شمر الخاضعة لابن رشيد والذي كان على علاقة حسنة بالسلطات العثمانية في الحجاز [2].

وفي ٥ رمضان ١٢٥٨هـ/ نوفمبر ١٨٤٢م وصل إلى الرياض مصطفى أفندي يحمل الخلعة والفرمان العثماني الخاص بتعيين عبد الله بن ثنيان أميراً، وقد استقبل مصطفى بحفاوة وترحيب بالغين، وفي ١٣ رمضان أرسل ابن ثنيان خطابين إلى عثمان باشا ومحمد بن عون يشكرهما على جهودهما في سبيل تعيينه أميراً، ويطلب إصدار خطاب إلى الأهالي في نجد يطمئنهم، ويكفل لهم الأمان حين يتجهون إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج[3]، وفي نفس اليوم أرسل مصطفى أفندي الموجود في الرياض رسالة إلى عثمان باشا يخبره فيها برد فعل ابن ثنيان على مرسوم التعيين، ويمتدح تصرفاته، وفي نفس الوقت يبين عدم رضا أهل القصيم على تعيين ابن ثنيان أميراً، ويبين أنهم قاموا بتزوير رسائل باسمه وأرسلوها إلى الحجاز للوقيعة بينه وبين السلطات العثمانية، كما أنهم زادوا من عدائهم ضد أمير جبل شمر ابن رشيد والذي عزم على تأديبهم [4].

ومن المرجح أن اتخاذ أهل القصيم لهذا الموقف كان بتأثير من خالد بن سعود الذي مكث فترة لديهم وكان يطمع بتعيينه أميراً على بلدان منطقتهم، إضافة إلى أن الأمير عبد الله بن ثنيان قد أرسل لهم يحذرهم من التعدي على ابن رشيد وأتباعه[5] مما أثار غضبهم عليه.

ومن خلال ماسبق يتضح أن الدولة العثمانية إحدى القوى المناوئة للدولة السعودية الثانية حرصت بعد معاهدة لندن على ضمان ولاء من يحكم نجد، ولو كان إسمياً مكتفية منه بدفع بعض الرسوم المالية، دون أن تتوغل في تلك المنطقة وتخضعها لسيطرتها الفعلية، وظلت تراقب وضع خالد بن سعود المتدهور نتيجة انسحاب خورشيد

---

(١) I-Mesaili - Muh: No. 1799. E. Tarihi: 4-10-1258.

(٢) I-Mesaili - Muh: No. 1799. B. Tarihi: 13-9-1258.

(٣) I-Mesaili - Muh: No. 1799. A. Tarihi: 13-9-1258.

(٤) I-Mesaili - Muh: No. 1799. B. Tarihi: 13-9-1258.

(٥) I-Mesaili - Muh: No. 1799. B. Tarihi: 13-9-1258.

باشا وقواته، ورغم اعترافها بسلطته إلا أنها لم تقف معه أو تدعمه بشيء لمواجهة ابن ثنيان والذي حظي هو الآخر باعتراف العثمانيين بسلطته بمجرد أن أعلن ولاءه وتأييده لهم.

وعلى الرغم من محاولات العثمانيين لاستعادة سلطتهم في شبه الجزيرة العربية بعد معاهدة لندن، إلا أنهم لم يتمكنوا من ملء الفراغ الذي تركه انسحاب خورشيد باشا وقواته منها، رغم إسناد شؤونها إلى علي باشا والي العراق الذي لم يحدث تغييرات تذكر في إدارتها[١]، وبالتالي لم يعد هناك وجود يذكر لسلطة علي رضا فيها خاصة حين تولى عثمان باشا ولاية جدة، وأبدى نشاطاً سياسياً ملموساً، ليصبح همزة الوصل بين نجد والعاصمة العثمانية.

أما القوى المناوئة الأخرى فقد حاولت الاستفادة من انعكاسات معاهدة لندن على الأوضاع السياسية في الجزيرة العربية حيث كان الأمير محمد بن عون أبرز المستفيدين من تلك المعاهدة حين سمح له محمد علي باشا بالعودة إلى الحجاز بعد أن بقي محتجزاً في مصر منذ عام ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م، وبموجب الإرادة رقم ٨ بتاريخ ١ جمادى الآخرة ١٢٥٦هـ/اغسطس ١٨٤٠م أسندت لمحمد بن عون الأمور في الحجاز[٢]، وكلف بمهمة متابعة انسحاب قوات محمد علي باشا من الجزيرة العربية[٣]، وإبقاء بعض الجنود الغير نظاميين الموجودين في الحجاز عنده إن رغب[٤]، وفي نفس الوقت أصبح له دور في مسألة تعيين أمير على نجد بالتشاور مع والي جدة العثماني عثمان باشا[٥]، ورغم تزايد صلاحيات هذا الوالي ومهامه لدرجة أن ترشيح أمراء الحجاز كان يتم عن طريقه

---

(١) عبد العزيز نوار: المرجع السابق، ص ٢٣٣-٢٣٤. عايض الروقي: حروب محمد علي...، ص ٤٦٢. ويذهب بعض الباحثين أن علي رضا حاول الاستعانة بخورشيد باشا ليسند إليه ولاية جدة إلا أن ولاء خورشيد باشا لمحمد علي قد جعله يرفض الطلب ويعود إلى مصر. عبد العزيز نوار: المرجع السابق، ص ٢٢٩، محمد نخلة: المرجع السابق، ص ٩٧-٩٨ .

(٢) محافظ الحجاز: محفظة (١١) وثيقة (٣٦) حمراء. رسالة من محمد بن عون إلى صاحب الدولة، ٩ رجب ١٢٥٦هـ.

(٣) Al-Amr: op.cit, p. 53.

(٤) محافظ الحجاز: محفظة (١٠) وثيقة (٢٨) حمراء.

(٥) I-Mesaili - Muh: No. 2431. C. Tarihi: 11-2-1257.

إلا أن علاقة هؤلاء الأمراء بالسلطان العثماني تحسنت بشكل كبير[١]، ورغم تقلص نفوذ محمد علي باشا في الحجاز بعد معاهدة لندن إلا أن علاقة محمد بن عون بوالي مصر استمرت جيدة[٢] رغم استبدال الحاميات المصرية الموجودة في الحجاز بأخرى عثمانية[٣] ولعل ذلك يعود إلى بقاء مصر بمثابة الطريق الموصل بين الحجاز والعاصمة العثمانية بعد الوضع الجديد المترتب على معاهدة لندن.

أما أمراء بني خالد فقد حاولوا استعادة إمارة الأحساء من جديد في أعقاب انسحاب قوات محمد علي باشا منها، فقد حاول مشرف بن دويحس بن عريعر أحد أمراء بني خالد الاتفاق مع الشيخ محمد بن خليفة من أمراء البحرين ليتم العمل على تنصيبه أميراً على الأقليم[٤]، ومن المرجح أن هذا الاتفاق كان يقضي بإعطاء مشرف بعض التسيهلات لآل خليفة في بلدان الأحساء، ورغم أن هذا الاتفاق قد لقي موافقة الشيخ محمد إلا أن حاكم البحرين الشيخ عبد الله بن أحمد أعلن رفضه له، مما أدى إلى نشوب النزاع بين محمد وعم والده عبد الله بن أحمد، وأخيراً تمكن محمد من التغلب على عبد الله وطرده من البحرين[٥]، غير أن أمراء بني خالد لم يتمكنوا من استعادة شيء من إمارتهم في الأحساء، وبالتالي فشلوا بالاستفادة من آثار معاهدة لندن، وفقدوا أي أمل بالعودة للإمارة من جديد حين تولى زمام الأمور في نجد عبد الله بن ثنيان الذي أحكم سيطرته على الأحساء.

أما القوة المناوئة الأقوى وهي سلطة محمد علي باشا فقد خبت وتقوقعت في مصر وأصبحت غير مؤثرة في مجريات الأحداث السياسية، وبذا يمكن القول أن معاهدة لندن قد أفادت الدولة السعودية الثانية بالتخلص من قوة محمد علي باشا المناوئة، وفسحت المجال لتحسن العلاقات بين الدولة السعودية الثانية وولاية مصر العثمانية مستقبلاً، إلا أنها

(١) أحمد السباعي: المرجع السابق ٢/٥٦٥.

(٢) EL-Battrik: op.cit, p. 252.

(٣) فائق بكر الصواف: المرجع السابق، ص ٦٨ .

(٤) سعيد آل عمر: المرجع السابق، ص ١٩٠ .

(٥) محمد العيدروس : تاريخ الجزيرة العربية...، ص ٣٠٣.

من ناحية أخرى أتاحت الفرصة لتدخلات أمراء الحجاز في نجد وشؤونها الداخلية، مما أحدث بعض المشاكل بين الطرفين، فيما ظل العثمانيون مكتفين بسيادتهم الاسمية عليها.

ومن المؤكد أن هذه الأوضاع التي أصبحت تشهدها نجد نتيجة لمعاهدة لندن من تفاوت في مواقف القوى المناوئة للدولة السعودية الثانية، ومابرز على الساحة من نزاعات محلية بين بلدان نجد بعضها البعض، وبين أمرائها كان له أثر في إتاحة المجال أمام الحاكم الشرعي السعودي الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود لاستعادة حكمه من جديد، حين سنحت له الفرصة وتخلص من سجنه بمصر، فعاد إلى نجد وسط مستجدات سياسية حدثت كإفرازات لتلك المعاهدة.

ومن خلال هذا الفصل يتبين أن محمد علي باشا قد عاد بقوة لنشاطه العسكري المناوىء للدولة السعودية الثانية متذرعاً بذرائع مختلفة، والواقع أن تفرغه من مشاكله الخارجية ونزاعه مع السلطان العثماني كان السبب الرئيسي لعودته إلى ميدان القتال ضد الدولة السعودية الثانية التي كان ظهورها صدمة كبيرة له، ولقد حاول محمد علي باشا إحداث بعض التغيير في استراتيجيته العسكرية حين أسند قيادة أولى حملاته المتجهة إلى نجد لأحد أفراد أسرة آل سعود وهو الأمير خالد بن سعود بن عبد العزيز رغبة باعطاء تلك الحملة نوعاً من الشرعية وتأييد الأهالي، ولزرع الفرقة والشقاق داخل المجتمع، ورغم ماحققته تلك الحملة من تفوق وتوغل إلى عمق أراضي الدولة السعودية الثانية إلا أن الأهالي أثبتوا مدى قدرتهم على الصمود متى اتحدوا، حيث تمكنوا من إلحاق هزيمة نكراء بتلك الحملة في معركة الحلوة والتي جعلت محمد علي باشا وقادته يعيدون حساباتهم مرة أخرى في وضع حملاتهم، ويلجؤون إلى الوسائل السلمية ومفاوضة الإمام فيصل بن تركي الذي شدّد من حصاره على قوات الحملة في الرياض، وفي نفس الوقت عمل محمد علي باشا على إرسال حملة أكبر من سابقتها إلى نجد تمثلت بحملة خورشيد باشا التي عملت على استقطاب الأمراء والأهالي إلى جانبها، وجعلت مناصب الأمراء في بلدانهم رهناً بموقفهم من الحملة ودعمهم لها بأعداد كبيرة من الجمال التي هي عماد الحملة وتحركاتها، كما عملت الحملة على الاستفادة بشتى الوسائل من إمكانات القوى المناوئة للدولة السعودية الثانية خاصة قوة أمراء الحجاز الذين ساندوا خورشيد باشا،

المناوئة للدولة السعودية الثانية خاصة قوة أمراء الحجاز الذين ساندوا خورشيد باشا، ورافقوه في حملته، وتحملوا كثيراً من مهامها، وكذلك قوة أمراء بني خالد الذين حاولوا العودة لإمارة الأحساء بواسطة خورشيد باشا وحملته، الأمر الذي جعل الإمام فيصل ابن تركي محاصراً بالأعداء، وبدأ اليأس يتغلغل إلى قواته، وأصبحت المقاومة متعذرة ضد حملة خورشيد باشا، وانتهى الأمر بتسليم الإمام فيصل نفسه رغبة بافتداء البلاد والعباد من بطش وغضب قادة محمد علي باشا.

وفي أعقاب نهاية الفترة الأولى لحكم الإمام فيصل بن تركي تغيرت أوضاع البلاد فسيطرت عليها قوات محمد علي باشا، وأصبح خورشيد باشا هو الحاكم الفعلي رغم المناداة بخالد بن سعود أميراً فيها، واتجه خورشيد باشا إلى سياسة عنيفة خاصة مع القبائل، وكان شغله الشاغل الحصول على أكبر قدر ممكن من جمالها، على أنه واجه كثيراً من المشاكل التي قيدت تحركاته خاصة المشاكل الاقتصادية، وقلة التموين الذي يصله من الحجاز ومصر في ظل رغباته المتزايدة بالتوسع العسكري في بلدان الخليج العربي، غير أن تحولاً مهماً طرأ على مجريات الأحداث حين تزايد الموقف الدولي رفضاً لتحركات محمد علي باشا التوسعية، ونزاعه الذي تجدد مع السلطان العثماني، فتحركت الدول الأوربية بزعامة بريطانيا ووضعت حداً لطموحات والي مصر، وسلبت كل ماحققه من مكاسب، وأجبرته بموجب معاهدة لندن ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م على الانسحاب من الجزيرة العربية بأسرها.

ورغم انسحاب خورشيد بقواته إلا أن محمد علي باشا حاول إبقاء بعض الجنود بجانب خالد بن سعود الذي عُيِّن أميراً على نجد بصفة رسمية حال انسحاب خورشيد باشا، غير أن الموقف لم يعد كما كان إذ أصبح على خالد بن سعود الاعتراف بتبعيته للسلطان العثماني، والتفاوض مع واليه في جدة عثمان باشا للحصول على أمر سلطاني بتعيينه رسمياً في إمارة نجد.

ولم يلبث خالد بن سعود أن تعرض لكثير من المشاكل التي كان أبرزها ظهور عبد الله بن ثنيان ومطالبته بالإمارة، مدعماً بتأييد الأهالي، الأمر الذي جعل خالد ابن سعود يبادر بالهرب تاركاً الساحة لخصمه الذي تمكن بالفعل من تقوية موقفه، وإتمام

السيطرة على أراضي الدولة السعودية الثانية، وفي نفس الوقت أدرك أهمية التأييد العثماني لإمارته فأرسل الرسائل إلى الوالي العثماني عثمان باشا معترفاً فيها بتبعيته للدولة العثمانية رغبة منه بعدم تعرضه لعدائها، كما حاول استرضاء أمراء الحجاز بإرسال الهدايا إلى محمد بن عون، وبالفعل نجح في الحصول على تأييد الدولة العثمانية وأمراء الحجاز، كما تمكن من فرض سيطرته على الأحساء وإنهاء أي أمل لأمراء بني خالد باستعادة إمارتها.

ورغم ذلك التأييد العثماني لإمارة ابن ثنيان ومن قبله خالد بن سعود إلا أن أياً منهما لم يحصل على مساعدات عثمانية فعلية ملموسة تمكنه من تثبيت مركزه في الإمارة، الأمر الذي يعني أن الدولة العثمانية حرصت على إبعاد محمد علي باشا عن أي تدخل في شؤون نجد مع ضمان الولاء الاسمي لمن يعين أميراً عليها، لتبقى الدولة العثمانية القوة المناوئة الرئيسية للدولة السعودية الثانية في ظل أفول نجم خصمها محمد علي باشا، وضمانها لموقف أمراء الحجاز، واضمحلال دور أمراء بني خالد في الأحساء، غير أن الفراغ السياسي الذي تركه رحيل الإمام فيصل بن تركي من نجد لم يجد من يملؤه ممن تولوا إمارتها، وباتت البلاد بحاجة ماسة لعودة الإمام فيصل من جديد لاستعادة ملكه وملك آبائه، وملء ذلك الفراغ السياسي، والعمل على انتشال البلاد مما حل بها من خراب ودمار.

الفصل الرابع

ولاية الإمام فيصل بن تركي الثانية وموقف القوى المناوئة منها

(١٢٥٩-١٢٨٢هـ/ ١٨٤٣-١٨٦٦م)

*** خروج الإمام فيصل بن تركي من مصر وموقف محمد علي باشا من ذلك:**

اختلفت المصادر التاريخية في تحديد المكان الذي خصص لإقامة الإمام فيصل ابن تركي في مصر منذ ذهابه إليها سنة ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م، فبينما يذكر البعض أنه سجن في حصن قرب السويس[(١)]، فإن البعض الآخر يذكر أنه اعتقل في سجن القلعة الواقعة في أعلى جبل المقطم في القاهرة[(٢)]، ولعل وجوده في السويس كان في بداية وصوله إلى مصر باعتبارها مركزاً على طريق القادم من الجزيرة العربية، ثم نقل إلى القاهرة ليبقى في سجن القلعة.

كما أن المصادر اختلفت في طبيعة السجن الذي وضع فيه الإمام فيصل فعلى حين يذكر ابن بشر أنه كان يخضع لرقابة مشددة من الجنود، وأن مكانه محاط بسور يرتفع أكثر من خمسة وثلاثين متراً عن الأرض [(٣)]، فإن أحد الباحثين يصف هذا المكان بحجرة صغيرة، بها نافذة صغيرة من حديد [(٤)]، بينما يضيف ابن بشر في موضع آخر أن فيصلاً وضع في بيت يتردد إليه فيه كثير من أهل مصر للاستشفاء بقراءته[(٥)]، في حين ينفرد أحد المؤرخين بالقول: أن هذا البيت كان مهيئاً بجميع وسائل الراحة، وقد تركت الحرية للإمام فيصل بالذهاب أنّى أراد بصحبة بعض الأشخاص الذين يقومون بمراقبته فقط[(٦)].

ويعلل العجلاني ذلك بأن تردد الكثير من الناس عليه في البيت قد أدى إلى قلق محمد علي باشا فقام بنقله إلى سجن القلعة خوفاً من هربه[(٧)]، غير أن هذا القول غير قاطع نظراً لأن موقف محمد علي باشا في بداية وصول الإمام فيصل إلى مصر كان أكثر احترازاً وتشدداً وقسوة ضده، ثم تراجع هذا الموقف كثيراً منذ عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م بعد معاهدة لندن ومانتج عنها من تحطيم لقوة محمد علي باشا وأحلامه؛ لذا فإن المرجح

---

(١) عبد الفتاح أبو علية: حجاز سياحتنامة، ص ٦٤.

(٢) أمين الحلواني: المصدر السابق، ص ١٠٥، أحمد دحلان: المصدر السابق، ص ٣١٣.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/ ٨٠ .

(٤) قدري قلعجي: عودة البطل، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.ن، ص٢.

(٥) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/ ١٠٧، ١٢٩.

(٦) مقبل الذكير : العقود الدرية...، ورقة ٧١ .

(٧) منير العجلاني: عهد الإمام فيصل بن تركي...، ص ٩٩ .

أنه قد بقي في سجن القلعة منذ وصوله إلى القاهرة حتى لحظة خروجه من مصر، وأن البعض كانوا يأتون لزيارته في سجنه، وعلى رأسهم عباس باشا حفيد محمد علي باشا والذي توطدت علاقته به منذ ذلك الحين، وأياً كان الأمر فإن الإمام فيصل بن تركي قد بقي محتجزاً في مصر، مجبراً على الإقامة فيها، مدة تقارب أربع سنوات وثلاثة أشهر إلى حين عودته إلى نجد في صفر سنة ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م[١].

وتختلف الروايات التاريخية في طريقة خروجه من سجنه بمصر، وحسبما تذكره المصادر وماتطرق إليه الباحثون يمكن تقسيم تلك الروايات تبعاً للمتسبب بعملية خروجه إلى أربعة أقسام هي:

القسم الأول:

رواية تجعل عملية الخروج من السجن عملاً فردياً ومغامرة جريئة قام بها الإمام فيصل بن تركي حين أقدم على مغامرة كبيرة ونزل من فرجة عالية إلى الأرض بواسطة الحبال، ثم استقل الجمال التي كان قد اتفق مع أصحابها للهروب به إلى الجزيرة العربية دون أن تتمكن قوات محمد علي باشا من الإمساك به[٢] نظراً لأن خبر هروبه لم ينتشر إلا بعد يومين، ولم تجد محاولات إبراهيم باشا بإرسال فرقة للبحث عنه برئاسة عباس باشا [٣] فتمكن من الوصول إلى نجد سالماً، غير أن تلك الرواية يمكن مناقشتها من عدة جوانب؛ فكما هو معروف فإن الخروج من سجن محمد علي باشا أمر لن يتم بسهولة، وبجهود ذاتية من قبل الإمام فيصل، خاصة مع ماذكره ابن بشر نفسه من شدة الحراسة عليه، وإذا كان نزوله بواسطة الحبال فمن أين حصل عليها الإمام فيصل داخل السجن، كما أن اكتشاف أمر هروبه لن يستغرق يومين دون أن يعرف خاصة أنه شخصية

---

(١) محمد الفاخري: المصدر السابق، ص ١٧٧ .

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٢٩/٢، أمين الحلواني: المصدر السابق، ص ١٠٥، عبد الرحمن ابن ناصر: المرجع السابق، ورقة ١٦. ويذكر ضاري الرشيد: المرجع السابق، ص ٣٤، أن الإمام فيصل ركب مع أعرابيين حملاه ليلاً من مصر، بينما يذكر محمد الأحسائي: المرجع السابق ١٥٦/١ أنه حمل بواسطة بعض تجار الإبل.

(٣) أحمد دحلان: المصدر السابق، ص ٣١٣. عبد الله محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٧٧، مقبل الذكير: العقود الدرية...، ورقة ٧١. Winder: op.cit. p. 142 .

سياسية بارزة كلف القبض عليها محمد علي باشا الكثير من الوقت والجهد والمال وهو بالتالي مايجعل التفريط بها أمر مستبعد تماماً، كما أنه لم يكن لوحده في عملية الهرب إذ كان معه مالايقل عن أربعة رجال[١].

القسم الثاني:

رواية تسند عملية هروب الإمام فيصل بن تركي إلى المسؤولين في السجن وعلى رأسهم شخص يدعى "مصطفى" كان قد أعجب بشخصية الإمام فيصل فقرر مساعدته وتخليصه من سجنه، فزوده بمنشار لقص قضبان النافذة الحديدية، وحبل للنزول إلى الأرض، وقد تمت عملية إزالة القضبان خلال مدة زمنية طويلة من أجل عدم لفت الانتباه إليها، ثم جرى الاتفاق على نزول الإمام فيصل بالحبال في موعد محدد في وقت تنتظره عدد من البغال في إحدى ضواحي القاهرة لإخراجه من مصر، فخرج هو ومن معه بزي تجار يمنيين برفقة مصطفى نفسه الذي أوصلهم إلى خارج حدود القاهرة حيث تم نقلهم إلى الجزيرة العربية [٢].

وهذه الرواية تحمل جانباً إيجابياً وهو وجود مساعدة للإمام فيصل من شخصية أخرى داخل السجن هي شخصية مصطفى السجان.

وعلى أية حال فإن هذه الرواية تشابه إلى حد كبير سابقتها من حيث الطريقة التي نفذت بها عملية الهرب وهو النزول بالحبال ثم الهروب بواسطة الدواب.

القسم الثالث:

رواية تسند عملية الهرب إلى حكومة محمد علي باشا نفسه؛ وهذه الرواية من شقين: أولهما أن محمد علي باشا نفسه قد سمح بخروج الإمام فيصل بن تركي من سجنه

---

(١) ويذهب محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص١٤٠ إلى أن إيراد ابن بشر لتلك الرواية يعود لرغبته بتأكيد ماذكره عن كثرة الخوارق التي تمتع بها الإمام فيصل بن تركي، ويستبعد هذه الرواية لاستحالة هروب أسرة الإمام فيصل معه بنفس الطريقة خاصة زوجاته وبناته، ويشاركه في ذلك الرأي عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص١٠٤.
لكن الوثائق العثمانية الغير منشورة تؤكد أن أسرة الإمام فيصل بن تركي لم تكن معه في عملية الهرب، بل بقيت في مصر فترة من الزمن حتى سمح لها باللحاق به.
Gevdet - dahiliye: No.1986. Thrihi:11-7-1259.

(٢) قدري قلعجي: المرجع السابق، ص ص ٨-١٥ .

وعودته إلى نجد[١]، وذلك بعد أن تحطمت أحلامه وآماله التوسعية، فهو لن يخسر شيئاً بعودة الإمام فيصل إلى الحكم في نجد، إذ أنه لن يمده بسلاح أو رجال رغم الخدمة التي سيسديها الإمام فيصل لحكومة محمد علي باشا بإزاحة عبد الله بن ثنيان عن الحكم باعتباره خصماً عنيداً لحكومة محمد علي باشا بعد أن تمكن من طرد بقايا قواتها التي كانت تساند خالد بن سعود، خاصة أن معاملة ابن ثنيان لتلك القوات اتسمت بالقسوة[٢]، كما أن محمد علي باشا أراد إسداء المعروف للإمام فيصل بن تركي ليكسبه إلى جانبه ويستفيد منه كخصم للعثمانيين [٣] الذين كانوا خلف تحطيم أحلامه، هذا بالإضافة إلى أن بقاء الإمام فيصل في مصر لن يقدم شيئاً لحكومة محمد علي باشا بل كان يكلفها أعباء مادية، بما يخصص له من مرتبات مالية [٤] لاداعي لها، ومما يقوي هذه الرواية أن عودة الإمام فيصل بن تركي من مصر قد جاءت خلال فترة حكم محمد علي باشا نفسه والتي استمرت حتى سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م[٥].

أما الشق الآخر من الرواية فيرى أن هروبه لم يتم بدعم محمد علي باشا نفسه بل بدعم حفيده المقرب له عباس باشا، ويعلل أصحاب هذا القول إقدام عباس باشا على ذلك بإعجابه بالإمام فيصل وشخصيته وتقارب آرائهما بشكل اتضح إبان تردد عباس باشا لزيارته في سجنه[٦]، إضافة إلى حسن علاقته مع الإمام فيصل بعد توليهما السلطة

---

(١) أمين الريحاني: المرجع السابق، ص ٩٥، جاكلين بيرين: المرجع السابق، ص ٢٧٣، الكسي فاسيلييف: المرجع السابق، ص ٢٣١.

(٢) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة..، ٢٥٨/١، عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ١٠٦.

(٣) الكسي فاسيلييف: المرجع السابق، ص ٢٣١، جاكلين بيرين: المرجع السابق، ص ٢٧٣، جمال زكريا قاسم: الدوافع السياسية..، ص ١٧.

(٤) ديوان خديوي: دفتر (٧٣١) وثيقة (٤٣٣) رسالة من الديوان الخديوي إلى الخزينة دار بشأن قطع مرتب فيصل بن تركي الذي هرب من مصر.

(٥) عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ١٠٥-١٠٦ .

(٦) أحمد دحلان: المصدر السابق، ص ٣١٢. عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق..، ورقة ٢٧٦-٢٧٧. حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ط١، د.م.ن، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م، ص٢٦١. محمد جلال كشك: المرجع السابق، ص١٩٩-٢٠٠.=

في بلديهما[١]،وأبرز مايؤيد تلك الرواية مـاورد علـى لسـان حفيـد الإمـام فيصـل الأمـير مساعد بن عبد الرحمن من أن الإمام فيصل كان يهدي الخيول إلى عباس باشا ويقول عنه "هذا صديقنا... وساعدنا على الخروج من مصر..." [٢].

وتتجه الرواية إلى نفس اتجاه سابقتيها في طريقة الخروج من سجن القلعة بـالتواطؤ مع أحد الحراس ثم استقلال الدواب هرباً إلى نجد [٣].

وسواء كان المساعد على الهرب محمد علي باشـا نفسـه أو عبـاس باشـا فـإن مـن المؤكد أن حكومة محمد علي باشا لم تعد تأبه لمن سيحكم نجـد في ظـل انحسـار سـلطات والي مصر، وإن كان من المفيد لها إطلاق سراح الإمام فيصل وتوليته بدلاً من ابن ثنيان.

القسم الرابع:

روايـة تسند عمليـة الهـرب إلى طـرف آخـر وهـي بريطانيا، حيـث عمـل المقيـم البريطاني في الخيلج العربي هنل Hennell وبدعم من حكومة الهند على الاتصال بمحمـد علي باشا وحثه على إطلاق سراح الإمام فيصل بن تركي ليعود للحكم في نجد بـدلاً مـن ابن ثنيان الذي أقلقت تحركاته البريطانيين، في وقت عبر هنل عن ثقته بـأن الإمـام فيصـل سيكتفي بنجد ولن يتعرض للوجود البريطاني في الخليج العربي[٤].

والجديد الذي يخرج به الباحث أن جميع الروايات السابقة قد أغفلت طرفـاً مهمـاً في القضية ألا وهو الجانب العثماني الطرف المعني بالأمر، باعتبار مصر المقر الحالي للإمام

= ويضيف أحمد دحلان وعبد الله بن محمد البسام وكذلك مقبل الذكير: العقـود الدريـة...، ورقـة ٧١ أن فيصلاً قد وعد عباس باشا أثناء زيارته له في السجن بالعمل على إبعاد عبد الله بـن ثنيـان من حكم نجد وإعلان ولائه لحكومة مصر، وقد يكون الإمام فيصل حاول الاستفادة من مساعدة عباس باشا فأعطاه ذلك الوعد، دون أن يعمل على تنفيذه مستقبلاً؛ خاصة أنه يدرك أن حكومة محمد علي باشا لم يعد لها من الهيبة مايجبره على تنفيذ شيء من ذلك.

(١) لويس بلي. رحلة إلى الرياض. ترجمـة وتحقيـق عبـد الرحمـن الشيخ وعويضـة الجهـني. الريـاض: جامعة الملك سعود، ١٤١١هـ، ص ٧٩، ٨٦.

(٢) محمد جلال كشك: المرجع السابق، ص ٢٠٠ .

(٣) أحمد دحلان: المصدر السابق، ص ٣١٣.

(٤) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: صراع الأمراء، ص ٢١٤، عبد العزيز عبد الغـني إبراهيـم: نجديـون وراء الحدود...، ص ٢١٤-٢١٥، محمد العيدروس: تاريخ الخليج العربـي. ط١، القـاهرة: عـين للدراسات والبحوث، ١٩٩٦م، ص١٦٢.

فيصل بن تركي أصبحت تابعة للدولة العثمانية منذ عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م، لذا فمن المؤكد أن وجهة النظر العثمانية كانت هي العامل المؤثر في إخراج الإمام فيصل بن تركي من سجنه كما تبين ذلك بعض الوثائق الغير منشورة، والتي كشفت النقاب عن اتصالات أجراها الإمام فيصل بن تركي في سجنه بمصر مع الوالي العثماني في الحجاز عثمان باشا الذي اتخذ سياسة تقوم على إخراج الإمام فيصل من سجنه بمصر وعمل على تنفيذ ذلك بشتى السبل[١].

وقد أرسل الإمام فيصل رسالة إلى عثمان باشا طالباً منه التوسط لدى السلطان العثماني لإخراجه مع أسرته من سجنه، ونقله إلى الجزيرة العربية، وتحديداً إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة، وإن سمح له بالذهاب إلى نجد وتولي السلطة فيها فهذا مايتمناه، ووعد ببذل جهده لإبراز الولاء للسلطان العثماني[٢]، كما عرض موافقته على إبقاء أقاربه كرهائن في مصر، غير أن عثمان باشا حاول التريث في الرد على الرسالة، لأنه سبق أن أعلن عن دعمه لابن ثنيان كحاكم لنجد، كما أنه رأى أن عودة الإمام فيصل إلى نجد ستثير ابن ثنيان فيقوم بالعصيان ضد الدولة العثمانية التي ستتكلف الكثير من أجل إنهاء عصيانه، ولم يلبث الإمام فيصل أن أرسل رسالة أخرى إلى عثمان باشا حول نفس مضمون سابقتها، فما كان من عثمان باشا إلا عرض الأمر على الصدر الأعظم تمهيداً لعرضه على السلطان العثماني، وقد أبدى عثمان باشا رغبته بإخراج الإمام فيصل من سجنه وتعيينه حاكماً على نجد لأنه على دراية بعشائرها وسيتمكن من إخضاعهم، كما أنه عاش في مصر واكتسب شيئاً من حضارتها، وفي نفس الوقت عرض عثمان باشا إبقاء

---

(١) جعل العثمانيون فكرة إخراج الإمام فيصل من سجنه نصب أعينهم منذ عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م حيث كان السلطان العثماني يرى إرساله إلى الأستانة ليقيم هناك، ولعل ذلك بهدف إبعاده عن تأثير محمد علي باشا ودولته واستخدامه كأداة له في الجزيرة العربية، إلا أن عثمان باشا والي جدة اقترح في بداية الأمر إبقاءه في مصر أو إحضاره للإقامة في الحجاز لاستخدامه كورقة ضغط على خالد بن سعود أمير نجد آنذاك، وأخيراً تم الاتفاق على إبقائه مزيداً من الوقت في سجنه بمصر، لأن خالد بن سعود بحاجة إلى الاطمئنان وإزالة الخوف عنه كي يعمل على تنظيم الأمور بشكل جيد في نجد:

I-Mesaili - Muhi No. 2430.D. Tarihi: 1257.

I-Mesaili - Muhi No. 2431.F-J. Tarihi: 1257.

(٢) I-Mesaili - Muhi No. 1798.C. Tarihi: 23-3-1258

أقاربه كرهائن في جدة، وبدا من خطاب عثمان باشا إصراره على تعيين الإمام فيصل حاكماً على نجد حتى لو تم إرساله دون تزويده بجنود أو مصاريف[١]، ولعل هذا الموقف من عثمان باشا جاء بعد أن اتضح له أن ابن ثنيان ليس الشخص المناسب لحكم نجد وأنه لن يخضع فعلياً للعثمانيين.

وقد وافق السلطان العثماني في بداية الأمر على اقتراح عثمان باشا بإخراج الإمام فيصل من سجنه بمصر وتعيينه حاكماً على نجد، غير أنه لم يلبث أن غير رأيه وقرر إبقاء ابن ثنيان في منصبه لأنه أظهر الطاعة، ولأن إبعاده وتعيين الإمام فيصل سيثير القبائل في نجد[٢]، وفي نفس الوقت حث السلطان العثماني والي جدة عثمان باشا على مماطلة الإمام فيصل والتسويف معه في أمر إخراجه من سجنه [٣].

والمتتبع لرسائل عثمان باشا يلاحظ اهتماماً غير عادي في أمر الإمام فيصل ابن تركي وخروجه من سجنه، بل إن رسائله تلك قد أعطت تفصيلات لعملية خروجه من السجن وتوقيتها؛ حيث بين أنه فر من سجنه في القلعة في ظلمة الليل بحيلة بارعة، كما أبدى حماساً كبيراً في متابعة أخباره، وأصر على تعيينه أميراً على نجد[٤]، الأمر الذي يجعلنا نعتقد أن عثمان باشا قد لعب دوراً في عملية خروجه من السجن سواء بالتنسيق مع عباس باشا أو مع محمد علي باشا نفسه، إذ أن الإمام فيصل نفسه ذكر عند قدومه من مصر أنه جاء بترخيص من والي مصر[٥]، لأن السلطان العثماني رفض فكرة إخراجه من السجن بشكل رسمي كما أكدت الوثائق[٦].

ومن هنا فإن مايستخلص من الروايات السابقة يؤكد أن الإمام فيصل بن تركي قد خرج من سجنه بمصر فراراً وبمساعدة من بعض الأطراف المعنية سواء من الدولة

---

(١) I-Mesaili - Muhi No. 1798.D. Tarihi: 24-6-1258.

(٢) I-Mesaili - Muhi No. 1798.E.

(٣) I-Mesaili - Muhi No. 1799.D.

(٤) I-Mesaili - Muhi No. 2433.A. Tarihi: 7-2-1259.
؛ Gevdet - dahiliye: No.1986. Thrihi:11-7-1259.

(٥) I-Mesaili - Muhi No. 2433.B. Tarihi: 15-3-1259.

(٦) I-Mesaili - Muhi No. 1798.E.

العثمانية أو من حكومة محمد علي باشا التي لم تعد مهتمة بأمر سجنه، بل إن خروجه أصبح أفضل لها من بقائه بمصر، وهو ماأكده الإمام فيصل حين وصل جبل شمر فأعلن أن خروجه من مصر كان بموافقة محمد علي باشا نفسه(١)، إضافة إلى أن الوالي العثماني في جدة عثمان باشا ألح كثيراً على السلطان العثماني في أمر إخراجه من سجنه وتعيينه أميراً على نجد لأسباب أوضحها في رسائله، فجاء خروجه بمساعدة مباشرة من أطراف أخرى سواء داخل السجن أم خارجه، وبمغامرة جريئة من قبل الإمام فيصل نفسه، إذ تتفق معظم الروايات التاريخية على طريقة هروبه وأنه نزل بالحبال ثم هرب بواسطة الدواب عائداً من مصر إلى الجزيرة العربية.

ولقد استمرت متابعة الدولة العثمانية لعملية هروب الإمام فيصل بن تركي منذ خروجه من سجنه حتى توليه إمارة نجد وإبعاد عبد الله بن ثنيان عنها بدعم ومساندة من أمير جبل شمر عبد الله بن رشيد، فبمجرد خروج الإمام فيصل من سجنه أرسل عثمان باشا رسالة إلى الصدر الأعظم يبلغه بالأمر، في الوقت الذي حاول انتهاز الفرصة ليعيد طلبه السابق بتعيينه أميراً على نجد، مبيناً بعض المزايا التي يتمتع بها عن غيره ومن أهمها قوته وهيبته بين القبائل، وحب الأهالي له، إضافة إلى علاقاته الحسنة بوالي بغداد العثماني علي رضا مما يدفعه لإدارة نجد بمقتضى تبعيته للدولة العثمانية(٢).

ومن الواضح أن الإمام فيصل بن تركي كان مدركاً لرغبة عثمان باشا بتعيينه أميراً على نجد، فحين وصوله إلى جبل شمر قام بإرسال رسالة إلى عثمان باشا أبلغه فيها بطريقة خروجه من سجنه، وأنه سيأتي إلى المدينة المنورة للالتقاء به وسيصحب معه عبيد

---

(١) I-Mesaili - Muhi No. 2433. B.

(٢) وقد ذهب بعض المؤرخين إلى القول أن الإمام فيصل اتجه إلى الشام ومنها عاد إلى جبل شمر، محمد الأحسائي: المرجع السابق ١/١٥٦ ومنير العجلاني: عهد الإمام فيصل بن تركي...، ص١٠١.
أما والي جدة العثماني عثمان باشا فقد توقع في بداية الأمر أن يتوجه الإمام فيصل إلى الشام للالتقاء بوالي العراق علي رضا، لكنه تأكد بعد ذلك أن الإمام فيصل توجه مباشرة إلى جبل شمر.
I-Mesaili - Muhi No. 2433. A.
I-Mesaili - Muhi No. 2433. B.

عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/١٢٩ .

ابن رشيد وذلك لمناقشة أمر تعيينه أميراً على نجد وسيكتب تعهداً من قبله بخدمة الدولة العثمانية[١].

مما يعني أن الإمام فيصل حاول الحصول على الدعم والتأييد العثماني قبل منازلة ابن ثنيان، كي يأمن غضب العثمانيين، وحتى لايتهم بأنه هاجم الأمير العثماني في نجد، وعلى أية حال فإن عثمان باشا أرسل من جديد إلى الصدارة في الأستانة عارضاً ماورد في رسالة الإمام فيصل إليه، ومؤيداً تعيينه أميراً على نجد لخبرته في هذا المجال وحب الأهالي له، كما ذكر عثمان باشا أن أمير مكة محمد بن عون يشاركه الرأي في هذا الأمر، ويقترح إحضار بقية أسرة الإمام فيصل إلى الحجاز لضمان موقفه وعدم انقلابه على العثمانيين[٢]، وقد توجه عثمان باشا إلى المدينة المنورة ليكون على مقربة من الأحداث الدائرة في جبل شمر[٣]، وحينذاك أتت الأخبار من مصر بأن محمد علي باشا قد سمح لبقية أسرة الإمام فيصل بن تركي بالخروج من مصر واللحاق بوالدهم، وأنهم بالفعل قد بدؤوا التحرك لمغادرة مصر[٤]، ولذا فإن السلطات العثمانية في الأستانة جددت الاقتراح السابق بإرسالهم إلى العاصمة العثمانية بدلاً من الحجاز، غير أن ذلك الأمر ربط بموافقة عثمان باشا الذي أحيلت له قضية الإمام فيصل برمتها، فرأى إبقاء الأسرة في الحجاز[٥]، ووصلت الأسرة إلى الحجاز عن طريق ينبع ومنها اتجه بعضها إلى نجد، بينما بقيت زوجة الإمام فيصل مع بعض أقاربها في الحجاز، وخصص لهم عثمان باشا قصراً لإقامتهم، وحين علم الإمام فيصل بذلك أدرك أن السلطات العثمانية تسعى لإبقائهم كرهائن، لذا

---

(١) I-Mesaili - Muhi No. 2433.B. Tarihi: 15-3-1259.

(٢) I-Mesaili - Muhi No. 2433.B. Tarihi: 15-3-1259.

(٣) I-Mesaili - Muhi No. 2433.C.

(٤) وقد كانت الأخبار التي وصلت عثمان باشا عن خروج أسرة الإمام فيصل بن تركي من مصر في رسالة بعثها عبد المحسن بن إبراهيم بن مشاري آل سعود الذي طلب في رسالته تلك التوسط لدى محمد علي باشا لإطلاق سراحه هو وبقية أسرته وأتباعه، لأنه لم يبق سواهم في مصر بعد خروج أسرة الإمام فيصل، وبالفعل تم السماح لهم بالخروج والعودة إلى بلادهم.

I-Mesaili - Muhi No. 2433. D. Tarihi: 5-5-1259.

؛ Gevdet- Dahiliye. No. 1986. Tarihi:11-7-1259.

(٥) I-Mesaili - Muhi No. 2433.C.

أرسل حوالي عشرة رجال من أتباعه لإحضارهم من المدينة المنورة دون علم عثمان باشا، وحين وصل الرجال إلى المدينة علموا أن زوجة الإمام فيصل ومن معها انتقلوا للإقامة في القصر المخصص لهم في جدة، فلحقوا بهم لإحضارهم، غير أن عثمان باشا قرر إبقاءهم في جدة حتى يتأكد من حقيقة موقف الإمام فيصل بن تركي وعدم تغيره بعد أن يستولي على السلطة في نجد(١).

وقد اتخذ الإمام فيصل بن تركي من جبل شمر منطلقاً له لاستعادة سلطته حيث حظي بدعم أميرها عبدالله بن رشيد، ومن ثم بدأ اتصالاته ببلدان القصيم فكسب تأييد بلدة عنيزة وتقدم بقواته إليها بعد أن فشل عبد الله بن ثنيان في منعه من ذلك، وكان لذلك أثر كبير في تزايد أنصاره، لينتقل مع مطلع شهر ربيع الأول ١٢٥٩هـ إلى الوشم في طريقه إلى الرياض، وفي الوشم تلقى مبايعة الكثير من أمراء بلدان وقبائل نجد مما جعل ابن ثنيان يتراجع إلى الرياض، ولم تجد محاولاته لعقد الصلح مع الإمام فيصل الذي تمكن من حصاره والقبض عليه وسجنه، وبذلك استعاد الإمام فيصل بن تركي سلطته على نجد من جديد، ثم بادر بإرسال قواته لاستعادة الأحساء وضمها إلى دولته(٢)، وبذلك بدأت فترة حكم الإمام فيصل الثانية التي استمرت لما يقارب ثلاثة وعشرين عاماً، ولاشك أن تأييد الأهالي والأمراء والتفافهم حوله منذ وصوله إلى جبل شمر كان السبب الرئيسي في تحقيق الانتصار على ابن ثنيان الذي عانى الأهالي من قسوته وشدته(٣).

وبعد أن تمكن الإمام فيصل بن تركي من استعادة حكمه أدرك أن عليه أن يكسب تأييد عثمان باشا من جديد بعد أن بدأت شكوك ذلك الوالي تظهر مخافة عدم صدق الإمام فيصل فيما عرضه سابقاً من استعداده في إعلان الولاء للدولة العثمانية،

---

(١) Gevdet- Dahiliye. No. 1986. Tarihi:11-7-1259.

وبالفعل كانت عودتهم إلى نجد بعد أن تمكن الإمام فيصل من التخلص من ابن ثنيان واستعادة الحكم في نجد فأرسلهم عثمان باشا إليه مع بعض أتباعه.

I-Mesaili - Muhi No. 2437. Tarihi: 15-2-1260.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٢٩/٢-١٣٤ ، ويفيد هذا المصدر أن ابن ثنيان مات في سجنه يوم الجمعة ١٥ جمادى الآخرة ١٢٥٩هـ، يونيو ١٨٤٣م.

(٣) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢٦٥/١.

وكان ممازاد من تلك الشكوك تجاهل الإمام فيصل بن تركي الرد على رسالة أرسلها عثمان باشا إليه إبان نزاعه مع ابن ثنيان[١].

والواقع أن انشغال الإمام فيصل باستعادة حكمه كان هو السبب في عدم الرد على تلك الرسالة، لكنه بادر بإرسال رسالة إلى عثمان باشا بتاريخ ١٩ ذي الحجة يبلغه فيها أنه لايزال على استعداد لخدمة الدولة العثمانية وإعلان الولاء لها، ويطلب في نفس الوقت بذل المساعي لتنصيبه أميراً على نجد بشكل رسمي من قبل السلطان العثماني [٢]، ثم أرسل الأمير أحمد السديري إلى جدة للتفاهم مع عثمان باشا حول هذا الموضوع[٣]، وإزاء ذلك وافق عثمان باشا على عرض الأمر على الصدارة مع التوصية بتعيينه أميراً على نجد في الوقت الذي تغير فيه موقف أمير مكة محمد بن عون الذي رأى إعادة خالد ابن سعود للإمارة بدلاً من الإمام فيصل بن تركي، في حين حذر عثمان باشا من أن مجابهة الإمام فيصل ستكلف الدولة العثمانية مايقارب ثمانمائة جندي وكثير من الأموال والأسلحة للقضاء عليه فيجب صرف النظر عن ذلك، وتأكيداً للثقة قام عثمان باشا بإرسال زوجة الإمام فيصل وأقاربها إلى الرياض برفقة الأمير أحمد السديري[٤]، وفي ١٥ صفر ١٢٦٠هـ أرسل عثمان باشا مجدداً إلى الصدارة طالباً إرسال الخلعة للإمام فيصل وأمر بتعيينه أميراً على نجد مع صرف النظر عن تعيين خالد بن سعود[٥].

وحين عرض الصدر الأعظم الموضوع على السلطان العثماني بين وجهة نظره المتضمنة أن تعيين خالد بن سعود على إمارة نجد حسب اقتراح ابن عون أمر سيكلف الكثير من الجهد والمال والرجال، وإن كان ذلك التعيين أمراً مستحسناً، ليبقى الحل البديل هو تعيين الإمام فيصل أميراً على نجد وبشكل رسمي، وعند موافقة السلطان عليه تتخذ الإجراءات اللازمة بالتنسيق مع والي جدة [٦].

---

(١) Gevdet- Dahiliye. No. 1986.

(٢) I-Mesaili - Muhi No. 2437. B.

(٣) I-Mesaili - Muhi No. 2437. A.

(٤) I-Mesaili - Muhi No. 2437. E.

(٥) I-Mesaili - Muhi No. 2437. F.

(٦) I-Mesaili - Muh No. 2439. A.

غير أن السلطان العثماني تأخر باتخاذ قراره حيال ذلك الأمر رغم عرضه على دار الشورى العسكرية(١)، مما أثار قلق عثمان باشا من حدوث ثورات في نجد لعدم تعيين أمير رسمي فيها، لذا أرسل من جديد إلى الصدارة بتاريخ ١٥ محرم ١٢٦١هـ طالباً اتخاذ قرار بحسم الموضوع، وفي نفس الوقت يخبر السلطان العثماني أن فيصل بن تركي قد اتخذ الخطوات التي تثبت ولاءه للدولة العثمانية حينما أرسل مبلغ ألفي ريال إلى جدة، ثم أتبعها بألف ريال أخرى أرسلها مع حجاج نجد، كما أرسل إلى أمير مكة بعض الخيول والجمال، وأرسل زكاة نجد إلى حكومة الحجاز، طالباً إرسال خلعته وأمر تعيينه، وعندئذ اقترح عثمان باشا أن يقدم فيصل مبلغاً يتراوح مابين خمسة وعشرة الآف ريال سنوياً مقابل إرسال الخلعة وإصدار فرمان تعيينه أميراً على نجد، ومن جديد حاول عثمان باشا في نفس الرسالة إيضاح الصعوبات المترتبة على مجابهة الإمام فيصل، وأن ذلك الأمر يحتاج إلى مالايقل عن ألفي جندي مزودين بأرزاقهم لمدة سنة، وليس ثمانمائة جندي كما سبق أن ذكر، ولاشك أن توفير هذا العدد أمر في غاية الصعوبة خاصة أن جلب أولئك الجنود من الشام سيجعلهم عرضة للإعياء قبل قيامهم بتنفيذ أي شيء لمجابهة الإمام فيصل، وأن الجنود الموجودين في الحجاز غير مؤهلين للقيام بتلك المهمة، ولاشك أن عثمان باشا هنا يحاول إلغاء تلك الفكرة نهائياً، ويعمل لتعيين الإمام فيصل أميراً على نجد لأنه لن يخرج على الدولة العثمانية(٢)، وأخيراً أصدر السلطان العثماني أمره بتعيين الإمام فيصل بن تركي حاكماً على نجد من قبل الدولة العثمانية (٣).

والملاحظ أنه على الرغم من تحسن علاقة الإمام فيصل بن تركي بالدولة العثمانية منذ حملتي إسماعيل بك وخورشيد باشا ضد الدولة السعودية الثانية إلا أن السلطان العثماني تلكأ في اتخاذ قراره بتعيينه أميراً على نجد رغم محاولات والي جدة عثمان باشا

---

(١) I-Mesaili - Muh No. 2437. H.
؛ Gevdet - Dahiliye: No.2235. Tahrihi: 8-6-1260.
(٢) I-Mesaili - Muh: No. 2439. B. Tarihi: 15-1-1261.
؛ I-Mesaili - Muh: No. 2439. C. Tarihi: 15-1-1261.
(٣) I-Mesaili - Muh: No. 1800. A. Tarihi: 13-6-1262.
؛ أوامر: دفتر (١٩١٠) وثيقة (٤). أمر كريم إلى فيصل بن تركي أمير نجد.

المضنية، وإيضاحه للمزايا التي يتمتع بها الإمام فيصل من حسن الإدارة وحب الناس والإلمام السياسي والروابط الحسنة مع الدولة العثمانية، ومن المرجح أن السلطان العثماني لم يرغب بإثارة ابن ثنيان الذي سبق أن صدر مرسوماً بتعيينه أميراً على نجد، وفي نفس الوقت كان يخشى عدم تمكن الإمام فيصل من السيطرة على الأوضاع هناك، ولعل ثمة سبباً آخر يتمثل بخشيته من أن هناك اتفاقاً بين الإمام فيصل ووالي مصر محمد علي باشا للتعاون فيما بينهما حين يعود للسلطة في نجد، على أن هناك سبب مهم لتأخر السلطان باتخاذ قراره يرتبط بموقف أمير مكة محمد بن عون الذي عارض عثمان باشا كثيراً في أمر تعيين الإمام فيصل، وكان يصر على تعيين خالد بن سعود بدلاً منه(١)، وفي نفس الوقت يرى ضرورة قتال الإمام فيصل بن تركي(٢)، ويحرض السلطان العثماني على ذلك، وقد بين ابن عون للسلطان أن فيصلاً لزم السكوت في البداية حتى يتمكن من تقوية نفسه، وخلافاً لما أبداه عثمان باشا فإن ابن عون زعم أن كثيراً من أهل نجد قد اشتكوا من الإمام فيصل وطلبوا إزاحته عنهم، وحذر من أن بقاءه في السلطة وتعيينه رسمياً سيؤدي إلى سلب راحة الحجاج واضطراب أمنهم، وعلى العكس تماماً من عثمان باشا فإن ابن عون أبلغ السلطان العثماني أن القضاء على الإمام فيصل لايحتاج لأكثر من خمسمائة جندي يتم تجهيزهم من الحجاز ليتسنى بعد ذلك طرده والسيطرة على نجد والأحساء(٣).

ولم يقف الأمر بابن عون عند هذا الحد بل إنه أوعز لبعض أعيان الحجاز بالكتابة إلى السلطان العثماني يحذرونه من الإمام فيصل، ويقترحون تقسيم نجد إلى عدة أقسام، بحيث تكون جبل شمر لابن رشيد وتلحق بالمدينة المنورة وتحال أمارة القصيم إلى خالد ابن سعود ليقتصر بذلك حكم الإمام فيصل على العارض والأحساء فتضعف قوته، ولتنشب النزاعات العسكرية بين تلك الأقسام الثلاثة فتتفرق كلمة أهلها، غير أن معارضة عثمان باشا للفكرة جعلها بعيدة عن التنفيذ (٤).

---

(١) I-Mesaili - Muh: No. 2437. E.

(٢) I-Mesaili - Muh: No. 2439. B.

(٣) I-Mesaili - Muh: No. 2437. D.

(٤) I-Mesaili - Muh: No. 1800. B.C.

ولم يقتصر هذا الموقف على محمد بن عون بل إن الصدر الأعظم نفسه كان يرى عدم تعيين فيصل بن تركي أميراً في نجد[١]، ولاشك أن مكانة الصدر الأعظم الكبيرة تجعل السلطان يضع لرأيه اعتباراً كبيراً باعتباره الرجل الثاني في الدولة العثمانية.

وعلى الرغم من تعيين الإمام فيصل بن تركي حاكماً على نجد من قبل السلطان العثماني إلا أن ذلك لايعني تبعيته المطلقة للدولة العثمانية بل كان يحكم حكماً مستقلاً بعيداً عن أي تأثير عثماني على الشؤون الداخلية في دولته[٢]، وإن حاول الاستفادة من ارتباطه الاسمي بالدولة العثمانية لدفع عداء بعض الأطراف الأخرى عن أملاكه[٣] التي تمكن من استعادتها، بعد أن بذل جهوداً كبيرة منذ خروجه من سجنه بمصر مروراً بجمع الأنصار والتحرك إلى الرياض وحتى توج جهوده بالسيطرة على نجد والأحساء، وظفر بتأييد السلطان العثماني وواليه في جدة ليبدأ مسيرته من جديد في بناء الدولة السعودية الثانية رغم وجود المناوئين لها في الداخل والخارج.

---

(١) I-Mesaili - Muh: No. 2439. B.

(٢) محمود منسي: المرجع السابق، ص ٢٠٦ .

(٣) عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ١٨٧. وقد أعلن الإمام فيصل للبريطانيين أكثر من مرة أنه تابع للحكومة العثمانية، وهو بهذا الاعتراف يعمل بمقتضى مصلحته، وفي نفس الوقت فإن الدولة العثمانية أكدت تبعيته لها وذلك حينما احتجت على الاعتداءات البريطانية ضد أراضي تابعة للإمام فيصل سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م. ج.ج. لوريمر: المرجع السابق، ٣/١٦٥٤-١٦٥٥.
كما سعت الدولة العثمانية لدى السلطات البريطانية لتسهيل استعادة الإمام فيصل لبعض أراضيه في سواحل الخليج العربي. جون كيلي: المرجع السابق، ص ٧٩-٨٠.
غير أن اعتراف الإمام فيصل بتبعيته للعثمانيين كان نابعاً من حرصه الشديد على حماية أراضيه من البريطانيين، لذا فإنه وفي الفترة الأخيرة من حكمه الذي استتب كان يعلن قوته واستقلاليته فأكد للموفد البريطاني لويس بلي استقلاله عن العثمانيين، وأن أملاكه تلك لافضل لأحد في منحها له، وأن الفضل يعود لله وحده. لويس بلي: المصدر السابق، ص ٧٧.

*** موقف أمراء الحجاز من الدولة السعودية الثانية :**

اتضح من خلال الحديث السابق عن عودة الإمام فيصل بن تركي من سجنه بمصر وتوليه الحكم في نجد عدم رضا أمير مكة محمد بن عون عما حدث، وعلى الرغم من أن والي جدة العثماني عثمان باشا كان يساند الإمام فيصل ويسعى لاستصدار أمر تعيينه من قبل السلطات العثمانية إلا أن ابن عون كان يخالفه في هذا التوجه، ولذا فليس من المستغرب أن تتوتر العلاقات بين الحجاز والدولة السعودية الثانية خلال تلك الحقبة، خاصة لما للحجاز من أهمية دينية لدى العثمانيين، كما أنها غدت نقطة الاتصال بين الجانب السعودي والجانب العثماني الذي ركز على تحقيق المكاسب المادية من نجد، وحرص ابن عون لضمان تلك المكاسب بأي وسيلة ممكنة دون اهتمام بتحسين علاقاته مع الدولة السعودية الثانية.

وعلى الرغم من المسلك السلمي للإمام فيصل وإعلانه الولاء للدولة العثمانية رغبة بتحقيق الهدوء لدولته، والعمل على بنائها من جديد جراء ماأصابها من دمار إبان حملتي اسماعيل بك وخورشيد باشا، إلا أن الصدام بينه وبين ممثل الحكم العثماني في الحجاز أصبح أمراً محتماً في ظل تضارب الأهداف والطموحات(١).

ومن هنا جاءت بعض الأحداث كنقطة حاسمة في تاريخ العلاقات بين الجانبين ومن أبرزها حملة أمير مكة محمد بن عون على نجد سنة ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م وماتلاها من استمرار النزاع لفترة من الزمن أصبحت الحجاز خلالها ملجأ للفارين من الدولة السعودية الثانية.

---

(١) يذكر بعض الباحثين أن علاقة الإمام فيصل بأمراء الحجاز كانت ودية منذ عودة ذلك الإمام من مصر سنة ١٢٥٩هـ. مضاوي حمد المطلاني: الفترة الثانية لحكم الإمام فيصل بن تركي (ماجستير). قسم التاريخ. كلية التربية للبنات بالرياض، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٠٩، وما الواقع التاريخي ومجريات الأحداث ومابينته الوثائق السابقة من رفض ابن عون لتولي الإمام فيصل الحكم في نجد إلا دليل على توتر العلاقات بين الطرفين في تلك الآونة، غير أنه يمكن القول أن تحسن العلاقات قد حدث خلال الفترة المتأخرة من عهد ابن عون.

- حملة محمد بن عون على نجد (١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م):

من المؤكد أن رغبة أمير مكة محمد بن عون بإبعاد الإمام فيصل بن تركي عن الحكم في نجد كانت السبب الرئيسي للقيام بتلك الحملة، وسواء صح مايذكره أحد المؤرخين[١] بأن بعض أهل القصيم المقيمين في مكة المكرمة والمناوئين للإمام فيصل كانوا السبب في دفع ابن عون لشن حملته على نجد أم لا، فإن ابن عون وكما تبين الوثائق قد عمل على تحدي الإمام فيصل، وحاول منعه من العودة للحكم منذ خروجه من مصر سنة ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م، ولم يكن راضياً عن تعيينه أميراً على نجد من قبل السلطان العثماني رغم الجهود الحثيثة من والي جدة العثماني عثمان باشا[٢].

وتشير الوثائق إلى أن سبب الحملة الرئيسي يتمثل بتحقيق ماكان ابن عون يعمل جاهداً من أجله بتقسيم أراضي نجد بين الإمام فيصل بن تركي وخالد بن سعود وعبد الله بن رشيد، لذا فإن الحملة هدفت إلى إعطاء القصيم لخالد بن سعود، ليتحقق ذلك التقسيم الذي يهدف إلى إضعاف الإمام فيصل بن تركي وضمان عدم تشكيله أي خطر مستقبلي على السيادة العثمانية في الحجاز[٣] كما يرى ابن عون، ومن هنا فقد

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/ ١٥٠ ويضيف ابن بشر أن هؤلاء زينوا لابن عون غزو نجد وأوهموه بضعف الإمام فيصل وعدم قدرته على المقاومة، ومما زاد من إصرار ابن عون على إنفاذ الحملة ماكان يراه من لين وتسامح الإمام فيصل. في حين ينفي مقبل الذكير: العقود الدرية..، ورقة ٧٤ هذه الرواية بجملتها ويعزوها لضيق أفق ابن بشر وسطحيته في تناول الأحداث، ويرى أن دخول الحملة إلى منطقة القصيم سلمياً كان نتيجة لعدم طلب الإمام فيصل مقاومتها ومنعها، كما أن ابن عون قد مهد لذلك الأمر عبر مكاتباته الودية لأهالي نجد عامة وإخبارهم بأنه لايريد قتالاً، ويرى الذكير أيضاً أنه لايوجد سبب مقنع يجعل أهل القصيم يعملون على جلب قوات ابن عون لمنطقتهم ولامصلحة لهم بذلك، خاصة أن عنيزة مقر الحملة كانت من أولى بلدان نجد ترحيباً بالإمام فيصل، بل وكانت محطته الثانية بعد جبل شمر في طريق عودته لاستعادة حكمه من ابن ثنيان، أما الخلاف الذي طرأ بين الإمام وأهل القصيم فإنه لم يحدث إلا بعد حملة ابن عون فقط. دلال السعيد: المرجع السابق ص ١١٠-١١١، ومما يضعف رواية ابن بشر أيضاً أنه لم يبين من هم هؤلاء المقيمين بمكة المكرمة ولاسبب خلافهم مع الإمام فيصل بن تركي.

(٢) I-Mesaili - Muh: No. 2437. D.

؛ I-Mesaili - Muh: No. 2439. B.

(٣) I-Mesaili - Muh: No. 1800. C.

اتجهت الحملة إلى القصيم للسيطرة عليها دون غيرها من بلدان نجد[١].

ولقد كانت تلك الدوافع موجودة لدى محمد بن عون منذ عودة الإمام فيصل ابن تركي من مصر، ورغم إفصاحه عنها إلا أن وجود عثمان باشا المساند لفكرة إسناد إمارة نجد بكاملها للإمام فيصل ودفاعه عن تلك الفكرة لدى الصدر الأعظم والسلطان العثماني قد جعل ابن عون لايملك فعل شيء لتحقيق رغباته[٢].

غير أن عزل عثمان باشا من منصبه بعد خلافه مع ابن عون سنة ١٢٦٢هـ[٣] قد أتاح الفرصة لأمير مكة محمد بن عون لتنفيذ مايريد، خاصة أن اختيار العثمانيين لمنصب والي جدة قد وقع على محمد رائف بك وهو الشخص الذي يشارك ابن عون في توجهاته السياسية والتي من أبرزها ضرورة القضاء على سيطرة الإمام فيصل على نجد، واقتطاع القصيم من ملكه، وإسناد إمارتها إلى خالد بن سعود[٤]، ولذا فإن محمد رائف بك قد حاول التمهيد للحملة حين أرسل إلى الصدر الأعظم متهماً الإمام فيصل بقتل بعض أعوان خالد بن سعود في القصيم مما يستوجب تأديبه[٥]، ومما ساعد ابن عون ووالي جدة في العمل على تنفيذ الفكرة وجود خالد بن سعود في جدة، إضافة إلى بقائه بعض الوقت في القصيم بعد هروبه من ابن ثنيان، واعتقاده أنه بذلك كسب ود الأهالي في تلك المنطقة، ومن ثم إظهار استعداده للسيطرة على تلك المنطقة بسهولة ويسر، وأنه لايريد لتحقيق ذلك سوى تزويده بطابور من الجنود، وقد أرسل بطلبه هذا إلى السلطان العثماني[٦].

من خلال ذلك اعتقد السلطان العثماني أن الإمام فيصل قد خرج عن الطاعة وأن الأمر يستوجب تأديبه وإعادته للخضوع من جديد[٧]، فأصدره أوامره إلى محمد ابن

---

(١) I-Mesaili - Muh: No. 1807. Tarihi: 24-5-1264.

(٢) I-Mesaili - Muh: No. 1800. B.

(٣) أحمد دحلان: المصدر السابق، ص ٣١٣-٣١٤.

(٤) I-Mesaili - Muh: No. 1800. C.

(٥) I-Mesaili - Muh: No. 1800. A.

(٦) I-Mesaili - Muh: No. 1800. A.

(٧) أحمد لطفي أفندي: تاريخ لطفي. سكزنجي جلد، درسعادت: صباح مطبعة سي، ناشري عبد الرحمن شرف، ١٣٢٨هـ، ٨/١٤٧-١٤٨."مصدر عثماني باللغة العثمانية ذات الأحرف العربية".

عون بحل "مسألة نجد"[(١)]، واستخدام القوة مع الإمام فيصل "ليرى سطوة الدولة العلية"[(٢)] فيمتنع بالتالي عن تكوين أي خطر على مناطق جديدة في الجزيرة العربية بعد أن ظهر استقرار أمره في نجد، وحظي بدعم الأهالي وترحيبهم به، مما يعزز التوقعات بتنامي قوته مستقبلاً بشكل تصعب السيطرة عليه[(٣)].

وفي نفس الوقت فإن السلطان العثماني أراد تنفيذ مقترحات ابن عون السابقة التي تقتضي اقتطاع القصيم من حكم الإمام فيصل وإسنادها لخالد بن سعود الذي أصبح يلح كثيراً على ابن عون لتحقيق ذلك[(٤)] سريعاً عن طريق تشجيع أهالي القصيم على الانفصال عن دولة الإمام فيصل[(٥)]، والعمل على تكوين حملة عسكرية لتنصيبه حاكماً عليها، ومقابل ذلك فإن خالد بن سعود وعد بدفع مبلغ قدره مائة ألف ريال سنوياً للدولة العثمانية مع ضمان تسديد جميع نفقات الحملة[(٦)].

---

(١) I-Mesaili - Muh: No. 1808. Tarihi: 19-9-1263.
ومن الواضح أن محمد بن عون قد أصبح أكثر نشاطاً وقوة بعد عزل عثمان باشا فبدأ يعمل بحرية أكثر. Al-Amr: op.cit, p. 54 ، ومما زاد من نشاطه أيضاً ماحظي به آنذاك من مخصصات مالية حيث منح منذ سنة ١٢٦٠هـ مائة ألف قرش شهرياً وأربعين أردباً من الحنطة وضعفها من الفول، ومائتي إردباً من الشعير والمخصصات الأخرى. عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٨٠ .

(٢) أحمد لطفي أفندي: المصدر السابق ١٤٨/٨ .

(٣) عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٨١. ويضيف مقبل الذكير: العقود الدرية...، ورقة ٧٣ أن العثمانيين أصابهم الخوف من أن تنتشر تلك الحركات الانفصالية في بقية البلدان الخاضعة لسيطرتهم، فأرادوا قمع حركة الإمام فيصل، ومن المؤكد أن العثمانيين لايرغبون بفقدان شيء من أراضيهم مرة أخرى بعد استعادتهم لها نتيجة لمعاهدة لندن.

(٤) Winder: op.cit, p. 181، دلال السعيد: المرجع السابق، ص ١١١-١١٢، ويذكر عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ١٨٨ أن الهدف من هذه الحملة هو تعيين خالد بن سعود على كافة نجد وليس على القصيم فقط، غير أن الوثائق السابقة تبين أن الهدف كان تقسيم نجد بين أكثر من حاكم من أجل إضعافها، I-Mesaili-Muh: No.1800.B.C، وربما أن خالد بن سعود كان يطمح بتجاوز القصيم إلى ماسواها من أراضي نجد.

(٥) مستور الجابري: المرجع السابق، ص ٣٨ .

(٦) Winder: op.cit, p.181، وقد طلب خالد بن سعود من ابن عون تزويده بألف من الخيالة ومثلهم من المشاة ومائة من البدو ومدفعين ليقوم هو بالمهمة لوحده ويبقى ابن عون في مكة .Ibid. p.184.

ومن خلال ماسبق يتضح أن إنفاذ الحملة كان تنفيذاً لأمر سلطاني [١] صدر بموجب مقترحات أمراء الحجاز وولاتها التي أرادوا من خلالها إضعاف الإمام فيصل ووقف تطور دولته وبنائها، وإزاء تلك الحقيقة تتضاءل واقعية الروايات القائلة بأن الدافع لتلك الحملة جهود بعض أعيان القصيم المقيمين في مكة المكرمة وبعض أهالي المنطقة بالعمل على استقلالية منطقتهم[٢]، خاصة أن تعيين خالد بن سعود على القصيم لايعني استقلاليتها بل تبعيتها الرسمية وليست الاسمية للعثمانيين وارتباطها بأمراء الحجاز وولاتها.

وأياً كان الأمر فقد جرى العمل على تكوين حملة عسكرية بلغ تعدادها ألفي شخص[٣] نصفهم من البدو المجندين، إضافة إلى فرقة من الجند العثمانيين النظاميين[٤]، وزودت الحملة بالذخيرة والسلاح من قبل السلطات العثمانية[٥]، وأسندت القيادة إلى أمير مكة محمد بن عون[٦]، ورافقه خالد بن سعود، حيث تحركت الحملة من مكة المكرمة في ربيع الثاني ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م[٧] مروراً بالمدينة المنورة حيث انضمت إليها قوات عثمانية من المدينة والحناكية تحت قيادة محمد بن ناصر*[٨]، كما تزودت الحملة ببعض المبالغ المالية، ثم تحركت باتجاه القصيم متخذة نفس الطريق الذي

---

(١) I-Mesaili - Muh: No. 1808.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/١٠٠، جبران شامية: المرجع السابق، ص ٧٧.

(٣) الكسي فاسيلييف: المرجع السابق، ص ٢٣٨ .

(٤) أحمد لطفي أفندي: المصدر السابق، ٨/١٤٧، Winder: op.cit, p.180 .

(٥) مقبل الذكير: العقود الدرية...، ورقة ٧٣.

(٦) I-Mesaili - Muh: No. 1808.

(٧) صلاح الدين المختار: المرجع السابق، ١/٣٣٠ .

* لاتعطي المصادر معلومات كافية عن محمد بن ناصر والذي تصفه الوثائق بأنه أحد المعاونين ضمن حملة خورشيد باشا على نجد، كما تصفه بأنه محافظ المدينة، ومن المرجح أنه قائد محلي من أهل المدينة المنورة تابع للعثمانيين، وكان يعمل كقائد في حملة خورشيد باشا الذي كلفه بمهمة جمع الجمال من القبائل، وكان لمحمد بن ناصر نشاط عسكري ضد القبائل المحيطة بالمدينة المنورة حوالي سنة ١٢٥٨هـ، كما قام بقيادة حملة على نجد سنة ١٢٦٨هـ. وثائق وطنية: وثيقة (٩٣٩) دارة الملك عبد العزيز، الرياض؛ محافظ الحجاز: محفظة (٧) وثيقة (٨١) حمراء.

؛ محافظ عابدين: محفظة (٢٦٦) وثيقة (٤) أصلية (٨٩) حمراء.

(٨) عثمان بن بشر: المصدر السابق، ٢/١٥٠ .

كانت حملات محمد علي باشا تسلكه سابقاً؛ حيث وصلت الحملة إلى الرس وفرضت السيطرة عليها؛ لتعمل بعد ذلك على إخضاع بقية بلدان القصيم، معلنة أن هدفها تأمين راحة الأهالي وضمان أمنهم (١)، وقد تمكنت الحملة من الاستقرار في عنيزة في نهاية الشهر المذكور(٢).

ولقد كان من الطبيعي أن تخضع بلدان القصيم للحملة لأن الإمام فيصل لم يكلف الأهالي بالمقاومة رغبة منه بتهدئة الأوضاع، وعدم استثارة قادة الحملة قبل أن يعرف إمكاناتها، إضافة إلى أن محمد بن عون قد كتب لبلدان نجد يطمئنهم بأن قدومه لم يكن بغرض القتال (٣).

على أن سيطرة الحملة على القصيم قد أدت إلى قدوم عدد من زعماء بلدان وقبائل نجد لتأييد ابن عون(٤)؛ وذلك لخوفهم منه باعتباره ممثلاً للسلطان العثماني الذي يمثل الدولة العثمانية ذات السطوة والجبروت في الجزيرة العربية.

ومن الواضح أن الإمام فيصل لم يرغب بمواجهة الحملة بدليل تأخره بجمع قواته حتى شهر جمادى الأولى (٥)، ويعود ذلك إلى رغبته بعدم استثارة ابن عون ومحاولة الخروج من تلك الأزمة بعيداً عن الصدام المسلح، خاصة أنه لايزال يعمل لإتمام قوة دولته وبنائها، وفي الوقت نفسه فإن ابن عون أدرك أن ماكان يعتقده من سهولة القضاء على

---

(١) I-Mesaili - Muh: No. 1807.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق، ٢/١٥٠، ويذكر إبراهيم بن ضويان: المرجع السابق، ورقة ٢٠ أن الحملة مكثت في نجد شهرين، وهذا يعني أن وصولها كان في جمادى الأولى لأن ابن بشر ذكر أن رحيلها كان في رجب من ذلك العام.

(٣) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٦٥.

(٤) عثمان بن بشر: المصدر السابق، ٢/١٥٠، ويذكرأحمد دحلان: المصدر السابق، ص٣١٤ أن ممن قدم إليه عبد الله بن رشيد أمير جبل شمر وقواته، غير أن ذلك القول غير مؤكد في ظل العلاقة القوية بين ابن رشيد والإمام فيصل، وعدم تشكيل الحملة لأي خطر على إمارة ابن رشيد بشكل يجعله مضطراً لمهادنة ابن عون، كما أن بلدان القصيم التي وصلتها الحملة لم تكن على وفاق مع ابن رشيد منذ حملة خورشيد باشا ضد الدولة السعودية الثانية. Philby: op.cit, p.195-196.

(٥) عثمان بن بشر: المصدر السابق، ٢/١٥٠ .

الإمام فيصل غير صحيح، وأن انتزاع القصيم من دولته وإسناد إمارتها إلى خالد ابن سعود غير ممكن، خاصة حين علم أن الإمام فيصل قد بدأ استعداده للمواجهة عبر قوات تفوق بكثير قوات الحملة[1]، لذا فإن ابن عون أرسل ابن عمه عبد الله بن لؤي إلى الرياض ليعرض الصلح على الإمام فيصل، وقد اقترح ابن لؤي إرسال أحد أخوة الإمام فيصل معه لمقابلة ابن عون لتهدئة الوضع بين الطرفين، وبالفعل أرسل الإمام فيصل أخاه عبد الله بن تركي على رأس وفد محمل بالهدايا إلى عنيزة، حيث تبودلت الهدايا مع ابن عون، غير أنه وربما بتأثير من خالد بن سعود الطامع بإمارة القصيم رد الهدايا مما دعا الأمير عبد الله بن تركي إلى معاملته بالمثل، وإزاء ذلك عاد التوتر من جديد بين الطرفين خاصة أن ابن عون بدأ تحركاته العسكرية ضد بعض أتباع الإمام فيصل في بلدان نجد، وحين علم الإمام فيصل بمسلكه هذا اضطر لاتخاذ قراره بالمواجهة المسلحة معه، فبدأت قوات إضافية بالتوافد من جنوبي نجد إلى الرياض حيث تحركت بقيادته إلى القصيم خلف قوات ابنه عبد الله، وعند ذلك أدرك ابن عون خطورة وضعه خاصة أن قواته منيت بالفشل بعد هجوم قامت به ضد بعض أتباع الإمام فيصل في الدوادمي* وتكبدت الخسائر، لذا أعاد ابن عون اتصالاته مع الإمام فيصل فأرسل ابن لؤي للقائه في منطقة "الشمس"** قرب منطقة الوشم حيث جرت مفاوضات بين الطرفين تمخض عنها عقد الصلح الذي ضمن بموجبه الإمام فيصل رحيل ابن عون من أراضي نجد بما فيها القصيم التي اعترف ابن عون بتبعيتها للإمام فيصل، كما تم الاتفاق على أن يرسل ابن عون رسائل بعض زعماء نجد [2] التي وصلته حين استقر في القصيم معلنة التأييد والطاعة[3]، إضافة إلى تعهد الطرفين بعدم التعرض للطرف الآخر مستقبلاً، مع إعلان الإمام فيصل

---

(١) أحمد علي: المرجع السابق، ص ٩٦ .

* الدوادمي: بلدة تتوسط إقليمي السر والعرض في وسط نجد وهي من المناطق الأثرية القديمة. عبد الله بن خميس: المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٨١، ٨٤ .

** الشمس: منطقة في صفراء الوشم على بعد ٣٥ كيلاً جنوبي بلدة مراة. عبد الله بن خميس: معجم اليمامة ٦٢/٢.

(٢) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٥٠/٢-١٥١.

(٣) دلال السعيد: المرجع السابق، ص ١١٤ .

ولائه للدولة العثمانية من جديد وتعهده بالدعاء للسلطان العثماني في الخطب، والتزامه بدفع نفقات الحملة، وإعادة دفع الرسوم المقررة [١] منذ عهد عثمان باشا والتي تصل إلى عشرة الآف ريال سنوياً[٢]، وحين تم الاتفاق على تلك الشروط تحركت قوات ابن عون عائدة إلى الحجاز في رجب ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م[٣].

لقد كانت تلك الحملة حملة سلمية لم يتمخض عنها أي صدام مسلح [٤]، باستثناء هجوم قوات محمد بن عون على بعض أتباع الإمام فيصل، غير أن صدى الحملة لدى السلطات العثمانية كان كبيراً حيث أرسلت النياشين والأوسمة إلى محمد بن عون وأبنائه[٥]، كما أرسل السلطان العثماني خطابي شكر إلى كل من محمد بن عون أمير مكة ومحمد رائف بك والي جدة على مابذلاه من جهد لإنفاذ الحملة، وتم نشر ذلك الخبر في الصحيفة العثمانية الرسمية "وقائع"[٦]، وإضافة إلى ذلك زاد اهتمام السلطات العثمانية بأمر نجد، حيث تم ترشيح توفيق أفندي الموظف في إمارة مكة على وظيفة محرر خطابات الشؤون النجدية ليكون مسؤولاً عن الأخبار المتعلقة بنجد، وقد صدر ذلك التعيين بتاريخ ٢٧ رمضان ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م[٧]، كما أدت تلك الحملة وانشغال

---

(١) صدارة قلم مكتوبي (A.MKT): ملف (١٣٢) وثيقة (١٠) رسالة من محمد رائف بك والي جدة إلى الصدارة حول دفع الإمام فيصل للزكاة، ١ رجب ١٢٦٤هـ.

؛ Gevdet- Dahiliye. No. 1735. Tarihi:22-9-1263

؛ I-Mesaili - Muh: No. 1808.

؛ أحمد لطفي أفندي: المصدر السابق ١٤٨/٨، وتؤكد تلك الوثائق أن الإمام فيصل طلب تخفيف المبلغ المقدر لتكاليف تلك الحملة.

(٢) أحمد دحلان: المصدر السابق، ص ٣١٤.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق، ١٥١/٢.

(٤) دلال السعيد: المرجع السابق، ص ١١٤ .

(٥) صدارة قلم مكتوبي (A.MKT): ملف (١٢٧) وثيقة (٣٥) رسالة من الصدر الأعظم إلى محمد بن عون حول انتهاء مسألة نجد، دون تاريخ.

(٦) I-Mesaili - Muh: No. 1808.

(٧) خارجية مكتوبي (H.R.MKT): ملف (١٨) وثيقة (٥٥) رسالة من محمد أشرف إلى محمد ابن عون حول ترتيب شؤون نجد، ٢٧ رمضان ١٢٦٣هـ.

الإمام فيصل بها إلى قبوله الصلح مع حكام البحرين[١]، على أن يدفعوا له مبلغ أربعة آلاف ريال[٢].

وعلى الصعيد الداخلي لجأ الإمام فيصل بن تركي إلى إجراء بعض التغييرات الإدارية في منطقة القصيم حيث عزل أمير عنيزة إبراهيم بن سُلَيم من منصبه[٣]،وتم تعيين ناصر السحيمي بدلاً منه، غير أن هذا الإجراء أثار فتنة كبيرة بين الأمير السابق والأمير الجديد ترتب عليها ثورة عامة في القصيم[٤] ألقت بظلالها على المنطقة لمدة ثلاث سنوات قادمة، رغم أن زعماء المنطقة قد بادروا بتجديد البيعة للإمام فيصل بن تركي فور رحيل محمد بن عون وقواته[٥].

كما كان من نتائج تلك الحملة فشل ابن عون والسلطات العثمانية بتنفيذ ماتم العزم عليه سابقاً باقتطاع القصيم من الدولة السعودية الثانية وتعيين خالد بن سعود أميراً عليها بهدف إضعاف الإمام فيصل، بل أن الحملة أدت إلى اعتراف عثماني صريح بتبعية القصيم وبقية نجد لدولة الإمام فيصل بن تركي، مع تعهد بعدم التعدي عليها مرة أخرى، الأمر الذي عده العلماء والأدباء نصراً سعودياً صريحاً خاصة أن النزاع كان بين قوتين غير متكافئتين من حيث الإمكانات في العدة والعدد؛ لذا فقد نظم الشيخ أحمد ابن مشرف قصائد يشيد فيها بالإمام فيصل بن تركي وماحققه من نصر سياسي ضد تلك الحملة[٦].

على أن النتيجة الأبرز لتلك الحملة التحسن الذي طرأ على العلاقات بين الدولة السعودية الثانية بقيادة الإمام فيصل بن تركي من جهة وأمراء الحجاز بقيادة محمد ابن

---

(١) عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ١٨٨ .

(٢) خارجية مكتوبي (H.R.MKT) : ملف (١٩) وثيقة (٥) رسالة من محمد صادق مطهر إلى العتبة العلية حول دفع شيخ البحرين الزكاة للإمام فيصل، ١١ محرم ١٢٦٤هـ.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق، ١٥٧/٢.

(٤) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...٢٧٣/١-٢٧٤ .

(٥) عثمان بن بشر: المصدر السابق، ١٥٣/٢، ١٧١-١٧٢ .

(٦) أحمد بن مشرف: المصدر السابق، ص ٣٩-٤٠، ٥٩.

عون من جهة أخرى، حيث تمثل ذلك التحسن في المراسلات الودية بين الجانبين[١]، وماأبداه ابن عون من احترام لعلماء نجد حين استقبل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حسن آل الشيخ بمكة المكرمة أثناء موسم الحج سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م[٢]؛ رغبة بتلطيف الأجواء مع الدولة السعودية الثانية ورجالاتها؛ خاصة مع مايمثله الشيخ عبد اللطيف من مكانة في الدولة السعودية إذ كان الساعد الأيمن لوالده الشيخ عبد الرحمن بن حسن المرجع الأول للدولة في الشؤون الدينية.

ولقد بلغ من تحسن العلاقات بين الجانبين أن الإمام فيصل بن تركي استنجد بأمير مكة محمد بن عون سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م طالباً التدخل السياسي لحل الأزمة التي نشبت بينه وبين بعض حكام ساحل عمان الذين احتلوا البريمي التابعة لدولته، وبالفعل تحرك ابن عون دبلوماسياً فأرسل موفداً من قبله إلى المقيم البريطاني في المنطقة ليبلغه بتعديات أولئك الحكام على منطقة تابعة للإمام فيصل الذي يعتبر أحد أتباع الدولة العثمانية، وليطلب وساطته لدى أولئك الحكام، وإقناعهم بالانسحاب من حصون البريمي، وفي نفس الوقت مر ذلك الموفد في طريق عودته بإمارة أبو ظبي، والتقى بحاكمها سعيد بن طحنون، وتمكن من إقناعه بالانسحاب من البريمي، وتسليمها إلى القائد السعودي سعد بن مطلق[٣]، الأمر الذي كان نقلة تاريخية في مسيرة العلاقات بين الدولة السعودية الثانية وأمراء الحجاز، رغم ماتخللها فيما بعد من مشاكل أمكن السيطرة عليها.

---

(١) عبد الرحمن بن قاسم: المصدر السابق، ٢٥٩/٧ .

(٢) عبد الله بن عبد الرحمن البسام: علماء نجد...، ٦٤/١ .

(٣) جون كيلي: المرجع السابق، ص ٧٩-٨٠.

ـ لجوء بعض أمراء نجد المعارضين للإمام فيصل بن تركي إلى الحجاز:

حاول بعض أمراء القصيم الذين اختلفوا مع الإمام فيصل بن تركي في أعقاب حملة محمد بن عون السابقة على نجد استغلال الموقف والعمل على إثارة النزاعات بين الحجاز والدولة السعودية الثانية من جديد رغم ماطرأ على علاقات الطرفين من تحسن ملموس، وعلى الرغم من الاضطرابات التي حدثت في القصيم على إثر الإجراءات التي اتخذها الإمام فيصل في المنطقة في أعقاب حملة ابن عون، وقيامه بإبعاد بعض الأمراء من مناصبهم، إلا أن تلك الاضطرابات توقفت سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٥٠م فحاول الإمام فيصل ضمان استتباب الأمن في الأقليم مستقبلاً؛ فقام بإجراءات إدارية تضمنت إسناد إمارة الإقليم إلى أخيه جلوي بن تركي، فيما اقتصرت إمارة عبد العزيز آل عليان على بريدة فقط بعد أن كان هو أمير الإقليم عامة[١].

غير أن تلك الإجراءات لم تكن مقنعة لعبد العزيز آل عليان خاصة أن عاصمة الإقليم تحولت إلى عنيزة بدلاً من بريدة، وفي نفس الوقت فإن وجود جلوي في إمارة القصيم على مقربة منه قد جعل الخوف يدخل إلى نفسه، وأدرك عجزه عن العمل السياسي لاستكمال القلاقل في القصيم، لذا قرر الرحيل من المنطقة واللجوء إلى محمد ابن عون أمير الحجاز.

ولعل وجود ابن عون في القصيم إبان حملته السابقة قد أتاح لعبد العزيز آل عليان التباحث معه في أمور مستقبلية، والاتفاق على التعاون المشترك بينهما، مما جعله يختار الحجاز مقراً له أملاً بحماية أميرها أولاً، ودعمه العسكري له لاستعادة إمارة القصيم ثانياً، وقد استغل عبد العزيز آل عليان تحركات القوات السعودية قرب إقليم القصيم سنة ١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م لتأديب بعض القبائل المتمردة، ورغبة الإمام فيصل بمشاركة قوات القصيم مع بقية القوات في تلك المهمة؛ حينئذ قرر عبد العزيز الهرب واللجوء إلى الحجاز[٢].

اتجه عبد العزيز آل عليان إلى الحجاز وحمل معه بعض الهدايا إلى ابن عون الذي

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق، ص١٥٧/٢، ١٧١.

(٢) المصدر السابق، ١٧٣/٢.

أحسن استقباله، وأجرى له مرتب يكفي لحاجته، غير أنه رفض تزويده بالجنود والسلاح رغم إلحاحه الشديد في ذلك الأمر، وقد بين ابن عون أن الجنود الموجودين لديه لن يقبلوا بالسير إلى نجد ما لم يحصلوا على أجرتهم كاملة قبل مسيرهم[1]، وهو ما لم يتيسر فعله في ظل عدم توفر تلك الأموال لدى عبد العزيز آل عليان[2] الذي ترك جميع مايملك في بريدة.

وفي واقع الأمر أن ابن عون كان باستطاعته تسيير الجنود حسب أوامره إلا أن رغبته بتحسين علاقته مع الإمام فيصل بن تركي وتجنب صدامات ومصروفات لاداعي لها، دفعه إلى ذلك الموقف؛ خاصة أنه لم ينس نتائج حملته على نجد قبل ثلاث سنوات.

وعلى الرغم ممافعله آل عليان فإن الإمام فيصل بن تركي عامل أسرته باللطف واللين لدرجة أنه عين أخاه عبد المحسن بن محمد في إمارة بريدة بدلاً منه، كما ترك للأسرة أموالها و لم يتعرضها بشيء، غير أنه أصر على إعادة عبد العزيز للطاعة، عن طريق ممارسة الضغط على ابن عون، وقد أمر قواته بالزحف تجاه الحجاز في ذي الحجة ١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م بقيادة ابنه عبد الله بن فيصل، فأدرك ابن عون حرج الموقف، وحاول حل المشكلة سلمياً، والتوسط لدى الإمام فيصل للعفو عن عبد العزيز آل عليان، وفي نفس الوقت أرسل ابن عون إلى أهل القصيم يطلب منهم عدم الانضمام لتلك الحملة المتجهة للحجاز، وأبلغهم أنه سيحل المشكلة دون الحاجة للصدام العسكري[3].

وعلى الرغم من مراسلات ابن عون للإمام فيصل لحل المشكلة إلا أن قوات عبد الله بن فيصل واصلت تقدمها تجاه الحجاز، وحين وصلت إلى مران* تزايد الخوف لدى ابن عون وزعماء الحجاز فضاقوا بالأمر، ورغبة بتهدئة الموقف قام ابن عون بقطع المرتب المالي المقرر لعبد العزيز آل عليان الذي بدأ يشعر أنه أصبح عالة على أمراء الحجاز، كما أنه ضاق ذرعاً بالمقام بضعة أشهر دون نتيجة، بل إن الخطر أصبح يتهدده بواسطة القوات المقبلة إلى الحجاز، لذا ندم على ماعمله، وأصبح يلح على محمد بن عون

---

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/١٧٣، ١٧٦ .

(٢) Philby: op.cit, p.205.

(٣) عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/١٧٣.

* منهل كثير الماء في طرف حرة كشب من الجنوب الغربي وهي الآن بلدة عامرة على بعد أربع مراحل من مكة المكرمة. عبد الله الشايع: المرجع السابق ٣/٢٠٤-٢٠٥.

ليشفع له لدى الإمام فيصل بن تركي كي يسمح له بالعودة إلى بلده وأسرته، وإزاء إلحاح ابن عون في طلب العفو ورغبة الإمام فيصل بعدم تصعيد الأزمة، ولما عرف عنه من تسامح، فقد وافق على العفو عن عبد العزيز آل عليان شريطة أن يقدم إليه بصحبة الأمير جلوي بن تركي أمير القصيم، وتبعاً لهذا الاتفاق تراجعت القوات السعودية بقيادة الأمير عبد الله بن فيصل واستقرت في الوشم، أما عبد العزيز آل عليان فقد عاد إلى القصيم والتقى بأميرها جلوي بن تركي، ثم ذهب برفقته لمقابلة الإمام فيصل في ربيع الأول ١٢٦٧هـ/ ١٨٥١م حيث اعتذر عما بدر منه معترفاً بخطئه، فقبل الإمام فيصل اعتذاره وأعاده أميراً على بريدة[١].

ومن الواضح أن محمد بن عون لم يرغب بإمداد عبد العزيز آل عليان بالقوات والسلاح رغبة منه بعدم التورط مع الإمام فيصل بن تركي بحرب جديدة، كما أنه لم يستجب لإغراءات عبد العزيز بغزو نجد خاصة أن تجربته السابقة لاتشجعه عسكرياً للإقدام على ذلك[٢]، وفي نفس الوقت فإن تحسن العلاقات بين الطرفين خلال تلك الفترة لعب دوراً في اتخاذ ابن عون لذلك الموقف فسعى للإصلاح بين أمير بريدة والإمام فيصل حيث كللت مساعيه بالنجاح الأمر الذي زاد من الثقة بين الجانبين، وزاد من تحسن علاقتهما.

على أن عزل محمد بن عون عن إمارة مكة المكرمة سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥١م[٣]، قد أدى إلى إحداث فجوة في العلاقات بين الطرفين خاصة في عهد أمير مكة الجديد عبد المطلب بن غالب الذي خلف ابن عون في الإمارة فبادر قبل أن يتسلمها رسمياً بتوجيه رسالة أطلق عليها اسم "مرسوم" ووجهها إلى أمير القصيم السابق عبد العزيز

(١) عثمان بن بشر: المصدر السابق ١٧٣/٢، ١٧٩ .

(٢) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢٧٧/١ .

(٣) أحمد دحلان: المصدر السابق، ص٣٢٠، ويضيف نفس المؤرخ أن ابن عون أرسل إلى مصر وبقي فيها حتى أعيد للإمارة من جديد، بينما يذكر عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٨٦، ٢٨٩، أنه أرسل إلى استانبول، فيما يذكر عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٥٢٨/٢ أن السبب في عزله يعود لتزايد نفوذه خاصة بين القبائل مما أثار مخاوف السلطات العثمانية.

آل عليان وأمير عنيزة السابق ناصر السحيمي اللذين كان لهما دورٌ بارزٌ في اضطرابات القصيم يبلغهما فيها بتوليه الإمارة ويأمرهما بتأمين طريق الحجاج وحمايتهم[١]، والملاحظ على رسالة عبد المطلب أنها حاولت استفزاز الإمام فيصل بن تركي وذلك بإصدار الأوامر لأمراء القصيم التابعين للإمام فيصل ودولته، والإيحاء بفرض سيطرته وقوته على منطقة تابعة للدولة السعودية الثانية، إذ أن مثل هذه الأوامر لاتوجه إلا من حاكم إلى أمراء البلدان التابعة له، وفي نفس الوقت فإن عبد المطلب تجاهل وجود الأمير حلوي بن تركي، وأراد أن يبعث الأمل من جديد لدى أمراء القصيم باستعادة مركزيهما على حساب الأمير حلوي المعين أميراً في الإقليم من قبل الإمام فيصل بن تركي إمام الدولة السعودية الثانية.

غير أن تلك الحادثة مرت دون أن تثير أزمة بين الحجاز والدولة السعودية الثانية لثقة الإمام فيصل بقوته، وسيطرته على مناطق بلاده، واتباعه لسياسة ضبط النفس، ولأن عبد المطلب بن غالب لم يلبث أن عزل عن إمارة مكة المكرمة لعدم رضا الدولة العثمانية عن سياسته، وتمت إعادة محمد بن عون إلى الإمارة من جديد[٢].

ورغم ذلك الإجراء إلا أن من الواضح ترسخ رسالة عبد المطلب بن غالب تلك في ذهن عبد العزيز آل عليان، فأثرت في تصرفاته، وأثارت أطماعه من جديد، فعزم على نقض مبايعته للإمام فيصل بن تركي الذي أبدى التسامح واللين تجاهه من قبل، ولذا قرر اللجوء إلى الحجاز من جديد ليتخذ منها مأوى له وليتمكن من التخطيط ضد سلطة الدولة السعودية الثانية في القصيم، مستغلاً التغيير السياسي الذي حدث في إمارة الحجاز حيث توفي محمد بن عون الذي كان أكثر تقرباً من الدولة السعودية الثانية، وتولى الإمارة من بعده ابنه عبد الله[٣]، فاعتقد عبد العزيز آل عليان أن عبد الله بن محمد بن عون

---

(١) أحمد السباعي: المرجع السابق ٢/٥٢٨، محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص١٧٠-١٧١.

(٢) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢/١٢-١٣، وقد أعيد ابن عون للإمارة سنة ١٢٧١هـ، وبقي فيها حتى وفاته سنة ١٢٧٤هـ. أحمد دحلان: المصدر السابق، ص٣٢٠، عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق..، ورقة ٢٨٩-٢٩١.

(٣) توفي محمد بن عون سنة ١٢٧٤هـ وعين ابنه عبد الله بدلاً منه وبقي في الإمارة عشرين سنة =

سيقدم له ما لم يقدمه والده من قبل، فعزم على الاتجاه إلى مكة المكرمة بشكل سري بصحبة عشرين رجلاً من أتباعه وأبنائه وذلك سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦١م، غير أن الأمير عبد الله بن فيصل بن تركي علم بالأمر فأرسل أخاه محمداً بقوات تمكنت من القبض عليهم وقتل سبعة منهم على رأسهم الأمير عبد العزيز نفسه، وأولاده الثلاثة، وثلاثة من أتباعه، فيما تم العفو عن البقية[١]، غير أن أحد أتباعه المسمى عبد العزيز الصقعبي وهو المسؤول عن خزينة بريدة تمكن من الهرب بالفعل إلى مكة المكرمة[٢]، إلا أن هروبه لم يكن على درجة كبيرة من الأهمية بعد مقتل عبد العزيز آل عليان وانتهاء أمره، وقد توجه عبد الله بن فيصل بعد ذلك إلى بريدة وسيطر على الوضع فيها ومكث فيها قرابة الشهر عمل خلاله على القيام ببعض الإجراءات الإدارية لضمان عدم حدوث أي فتنة جديدة[٣]، وبذلك فشلت محاولات اتخاذ الحجاز ملجأً ومصدراً لشن هجوم جديد ضد أراضي الدولة السعودية الثانية وتمكنت القوات السعودية من وضع حد لمشاكل عبد العزيز آل عليان ومؤيديه.

غير أن سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦٣م شهدت توتراً في علاقات الدولة السعودية الثانية مع الحجاز بسبب تدخل أمير مكة عبد الله بن محمد بن عون بالشؤون الداخلية للدولة السعودية في أعقاب قيام فتنة في بلدة عنيزة ضد الدولة السعودية الثانية سميت حرب عنيزة الثانية في تلك السنة، وكانت أسبابها مرتبطة بالأحداث السابقة في الإقليم وما أدت إليه من اضطراب في علاقات القصيم بالرياض؛ خاصة بعد مقتل عبد العزيز

= حيث توفي سنة ١٢٩٤هـ. إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر...، ص ٢١-٢٢، ٩٠. ويذكر جون كيلي: المرجع السابق، ص ٨٩ أن وفاة ابن عون قد أدت إلى تمكن الإمام فيصل من تثبيت سيطرته على بلدان نجد والأحساء. غير أن هذا القول مبالغ فيه إذ أن فيصلاً قد تمكن من إتمام ذلك خلال حكم محمد بن عون نفسه للحجاز.

(١) إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر...، ص ٣٥-٣٦.

(٢) إبراهيم بن عبيد: تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان، ج١، ط١، الرياض. مطابع النور، د.ت.ن، ص١٢٥.

(٣) إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر...، ص ٣٦، عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٩٧.

آل عليان والذي اعتبر السبب الرئيسي للحرب من وجهة نظر حكومة الحجاز[١]، بينما ذكر الأمير عبد الله بن فيصل بن تركي في رسالة أرسلها إلى عبد الله بن محمد بن عون أن سبب الحرب اعتداءات أهل عنيزة على القرى والقبائل القريبة منها[٢]، فيما تشير بعض الروايات إلى أن سبب تلك الحرب قيام عبد الله بن محمد بن عون بإغراء أمير عنيزة عبد الله بن يحيى السليم للقيام بهجمات ضد البلدان التابعة للإمام فيصل بن تركي مما أدى إلى رد فعل حاسم من قبل الإمام فيصل الذي أرسل قواته لحصار عنيزة[٣]، غير أنه من المؤكد ظلوع أمراء الحجاز في تلك الأزمة بدليل ماتذكره الوثائق العثمانية من قيام أمير عنيزة بإرسال أحد أبنائه إلى عبد الله بن محمد بن عون لطلب المساعدة ضد قوات الإمام فيصل وذلك بإرسال قوات عسكرية من الحجاز إلى القصيم[٤].

ولقد حاول عبد الله بن محمد بن عون اتباع الوسائل الدبلوماسية لإخراج أمير عنيزة من وضعه، فقام بإرسال رسالة إلى الأمير محمد بن فيصل بن تركي قائد قوات الإمام فيصل في القصيم عن طريق عبيد بن رشيد يحذره فيها من الاستمرار بحصاره لعنيزة، ويطلب حل الأمر سلمياً مع أميرها، وقد حمل ابن رشيد الرسالة إلى محمد بن فيصل الذي أرسل مضمونها لوالده وأخيه الأمير عبد الله بن فيصل، وقد جاء الرد من الرياض إلى عنيزة يحمل اقتراحاً بتوسط ابن رشيد بين الطرفين لحل الأزمة، وبالفعل ذهب عبيد ابن رشيد للتفاوض مع أمير عنيزة غير أنه لم يلتق به، وأبلغه بعض أهل عنيزة رفضهم للصلح، بل أن البعض منهم هاجم ابن رشيد في مخيمه، وبعد ذلك اقترح ابن رشيد على أهل عنيزة توسيط أمير المذنب عبد الله العقيلي في الأمر، وحين التقى العقيلي بكبار أهل عنيزة وعلى رأسهم سليم السليم شقيق الأمير لم يخرج منهم بنتيجة، فتم إرسال بعض الخيالة من قبل أمير المذنب لينادوا بالأمان لمن يرغب الصلح من أهل عنيزة، إلا أن ذلك لم يؤد إلى تقدم يذكر لحل الأزمة، وعندئذ أدرك الأمير عبد الله بن فيصل تعنت أهل عنيزة ورفضهم للصلح، لذا أبلغ عبيداً بأنهم لايريدون إلا الإفساد، وفي نفس الوقت

---

(١) I-Dahiliye: No. 34428. D. Tarihi:15-11-1279.

(٢) I-Dahiliye: No. 34428. B. Tarihi: 29-9-1279.

(٣) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٢٠٢ .

(٤) I-Dahiliye: No. 34428. D.

طلب منه إبلاغ ابن عون بتلك الحقيقة، وأن يذكّره بما سبق أن تم الاتفاق عليه بين والديهما منذ سنة ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م بتبعية القصيم للدولة السعودية الثانية، وتعهد محمد بن عون بعدم التدخل فيها حيث وثقت تلك الاتفاقية رسمياً مع الدولة العثمانية، وقد عبر عبد الله بن فيصل عن رغبته باستمرار العلاقات الحسنة مع الحجاز(١).

وفي ٢٩ رمضان ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٣م أرسل عبد الله بن فيصل رسالة إلى عبد الله بن عون بنفس المضمون، ووجه فيها عتابه إليه على ماحملته رسالته السابقة التي أرسلها عن طريق ابن رشيد، كما بين لابن عون أن سبب حربه في عنيزة قيام أهلها بمهاجمة القرى والقبائل التابعة للدولة السعودية، وأنهم رفضوا الصلح دون تقصير من قبل الدولة السعودية تجاههم، وفي نفس الوقت أوضح عبد الله بن فيصل عدم مشروعية تدخل ابن عون في المشكلة، وإن لزم تصعيد الموقف يرفع الأمر إلى السلطان العثماني، قائلاً له: "حنا وأنت خدام الدولة العلية، ونرفع الخبر لحضرتهم ونشهد الله على من بغى علينا على غير موجب..." (٢).

ومن الواضح أن عبد الله بن عون خشي من تصعيد الموقف فلم يرغب بإرسال القوات التي طلبها أمير عنيزة للمساعدة رغم أنه قد وعد بإرسالها سريعاً، وتبين الوثائق العثمانية أن ابن عون لم يكن متشجعاً لإرسال تلك القوات إلى القصيم حيث تذرع بحجج وذرائع واهية، فبين أن ذلك يحتاج لمصاريف كثيرة، ورغم أنه قرر بالاتفاق مع والي جدة إرسال فرقة عسكرية من جدة والمدينة المنورة إلى هناك، إلا أن ذلك القرار لم ينفذ بحجة مقتل نقيب الأشراف في المدينة على يد قبائل حرب، وضرورة توجيه الجهود لتأديب تلك القبيلة، وبعد ذلك قرر إرسال ٤٠٠ من الخيالة مزودين بمدفع بصحبة أحد القادة العسكريين إلى القصيم، إلا أن هذا الأمر لم ينفذ كذلك بسبب فصل محافظ المدينة المنورة عن إيالة جدة إدارياً، وتعيين حافظ باشا محافظاً للمدينة المنورة التي أصبح لها

---

(١) I-Dahiliye: No. 34428. A. Tarihi: 28-9-1279 .
؛ I-Dahiliye: No. 34428. D.
(٢) I-Dahiliye: No. 34428. B. Tarihi: 29-9-1279 .
؛ I-Dahiliye: No. 34428. D.

استقلالية باتخاذ القرار [١].

ويتضح مما سبق عدم رغبة عبد الله بن محمد بن عون وحكومة الحجاز بإرسال الجنود خشية من تفاقم الموقف، لذا فإن الحل البديل هو اللجوء للمفاوضات السلمية خاصة بعدما أظهرت رسالة عبد الله بن فيصل السابقة من ميل إلى الصلح وعزمه على الرفع إلى السلطان العثماني إن لزم الأمر و لم يوقف ابن عون تهديداته العسكرية، إضافة إلى إدراكه بأن عبد الله بن فيصل لايمكن كسب جانبه إلا عن طريق اللين وهي الطريقة الوحيدة لإقناعه بوجهة نظر حكومة الحجاز خلافاً لما حاول أمير عنيزة عبد الله السليم إقناع ابن عون به من قبل بعدم جدوى التفاهم مع الأمير عبد الله بن فيصل، وأن إرسال القوات العسكرية هو الأجدى لحسم الأمر، ولذا فقد تم صرف النظر نهائياً عن إرسال الجنود، واستبدال ذلك بالوسائل الدبلوماسية حيث تم إرسال أحد الموظفين لدى عبد الله ابن عون إلى القصيم كوسيط لحل الأزمة، وتم تزويده برسالتين إلى كل من عبد الله ابن فيصل وعبد الله بن سليم تتضمن حثهما على حل الأمر سلمياً[٢]، وبعد ذلك تولى محافظ المدينة المنورة الجديد حافظ باشا محاولات التوسط بين الإمام فيصل وأمير عنيزة لإتمام الصلح، بعد تنسيقه مع كل من عبد الله بن عون ووالي جدة أحمد عزت باشا اللذين التقى بهما في موسم الحج من تلك السنة[٣].

لقد أدت حرب عنيزة تلك إلى توتر العلاقات بين الدولة السعودية الثانية وأمير مكة عبد الله بن عون خاصة في ظل تهديدات ابن عون بإرسال القوات العسكرية إلى القصيم لقتال القوات السعودية، وقد كان من نتائج ذلك التوتر أن رفض الإمام فيصل ابن تركي دفع المبالغ المالية السنوية للعثمانيين عن طريق حكومة الحجاز، لذا فإن ابن عون شعر بحراجة موقفه مع رجال الدولة العثمانية، فحاول التفاهم مع الإمام فيصل وأرسل إليه الشيخ حسن الحلواني لينصحه بدفع المبلغ المقرر، وقد استقبل الحلواني في

(١) I-Dahiliye: No. 34428. C. Tarihi: 17-10-1279.

(٢) I-Dahiliye: No. 34428. C.

؛ I-Dahiliye: No. 34428. D.

(٣) I-Dahiliye: No. 34428. C.

؛ I-Dahiliye: No. 34428. D.

الرياض بجفاوة وكرم بالغين، وباجتهاد شخصي حذر الحلواني الإمام فيصل من سطوة الدولة العثمانية التي لن تسكت على هذا الإجراء من قبله[١].

وتظهر تلك الوفادة تأدب ابن عون مع الإمام فيصل وتخليه عن أسلوب التهديد الذي سبق أن استخدمه في مشكلة عنيزة السابقة، غير أنه لم ينجح في إقناع الإمام فيصل بدفع المبلغ مما جعله يحيل الأمر إلى رجال الدولة العثمانية، حيث استخدم العثمانيون الوسائل السلمية مع الإمام فيصل لإقناعه بدفع المبلغ باعتباره حاكماً لنجد باسم العثمانيين أو "قائمقام" كما تسميه الوثائق العثمانية[٢].

وهكذا لم ينجح ابن عون في محاولاته لإظهار قوته وتدخله في شؤون الدولة السعودية الثانية بل إن تلك المحاولات لم تتسبب إلا في توتر العلاقات بين الطرفين، بينما أحيل موضوع حل أزمة حرب عنيزة إلى محافظ المدينة العثماني حافظ باشا بعد أن فشلت محاولات ابن عون لحلها، أما موضوع دفع المبلغ المالي فلم تكن نتائج جهود ابن عون بأفضل من جهوده فيما سبق.

ويلاحظ هنا تكرر محاولات بعض أمراء القصيم الهاربين من حكم الدولة السعودية لجعل الحجاز مركزاً للنشاط المناوئ للدولة السعودية الثانية، والاستفادة من الوضع الحساس الذي يحيط علاقة الطرفين ببعضهما، ومن كون أمراء الحجاز قوة مناوئة للدولة السعودية الثانية، غير أن استجابة أمراء الحجاز لتلك المحاولات لم تكن على وتيرة واحدة؛ فبينما نجد أن محمد بن عون أصبح بعد حملته على نجد سنة ١٢٦٣هـ يميل لتهدئة الموقف السياسي بين الطرفين، بل ويعمل للرفع من مستوى علاقتهما، نجد أن عبد المطلب ابن غالب يحاول إظهار قوته شكلياً على حساب القصيم، أما عبد الله بن محمد بن عون فقد كان أكثر اندفاعاً واستجابة لمطالب أمراء القصيم الهاربين من حكم الدولة السعودية، إلا أنه لم يقدم على التدخل العسكري واكتفى بالتدخل السياسي ثم محاولة تهدئة الأوضاع وإصلاح ذات البين خوفاً من تفاقم الخلاف مع أئمة الدولة السعودية الثانية.

---

(١) أمين الحلواني: المصدر السابق، ص ١٠٥-١٠٦، والشيخ حسن الحلواني هو والد هذا المؤرخ.

(٢) بابا علي (BEO.V) : دفتر (٢٢٨) وثيقة (دون رقم) طلب جمع زكاة نجد للدولة العثمانية من قبل الإمام فيصل بن تركي، ٢٥ رمضان ١٢٨٠هـ.

*** موقف الدولة العثمانية من الخارجين عن طاعة الدولة السعودية الثانية والمؤيدين لها:**

سبق القول أن الإمام فيصل بن تركي قد حرص منذ عودته إلى الحكم سنة ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م على كسب ود رجال الدولة العثمانية، وتحاشى الصدام معهم، وذلك بعدم التعرض للمناطق الحساسة من الدولة العثمانية، ولعل السبب في ذلك إدراكه لقوة تلك الدولة وعدم جدوى مناصبتها العداء، لذا فإنه أعلن تبعيته الاسمية لها، ووافق على دفع مبالغ مالية سنوية إليها(١)، كما أنه حاول من خلال ذلك التقرب دفع خطر القوى المحيطة به كالبريطانيين حيث ذكر في رسالته للمقيم البريطاني في الخليج "كامبل Kambel" سنة ١٢٧١هـ/ ١٨٥٥م أنه تابع للسلطان العثماني(٢)، ولاشك أنه قد حقق النجاح في هذا المسلك حيث أقنع العثمانيين بتبعيته لهم، لذا فقد احتجت الدولة العثمانية على بعض الاعتداءات البريطانية ضد أراضي الدولة السعودية الثانية كجزء من أملاكها(٣)، واصفة حاكمها الإمام فيصل "بقائمقام نجد"(٤)، أي أنه حاكم تابع لها، وعلى الرغم من ذلك فقد كان الإمام فيصل في حقيقة الأمر يحكم بلاده باستقلالية تامة بعيداً عن تأثير السلطات العثمانية، حتى أنه كان يفاوض القوى الخارجية العالمية بحرِّية كاملة وإن كان يعلن في تلك المفاوضات تبعيته للدولة العثمانية إلا أنه اعترف بمناوأتهم له(٥).

على أنه تنبغي الإشارة إلى أن العلاقات بين الإمام فيصل والدولة العثمانية لم تسر على وتيرة واحدة خاصة أن السلطات في العاصمة العثمانية لم تكن على اتصال مباشر

---

(١) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/٢٨٢، عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ١٨٧، Winder: op.cit. p.207 . الكسي فاسيلييف: المرجع السابق، ص ٢٤٠.

(٢) جون كيلي: المرجع السابق، ص ٨٧-٨٨. ويذكر Winder: op.cit. p.207 أن الإمام فيصل كان يتخذ من إعلان ولائه للسلطان وسيلة لابعاد خطر هجوم والي مصر محمد علي باشا ضده، والواقع أن ذلك الوالي لم يعد له نشاط فعلي في الجزيرة العربية إلا ماكان تنفيذاً للأوامر العثمانية وبشكل محدود.

(٣) عبد الله العثيمين : تاريخ المملكة ...، ١/٢٨٢ .

(٤) بابا علي (BEO.V): دفتر ((٢٢٨) وثيقة (دون رقم).

(٥) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ١٥٣ .

بنجد، بل كانت الاتصالات تتم مع نجد من قبل السلطات العثمانية إما في العراق أو في الحجاز أو في مصر، وعن طريق تلك المناطق يتبين الموقف العثماني من الدولة السعودية الثانية؛ ففيما يتعلق **بالسلطات العثمانية في العراق** لم تشهد الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي أية اضطرابات في علاقة الجانبين وذلك نتيجة لتغير نظرة ولاة العراق إلى الإمام فيصل والدولة السعودية الثانية بشكل عام تبعاً للتطورات التي طرأت على الساحة السياسية في أعقاب الخلاف العثماني مع محمد علي باشا والتقارب السعودي مع ولاة العراق العثمانية.

ومما زاد من تحسن العلاقات بين الجانبين إلحاق الدولة العثمانية الإمام فيصل بتبعية والي بغداد ومن بعده متصرف البصرة[1]، مما جعل من المتحتم على الطرفين السعي لتحسين العلاقة بينهما، على أن ذلك الإلحاق لم يكن يعني شيئاً من الناحية الإدارية؛ إذ أن كثيراً من مشاكل نجد الإدارية المرتبطة بالدولة العثمانية كانت تحل عن طريق ولاة الحجاز العثمانيين وبالتعاون مع أمراء الحجاز[2].

على أن ثمة سبباً مهماً للعلاقات الجيدة بين الإمام فيصل وولاة العراق العثمانيين، وهذا السبب يتعلق بموقف الطرفين الرافض للتحركات العدائية التي كانت تحدث من بعض القوى ضد الدولة السعودية الثانية والسلطات العثمانية على حد سواء؛ فقد امتدت تحركات قبيلة العجمان من نطاقها المحلي في الأحساء[3] إلى النطاق الخارجي حين اتحدت

---

(١) جبران شامية: المرجع السابق، ص ٨٠ .

(٢) بابا علي (BEO.V): دفتر (٢٢٧) وثيقة (٢١) بشأن حل النزاع بين القصيم وعربان نجد بواسطة محافظ المدينة المنورة، ٧ ذي الحجة ١٢٧٩هـ.

؛ بابا علي (BEO.V): دفتر (٢٢٨) وثيقة (دون رقم).

(٣) كانت تحركات قبيلة العجمان كأي قبيلة تهدف لتوفير مصادر العيش بوسائل مختلفة مثل الاستيلاء على القوافل التجارية وقوافل الحجاج، بجانب البحث عن المراعي الكافية للماشية وذلك بالسيطرة على أكبر قدر ممكن من الأراضي، ورغم مابدر من تلك القبيلة خلال حكم الإمام تركي إلا أنها ظلت موالية للدولة السعودية الثانية لدرجة أن أحد أفرادها وهو بداح العجمي كان ضمن قادة قوات الإمام فيصل التي استعادت السلطة من مشاري بن عبد الرحمن، وفي عام ١٢٥٩هـ قدم زعماء العجمان لمبايعة الإمام فيصل في حريملاء. أبو عبد الرحمن =

جهودها مع قبائل المنتفق للقيام بنشاط مناويء ضد الدولة السعودية وولاية العراق العثمانية الأمر الذي استدعى توحيد الجهود لوقف عدائها، ففي منتصف سنة ١٢٧٦هـ/ ١٨٦٠م وفي الوقت الذي كان الإمام فيصل بن تركي يعمل جاداً لتجديد بيعة القبائل له لضمان وحدة بلاده(١) قامت قبيلة العجمان بزعامة راكان بن حثلين* بتجديد نشاطها المناويء للدولة السعودية الثانية حيث هاجمت الإبل التابعة للإمام فيصل بن تركي في مراعي الأحساء، وأخذت بعضاً منها ثم لاذت بالفرار إلى الكويت، والجديد في الأمر أن أفراد قبيلة العجمان نقلوا ميدان النزاع مع الدولة السعودية الثانية إلى خارج الأحساء بل

= ابن عقيل الظاهري. العجمان وزعيمهم راكان بن حثلين، ط٢، الكويت: ذات السلاسل، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ١٢٧.

غير أن أكبر الحوادث التي أثارت غضب الإمام فيصل ضد العجمان هو إقدامهم بزعامة فلاح ابن حثلين على مهاجمة قوافل الحجاج القادمين من الأحساء والبحرين والقطيف وفارس وقتل عدد منهم، ونهب أموالهم سنة ١٢٦١هـ فاعتبر الإمام ذلك العمل جريمة بشعة تسيء إلى سمعته باعتباره مسؤولاً عن حماية الحجاج، فتمت مطاردة فلاح وقبض عليه وأعدم في الأحساء، وبعد ذلك ظل العجمان بزعامة أخيه حزام بن حثلين يدينون بالولاء للدولة السعودية قرابة خمسة عشر عاماً. عثمان بن بشر: المصدر السابق ٢/١٤٥، ١٤٨، ١٧٧، عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ١/٢٦٨-٢٦٩.

ولم تلبث مشاكل العجمان أن عادت للظهور بعد تولي راكان بن فلاح زعامتهم منذ عام ١٢٧٦هـ فخرج نشاطهم إلى خارج الجزيرة العربية بشكل كان له أثر على علاقة الدولة السعودية بالقوى المجاورة، واستغرق إيقاف نشاطهم جهداً كبيراً من قادة الدولة السعودية.

(١) وثائق وطنية: وثيقة (٩٣٦)، دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من الإمام فيصل بن تركي إلى بعض شيوخ القبائل لتجديد بيعتهم له، ٤ شعبان ١٢٧٥هـ.

* راكان بن فلاح بن حثلين ولد سنة ١٢٣٠هـ، وتولى زعامة العجمان سنة ١٢٧٦هـ بعد تنازل عمه حزام له عنها، وقد شهدت فترة زعامته مشاكل بينه وبين الدولة السعودية الثانية، وفي عام ١٢٨٨هـ أسر على يد العثمانيين وأرسل إلى استانبول وظل سجيناً هناك حتى حوالي سنة ١٣٠١هـ حيث عاد إلى الجزيرة العربية وشارك مع الإمام عبد الرحمن بن فيصل بن تركي في محاولاته للحفاظ على الدولة السعودية الثانية، وكانت وفاته حوالي سنة ١٣١٠هـ. أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: العجمان...، ص ص ١١١، ١٢٨، ١٤٨-١٤٩، يحيى الربيعان: راكان بن حثلين، ط١، الكويت: شركة الربيعان، ١٩٩٥م، ص ص ١١٧، ١٩٢، ١٩٩ .

إلى خارج الجزيرة العربية، حيث أعلن الإمام فيصل الحرب عليهم وكلف ابنه عبد الله بتتبعهم أينما كانوا، فغادرت القوات السعودية الرياض في شعبان من تلك السنة متجهة إلى حدود الكويت لمطاردة جموعهم التي تفرقت بين بلدان تلك المنطقة، محاولة منهم لعدم تمكين الأمير عبد الله من الهجوم عليهم بغتة والقضاء عليهم، فحاولوا توزيع جموعهم على الوفراء والصبيحية والجهراء*، وحين وصلت القوات السعودية بدأت بتتبع فرقهم في تلك البلدان الواحدة تلو الأخرى، فهربت الفرقة الموجودة في الوفراء إلى الصبيحية ثم هربت منها مع فرقة الصبيحية إلى الجهراء حيث اجتمعوا مجدداً تحت زعامة راكان ابن فلاح بن حثلين، وقد بدأ عبد الله بن فيصل استعداده لمعركة فاصلة مع قبيلة العجمان متخذاً من بلدة ملح** مقراً عسكرياً لقواته، لكثرة آبار المياه العذبة فيها، إضافة إلى إمكاناتها الزراعية الجيدة، أما قبيلة العجمان فقد أبدت استعداداً كبيراً للمعركة، وخرجت نساؤهم لتشجيع الرجال في الحرب، وفي السابع عشر من رمضان ١٢٧٦هـ/ ابريل ١٨٦٠م جرت معركة دامية بين الطرفين أبدت فيها القوات السعودية بسالة كبيرة وألحقت بالعجمان هزيمة مريرة كلفتهم حوالي ٧٠٠ قتيل ومقادير كبيرة من الغنائم[١].

وقد أظهرت تلك المعركة كفاءة قوات عبد الله بن فيصل وعدم إمكانية المقارنة بينها وبين قبيلة العجمان التي كانت تفتقر لكثير من القوة خاصة الفرسان الذين كانوا قلة في صفوفها[٢]، على أن تلك المعركة أفرزت نتائج مهمة كان في مقدمتها تشتت قوات قبيلة العجمان بين البحرين وأطراف العراق، بينما هرب أكثرهم إلى الكويت، الأمر

---

* الوفراء والصبيحية والجهراء: بلدان متقاربة جنوبي الكويت على امتداد حدودها مع الدولة السعودية الثانية. يحي الربيعان: المرجع السابق، ص ص ٢٥-٢٨ .

** ملح: من بلدان الكويت الجنوبية وكان بها آنذاك ١٥ بئراً للمياه العذبة، وهي كثيرة المزارع في تلك الفترة. نفس المرجع السابق، ص ٢٥ .

(١) إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر...، ص ٢٧-٢٨ ويذكر نفس المؤرخ في كتابه تاريخ بعض الحوادث...ص١٧٣ وكذلك عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٩٥ أن عدد القتلى من العجمان ٥٠٠ رجل، وقد عرفت تلك المعركة بمعركة (ملح) نسبة إلى مكان وقوعها، كما تسمى معركة الجهراء لقربها من ذلك المكان. محمد العيدروس: تاريخ الخليج، ص١٦٤.

(٢) يحيى الربيعان: المرجع السابق، ص ١٤٤ .

الذي كاد أن يؤثر في علاقاتها مع الدولة السعودية الثانية[١].

وكان من نتائج المعركة تلك الفرحة العارمة التي عمت أرجاء الدولة السعودية الثانية حين انتشر نبأ الانتصار؛ فبادر الشيخ أحمد بن مشرف بإرسال تهنئة إلى الإمام فيصل بن تركي ضمنها قصيدة طويلة يصف فيها الانتصار، ويحثه على عدم التهاون مع قبيلة العجمان مستقبلاً[٢]، والأهم في ذلك الحدث أن تلك الفرحة لم تقتصر على السعوديين، بل عمت كافة البلدان التي كانت تعاني من هجمات واعتداءات قبيلة العجمان بما فيها العراق العثمانية الأمر الذي مهد لتقارب سعودي عثماني جديد اتضح من خلال مشاعر سكان البصرة والزبير، إضافة إلى قيام والي البصرة العثماني حبيب باشا بإرسال أحد رجاله وهو النقيب محمد سعيد محملاً بالهدايا إلى الأمير عبد الله ليقدم له التهنئة على ذلك الانتصار وهو لايزال في مكان المعركة، وكذلك فعل أمير الزبير سليمان ابن عبد الرزاق بن زهير، وفي أعقاب ذلك تحرك عبد الله بن فيصل عائداً إلى الرياض[٣] بعد أن فتحت تلك الأحداث المجال للتعاون بين الدولة السعودية الثانية وولاة العراق العثمانيين في المستقبل القريب.

ورغم ماحل بقبيلة العجمان من هزيمة وتشتت إلا أنهم سرعان مابدؤوا بجمع قواتهم من جديد تحت زعامة راكان بن حثلين الذي وجد في قبائل المنتفق حليفاً قوياً له مستغلاً حالة العداء بين زعماء تلك القبائل والسلطات العثمانية في العراق، وقد استهدف التحالف الجديد شن الهجمات ضد الأراضي العثمانية في العراق وضد الأراضي السعودية في آن واحد؛ وشهدت سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦١م هجمات متكررة من قبيلة العجمان وقبائل المنتفق ضد الأحساء والزبير والبصرة، لذا فإن والي البصرة حبيب باشا وبتكليف من والي بغداد عمد إلى الرد على هجماتهم بواسطة أهل نجد المقيمين في الزبير[٤]، ولعل

---

(١) عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت. بيروت: مكتبة دار الحياة، د.ت.ن، ص١٢٧.

(٢) أحمد بن مشرف: المصدر السابق، ص ص ٦١-٦٣ .

(٣) إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر...، ص ٢٨-٢٩.

(٤) إبراهيم بن عيسى: المصدر السابق، ص٣٠-٣١، عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق...، ورقة ٢٩٦. وقد كلف حبيب باشا أمير الزبير سليمان الزهيري بجمع قواته مع قوات أهل نجد لصد هجمات العجمان والمنتفق، وكان والي بغداد آنذاك أحمد توفيق باشا. دلال السعيد: المرجع السابق، ص ٢٢٠.

ذلك يعود إلى خبرتهم ومعرفتهم بالأماكن التي ستتجه إليها قبيلة العجمان حين تتم مطاردتها، كما أن في ذلك رسالة واضحة إلى تحالف المنتفق والعجمان بأن هناك تحالفاً مضاداً يتكون من العثمانيين والسعوديين.

وقد تخلى زعيم قبائل المنتفق ناصر بن راشد السعدون عن قبيلة العجمان، ولكن ذلك لم يكن ليغير من الوضع شيئاً إذ أن أعداداً كبيرة من قبيلته اتجهت إلى الكويت في طريقها إلى نجد لشن هجوم شامل ضد الدولة السعودية الثانية[١] بالتعاون مع قبيلة العجمان، وحين علم الإمام فيصل بذلك أعلن الحرب ضد قبيلة العجمان ومن معهم، فخرجت القوات السعودية من الرياض في أواخر شعبان ١٢٧٧هـ/ فبراير ١٨٦١م بقيادة الأمير عبد الله بن فيصل لقتال قبيلة العجمان التي اتخذت من الجهراء مقراً لها، وفي صبيحة الخامس عشر من رمضان/مارس فاجأت القوات السعودية قوات العجمان ومعها بعض قوات المنتفق والظفير في معركة لاتقل عن سابقتها في العام الماضي، سواء من حيث القوة أو من حيث النتيجة، بل إن مهارة الأمير عبد الله العسكرية أدت إلى خسارة العجمان لضعف ماخسروه في معركة ملح وذلك حين أجبر فلول العجمان الذين حلت بهم الهزيمة على التراجع تجاه البحر مستغلاً حالة الجزر فتوغلوا داخله ففاجأهم بمده وأغرقهم وهم قرابة ألف وخمسمائة رجل، واستولت القوات السعودية على كثير من الغنائم التي استغرق جمعها وتوزيعها عدة أيام[٢].

وكان من نتائج تلك المعركة مغادرة من بقي من مقاتلي قبيلة العجمان وهم قلة إلى مناطق بعيدة جداً عن الأراضي السعودية؛ فهرب أكثرهم إلى نجران، فيما تمكن راكان بن حثلين من الهرب إلى البحرين وبقي لاجئاً عند حكامها[٣]، وأدت المعركة إلى

---

(١) إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر...، ص ص ٣١-٣٤، إبراهيم بن عبيد: المرجع السابق ١٢٠/١-١٢٣. Winder: op.cit, p.172.

(٢) وقد عرفت تلك المعركة باسم معركة (الطبعة) أي الغرق وذلك لكثرة من غرق فيها من قبيلة العجمان. إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر...، ص ٣٤-٣٥، عبد الله بن محمد البسام: تحفة المتشاق...، ورقة ٢٩٦، إبراهيم بن عبيد: المرجع السابق ١٢٣/١-١٢٤، عبد العزيز الرشيد: المرجع السابق، ص ١٢٩.

(٣) أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: العجمان...، ص١٣٠، وقد هرب راكان من أرض المعركة=

كسر شوكتهم، ووقف تمردهم ضد الدولة السعودية طوال عهد الإمام فيصل ابن تركي[١]، وعادوا لإعلان الولاء والطاعة من جديد بعد أن تخلوا عن أعمالهم العدائية.

كما عمت الفرحة أوساط الأهالي في أرجاء الدولة السعودية وكرر الشيخ أحمد ابن مشرف تهنئته للإمام فيصل على ذلك الانتصار الذي وصلت أنباؤه متزامنة مع عيد الفطر مما جعل الفرحة مضاعفة [٢]، ومثلما حدث في العام الماضي فإن الفرحة عمت العراق العثمانية خاصة البصرة والزبير، ونتيجة للمشاعر المشتركة بين الأمير عبد الله ابن فيصل وولاة العراق تجاه تلك المشكلة فقد بادر الأمير عبد الله من قبله بإرسال موفد يحمل أنباء انتصاره الساحق إلى والي البصرة الجديد منيب باشا الذي عين في تلك الآونة، وإلى حاكم الزبير سليمان بن عبد الرزاق [٣].

وقد قام منيب باشا بدوره بمبادلة الأمير عبد الله التهاني بذلك الانتصار وأرسل إليه أحد رجاله محملاً بالهدايا، كما أرسل سليمان بن عبد الرزاق هدية أخرى مع محمد السميط إلى الأمير عبد الله بن فيصل[٤].

ويلاحظ من خلال الانتصارين السابقين للقوات السعودية على قبيلة العجمان أن تقارباً حدث بين الإمام فيصل وولاة العراق خاصة والي البصرة وذلك من أجل التعاون

= مرتجزاً واصفاً حالة قواته: ياقومنا مامن مطير جمعين والثالث بحر

يحيى الربيعان: المرجع السابق، ص ١٤٧ .

وقد سمح لراكان بالعودة للأحساء وعفي عنه من قبل الإمام عبد الله بن فيصل بن تركي سنة ١٢٨٣هـ. أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: العجمان...، ص ١٣٣ .

(١) إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر...، ص ٤٦ .

(٢) أحمد بن مشرف: المصدر السابق، ص ص ٦٣-٦٥ .

(٣) محمد بن خليفة النبهاني: المصدر السابق، ص ٣٣٧، دلال السعيد: المرجع السابق، ص ٢٢٥ ويذكر Philby; op.cit, p. 212 أن أهالي الزبير والبصرة أيضاً أرسلوا الهدايا إلى الأمير عبد الله بن فيصل.

(٤) إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر...، ص ٣٥.وقد بادر والي بغداد العثماني بإجراء تغيير في زعامة المنتفق حيث أسندت إلى بندر بن ناصر السعدون. محمد بن خليفة النبهاني: المصدر السابق، ص ٤٢٩-٤٣٠.

المشترك والوقوف ضد تلك الاعتداءات، كما أن أهل نجد المقيمين في العراق لعبوا دوراً مهماً في صد هجمات قبيلة العجمان على العراق العثمانية، وأصبحوا يقاتلون جنباً إلى جنب مع قواتها، لذا فإنه يمكن القول أن الدولة العثمانية ممثلة بولاتها في العراق قد وقفت موقفاً صلباً تجاه الخارجين عن طاعة الدولة السعودية الثانية، وعملت مابوسعها للقضاء على تمردهم، وبادرت بإرسال التهاني إلى القائد السعودي الأمير عبد ا لله ابن فيصل عقب كل انتصار يحقق ضدهم.

وقد أعقب ذلك زيادة في التقارب والود بين الدولة السعودية الثانية وولاة العراق؛ ففي سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦٢م احتج والي بغداد أحمد توفيق باشا على قيام الأسطول البريطاني بضرب ميناء الدمام التابع للإمام فيصل [(١)]، وقد برر أحمد توفيق باشا احتجاجه بأن ذلك الميناء تابع لفيصل بك "قائمقام نجد" التابعة للسلطان العثماني[(٢)]، وإزاء ذلك الموقف الإيجابي من والي بغداد قام الإمام فيصل بإرسال أحد إخوته إلى بغداد لتوجيه الشكر والتقدير للعثمانيين[(٣)]، ولم يقتصر التقارب مع ولاة بغداد على الإمام فيصل بن تركي فحسب بل إن أمراء البلدان التابعة له كانوا على صلات وثيقة مع بغداد، حيث تذكر بعض المصادر أن عبد ا لله بن رشيد أمير جبل شمر والصديق الحميم للإمام فيصل بن تركي اعتاد أن يهدي والي بغداد بعض الخيول سنوياً كدليل على حسن علاقته معه[(٤)]، وللاستفادة من تسهيلاته لقوافل شمر التجارية في العراق، وللفوز بمنصب أمرة قوافل الحج العراقي [(٥)].

أما فيما يخص **موقف العثمانيين في الحجاز** من الدولة السعودية الثانية فقد كانت العلاقات متوطدة بين الجانبين، وخلال السنوات الأولى من الفترة الثانية لحكم الإمام

---

(١) دلال السعيد: المرجع السابق، ص ٢٢٠ .

(٢) ج.ج. لوريمر: المرجع السابق ١٦٥٥/٣، وفي سنة ١٢٨٢هـ قام والي بغداد آنذاك وهو نامق باشا بتكرار الاحتجاج . دلال السعيد: المرجع السابق، ص ٢٢٠.

(٣) مستور الجابري: المرجع السابق، ص ٣٨ .

(٤) جورج أوغست فالين: المصدر السابق، ص ١١١ .

(٥) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: نجديون وراء الحدود...، ص ١٤٩، ٢١٧، ٢٢٠.

فيصل بن تركي لم يكن للولاة العثمانيين في الحجاز خاصة بعد عزل عثمان باشا والي جدة اتصالات فعلية مع الرياض، ولعل ذلك يرجع إلى وجود أمير مكة محمد بن عون بشخصيته القوية واستحواذه على السلطة وتوليه شؤون علاقة الإمام فيصل بالعثمانيين، غير أن الفترة الأخيرة من حكم الإمام فيصل بن تركي شهدت تقارباً كبيراً بينه وبين ولاة الحجاز العثمانيين الذين حاولوا التقرب إلى الدولة السعودية الثانية، وحل بعض المشاكل التي وقعت بين الإمام فيصل وبعض مناطق دولته خاصة في القصيم، ولعل وفاة محمد ابن عون كانت ذات أثر في ظهور التحركات العثمانية، حيث سحبت من ابنه عبد الله ابن عون مهمة حل مشكلة عنيزة مع الإمام فيصل، وأسندت إلى محافظ المدينة المنورة حافظ باشا الذي فوض من قبل السلطات العثمانية بتولي الأمر، فعمل على الوساطة بين الطرفين وانتهى الأمر بقبولهما الصلح ووضع حد لمشكلة [١] امتدت لما يقارب أربع عشرة سنة.

ولقد أعقب ذلك استمرار في تحسن علاقات الإمام فيصل بن تركي بالولاة العثمانيين في الحجاز، لدرجة أنه كان يبلغهم بتحركاته التي يقوم بها ضد بعض القبائل على حدوده مع الحجاز، ويرسل إليهم تقارير غزواته ضدها[٢]، على أن مشكلة رفض الإمام فيصل دفع الأموال المخصصة للدولة العثمانية بعد خلافه مع عبد الله بن عون استمرت دون حل الأمر الذي جعل السلطات العثمانية تسعى لحلها بشكل ودي عن طريق التفاهم المباشر مع الإمام فيصل، وإبلاغه أنه حاكم لنجد باسم الدولة العثمانية، وأنه قد رضي بدفع المبلغ المقرر من قبل وعليه الاستمرار في ذلك[٣].

أما مصر العثمانية فقد كانت علاقاتها بالدولة السعودية الثانية آخذة في التحسن منذ الظروف التي ترتب عليها خروج الإمام فيصل من سجنه وعودته للحكم، وقد ساعدت العلاقات الجيدة بين الإمام فيصل وعباس باشا على تقوية الروابط بين الجانبين، وتعود تلك العلاقة إلى مساعدة عباس باشا للإمام فيصل بن تركي بالخروج من مصر[٤]

---

(١) بابا علي (BEO.V) : دفتر (٢٢٧) وثيقة (٢١) .

(٢) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ١٥٤.

(٣) بابا علي (BEO.V): دفترة (٢٢٨) وثيقة (دون رقم).

(٤) محمد جلال كشك: المرجع السابق، ص ٢٠٠ .

إضافة إلى ولاء عباس باشا للجزيرة العربية باعتبارها مسقط رأسه حيث ولد في جدة، وحرص بعد ذلك على إبقاء ذكرياته فيها وشراء المنزل الذي ولد فيه(١)، بجانب حسن علاقته مع الأمراء التابعين للإمام فيصل مثل عبد الله بن رشيد الذي كان يبادله الهدايا السنوية، وكان عباس باشا يرسل وفداً سنوياً لشراء الخيول من نجد خاصة من جبل شمر، وفي نفس الوقت كان عدد من بقايا الجنود التابعين لولاية مصر العثمانية يعملون في خدمة ابن رشيد(٢)، ومن هنا كان عباس باشا يسعى جاداً لزيادة ارتباطه بنجد وحاول إنشاء اتصالات بريدية معها غير أن مضايقات القبائل القاطنة بين نجد والحجاز منعته من تنفيذ ذلك(٣).

وإزاء تلك الدوافع شهد عهد عباس باشا قمة ازدهار علاقة الدولة السعودية الثانية بمصر العثمانية، غير أن حدثين مهمين كان لهما أثر في مسيرة تلك العلاقات وهما **حملة محمد بن ناصر العثمانية** ضد نجد، **والحملات العثمانية على عسير** وكلا الحدثين كان مرتبطاً بولاية مصر التي كانت تنفذ توجيهات السلطان العثماني وأوامر دولته.

---

(١) طه حسين الدالي: المرجع السابق، ص ٢ .

(٢) جورج أوغست فالين: المصدر السابق، ص ١٠١، ١١٠-١١١ .

(٣) لويس بلي: المصدر السابق، ص ٧٩ .

ـ حملة محمد بن ناصر على نجد (١٢٦٨هـ/ ١٨٥٢م):

لاتذكر المصادر معلومات وافية عن تلك الحملة، ولعل ذلك يعود إلى ضآلة عدد جنودها ومحدودية إمكاناتها، وإلى عدم إحرازها شيئاً يذكر لدرجة أنها لم تتوغل داخل نجد واكتفت بمهاجمة بلدانها الحدودية ثم عادت أدراجها.

ولاتوفر المصادر أسباباً واضحة لمسير تلك الحملة، وكل ماذكر في هذا الجانب لايعدو اجتهادات بعيدة عن الواقع خاصة حين يذكر البعض أن سبب الحملة يعود إلى رفض محمد علي باشا لسيطرة الإمام فيصل على الحكم في دولته بعد عودته من مصر، فحاول والي مصر القضاء عليه[1]، والواقع أن في هذا التبرير مغالطات واضحة من أبرزها أن محمد علي باشا قد توفي قبل سنتين من تلك الحملة، ولايمكن القول أنه قد عزم على إرسالها وخطط لها قبل موته، لأنه قد تخلى عن الحكم قبل سنتين من وفاته.

أما إن كان القصد استخدام تعبير حكومة محمد علي باشا التي تولى زعامتها آنذاك عباس باشا وخطط للحملة فإن ذلك يرد عليه من جانبين: الأول يتعلق بحسن علاقة عباس باشا بالإمام فيصل بن تركي، والثاني يتعلق بوضع حكومة مصر العثمانية في تلك الفترة، حيث أصبحت نشاطاتها محصورة داخل مصر، وأصبح ولاتها يأتمرون بأمر السلطان العثماني، ولايمكن أن يقدموا على خطوة كهذه دون أمره.

وفي واقع الأمر أن سبب الحملة الرئيسي يتمثل بتكليف السلطان العثماني لوالي مصر عباس باشا بإنفاذ حملة هدفها القضاء على الثورات في عسير، ولذا فإن عباس باشا بدأ بإرسال طلائع الحملة إلى الحجاز تمهيداً للحاقه بها مع بقية القوات ومن ثم الاتجاه إلى عسير، وحين وصلت تلك الطلائع إلى المدينة المنورة[2] حاول محمد بن ناصر أحد القادة الموالين للسطات العثمانية في الحجاز الاستفادة منها بضمها لقوات كوّنها من أهل المدينة وبعض القبائل وذلك للهجوم على فئات من القبائل التابعة للدولة السعودية الثانية على حدود الحجاز لإجبارها على الخضوع للحكم العثماني[3]، وفي نفس الوقت أراد محمد

---

(١) سيد محمد إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٦٩ .

(٢) سعد بدير الحلواني: العلاقات...، ص ٧١-٧٢ .

(٣) وثائق وطنية: وثيقة (٩٣٩) دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

ابن ناصر بحملته تلك توجيه رسالة للإمام فيصل بن تركي بضرورة الاستمرار بولائه للدولة العثمانية، وإن لم يفعل فإن تلك القوات بإمكانها إجباره على ذلك، مما يعني أن الحملة كانت محاولة عثمانية لجس نبض الإمام فيصل بن تركي ومعرفة موقفه من الأوضاع المحيطة به، ومدى قدرته على حماية أطراف دولته.

وعلى أية حال فإن الحملة قد خرجت من المدينة المنورة في جمادى الآخرة ١٢٦٨هـ/ مارس ١٨٥٢م متجهة إلى نجد متخذة من بلدة الفوارة * ذات المزارع والنخيل هدفاً لها، وقد تمكنت الحملة من هزيمة أهالي البلدة، والاستيلاء على مقدراتها دون صعوبة تذكر، غير أن الحملة لم تلبث أن تراجعت إلى المدينة المنورة، ولعل ذلك بسبب رغبة قائدها جس نبض الإمام فيصل، ومعرفة رد فعله على مهاجمة الفوارة، لذا فإنه بادر بعد بضعة أيام بالعودة لمواصلة هجماته على القبائل الموالية للدولة السعودية الثانية حيث اتجه بجنود أكثر مما سبق قاصداً فئات من قبيلة عتيبة على ماء الدفينة، وتمكن بالفعل من هزيمتها، وسلبها كثير من الغنائم، وبعد ذلك عاد إلى المدينة المنورة في رجب من تلك السنة(١).

ومن الواضح أن تحركات محمد بن ناصر تلك لم تشكل أهمية كبيرة لدى الإمام فيصل بن تركي معتبراً إياها هجمات خاطفة يائسة لن تفت من عضد القبائل التابعة له، ولذا فإنه لم يتخذ خطوات فعالة لمواجهتها، ولم يتحرك إلا بعد أن وصلته الأخبار بأن تلك التحركات ماهي إلا مقدمة لهجوم شامل ضد الدولة السعودية الثانية، وأن والي مصر عباس باشا قد تحرك قادماً إلى الحجاز بصحبة حملة يقارب عددها عشرة الآف مقاتل بهدف شن هجوم لإخضاع نجد(٢)، وهنا أمر الإمام فيصل قواته بالاستعداد للمواجهة وأعلن النفير في جميع أنحاء الدولة السعودية الثانية، وخرج بنفسه لقيادة القوات

---

* الفوارة بلدة كثيرة المزارع والنخيل يسكنها بنو عبد الله من حرب، وهي أحدى القرى الغربية لمنطقة القصيم. حمد الجاسر: المعجم الجغرافي ٢/ ٩٤٠، محمد بن عبد الله بن بليهد: المرجع السابق، ٣/ ٢١٣.

(١) إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر...، ص ٨، إبراهيم بن عبيد: المرجع السابق، ١/ ٩١ .

(٢) إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر...، ص ٧-٨، محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ١٥٤.

متخذاً من بلدة المجمعة مركزاً لانطلاقتها، ونظراً لما عرفه الأهالي من بطش وظلم الحملات السابقة فقد أصابهم الذعر من عباس باشا وحملته، إلا أن الإمام فيصل كان مصراً على صد الحملة والصمود أمامها، وحين كان الاستعداد للمواجهة على أشده وصلت الأخبار في شهر رمضان من تلك السنة مفادها أن تلك الحملة لاتستهدف الدولة السعودية الثانية، بل إن هدفها الاتجاه بصحبة طلائعها الموجودة في المدينة المنورة إلى منطقة عسير بأمر من السطان العثماني، وهنا تنفس الأهالي الصعداء واطمأنت نفوسهم، غير أن الإمام فيصل أراد الاطمئنان على أمن بلاده، فبقي في معسكره هذا حتى تأكد أن عباس باشا قد اتجه بالفعل بقواته إلى عسير [١].

وهكذا لم تشكل حملة محمد بن ناصر خطراً يذكر على الدولة السعودية، بل إنها لم تحقق مايستحق الذكر سوى بعض المكاسب المادية الضئيلة؛ إلا أنها قد أوضحت موقف بعض العناصر المناوئة للدولة السعودية الثانية في الحجاز، ومحاولاتها التصدي للقوات السعودية ومنعها من التعرض للحجاز مرة أخرى في أعقاب حملة الأمير عبد الله ابن فيصل على المنطقة إبان لجوء أمير بريدة عبد العزيز آل عليان، وتنبع أهمية حملة محمد ابن ناصر تلك من كونها آخر نشاط مناويء يصدر من أمراء الحجاز وولاتها تجاه الدولة السعودية الثانية، ورغم ماأفرزته تلك الحملة وتحركات عباس باشا من اضطراب في العلاقة [٢] بين الدولة السعودية الثانية من جانب وبين كل من ولاة مصر العثمانية وولاة الحجاز من جانب آخر إلا أن تلك العلاقة لم تلبث أن عادت إلى التحسن، وإن شابها بعض الفتور نتيجة للنشاط العثماني المعادي لأهالي عسير الذين كانوا يدينون بالولاء للدولة السعودية الثانية والإمام فيصل بن تركي.

---

(١) إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر...، ص٨-٩، إبراهيم بن عبيد: المرجع السابق ٩١/١ ، سعد بدير الحلواني: العلاقات...، ص ٧٣، Philby: op.cit, p. 206 .

(٢) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ١٥٤ .

ـ الحملات العثمانية على عسير وموقف الإمام فيصل بن تركي منها:

من المعروف أن منطقة عسير كانت من المناطق التي رحبت بالدعوة السلفية منذ وقت مبكر الأمر الذي أدى إلى دخول المنطقة في نطاق الدولة السعودية الأولى، ولقد ظل ولاء أهالي المنطقة للدعوة مستمراً رغم ماحل بتلك الدولة من أخطار انتهت بسقوطها على يد قوات محمد علي باشا سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م.

وحين تمكن الإمام تركي بن عبد الله من بناء الدولة السعودية الثانية من جديد كان أمراء عسير من المبادرين بالتعاون مع القيادة السعودية سواء في عهد سعيد بن مسلط أو علي بن مجثل ومن بعدهما عايض بن مرعي ثم محمد بن عائض حيث اتحدت مشاعر الطرفين إزاء الدعوة السلفية، وفي نفس الوقت جمعها العداء المشترك لنشاط الحملات العثمانية في نجد وعسير، ومن هنا فليس مستغرباً أن تتم المراسلات بين الطرفين لتوحيد الجهود ضد تلك الحملات.

غير أن الامتحان العسير للإمام فيصل بن تركي كان يتمثل بموقفه من الحملات العثمانية الموجهة إلى عسير والتي كانت فيما مضى سبباً معلناً لإقدام محمد علي باشا على إرسال حملة إسماعيل بك ثم حملة خورشيد باشا ضد الدولة السعودية الثانية، وإنهاء فترة حكم الإمام فيصل الأولى حين رفض تقديم الدعم والمساعدة لحملات والي مصر ضد عسير آنذاك.

وعندما عاد الإمام فيصل للحكم من جديد كان عليه أن يتجنب مايثير غضب السلطات العثمانية ضده، لأنه أدرك استحالة المواجهة معها، لذا كان عليه أن يختار بين أمرين: إما أن يبدي معارضته لتلك الحملات فعلياً، ويقدم المال والسلاح والرجال لأهالي عسير مع محاولة تهدئة الموقف العثماني، وفي هذه الحالة سيتعرض لما سبق أن تعرض له من قبل من هجمات عثمانية على بلاده، والأمر الثاني أن يقف على الحياد، ويكتفي بالمشاركة الوجدانية والتشجيع المعنوي لأهالي عسير، وهذا هو الطريق الأسلم لمن هو في مثل وضعه، ولعل هذا مايفسر وقوفه على الحياد خلال الحملة العثمانية التي قادها عباس باشا بقوات قاربت عشرة الآف مقاتل سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م[١] لقتال أهالي عسير

---

(١) سعد بدير الحلواني: العلاقات...، ص ٧٣ .

رغم محاولات أمير المنطقة عايض بن مرعي إيضاح موقفه للسلطان العثماني، وأنه يعمل لتأمين سبل الحجاج وزوار البيت الحرام، ولاقصد له سوى ذلك(١).

ورغم كثرة عدد جنود حملة عباس باشا إلا أن عايض بن مرعي ومعه أهالي عسير تمكنوا من إلحاق هزيمة نكراء بها، وهو الأمر الذي كان نصراً للإمام فيصل بن تركي نفسه، ولاأدل على اتحاد مشاعر الطرفين من إرسال عايض بن مرعي وفداً إلى الرياض يحمل نبأ الانتصار، وشيء من الغنائم الهائلة التي تم سلبها من القوات العثمانية، بل أنه أرسل خمس الغنيمة كنوع من إعلان الولاء للدولة السعودية (٢)، ولاشك أن سعادة الإمام فيصل بن تركي كانت تنبع من إدراكه أن الهجوم على عسير هجوم على نجد، وأن الحملات العثمانية على عسير كان من الممكن أن تتجه لنجد كما حدث سابقاً، لولا أن الدولة العثمانية رأت أن ضرب أتباع الدولة السعودية في عسير أسهل من التوغل إلى نجد بشكل يؤدي لكثير من الخسائر(٣) التي لامبرر لها خاصة في ظل إعلان الإمام فيصل ولاءه للدولة العثمانية.

وقد بادر الإمام فيصل من جانبه بإرسال تهانيه إلى عايض بن مرعي بذلك الانتصار، كما جادت قريحة الشيخ أحمد بن مشرف بقصيدة طويلة يمدح فيها القيادتين في نجد وعسير ويثني على دورهما في الجهاد وصد الاعتداء العثماني(٤).

وحين تولى إسماعيل باشا * الأمر في مصر لم يكن التعامل بينه وبين الإمام فيصل

---

(١) I-Measaili-Muh: No. 2437.I .

(٢) إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر...، ص ص ٩-١٤.

(٣) أمين الريحاني: المرجع السابق، ص ٩٦.

(٤) أحمد بن مشرف: المصدر السابق، ص ص ٥٢-٥٩.

* هو الأبن الأكبر لإبراهيم بن محمد بن علي باشا، ولد سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م وتعلم في مصر ثم في فرنسا، وقد تولى الحكم في مصر بعد وفاة عمه سعيد باشا سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٣م، وشهدت بداية عصره إزدهاراً كبيراً وتحسناً للعلاقات مع الدولة العثمانية، حيث قام إسماعيل بزيارة للسلطان العثماني عبد العزيز لتسلم فرمان تعيينه، ووجه له الدعوة لزيارة مصر فلبى السلطان الدعوة في نفس السنة كأول سلطان عثماني يزور مصر منذ عهد سليم الأول، وقد شهد عهد إسماعيل منحه لقب خديوي، وهي كلمة فارسية بمعنى حاكم، وانتهى الأمر بخلع =

ابن تركي كما كان إبان عهد عباس باشا، حيث أصبح الإمام فيصل يتخوف من إسماعيل باشا ويشك في تصرفاته السياسية(١)، ورغم ذلك فقد حاول الإمام فيصل تلطيف الأجواء معه فأرسل له بعضه الهدايا أواخر سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٣م (٢)، فتقبلها إسماعيل باشا، وأرسل خطاب شكر إلى الإمام فيصل في ٧ جمادى الأولى ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م يبلغه فيه بقبول الهدايا، لذا فإن العلاقات أخذت في التحسن وعادت الثقة بينهما(٣).

على أن الاختبار الفعلي لتلك العلاقات جاء في ٢٥ ذي الحجة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٤م حين أرسل إسماعيل باشا رسالة إلى الإمام فيصل يطلب منه التعاون مع القوات التي قرر إرسالها بطلب من السلطان العثماني لقتال أهالي عسير، وطلب منه تسهيل أمور الحملة وتقديم مايلزمها مذكراً إياه بحسن العلاقات بين مصر العثمانية والدولة السعودية الثانية(٤)، وضرورة الحفاظ عليها.

ومن الواضح أن إسماعيل باشا والدولة العثمانية ككل حاولت الاستعانة بالإمام فيصل بن تركي لتوطيد نفوذها في جنوب الجزيرة العربية وضرب الممتنعين عن الخضوع

= إسماعيل باشا سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م، فرحل إلى إيطاليا ثم اتجه بعد ست سنوات إلى الأستانة وبقي فيها حتى وفاته سنة ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م ونقل ليدفن في القاهرة. الموسوعة العربية الميسرة، ١/١٥٩، محمد صبري: المرجع السابق، ص ص ٩٥-٩٦، ١٧٦-١٧٧، عمر عبد العزيز عمر: دراسات في تاريخ العرب الحديث المعاصر، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٠م، ص ص ٢٤٧، ٢٥٠-٢٥١، ٢٨٠.

(١) ومن ذلك أنه كان يعتقد أن زيارة وليم بلجريف للرياض سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م كانت بتدبير من إسماعيل باشا لاختبار نوايا الدولة السعودية تجاه مصر. عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ١٣٩ .

(٢) عبد الفتاح أبو علية: المرجع السابق، ص ١٩٠ .

(٣) أوامر عربي: دفتر (١٩١٠) وثيقة (٤) .

(٤) أوامر عربي: دفتر (١٩٠٨) وثيقة (٤٢) رسالة من الخديوي إسماعيل إلى الإمام فيصل حول قمع ثورة عسير، ٢٥ ذي الحجة ١٢٨٠هـ. نقلاً عن عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ٣٣٢.

لها، مستغلة حسن العلاقة معه، وماوصل إليه من قوة وسمعة حسنة[١].

ولقد جاء ذلك التكليف كأقسى امتحان للإمام فيصل إذ لم يعد لديه خيار إلا تنفيذ ماطلب منه أو رفض المهمة، ففي حالة قبول المهمة فإن ذلك يعني إعلان الحرب على جزء من دولة آبائه وأجداده، وحلفاء مخلصين ومؤيدين له، وفي نفس الوقت فإن في ذلك تأييداً للدولة العثمانية التي هي في الأصل قوة مناوئة له طالما عملت لقتاله والتخلص منه، أما في حالة رفض المهمة فإن ذلك يعني هدم ماتم بناؤه على مدى عشرين عاماً مضت حاول خلالها التفاهم مع العثمانيين وإعلان طاعته لهم حفاظاً على دولته واستمرارية بنائها.

وهنا تتجلى براعة الإمام فيصل بن تركي وحنكته السياسية، فلم يبد جواباً للأمر وفضل السكوت امتصاصاً للحماس العثماني، كما أن علاقته الطيبة مع مؤيديه في عسير تمنعه من تقديم المساعدة لأعدائهم، لذا فإنه عاد إلى حياده ولم يقدم الدعم للقوات العثمانية[٢]، وإنما حاول تهدئة موقف إسماعيل باشا والتظاهر أمامه بمظهر المتعاون، فأرسل له رسالة يعرض فيها خدماته التي لن يقدمها فعلياً، فما كان من إسماعيل باشا إلا أن اكتفى بهذا الموقف من الإمام فيصل ووجه له الشكر على مشاعره معلناً الرغبة بدوام الصداقة بينهما [٣].

لذا فإن الإمام فيصل بن تركي قد تمكن من اجتياز هذا الامتحان ومما زاد من نجاحه أن الأزمة بين الدولة العثمانية وعسير قد حلت سلمياً[٤]، دون أن يخسر حلفاؤه أهل عسير شيئاً، حيث عقدت معاهدة صلح بين محمد بن عايض زعيم عسير وأحمد أفندي كممثل لحكومة إسماعيل باشا [٥] ونيابة عن الدولة العثمانية.

واستمرت العلاقات بين الإمام فيصل بن تركي والدولة العثمانية ممثلة بولاية مصر

---

(١) دلال السعيد: المرجع السابق، ص ٢٢٢ .

(٢) سعد بدير الحلواني: العلاقات...، ص ٧٦ .

(٣) دلال السعيد: المرجع السابق، ص ٢٢٦ .

(٤) عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ١٩١-١٩٢ .

(٥) وقد تم عقد الصلح في ربيع الثاني سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م وحضره أمير مكة عبد الله بن عون باعتباره أميراً عثمانياً في الحجاز. سعد بدير الحلواني: العلاقات...، ص٧٨ .

في تحسن مستمر بشكل اتضح إبان زيارة الكولونيل لويس بلي كموفد للحكومة البريطانية إلى الرياض سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م محملاً بالهدايا لمفاوضة الإمام فيصل كي يمنح البريطانيين مركزاً سياسياً وعسكرياً في المناطق التابعة للدولة السعودية الثانية من ساحل الخليج العربي، فما كان من الإمام فيصل إلا أن رفض الطلب البريطاني، وأمر بإعادة هدايا لويس بلي إليه، ثم أرسل إلى إسماعيل باشا يبلغه بالأمر، وبين له الرد الموجه إلى الموفد البريطاني قائلاً :"...وقد تعذرناه ورجعنا عليه هديته، حيث أن هذه الأماكن في يدنا من الممالك المحروسة الراجعة إلى خليفة رسول الله، السلطان نصره الله ..."(١).

وهو بذلك يعيد إعلان الولاء للدولة العثمانية محافظاً على علاقاته الحسنة مع ممثليها سواء في العراق أو الحجاز أو مصر متجاوزاً أزمة الحملات الموجهة ضد عسير والتي كادت أن تعكر حسن علاقته بالسلطان العثماني.

وهكذا كان لموقف الدولة العثمانية من القوى الخارجة عن طاعة الدولة السعودية الثانية أثراً مهماً في زيادة تقارب الدولتين نتيجة لرفض العثمانيين نشاط قبيلة العجمان الخارج عن طاعة الدولة السعودية، لذا فليس من المستغرب أن تجد تحركات القوات السعودية ضد ذلك النشاط الترحيب والتعاون من ولاة العراق العثمانيين، خاصة أن ذلك النشاط قد طال بلادهم، ولم يقتصر على المصالح السعودية، وإزاء ذلك حاول العثمانيون الاستفادة من إمكانات الإمام فيصل لرد الخارجين إلى الطاعة من جديد وهو إجراء كان لابد أن يتخذه الإمام بمبادرة منه باعتبار قبيلة العجمان جزءاً من دولته يتحمل مسؤولية أعمالها.

وحين أراد العثمانيون الاستفادة من إمكانات الإمام فيصل بن تركي ضد المؤيدين للدولة السعودية الثانية في عسير اختلف الموقف، فرفض الإمام فيصل تقديم العون للحملات العثمانية، وبقيت مشاعره واضحة تجاه أهالي عسير، فشجعهم وسارع بتبادل التهاني بانتصاراتهم التي حققوها ضد تلك الحملات، وإن حاول في نفس الوقت الحفاظ على مودته مع السلطات العثمانية.

---

(١) عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ١٤٦ .

ومن خلال ماسبق يتضح أن موقف الدولة العثمانية مــن الدولـة السـعودية الثانيـة خلال الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي كان موقفاً ودياً بشكل عام سواء من جانب ولاية العراق أوالحجاز أو مصر، وظهر تخلي السلطات العثمانيـة عـن مواقفهـا السابقة المناوئة للسعوديين، بل إن الأمر وصـل إلى محـاولات عثمانيـة جـادة للتقـرب مـن الإمام فيصل بن تركي، والدفاع عنه ضد نشاطات بريطانيـا، والتعـاون معـه ضـد القـوى ذات النشاط المناويء له في الجزيرة العربية، ومن ثم محاولة استخدامه كقوة لضرب قـوى مؤيدة له بسبب رفضها الخضوع للنفوذ العثمـاني، وتمخـض عـن ذلـك الوضـع اسـتمرار الإمام فيصل في بناء دولته لفترة تزيد عن عشرين عاماً بشكل جعل القوى الأخرى تضـع له الاعتبار الكامل وتحسب له ألف حساب.

* وفاة الإمام فيصل بن تركي وآثارها:

استمر الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود يسيطر على دولته وشؤونها الداخلية ببراعة سياسية فائقة، لم يؤثر فيها ما أصابه من كبر السن، وفقدان البصر، ثم إصابته بالشلل منذ محرم ١٢٨٢هـ يونيو ١٨٦٥م[١]، ورغم أنه أسند كثيراً من أعباء الدولة إلى ابنه الأكبر عبد الله [٢] إلا أن السلطة ظلت بيده، وكان يقابل الوفود الخارجية، ويتخذ قراراته السياسية إزاءها بمنتهى الحكمة، وبشكل جعل الدولة السعودية الثانية تشهد قمة ازدهارها ومجدها، فأضحت تسيطر على منطقة تمتد من وادي السرحان شمالاً حتى وادي الدواسر جنوباً، ومن الحجاز غرباً حتى عمان وساحل الخليج العربي شرقاً[٣]، كما تميزت تلك الحقبة بهدوء الأوضاع الداخلية للدولة حاضرة وبادية حيث أضحت جميع بلدانها وقبائلها تدين لها بالولاء والطاعة [٤].

وقد جاءت وفاة الإمام فيصل بن تركي في منتصف عام ١٢٨٢هـ/ أواخر عام ١٨٦٥م[٥] كفاجعة عظيمة للدولة السعودية عامة حيث شكل ذلك الحدث المرحلة الأولى من نهاية تلك الدولة، وأصابت وفاة الإمام فيصل الأهالي بالحزن العميق لأنهم

---

(١) لويس بلي: المصدر السابق، ص ٧٦، ٧٩، ج.ج لوريمر: المرجع السابق، ٣/١٦٥٣.

(٢) I.Dahiliye: No. 34428. D.
Philby: op, cit, p. 218.

(٣) مقبل الذكير: تاريخ ... (مطالع السعود)، ١/٩٦ .

(٤) مقبل الذكير: العقود الدرية...، ورقة ٩٤ .

(٥) تذكر المصادر المحلية أن تاريخ وفاة الإمام فيصل هو ٢١ رجب ١٢٨٢هـ/ ديسمبر ١٨٦٥م محمد الفاخري: المصدر السابق، ص١٨٧، إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر...، ص ٤٩، عبد الله ابن محمد البسام: تحفة المشتاق..، ورقة ٣٠١، مقبل الذكير: العقود الدرية ....، ورقة ٩٤.
بينما جاء في كتاب عرض حكومة المملكة العربية السعودية ١/٢٣٥ أن وفاته كانت في جمادى الثانية/ نوفمبر من نفس العام. "محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٢١٧ ".
وتشير بعض المراجع إلى أن وفاته كانت بسبب إصابته بالكوليرا. ج.ج لوريمر: المرجع السابق ٣/١٦٥٣، غير أن المصادر المعاصرة لم تذكر شيئاً عن انتشار ذلك الوباء في نجد خلال تلك الفترة .

اعتادوا خلال فترة حكمه الثانية التي امتدت لما يقارب ثلاثاً وعشرين سنة على الأمن والطمأنينة في بلادهم وممتلكاتهم، بعد أن تخلصوا مما عانوه من بطش الحملات المناوئة في فترات سابقة جعلت الشخص لايأمن على نفسه وبيته، غير أن عودة الإمام فيصل للحكم قد أعادت الأمن لهم، واتحد الجميع للعمل يداً واحدة لبناء الدولة وتقويتها تحت زعامة أبرز حاكم من حكام الدولة السعودية الثانية، وكان من الطبيعي أن تمتد مشاعر الحزن بوفاته إلى جميع فئات المجتمع، وتتضح تلك المشاعر من خلال القصيدة التي جادت بها قريحة الشيخ أحمد بن مشرف رثاءً له حيث بين مناقبه وفضائله وجهوده لخدمة الدولة وصد الأعداء ونشر الأمن بشكل أثار إعجاب الأعداء به فأصبحوا يهابون دولته ويخشون الاصطدام بها [(١)].

لقد كانت وفاته فرصة طالما انتظرتها القوى المناوئة للدولة السعودية الثانية للعمل على التدخل في شؤون دولته مدركة مدى الفراغ السياسي الهائل الذي نتج عن وفاته حيث ظهرت الأطماع العثمانية مجدداً للتدخل والسيطرة على الأراضي السعودية في محاولة منها لسبق البريطانيين في تحقيق نفس الهدف [(٢)]، كما أنها خشيت من أن تعمل بريطانيا على كسب ود أبناء الإمام فيصل ومحاولة التأثير عليهم للسماح لها بالحصول على مركز عسكري وسياسي على الشواطيء السعودية، وهو الأمر الذي سبق أن رفضه والدهم من قبل [(٣)]، ولذا فقد ترتب على وفاة الإمام فيصل بن تركي محاولات عثمانية

---

(١) أحمد بن مشرف : المصدر السابق، ص ٩٧-٩٨ .

(٢) نورية محمد الصالح: علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني (١٨٦٦-١٩٠٢م)، ط١، الكويت: دار ذات السلاسل، ١٩٧٧م، ص٦١.

(٣) كان من أهداف زيارة الكولونيل لويس بلي إلى الرياض أواخر عهد الإمام فيصل محاولة الحصول لبريطانيا على مركز سياسي وعسكري في السواحل الشرقية للدولة السعودية، غير أن الإمام فيصل رفض ذلك العرض ورفض التفريط بأي شبر من بلاده، كما أوضح ذلك في رسالة إلى الخديوي إسماعيل والي مصر. عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص١٤٦، كما أكد ذلك الأمير عبد الله بن فيصل مرة أخرى في رسالة إلى الخديوي إسماعيل، محافظ بحر برا: محفظة (١٩) وثيقة (٢) رسالة من عبد الله بن فيصل إلى الخديوي حول مهمة لويس بلي وحملة مدحت باشا، دون تاريخ.

للتدخل في شؤون الدولة السعودية عن طريق استغلال الأوضاع الداخلية السيئة التي أعقبت وفاته وذلك لمد السيطرة على الأحساء وهو ماتحقق بعد خمس سنوات من ذلك الحدث.

وفي نفس الوقت فإن القوى المحلية عادت إلى عهد الفتن والاعتداءات لأنها افتقدت للسلطة القوية التي كانت تردعها عن تلك الأعمال، فرغم مبايعة الأهالي للأمير عبد الله بن فيصل إماماً بعد والده إلا أن الأمر لم يصف له حيث واجه تمردات شتى، وشهد عهده حروباً متعددة، وفتناً كثيرة، تسببت على المدى البعيد في سقوط الدولة السعودية الثانية، ولاشك أن تلك الفتن والتمردات لم تظهر على السطح بوجود الإمام فيصل بن تركي لمااتصف به من قوة مقرونة بالحكمة والدهاء السياسي الذي من شأنه كسب جميع الفئات إلى جانبه.

على أن أعظم الآثار المتمخضة عن وفاة الإمام فيصل بن تركي كان اختلاف أبنائه من بعده بشكل أتاح الفرصة أمام القوى المناوئة داخلياً وخارجياً للتدخل علانية بشؤون الدولة السعودية، ومحاولة تصفية حساباتها معها، والانتقام لما قام به حكامها من جهود لكبح تلك القوى إبان عهد الأزدهار والقوة، وهنا انتقلت الدولة السعودية إلى مرحلة جديدة أشغلت قادتها عن حماية أطراف بلادهم وصد العدوان الخارجي والداخلي ضدها، فبدأ بريق قوتها بالاضمحلال، وتجزأت وحدتها.

لقد كان للإمام فيصل بن تركي حين وفاته أربعة من الأبناء هم عبد الله ومحمد وسعود وعبد الرحمن، وكان من الطبيعي أن يؤول الحكم لعبد الله باعتباره الابن الأكبر وولي العهد[١]، كما أنه كان مفوضاً بتصريف الحكم في عاصمة الدولة خلال السنوات الأخيرة من حكم والده[٢]، إضافة إلى قيادته للجيوش في حروب حاسمة مما جعله ذائع الصيت مهاب الجانب[٣]، ومن هنا فقد تمت البيعة له بمجرد وفاة والده، وكانت البيعة

---

(١) إبراهيم بن عيسى؛ عقد الدرر...، ص ٥١ .

(٢) I-Dahiliye: no. 34428. D.

بينما كان إخوته أمراء على المناطق الأخرى حيث كان محمد في القصيم وماحولها بينما كان سعود أميراً في الخرج والأفلاج، فيما بقي عبد الرحمن بجانب والده الإمام فيصل في الرياض. حصة السعدي: المرجع السابق، ص ٢٨٢.

(٣) أحمد بن مشرف: المصدر السابق، ص٥٠-٥١.

جماعية لاستثناء فيها، وكان على زعامة المبايعين أخوه سعود وبقية آل سعود والشيخ عبد الرحمن بن حسن وغيره من العلماء [(١)].

ولقد تمكن الإمام عبد الله من القيام بمهام الحكم خلال النصف الأخير من سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٦م خير قيام ودون مشاكل[(٢)]، وقام خلال تلك الفترة ببناء مقر جديد للحكم وهو قصر المصمك القوي التحصين الذي حل محل القصر القديم المشيد منذ ماقبل الدولة السعودية الأولى [(٣)]، مما يؤكد عزمه على تطوير دولته وتحصين قاعدة حكمها.

على أن الأمر لم يستتب له أكثر من عام واحد إذ سرعان مادب الخلاف بينه وبين أخيه سعود الذي كان يتطلع للحكم مما دفعه إلى الخروج على أخيه سنة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٧م [(٤)].

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ج٣، رسائل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، ط١، طبع على نفقة جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله، القاهرة: مطبعة المنار، ١٣٤٤هـ. ص٣١٨.

عبد الرحمن بن سليمان الرويشد: رسائل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، الرياض: مؤسسة الجزيرة، د.ت.ن، ص ٢٨٦. وماذكرته هذه المصادر من مبايعة الأمير سعود بن فيصل لأخيه الإمام عبد الله تنفي ماذكره البعض من أنه لم يبايعه وأعلن الخروج عليه منذ البداية. "أمين سعيد: المرجع السابق ١٧١/١"، كما أن خروج سعود على الإمام عبد الله لم يحدث إلا سنة ١٢٨٣هـ أي في السنة التالية للبيعة. "محمد الفاخري: المصدر السابق، ص١٨٨، إبراهيم ابن عيسى: تاريخ بعض الحوادث...، ص ١٧٧".

(٢) إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر...، ص ٥١ .

(٣) والمصمك أو "المسمك" أي الرفيع، كما يسمى "المصمت" أي الذي لايمكن النفاذ إليه، وفي لهجة أهل نجد تعني المغلق أو الموصد. موضي بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود: الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت، ط١، جدة: مكتبة تهامة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص١٨.

ويذكر عبد الله العثيمين: محاضرات...، ص ٢٣ أن بناءه لهذا القصر يعود إلى شعوره بأن رياحاً "بدأت تهب في الأفق الداخلي..." وهو تعبير عن قرب حدوث تمرد ضده من داخل دولته فرأى الاستعداد لصده.

(٤) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢٨٧/١ .

وعلى الرغم من محاولة سعود بن فيصل الاستعانة بأمير عسير محمد بن عائض ابن مرعي لدعمه ضد أخيه إلا أن ابن عائض اعتذر عن ذلك بل وعمل جاهداً لتقريب وجهات النظر بينهما، ورغم الجهود التي بذلها الإمام عبد الله بن فيصل وعدد من العلماء وعلى رأسهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن وابنه الشيخ عبد اللطيف لإقناع سعود ابن فيصل بالعودة وترك الشقاق إلا أن تلك الجهود لم تنجح خاصة بعد أن وجد سعود الدعم والمساندة من بعض القوى داخل الجزيرة العربية لاسيما زعيم نجران السيد المكرمي وبعض حلفائه خاصة قبيلة العجمان [(١)] التي لاتزال تتذكر الضربات الموجعة التي تلقتها من قوات الإمام عبد الله سنتي ١٢٧٦هـ-١٢٧٧هـ إضافة إلى مايربطها بالأمير سعود ابن فيصل من صلة رحم جعلها تنضم إليه وتسانده[(٢)] رغم عفو الإمام عبد الله عنهم وعن أميرهم راكان بن حثلين حيث سمح له بالعودة إلى قبيلته مرة ثانية [(٣)]، وقد كان انضمام العجمان لسعود بن فيصل أمراً مؤثراً في مجريات الأحداث [(٤)].

وعلى الرغم من هزيمة سعود بن فيصل ومن معه في أول صدام مسلح مع الإمام عبد الله بن فيصل في موقعة المعتلا* سنة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٧م وقيام الإمام عبد الله بتأديب العجمان في الأحساء[(٥)]، إلا أنهم سرعان ماعادوا للالتفاف حول الأمير سعود

---

(١) عبد الرحمن بن قاسم: المصدر السابق، ٢٤٢/٧، ٢٥٩-٢٦١. إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر...، ص٥٣، سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ٢٦-٢٧.

(٢) عبد الله العثيمين : تاريخ المملكة ...، ٢٨٨/١، بينما يذكر أمير قبيلة العجمان راكان بن حثلين أن مساندته للأمير سعود بن فيصل ترجع لرغبته بتحقيق التوازن القبلي في نجد بحكم أن أغلبية القبائل كانت ضده، أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: العجمان...، ص ١٣٤، ويشير البعض إلى أن سعود بن فيصل قد وعد قبيلة العجمان بإمارة الأحساء فساندوه. عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ٢٠٢ .

(٣) مقبل الذكير: مطالع السعود ...، ٩٨/١ .

(٤) ضاري الرشيد: المرجع السابق، ص ٥٠ .

* المعتلا: قرية ذات مزارع من قرى وادي الدواسر على بعد خمسة أكيال جنوب شرق قاعدة ذلك الوادي وتكتب أيضاً بالألف المقصورة. عبد الله بن خميس: معجم اليمامة ٣٧٧/٢.

(٥) إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر ...، ص ٥٣ .

ابن فيصل حيث لعبوا دوراً كبيراً في انتصاره بمعركة جودة* سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م حين هاجم راكان بن حثلين بقواته قوات الإمام عبد ا لله بن فيصل بشكل مباغت وتمكن من قتل مايقارب أربعمائة مقاتل مما جعل الهزيمة تحل بقوات الإمام عبد ا لله، بل إن قائدها الأمير محمد بن فيصل وقع في الأسر (١)، وقد ترتب على تلك المعركة سيطرة قوات سعود بن فيصل على الأحساء، وحصولها على كثير من الأموال كان للعجمان النصيب الوافر منها(٢)، كما تزايدت قوة العجمان بشكل كبير وزادت مكانتهم (٣) لدى الأمير سعود بن فيصل بعد تلك المعركة، وقد استمروا بعد ذلك في التدخل في الأحداث الدائرة خلال تلك الفترة (٤).

ومن الواضح أن القوى المناوئة للدولة السعودية الثانية قد كرست جهودها للاستفادة من تلك الأحداث والتدخل في الخلاف بين حكام الدولة السعودية الثانية والعمل على زيادته، ففي حين أصبح الإمام عبد ا لله بن فيصل يحظى بدعم معظم بلدان نجد وقبائلها(٥)، وتأييد قبائل الظفير المتاخمة لحدود دولته مع العراق العثمانية(٦)؛ أصبح سعود بن فيصل يحظى بدعم من قوة مناوئة للدولة السعودية الثانية هي قوة أمراء بني خالد الذين كان لهم تطلع لاستعادة إمارة الأحساء من جديد، ورغم أن الإمام عبد ا لله

---

* جودة: ماء معروف في الحدود الشمالية لإقليم الأحساء. محمد الأحسائي: المرجع السابق ١/١١.

(١) مقبل الذكير: العقود الدرية ...، ورقة ٨٧ . إبراهيم بن محمد القاضي: تاريخ إبراهيم القاضي (مخطوط). الرياض: دارة الملك عبد العزيز، رقم ٤٥٤، ورقة ١.

(٢) إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر...، ص٦٥-٦٦، ويضيف هذا المصدر أن العجمان قبيل تلك المعركة قاموا بإغراء بعض قوات الأحساء المساندة للإمام عبد ا لله بن فيصل بالخروج لقتال الأمير سعود، وفي الطريق غدر بهم العجمان وقتلوا منهم مايقارب الستين رجلاً، مما شكل ضربة كبيرة لقوات الإمام عبد ا لله بن فيصل.

(٣) عبد الفتاح أبو عليه: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ٢٠٣ .

(٤) أمين الريحاني: المرجع السابق، ص ١٠٠ .

(٥) راشد الحنبلي: المصدر السابق، ص ٥٣ .

(٦) بروس إنغام: قبيلة الظفير، ترجمة وتعليق: عطيه الظفيري، ط٢، د.م.ن، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٤٧ .

ابن فيصل قد عين ناصر بن جبر الخالدي أميراً من قبله في ذلك الإقليم[١]، إلا أن تطلع أمراء بني خالد للاستقلال جعلهم يساندون سعود بن فيصل لاسيما أنهم أصبحوا يشعرون بأن الإمام عبد الله يرمي إلى تثبيت أخيه محمد كأمير على الإقليم[٢]، ولذا فإن بني خالد أصبحوا يشكلون مع العجمان الأغلبية الساحقة في قوات سعود بن فيصل[٣].

على أن أهم ماأفرزته معركة جودة تلك إتاحة الفرصة للدولة العثمانية للتدخل كقوة مناوئة للدولة السعودية الثانية مستغلة قيام الإمام عبد الله بن فيصل بطلب مساعدتها، بعد أن فشل في الحصول على دعم بعض الأقاليم التابعة لدولته حينما اعتذر أمير عنيزة عن استضافته بسبب خوفه عليه من مطاردة قوات أخيه سعود له[٤]، ورغبة بعدم التدخل في النزاع بين الأخوين، وهذا الموقف هو مااتخذه أيضاً أمراء جبل شمر مما دفع بالإمام عبد الله إلى طلب المساعدة من السلطات العثمانية محاولاً الاستفادة من التنافس العثماني البريطاني في الخليج العربي [٥]، خاصة أن الوثائق العثمانية تشير إلى دور بريطانيا في دعم سعود بن فيصل للخروج على أخيه عبد الله الذي كان أحد أسباب عدم حصول البريطانيين على مركز سياسي على سواحل الدمام إبان عهد والده[٦]، كما تبين تلك الوثائق أن الدعم البريطاني لسعود أصبح مادياً يتمثل بالأسلحة والأموال [٧]، رغم محاولات الإمام عبد الله بن فيصل إقناع بريطانيا بعدم التدخل، وإرساله الوفود لطمأنة مسؤوليها في الخليج العربي بحسن نواياه [٨]، ولهذا الاعتبار فإن

---

(١) إبراهيم بن عيسى : عقد الدرر...، ص٥٣.

(٢) عبد العزيز نوار: المرجع السابق، ص ٤١١ .

(٣) أحمد عبد الغفور عطار: المرجع السابق ٢٠٤/١، محمد العيدروس: تاريخ الخليج..، ص١٦٦.

(٤) إبراهيم بن عبيد: المرجع السابق ٢٠٧/١، محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٢٢٩ .

(٥) عبد الله العثيمين : تاريخ المملكة...، ٢٩٣/١ .

(٦) محافظ بحر برا: محفظة (١٩) وثيقة (٢). وقد أشار إلى دعم بريطانيا للأمير سعود بن فيصل عدد من الباحثين. عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة...، ٢٩١/١، عبد العزيز نوار: المرجع السابق، ص ص ٤٠٩-٤١٣ .

(٧) I-MEC-MEH- Duhiliye: No. 1667. Tarihi: 1286 (R).

(٨) ج.ج لوريمر: المرجع السابق، ١٦٧٤/٣، جون كيلي: المرجع السابق، ص٩٣-٩٤.

الإمام عبد الله لم يجد سوى الاستعانة بالدولة العثمانية باعتبارها دولة إسلامية يناط بها التصدي للمطامع البريطانية الاستعمارية في دولته [١]، كما أن الإمام عبد الله بن فيصل كان يرى نفسه تابعاً للدولة العثمانية التي منحته رتبة "قائمقام"[٢]، وأطلقت عليه "متصرف نجد"[٣]، فأصبح يرى أنها هي القوة الوحيدة التي يمكنه الاستفادة من دعمها خاصة أن علاقاته بولاة العراق العثمانية كانت حسنة وودية منذ عهد والده الإمام فيصل ابن تركي، ولذلك فإنه أرسل مندوباً من قبله إلى والي بغداد مدحت باشا * طالباً النجدة والمساعدة، كما أرسل بهذا الشأن إلى والي البصرة وإلى نقيب أشرافها [٤]، رغم نصح بعض العلماء له بعدم الركون إلى الدولة العثمانية خوفاً من زيادة الفرقة والاختلاف داخل الدولة السعودية الثانية [٥]، وقد طلب الإمام عبد الله بن فيصل سرعة إرسال القوات من بغداد لإنقاذ موقفه وإعادة سيطرته على بلاده[٦].

ولقد وجدت دعوة الإمام عبد الله الترحيب من السلطات العثمانية في العراق وذلك للرغبة العثمانية بالتوسع في المنطقة، إضافة إلى اهتمام السلطان العثماني بالمشرق

---

(١) عبد العزيز نوار: المرجع السابق، ص ٤١٢، محمد السلمان: الأحوال السياسية..، ص٢٢٢.

(٢) I-MEC-MEH- Duhiliye: No. 1669. Tarihi: 1286 (R).

(٣) I-MEC-MEH -Duhiliye: No. 1667. Tarihi: 1287 (R).

* ولد مدحت باشا في استانبول عام ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م وعين في عدد من المناصب، وتميز بالطموح والحماس، وفي سنة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٢م ترك منصب والي بغداد ليعين صدراً أعظم ويبدأ العمل لوضع الدستور، وقد اتهم بالضلوع في مقتل السلطان عبد العزيز فنفي إلى الطائف سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م وقتل في سجنها ودفن فيها، ثم نقل جثمانه سنة ١٣٠٧هـ إلى أنقرة. فائق بكر الصواف: المرجع السابق،ص ٧٠-٧١، أحمد السباعي: المرجع السابق ٢/٥٤٥-٥٤٦.

(٤) إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر...، ص٦٧، ووالي البصرة هو خليل بك، ونقيب أشرافها هو محمد الرفاعي. عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ٢٠٦.

(٥) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ٣/٢٧٤.

(٦) I-MEC-MEH Duhiliye: No. 1667. Tarihi: 1286 (R).

ويذكر أحد الباحثين أن مدحت باشا هو الذي عرض المساعدة على الإمام عبد الله بن فيصل، عبد الله سراج منسي: المواجهة العثمانية البريطانية في الخليج العربي (١٨٦٩-١٩١٤م)، د.م.ن، د.ن، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٣١.

العربي، بجانب وجود شخصية مدحت باشا الطموحة حيث كان يرى ضرورة توسيع الأملاك العثمانية في جهات مختلفة، كما أن افتتاح قناة السويس سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٦٩م قد أتاح للدولة العثمانية نقل المزيد من قواتها إلى الجانب الشرقي من الجزيرة العربية[١]، مما يسهل عملية تسيير الحملة ضد سعود بن فيصل الذي تمكن بعد معركة جودة من السيطرة على الأحساء بل وعلى الرياض نفسها، وبدأ مع أتباعه بمهاجمة القوافل التجارية التابعة للسلطات العثمانية[٢]، على أن السبب الأبرز للتحرك العثماني هو البعد السياسي المتمثل بالرغبة العثمانية الكامنة بالتدخل في شؤون الدولة السعودية الثانية، والقضاء عليها، فتدخلت بحجة وقف التهديد البريطاني للأحساء المرتبط برغبة السلطات البريطانية باقتطاعها وإعطائها لسعود بن فيصل ومن ثم فصلها عن نجد، ولذا فإن السلطات العثمانية تظاهرت بنصح الإمام عبد الله بن فيصل في البداية بالتفاهم مع أخيه سعود منعاً للتوغل الإنجليزي، ولم تلبث أن أعلنت ضرورة التدخل العسكري [٣]، تحت مظلة نصرة الإمام عبد الله بن فيصل، رغم أن أخاه سعود بن فيصل قد حاول تهدئة الموقف العثماني حين أرسل بعض الهدايا إلى السلطات العثمانية في الحجاز طالباً منها إقناع السلطان العثماني بحسن نواياه، غير أن رسائل والي بغداد مدحت باشا حظيت بالاهتمام الأكبر من قبل السلطان العثماني الذي أيده في إنفاذ الحملة، حيث صدرت الأوامر السلطانية بتحريك قوة من الجيش السادس لتلك المهمة[٤]، وإزاء ذلك قام مدحت باشا بالعمل سريعاً على تكوين أربع كتائب مكتملة مدعمة ببعض الخيالة وسائر احتياجاتها بقيادة

---

(١) عمر صالح العمري: التطور السياسي للبحرين (١٢١٥-١٣٠٩هـ)، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص٢٤٦-٢٤٧.

(٢) عبد الفتاح أبو علية: دراسات ....، ص١١٣.

(٣) I-MEC-MEH -Duhiliye: No. 1669.

كما أن الدولة العثمانية أرادت عن طريق استيلائها على الأحساء تحقيق كثير من المكاسب الاقتصادية المتوفرة في ذلك الإقليم.

I-MEC-MEH -Duhiliye: No. 1667. ؛

(٤) وثائق عثمانية: ٢/٦-١٧، دارة الملك عبد العزيز، الرياض. رسالة من رئيس الكتاب إلى والي الحجاز عن تحرك سعود بن فيصل للسيطرة على الأحساء، ٥ صفر ١٢٨٨هـ.

الفريق محمد نافذ باشا، وتم إجراء الاتصالات بأمراء القبائل وزعماء بلدان نجد للإنضمام للحملة التي بلغ قوامها مايقارب أربعة الآف جندي [(١)] وتسعة مدافع بالإضافة إلى ألف وخمسمائة من رجال القبائل [(٢)]، ومايزيد عن ألفي خيال من قوات قبائل المنتفق بقيادة ناصر باشا، وبجانب ذلك طُلِبَ دعم الحملة بالمزيد من العدد والعدة من أمراء الكويت والزبير[(٣)]، وقد كلفت الحملة بمهمة إخراج سعود بن فيصل من نجد والأحساء، ومن ثم وضع الترتيبات الإدارية في الأحساء تبعاً لرغبة الإمام عبد الله بن فيصل، مع ضرورة إبقاء سفينة عثمانية في سواحل الأحساء وكتيبة عسكرية في أراضيها بشكل دائم[(٤)].

تحركت الحملة من البصرة بقيادة الفريق محمد نافذ باشا يساعده رئيس أركانه رجب باشا وذلك في ربيع الأول ١٢٨٨هـ/ مايو ١٨٧١م متخذة طريقين بري وبحري[(٥)]، حيث تمكنت من السيطرة على رأس تنورة * ، ورغم ماأصاب جنود الحملة من مرض أودى بحياة مايقارب ستين شخصاً، وماعانته الحملة من كره ورفض الأهالي لها إلا أنها تمكنت من مواصلة مسيرتها تجاه القطيف، حيث تم إرسال الرسائل إلى الإمام عبد الله بن فيصل الذي لايعرف قادة الحملة مكانه بالتحديد، وطلب منه القدوم، كما تم إرسال كتيبتين عسكريتين من المشاة إلى الدمام بقيادة اللواء حمدي باشا ويحيى بك[(٦)]، بينما واصلت الحملة مسيرتها إلى القطيف وحاصرتها وأجبرت أميرها عبد العزيز السديري على التسليم[(٧)]، الأمر الذي أدى إلى استسلام الدمام سلمياً

---

(١) I-MEC-MEH -Duhiliye: No. 1667.
I-MEC-MEH -Duhiliye: No. 1667.

(٢) عبد العزيز نوار: المرجع السابق، ص ٤٢٠ .

(٣) عمر العمري: المرجع السابق، ص ٢٥٣ .

(٤) I-MEC-MEH -Duhiliye: No. 1667.

(٥) عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ٢٠٨ .

* رأس تنورة ميناء في المنطقة الشرقية في خليج تاروت على الخليج العربي إلى الشمال من القطيف وكان ميناء شهير، وقد قامت به مدينة رحيمة. حمد الجاسر: المعجم الجغرافي... (المنطقة الشرقية)، ٧٣٢/٢-٧٣٣.

(٦) I- Duhiliye: No. 44196. Tarihi: 1287 (R).

(٧) I- Duhiliye: No. 44196. Tarihi: 1287 (R).

فدخلتها قوات الحملة وأطلقت سراح الأمير محمد بن فيصل المحتجز هناك، وبعد ذلك اتخذ محمد نافذ باشا من القطيف مقراً له[١]، حيث قدم إليه أمراء وزعماء المنطقة معلنين الطاعة[٢]، وأعلن أن هدفه من القدوم بحملته إعادة الإمام عبد الله بن فيصل إلى الحكم وإجراء الترتيبات الإدارية التي تضمن استتباب الأمن في المنطقة[٣].

ثم واصلت الحملة تقدمها إلى الأحساء، ورغم الصعوبات التي واجهتها في الطريق من تزايد عدد المرضى ونقص المؤن إلا أنها تمكنت من بسط سيطرتها على كامل الإقليم نظراً لعدم وجود مقاومة تذكر من قبل الأهالي الذين رغبوا بالتخلص من نفوذ العجمان العنصر الرئيسي في قوات الأمير سعود بن فيصل التي تسيطر على الأقليم والذين أساؤوا معاملة الأهالي، إضافة إلى الوعود التي تلقاها الأهالي من قادة الحملة بعدم إلزامهم بأي رسوم مادية، مما جعلهم يحجمون عن المقاومة، وعقب سيطرة الحملة على الأحساء أطلق عليها نافذ باشا مسمى "لواء نجد" تفاؤلاً بالاستيلاء على أراضي نجد[٤]، مما يدل على أن نوايا قادة الحملة الفعلية قد ظهرت متمثلة بالعزم على بسط الحكم العثماني على كل أرض أمكن الوصول إليها من أراضي الدولة السعودية الثانية.

وعلى الرغم من قدوم الإمام عبد الله ولقائه بنافذ باشا وتعيين مرتب شهري له من واردات الأحساء[٥]، إلا أنه سرعان ما اكتشف حقيقة نوايا قادة الحملة وعزمهم على القبض عليه، وإرساله إلى بغداد، لاسيما بعد أن علم بتحرك الوالي العثماني مدحت باشا بنفسه إلى المنطقة لتحقيق ذلك، لذا بادر بالهرب إلى الرياض التي أعلن أهلها غضبهم على سعود بن فيصل وقاموا بإخراجه من البلدة، وعينوا عمه عبد الله بن تركي أميراً عليهم[٦]، وحين وصل الإمام عبد الله إلى الرياض تمت له البيعة من جديد[٧]، وهنا

---

(١) I- Duhiliye: No. 44196. Tarihi: 1287 (R).

(٢) I- Duhiliye: No. 44196. Tarihi: 1287 (R).

(٣) عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ٢٠٩ .

(٤) عمر العمري: المرجع السابق، ص ٢٥٥-٢٥٦ .

(٥) محافظ بحر برا: محفظة (١٩) وثيقة (٢) .

(٦) إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر..، ص ٧١-٧٢ .

(٧) I- Duhiliye: No. 44196. Tarihi: ..-2-1288 (R).

أعلن مدحت باشا الذي وصل بالفعل إلى الأحساء عزل الإمام عبد الله بن فيصل ابن تركي عن الحكم وتعيين نافذ باشا "متصرفاً" [١]، مع تشكيل إدارة للأحساء أطلق عليها "لواء نجد" تتبع لولاية بغداد العثمانية[٢].

ولقد كان مدحت باشا يطمح في التقدم إلى الرياض نفسها غير أنه أحجم عن ذلك حين أدرك المصاعب التي سيعانيها بسبب الصحراء القاحلة وصعوبة الطريق إليها[٣]، إضافة إلى وصول الأنباء عن اتحاد أبناء الإمام فيصل بن تركي جميعهم ضد الحملة الأمر الذي أحبط طموحات مدحت باشا الذي سرعان ماعزل هو من منصبه، فخلفه رؤوف باشا الذي نهج سياسة سلمية[٤].

وقد كان لأمراء بني خالد دور كبير في تسهيل مهمة الحملة وسيطرتها على الأحساء، ورغم مساندتهم لسعود بن فيصل في بداية نزاعه مع أخيه عبد الله إلا أنهم سارعوا بالانضمام للحملة بمجرد وصولها بعد أن لاحت لهم بارقة أمل في استعادة إمارة المنطقة [٥]، لذا عاد الوئام بينهم وبين العثمانيين وساهموا مساهمة جادة في دعم الحملة[٦]، وعادوا لعدائهم التقليدي ومناوأتهم للدولة السعودية الثانية، ورغم قيام قادة الحملة بتعيين أحد أمراء بني خالد وهو بزيع بن محمد بن عريعر أميراً على الأحساء سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٤م بدعم ومساندة من قريبه ناصر باشا السعدون والي البصرة الذي أسندت له إدارة شؤون الأحساء في تلك الآونة [٧] إلا أن بزيعاً سرعان ماواجه هجوماً قام به الأمير عبد الرحمن بن فيصل بن تركي مما جعله يبادر بمحاولة الهرب من الأحساء،

---

(١) محمد السلمان: الأحوال السياسية...، ص ٢٢٤، عمر العمري: المرجع السابق، ص ٢٦٨.

(٢) حصة السعدي: المرجع السابق، ص ٣٠٢ .

(٣) ج.ج لوريمر: المرجع السابق ١٦٨١/٣ .

(٤) مستور الجابري: المرجع السابق، ص ٤٧-٤٨ .

(٥) عمر العمري: المرجع السابق، ص ٢٥٥ .

(٦) عبد الفتاح أبو علية: دراسات ...، ص ٣٦٤-٣٦٥ .

(٧) محمد بن خليفة النبهاني: المصدر السابق، ص ٣٣٩-٣٤٠، عبد الفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ٢١٥، بينما يذكر ج.ج لوريمر: المرجع السابق، ١٦٨٥/٣ أن الأمير المعين هو براك بن عريعر.

غير أن الجنود العثمانيين منعوه من ذلك باعتباره مسؤولاً عن شؤون البلدة، ولم ينقذه من ذلك الموقف سوى وصول قوات عثمانية إضافية من العراق مدعمة بـالمدافع لنجدتـه[١]، فادرك الأمير عبد الرحمن أن الحكمة تقتضي رفع الحصار عن الأحساء، وعلى أية حال فإن أمراء بني خالد أثبتوا من خلال هذه الحادثة عجزهم عن تولي زمام الأمور في الأقليم مما جعل والي البصرة يقوم بعزل بزيع بن محمد بن عريعر الذي لم يمكث في منصبه أكثر من سنة لتخرج إمارة الأحساء من بني خالد [٢] الذين خاب أملهم بعودة نفوذهم، ولم يحققوا شيئاً من دعمهم للحملة العثمانية.

وقد ترتب على تلك الحملة إطاعة بعض أمراء نجد للدولة العثمانية حيث أعلن محمد بن عبد الله بن رشيد أمير جبل شمر خضوعه لها[٣]، وتم إلحاق بعض مناطق نجد وشؤونها الداخلية كالقصيم وجبل شمر بمحافظ المدينة المنورة العثماني[٤]، كما كان من نتائج الحملة ماحل ببلدان نجد من مشاكل عديدة وفتن وحروب بين بلدانها وقبائلها نتيجة لانعدام السلطة فيها[٥]، وعانت البلاد من انتشار الفساد الأخلاقي الذي جلبته القوات العثمانية من جديد للجزيرة العربية مما أدى إلى اضطراب أحوال البلاد وتبدلها بشكل بينه العلماء في خطبهم ونظمهم خاصة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حسن آل الشيخ[٦].

وعلى الرغم من استعادة الإمام عبد الله بن فيصل لزمام السلطة في نجد بعد وفاة الأمير سعود بن فيصل أواخر عام ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م[٧]، ثم تنازل الأمير عبد الرحمن

---

(١) عبد الفتاح أبو علية: حجاز سياحتنامة، ص ٦٨-٦٩، أحمد الشباط: المرجع السابق، ص ٢٦١.

(٢) محمد بن خليفة النبهاني: المصدر السابق، ص ٣٤٠ .

(٣) بابا علي (BE.O): دفتر (٢٠٠) وثيقة (٢١)، حول دخول شيخ جبل شمر تحت طاعة الدولة العثمانية، ٢١ ربيع الآخر ١٢٨٩هـ.

(٤) Deftr - Ayniyat: No.871. S.y. 210 - 213. Tarihi: 21-5-1289.

(٥) وثيقة محلية حول محاولات الإصلاح بين أمراء أشيقر على يد الشيخ علي بن عبد الله بن عيسى بعد الحروب التي نشبت بينهم للحصول على السلطة، ١٢٩٣هـ، أشيقر: جمعية أشيقر الخيرية. مشروع جمع التراث. إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر...، ص ص ٧٣-٧٦ .

(٦) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ٢٥٩/٣، ٢٦٢، ٢٦٦ .

(٧) إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر...، ص ٨٠، ٨٤.

ابن فيصل عن الحكم لأخيه عبد الله الأكبر سناً عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م حقناً للدماء واستجابة لنداءات الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن [(١)]، إلا أن حكم الإمام عبد الله اقتصر على الرياض وماحولها، فيما بقيت الخرج تحت حكم أبناء الأمير سعود ابن فيصل، وباتت منطقة القصيم وجبل شمر شبه مستقلتين[(٢)]، واستمر حكم الإمام عبد الله في الضعف يوماً بعد آخر مقابل تزايد قوة أمير جبل شمر محمد بن عبد الله ابن رشيد [(٣)]، وطموحاته في السيطرة على نجد، خاصة أنه أصبح يحظى بدعم الدولة العثمانية وتأييدها، بل كان يحصل بواسطتها على الأسلحة والأموال[(٤)]، كما كان يتقاضى راتباً سنوياً من ولاية بغداد العثمانية مقابل حمايته لقوافل حجاج العراق الأمر الذي وثق علاقته بالدولة العثمانية وزاد تقاربه معها، فمنح العديد من النياشين والأوسمة[(٥)]، وأعلن خضوعه لها ودفع لها خراجاً سنوياً[(٦)]، بعد أن منحته رتبة "قائمقام"[(٧)]، وهنا أصبحت تعتمد عليه في تحركاتها في نجد التي رغبت بالسيطرة عليها دون قتال وربطها بالأحساء [(٨)]، كما حاولت عن طريقه تأجيج نار الفتن والمشاكل ضد الدولة السعودية الثانية[(٩)]، واستكمالاً لهذه المهام عينت الدولة العثمانية مندوبين دائمين معتمدين لها في جبل شمر[(١٠)].

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ٣/٧١-٧٣ .

(٢) مقبل الذكير: العقود الدرية...، ورقة ٩٠ .

(٣) عبد الله العثيمين : تاريخ المملكة...، ١/٢٩٩ .

(٤) بابا علي (BEO.V) دفتر (٢٠٠) وثيقة (٢١).

؛ محمد بن عبد الله المانع: توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة: عبد الله العثيمين، ط١، الدمام: مطابع المطوع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م، ص ٣١ .

(٥) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة...، ١/٥١ .

(٦) أحمد دحلان: المصدر السابق، ص ٣١٣ .

(٧) بابا علي (BEO.V) دفتر (٢٠٠) وثيقة (٢١).

(٨) وثائق عثمانية : ٢/٤-١٧، دارة الملك عبد العزيز، الرياض. تذكره حول ضرورة تقوية الروابط بين سكان نجد والأحساء، ٢٠ جمادى الآخرة ١٣٠٧هـ.

(٩) بنواميشان: المرجع السابق، ص ٤٧ .

(١٠) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة..، ١/١١٨ .

كما كان لمحمد بن رشيد علاقات وروابط مع القوى الأخرى في الجزيرة العربية خاصة مع العجمان[١] الذين كان لهم دور في الأحداث الدائرة خلال تلك الفترة، ولاشك أن كسب ابن رشيد لموقف تلك القوى قد أعطاه قوة إضافية مكنته من العمل على فرض سيطرته تدريجياً على بلدان نجد.

ورغم علاقة محمد بن عبد الله بن رشيد الحسنه بالإمام عبد الله بن فيصل ومساندته له[٢] وارتباطه معه برباط المصاهرة [٣]، إلا أن الأحداث الدائرة في نجد أغرت ابن رشيد لاستغلالها لمصلحته والعمل على مد نفوذه على كافة بلدان تلك المنطقة، خاصة حين وجد المساندة من قبل أمير القصيم حسن بن مهنا وأصبحا يقومان بشن غاراتهما على بلدان نجد وقبائلها منذ عام ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م[٤]، الأمر الذي أدى إلى حتمية الصدام المسلح مع الإمام عبد الله بن فيصل، فكانت معركة أم العصافير سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م إحدى أبرز مظاهر ذلك الصدام، حيث أظهرت أن أمير جبل شمر أصبح أقوى زعماء نجد مما حفزه للتدخل في شؤون عاصمة الدولة السعودية الثانية -الرياض- بعد أربع سنوات فقط، حيث حاصرها بحجة الدفاع عن الإمام عبد الله الذي اعتقل من قبل أبناء أخيه سعود، وقد أتاحت له تلك الحادثة الفرصة للسيطرة على الحكم فعلياً بعد أن اصطحب معه الإمام عبد الله بن فيصل وأبقاه في حائل[٥]، حيث بات التصرف الكامل في المنطقة لابن رشيد ومؤيديه، وقد عاد الإمام عبد الله لعاصمة دولته وهو في مرحلة الاحتضار، إذ لم يلبث بعد عودته سوى يومين حيث توفي في ٨ ربيع الثاني

---

(١) عبد الله الحاتم: المرجع السابق ٢/٢٣٠، يحيى الربيعان: المرجع السابق، ص ص ١٩٧-١٩٩.

(٢) I-MEC-MEH-Duhiliy : No. 1667. Tarihi : 1287 (R).

أمين الريحاني : المرجع السابق، ص ٩٨ . وكانت العلاقة الحسنة بين آل سعود وآل رشيد قد نشأت منذ أن عيّن الإمام فيصل بن تركي عبد الله بن علي بن رشيد أميراً على جبل شمر كبداية تولي هذه الأسرة لحكم المنطقة، مما جعلها تدين بالولاء والعرفان للإمام فيصل طوال مدة حكمه.

(٣) كان الإمام عبد الله بن فيصل بن تركي متزوجاً من "نورة" شقيقة الأمير محمد بن عبد الله ابن رشيد، اداورد نولده: المصدر السابق، ص ٧٣ .

(٤) إبراهيم بن محمد القاضي: المصدر السابق، ورقة٢، مقبل الذكير: مطالع السعود ....، ٢/١٠٧ .

(٥) عبد الله العثيمين : محاضرات..، ص ٢٤-٢٥ .

١٣٠٧هـ/[١] ١٨٨٩م.

ورغم تعيين الإمام عبد الرحمن بن فيصل بن تركي حاكماً على العارض والخرج سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م بموجب اتفاقه مع محمد بن رشيد إلا أن ابن رشيد لم يلبث أن عمل على التخلص من حلفاء الإمام عبد الرحمن بن فيصل خاصة أهل القصيم الذين بدؤوا يعارضون أطماع أمير جبل شمر في نجد، فألحق بهم هزيمة كبيرة في معركة المليداء، بعد شهر واحد فقط من حكم الإمام عبد الرحمن بن فيصل، وبذلك تخلص محمد ابن رشيد من أي خطر محتمل منهم مستقبلاً، بل وسيطر تماماً على بلدانهم، الأمر الذي جعل الإمام عبد الرحمن يدرك أن ابن رشيد سيعمل على القضاء عليه، لذا غادر الرياض متجهاً إلى شرقي الجزيرة العربية [٢]، وقد بقي الأمير محمد بن فيصل في إمارة الرياض بعد مغادرة الإمام عبد الرحمن لها، وحين حاول الإمام عبد الرحمن العودة مجدداً لاستعادتها لم يجد صعوبة في دخولها سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م ليواصل سيره لاستعادة مايليها شمالاً من البلدان إلا أن مسارعة ابن رشيد بالتحرك بقواته إلى حريملاء جعلت الإمام عبد الرحمن يدرك صعوبة موقفه فبادر بالخروج مرة أخرى من نجد إلى الأحساء [٣]، حيث كان هذا الحدث بمثابة الإعلان عن نهاية الدولة السعودية الثانية[٤].

لقد كان للقوى المناوئة للدولة السعودية الثانية دور مهم في سقوطها حيث لعبت الدولة العثمانية على وجه الخصوص دوراً رئيسياً في ذلك، مستغلة الخلاف بين أبناء الإمام فيصل بن تركي، وعملت جاهدة للتدخل في شؤون الدولة واقتطاع جزء مهم منها وهي الأحساء، حين استولت عليها بحجة دعم الإمام عبد الله بن فيصل الحاكم الشرعي للبلاد، وبعد ذلك استمرت في العمل على استغلال الاضطرابات الداخلية في نجد للعمل على كل مامن شأنه تقويض أركان الدولة السعودية الثانية، فساندت بعض القوى الطامحة في نجد لمد سيطرتها على بلدان المنطقة، فأصبح محمد بن عبد الله بن رشيد يحظى

---

(١) إبراهيم بن عيسى: عقد الدرر...، ص ١٠٠ .

(٢) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة ...، ١/ ٣١٠ .

(٣) عبد الرحمن بن ناصر: المرجع السابق ١/ ٤١-٤٢ .

(٤) عبد الله العثيمين : تاريخ المملكة...، ١/ ٣١٢ .

بدعم عثماني لملء الفراغ السياسي في نجد على إثر ماحل بها من اضطراب أعقب وفاة الإمام فيصل بن تركي واختلاف أبنائه من بعده.

كما وجدت الدولة العثمانية الدعم والعون من بعض القوى الأخرى المناوئة للدولة السعودية الثانية خاصة أمراء بني خالد الذين كانوا الساعد الأيمن للعثمانيين في سيطرتهم على الأحساء أملاً باستعادة إمارتها، غير أنهم لم يلبثوا أن وجدوا أنفسهم خارج ساحة المنافسة وانتهت إمارتهم بشكل نهائي منذ سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٥م، ولم يعد لهم وجود سياسي يذكر، أما بقية القوى المناوئة للدولة السعودية كأمراء الحجاز وولاة مصر فلم يكن لها دور في أحداث تلك الحقبة من تاريخ الدولة السعودية الثانية، نظراً للهيمنة العثمانية على مناطق حكم تلك القوى.

وعلى الرغم من المناوئة العثمانية للدولة السعودية الثانية إلا أن العثمانيين لم يلبثوا أن بدؤوا اتصالات مكثفة مع الإمام عبد الرحمن بن فيصل بن تركي المقيم في الأحساء محاولين استقطابه إلى جانبهم، فحاول المتصرف العثماني في ذلك الإقليم عاكف باشا إقناعه بتولي إمارة الرياض مقابل اعترافه بالسيادة العثمانية وتقديم مبلغ مالي للعثمانيين، غير أن الإمام عبد الرحمن بن فيصل رفض أن يركن لتلك القوة [(١)] المناوئة لدولة آبائه وأجداده منذ عهد الدولة السعودية الأولى لعدم ثقته بها، ولكي لايكون منفذاً لمطامعها في بلاده، وتجزئتها بين أكثر من حاكم، حيث لاحظ من خلال العرض العثماني أن الدولة العثمانية كانت تهدف إلى تقسيم نجد بين أكثر من حاكم مما يضعف من قوتها، ويكفل تنافس حكامها على إظهار الولاء لها، وهي نفس الفكرة التي كانت تراود أمراء الحجاز وبعض الولاة العثمانيين إبان عودة الإمام فيصل بن تركي لاستعادة الحكم في نجد بعد خروجه من مصر، كما أن في محاولة الدولة العثمانية استقطاب الإمام عبد الرحمن إلى جانبها ضماناً لعدم حدوث هجمات منه أو من أنصاره على قواتها في الأحساء، وضماناً لعدم استغلال بريطانيا الفرصة وتبني قضية الإمام عبد الرحمن بن فيصل ودعمه[(٢)]، لذا

---

(١) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة...، ٦٢/١، موضي بنت منصور آل سعود: المرجع السابق، ص ١٨.

(٢) عبد الله العثيمين : تاريخ المملكة...، ٣٢/٢-٣٣ .

فإن العثمانيين لم يلبثوا أن جددوا اتصالاتهم بالإمام عبد الرحمن واتفقوا معه على أن يقيم في الكويت وأن يحصل على مرتب شهري قدره ستين جنيهاً [١]، فوافق على ذلك لأنه سيكون في مأمن من الأعداء، ولأن وجوده فيها سيتيح له معرفة أخبار نجد أولاً بأول لتقارب المسافة بين نجد والكويت[٢]، ولوجود كثير من أهل نجد بها، ولعلاقات النجديين التجارية بها، إضافة إلى أن وجوده في الكويت سيمكنه من الاتصال بمناوئي محمد بن عبد الله بن رشيد [٣]، والتعاون معهم للعمل على استعادة ملكه من جديد، وتبعاً لذلك فقد انتقل الإمام عبد الرحمن بن فيصل للإقامة في الكويت منذ جمادى الثانية سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م[٤]، ليبقى فيها حتى تمكن ابنه الشاب عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل آل سعود من استعادة ملك آبائه وأجداده وتأسيس المملكة العربية السعودية بعد فترة لاتتجاوز العشر سنوات من ذلك التاريخ .

ومما سبق يتضح أن موقف القوى المناوئة للدولة السعودية الثانية كان ذا أثر فعال في أحداث الفترة الثانية لحكم الإمام فيصل بن تركي، حيث بادر هو من جانبه بالاعتراف بالسيادة العثمانية الاسمية كي يتفرغ لبناء دولته التي أنهكها تعاقب الحملات العسكرية العثمانية خلال الفترة السابقة، ولاشك أن هذا الاعتراف كان له الأثر الفعال في هدوء أوضاع الدولة السعودية الثانية وعدم تعرضها لحملات عسكرية فعالة من قبل تلك القوى المناوئة، حيث توطدت العلاقة بين الإمام فيصل بن تركي والدولة العثمانية ممثلة بولاتها في كل من مصر والحجاز والعراق بشكل اتضح في تعاون الطرفين للقضاء على التمردات التي حدثت من بعض القوى الداخلية، كما أن العلاقات تحسنت مع أمراء الحجاز الذين ثبت لهم مدى قوة الدولة السعودية الثانية، وقدرة الإمام فيصل بن تركي على منع أي تدخل بشؤونها، ولذا فإن الفترة التي أعقبت حملة محمد بن عون على نجد

---

(١) فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، ط٢، الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص ١٧. ويذكر أمين الريحاني: المرجع السابق، ص ١٠٦ أن المبلغ ستين ليرة.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر: المرجع السابق ٤٣/١ .

(٣) عبد الله العثيمين : تاريخ المملكة...، ٣٢/٢-٣٤ .

(٤) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة...، ٦٨/١.

قد شهدت تحسناً كبيراً في علاقة أمراء الحجاز بالدولة السعودية الثانية، رغم بعض الظروف الطارئة التي كادت أن تؤثر في ذلك التحسن كلجوء بعض المعارضين للدولة السعودية الثانية إلى الحجاز، أو استنجادهم بأمرائها لإرسال القوات العسكرية لمساندتهم ضد دولتهم، إلا أن إدراك أمراء الحجاز لقوة الدولة السعودية الثانية، ورغبتهم بالحفاظ على علاقات الود معها قد جعلهم يحجمون عن تقديم أي عون ملموس لأولئك المعارضين.

غير أن وفاة الإمام فيصل بن تركي غيرت من الأوضاع حيث عادت الدولة العثمانية مجدداً لموقفها المناوىء وحاولت استغلال النزاعات الداخلية للسيطرة على الأراضي السعودية، شجعها على ذلك تأييد بعض القوى المناوئة الأخرى خاصة أمراء بني خالد، إضافة إلى عدم توحد كلمة حكام الدولة السعودية الثانية للوقوف ضدها، مما أدى إلى سيطرة العثمانيين على الأحساء، فبقيت نجد تعج بالمشاكل، وأصبحت تعاني من التفرق، وباتت مقسمة بين كثير من الأمراء والحكام[1]، كما أن قبائلها أصبحت منقسمة الولاء بين أولئك الأمراء والحكام[2]، الأمر الذي أتاح الفرصة للدولة العثمانية للعمل على تأليب بعض القوى المحلية للسيطرة على زمام الأمور، وإنهاء الدولة السعودية الثانية، والقضاء على حكم قارب السبعين عاماً تخلله الكثير من الأحداث والحملات والتدخلات من تلك القوى المناوئة.

---

(١) سليمان الدخيل: المرجع السابق، ص ٣٩ .

(٢) سليمان الدخيل: أمراء آل سعود في جزيرة العرب. مجلة لغة العرب، س٣، ج٦، محرم ١٣٣٢هـ/ تشرين ثاني ١٩١٣م، ص ٢٩٦ .

الخاتمة والنتائج

لقد تظافرت جهود الدولة العثمانية وولاتها في كل من مصر والعراق والحجاز مع جهود أمراء بني خالد وأمراء الحجاز فعملت كقوى مناوئة للدولة السعودية الثانية منذ محاولات تأسيسها وحتى سقوطها، حيث كانت تلك القوى تتناوب فيما بينها على أداء الأدوار المنوطة بها، فتارة تعمل القوى المناوئة كالدولة العثمانية ممثلة بولاتها سواء في مصر أو في العراق أو في الحجاز وبالتعاون مع قوة أمراء بني خالد وأمراء الحجاز من أجل الوقوف أمام محاولات إقامة الدولة السعودية الثانية ووقف نموها، ورغم ما قد يحدث تارة أخرى من تغير في مواقف تلك القوى حيث تنسحب إحداها من الميدان تاركة الفرصة للبقية، بل لربما توقفت جميع تلك القوى عن العمل تحت وطأة ظروف معينة، إلا أنها سرعان ماتعود وبشكل أقوى لبث نشاطها المعادي ضد الدولة السعودية الثانية.

ويمكن تمييز دور تلك القوى وموقفها من الدولة السعودية الثانية عبر **أربع مراحل** زمنية من عمر هذه الدولة بدأت **المرحلة الأولى** منذ محاولات تكوين الدولة السعودية الثانية على يد الأمير مشاري بن سعود والأمير تركي بن عبد الله وانتهت حين حدث اختلاف في مواقف القوى المناوئة فغاب بعضها وتغير موقف البعض الآخر تجاه الدولة السعودية الثانية، فقد شهدت هذه المرحلة تكتل الدولة العثمانية وولاتها في العراق ومصر والحجاز مع أمراء بني خالد وأمراء الحجاز للعمل على إحباط أية

محاولة لإقامة الدولة السعودية من جديد بعد نهاية الدولة السعودية الأولى، غير أن والي مصر العثماني محمد علي باشا هو الذي حمل على عاتقه تلك المهمة فبادر بإرسال ثلاث حملات متتابعة لاتنسحب واحدة منها إلا بعد قدوم الأخرى، بل إن معظم جنود الحملة الأولى ينضمون للحملة الجديدة وقائدها، وذلك لضمان استمرارية الهيمنة وعدم إتاحة الفرصة للأمير تركي بن عبد الله وأنصاره بالتحرك واستعادة نشاطهم لإعادة دولتهم، ولذا فإن الوثائق العثمانية تبين أن الهدف الرئيسي لهذه الحملات هو القبض على الإمام تركي بن عبد الله وإرساله إلى مصر، وخلال هذه المرحلة كان محمد علي باشا يعمل باسم السلطان العثماني، ولذلك نلاحظ أنه يصدر عفوه عن محمد بن مشاري بن معمر بمجرد إعلانه تبعيته للسلطان العثماني وتعاونه معه، رغم أنه في واقع الأمر وكما تدل الوثائق المعاصرة قد وطد العزم على الاستئثار بالحكم في نجد مستخدماً المدافع التي منحها إياه إبراهيم باشا من قبل، ومستغلاً تعيينه أميراً في العيينه من قبل ذلك القائد، وحين أدرك ابن معمر ألاّطاقة له بمواجهة قوات محمد علي بادر بالاعتراف بتبعيته للسلطان العثماني، كما سلم الأمير مشاري بن سعود إلى القائد العثماني عبوش أغا الذي تدل الوثائق الجديدة على أنه قد أقدم على قتل الأمير مشاري بن سعود بيده خلافاً لما كان شائعاً من أنه مات بسجنه في عنيزة.

ولقد كان لوحشية جنود محمد علي باشا وقادته كحسين بك وحسن أبي

ظاهر ضد كل من أعلن رفضه للوجود العثماني في نجد الأثر الكبير في تشتيت الأسر وطردها إلى خارج الجزيرة العربية، بعد أن رفضت الانصياع لأوامرهم، وتعسفهم، وسلبهم الأموال تحت مسمى الزكاة، ومصادرتهم ممتلكات الأهالي، وطردهم من منازلهم، واتخاذها مقراً للجنود رغم مزاعم محمد علي باشا وقادته بالعمل على البناء والتعمير وإنشاء المدارس في بعض مناطق شبه الجزيرة العربية [١].

كما أقدمت قوات محمد علي باشا العثمانية على مصادرة مكتبات العلماء ونهب كتبهم بل وإحراقها، ونقل ماوجدوه من المصاحف إلى الحجاز، ولاشك أن ذلك يعود إلى رغبتهم بإعادة البلاد إلى الجهل والبعد عن الدين الصحيح والعقيدة السليمة، وكان مما ساعد على تمكن قوات محمد علي باشا من تلك الأعمال ومن السيطرة على الأوضاع وجود بعض المتعاونين معها من أمراء القبائل والبلدان تحت وطأة ظروف معينة تعود في مجملها إلى سياسة الترغيب والترهيب التي عمل بها قادة محمد علي باشا لاجتذابهم إلى جانب الحملة، حيث كشفت الوثائق الجديدة عن كثير من المخصصات المالية التي منحت لأولئك الأمراء والزعماء مقابل مساعدتهم للحملات، وفي نفس الوقت فإن هناك كثير من العقوبات التي تنتظرهم إن لم يمتثلوا لهذا الأمر، كما أن قوات محمد علي باشا قد وجدت الدعم من القوى المناوئة

---

(١) سعد بدير الحلواني: تعمير المدينة المنورة (١٨١٢-١٨٤٠م)، ط١، القاهرة: مطبعة الحسين، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٣٠، ٣٦ .

الأخرى حيث كان أمراء بني خالد هم المحرض الرئيسي للسلطان العثماني عن طريق واليه في بغداد على تحريك الجيوش إلى نجد للقضاء على كل مامن شأنه بناء الدولة السعودية الثانية والتي أدركوا تعارض وجودها مع خططهم لإستعادة إمارتهم للأحساء، ولذا فقد بادروا هم من جانبهم للسير بحملة إلى نجد، والتوغل في بلدانها، والاتفاق مع بعض أمرائها لتحقيق تلك الأغراض، وحين فشلوا في تحقيق غايتهم ووجدوا أن الأمر أكبر من طاقتهم بادروا بالاتصالات المكثفة مع الولاة العثمانيين في كل من العراق والحجاز ومصر، وأعلنوا استعدادهم لتولي قيادة الحملات العسكرية لقتال الأمير تركي بن عبد الله وأنصاره، وطلبوا تفويضهم بهذا الأمر وأنهم لايحتاجون إلا لدعم عثماني بالمال والسلاح.

وعلى الرغم من عدم وجود نشاط ظاهر لأمراء الحجاز في دعم تلك الحملات خاصة أن تلك الفترة قد شهدت تقلص نفوذهم منذ سيطرة قوات محمد علي باشا على الحجاز، وأصبح الولاة العثمانيون هم المهيمنين على الأوضاع السياسية هناك إلا أن الحجاز بقيت محور تحركات محمد علي باشا في الجزيرة العربية ككل، وكانت منطلق حملاته ضد الدولة السعودية الثانية التي لاتزال في مراحل التكوين، وأعلن أمراء الحجاز عن تأييدهم لتلك الحملات، وعملوا مابوسعهم لدعمها باحتياجاتها وبالتعاون مع ولاة محمد علي باشا في المنطقة، بل وكانوا حلقة الوصل بين قادة تلك

الحملات وبين مركز إمدادهم الرئيسي في مصر.

ومن هنا فقد باتت المحاولات المبذولة لإقامة الدولة السعودية الثانية محاطة بثلاث قوى مناوئة تعمل سوياً للقضاء عليها، وأصبح الإمام تركي بن عبد ا لله مستهدفاً بذاته من قبل تلك القوى، إلا أن عزمه وتصميمه قد مكنه من تحطيم عداء تلك القوى، وتمكن بتوفيق ا لله ثم بدعم الأهالي الذين بقي أثر الدعوة السلفية وحب الدولة السعودية الأولى قوياً في نفوسهم، فأعلنوا الجهاد ضد الحملات العثمانية ومؤيديها، ثم تظافرت جهودهم لإخراج الحاميات العثمانية من نجد في وقت فشل ولاة محمد علي في الحجاز بتقديم الدعم اللازم لها، وانتهى الأمر بتكوين الدولة السعودية الثانية على يد الإمام تركي بن عبد ا لله الذي بادر بمحاولات احتواء الموقف العثماني الغاضب ضده، وأجرى اتصالاته مع ولاة بغداد منعاً لتجديد النشاط العثماني المعادي ضده، ثم عمل للاستفادة من الظروف المستجدة للقوى المناوئة لدولته حين دب الخلاف بين محمد علي باشا وسيده السلطان العثماني، وأصبح صديق الأمس عدو اليوم، فأصبح الانفصال لزاماً على الطرفين، وهنا عمل الإمام تركي بن عبد ا لله بمنتهى الحكمة للاستفادة من هذا الوضع، وقام بإعادة اتصالاته مع الدولة العثمانية ممثلة بواليها في بغداد الأمر الذي زاد من تقارب المواقف، وعمّق في نفس الوقت من هوة الخلاف بين العثمانيين ومحمد علي باشا، وبذلك تخلص الإمام تركي من مناوئة

الدولة العثمانية له، وهو مايعد انتصاراً عظيم الأهمية له ولدولته، لأن الدولة العثمانية كانت هي المحرك الرئيسي للحملات العدائية التي قام بها محمد علي باشا ضد نجد طوال الفترة الزمنية السالفة، بل وكانت هي القوة التي تضم بين جوانحها بقية القوى المناوئة وتمنحهم حمايتها.

ولم يتوقف الإمام تركي بن عبد الله عند ذلك بل بادر بالاستفادة من الظروف المتاحة للقضاء على قوة مناوئة أخرى هي قوة أمراء بني خالد الذين كانوا يحظون بحماية والي بغداد خاصة، غير أن تقارب الإمام تركي مع ذلك الوالي جعل من المستبعد قيامه بدعمهم ضد صديقه الجديد، لذا فقد شهدت سنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م سقوط قوة أمراء بني خالد على يد القوات السعودية بشكل يستحيل معه استعادة قوتهم ومكانتهم مرة أخرى، وتخلصت الدولة السعودية الثانية من عدائهم في وقت لم يجدوا من يقف بجانبهم، وهناك أدرك محمد علي باشا أنه أصبح يعمل لوحده في حين لم تفلح محاولاته بالاستفادة من أمراء بني خالد وأمراء الحجاز لشن حملات معادية ضد الدولة السعودية الثانية، حيث فشلت الحملة التي قام بها محمد بن عون ضد الدولة السعودية الثانية في تلك السنة وهي حملة لم تشر إليها المصادر المحلية مما جعلها غير معروفة لدى كثير من الباحثين إلا أن جل معلوماتنا عنها جاءت عن طريق الوثائق العثمانية المعاصرة، وفي نفس الوقت شغل محمد علي باشا بأحداث نزاعه مع

السلطان العثماني وحروبه في الشام، وهو الأمر الذي جعل الدولة العثمانية تخطب ود الدولة السعودية الثانية، لذا فإن محمد علي باشا أحجم عن نشاطه العسكري في الجزيرة العربية ليتفرغ للسلطان العثماني وتقوية جيوشه في الشام، وإزاء ذلك فإن والي مصر لم يوافق على التعاون العسكري مع بعض القوى المحلية داخل الجزيرة العربية ضد الدولة السعودية الثانية، ونظراً لحاجته الماسة لجمع قواه وتوحيدها في جبهة الشام فقد أعلن رفضه لأي هجوم يصدر من الحجاز تجاه تلك الدولة، واقترح التفاهم الودي مع الإمام تركي بن عبد ا لله رغم إلحاح ولاة الحجاز وأمرائها بشن هجوم عسكري ضده، أما دبلوماسياً فقد واصل محمد علي باشا العمل بخفاء ضد الدولة السعودية الثانية، حيث عمل على الإيعاز للأمير مشاري بن عبد الرحمن المقيم في مصر بإجراء اتصالاته مع الإمام تركي بن عبد ا لله شاكياً مايعانيه من ظلم ومشقة في مصر وذلك لكسب تعاطفه وترحيبه ليعود مشاري إلى نجد ويبدأ بالاتفاق مع محمد علي باشا للعمل على الإطاحة بحكم الإمام تركي بن عبد ا لله والذي اكتشف بعض تلك المحاولات؛ مما حدا بمشاري للهرب إلى الحجاز، فلم يتخل عنه محمد علي باشا الذي أكدت الوثائق المعاصرة أنه منح مشاري راتباً مالياً إبان إقامته هناك، كما حث محمد بن عون على تحريض مشاري وإغرائه بقتل الإمام تركي بن عبد ا لله كوسيلة حرب ضد الدولة السعودية الثانية في وقت تعذر القيام بحملات عسكرية ضدها.

أما **المرحلة الثانية** في موقف القوى المناوئة من الدولة السعودية الثانية فقد امتدت منذ عودة نشاط محمد علي باشا العسكري في نجد، واستمرت حتى خروجه منها نتيجة للموقف المترتب على معاهدة لندن سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م وماجاءت به من نتائج، وفي هذه المرحلة كان محمد علي باشا هو حامل لواء العداء للدولة السعودية الثانية، بعد أن تفرغ من نزاعه مع العثمانيين بشكل مؤقت فعاد إلى الجزيرة العربية بكل ماأوتي من قوة عبر أول حملة عسكرية تعد من مصر نفسها منذ حملة إبراهيم باشا ضد الدولة السعودية الأولى، وبعد انقطاع حملاته العسكرية عامة على نجد لما يقارب أربعة عشر عاماً، متخذاً من رفض الإمام فيصل بن تركي مساعدة حملاته ضد أهالي عسير ذريعة لمد سيطرته على أراضي الدولة السعودية الثانية، بعد أن أصبح يعمل لحسابه الخاص لا لحساب السلطان العثماني كما كان سابقاً، وأصبح قوة مناوئة مستقلة بذاتها للدولة السعودية الثانية، وقد بدأت حملاته ضدها بطريقة جديدة تمثلت بتعيين خالد بن سعود أحد أمراء آل سعود المقيمين في مصر ضمن قادتها رغبة منه باجتذاب الأهالي إلى جانبها بعد أن ثبت له خلال نشاطاته السابقة رفضهم لوجود قادته، كما رغب من خلال ذلك إلى إحداث شرخ في صفوف المجتمع حين ينقسم الناس في ولائهم بين الإمام فيصل بن تركي والأمير خالد بن سعود، وقد أوضحت هزيمة تلك الحملة في معركة الحلوة أن الهدف من وجود خالد بن سعود

فقط هو الحصول على تأييد الأهالي لها كما يدل خطاب والي الحجاز الذي أرسله إليه بمجرد أن علم بتلك الهزيمة، وتبين الوثائق المعاصرة أن محمد علي باشا حاول الاستفادة في حملاته ضد الدولة السعودية الثانية بكل قوة ممكنة لدرجة أنه عمل على تجنيد الحجاج المغاربة الذين قدموا لأداء مناسك الحج، كما عمل على رفع أجرة الجمالة القائمين بنقل معدات وجنود حملاته إلى نجد بشكل لم يحدث منذ حملة إبراهيم باشا على الدرعية سنة ١٢٣٣هـ، إضافة إلى محاولة الاستفادة من جميع قادته ذوي الخبرة في الحروب العسكرية، والحصول على خلاصة خبرتهم في حربه ضد الدولة السعودية الثانية.

وقد استفاد محمد علي باشا بشكل كبير خلال تلك المرحلة من دعم أمراء الحجاز الذين وقفوا مع قادته وساندوهم سواء في مرافقة الحملة، والقيام بمفاوضات نيابة عن أولئك القادة، أو في دعم الحملة بالجمال وبالمعدات الحربية والمؤن، وجلبها من المناطق المختلفة إلى نجد، مما زاد من تقاربهم مع قادة الحملات الذين سعوا لتخصيص مرتبات مالية لأولئك الأمراء لقاء ماأبدوه من خدمة، كما أن أمراء بني خالد كان لهم دور مهم في دعم الحملات خاصة حملة خورشيد باشا التي تمكنت من إنهاء الفترة الأولى من حكم الإمام فيصل بن تركي، حيث سعى محمد بن عريعر الذي كان مقيماً في كنف والي بغداد العثماني ويحظى بحمايته لاستعادة إمارة الأحساء فتعاون مع خورشيد

باشا خصم العثمانيين في تلك الفترة والذي دعمه بالمال والرجال لتشكيل جبهة خلفية للإمام فيصل بن تركي في أحلك الظروف التي تواجهه، ورغم ماقام به محمد ابن عريعر من نشاط في ذلك الأقليم إلا أن جهوده لم تتعد السيطرة على بلدة القطيف بشكل مؤقت، ولم يلبث أن وقع تحت سيطرة الحملة التي عمل على مساندتها من قبل، ليتحول تقارب أمراء بني خالد مع حملات محمد علي باشا وقادتها إلى عداء صريح، فأصبح أمراء بني خالد يعملون ضد وجود قوات والي مصر الأمر الذي عرض عدد منهم للإعدام على يد تلك القوات، وبذلك نرى أن محمد علي باشا حظي في حملاته خلال هذه المرحلة بدعم القوى المناوئة للدولة السعودية الثانية كأمراء الحجاز وأمراء بني خالد بشكل كبير، غير أن دعم أمراء الحجاز كان الأبرز، فيما لم يصل دعم أمراء بني خالد إلى نفس مستواه خلال المرحلة الأولى؛ ويعود ذلك إلى افتقادهم لوسائل القوة نتيجة طردهم من إمارة الأحساء وبقائهم مشتتين بين البلدان المختلفة ينتظرون الدعم والمساندة من هذه القوة أو تلك أملاً باستعادة الإمارة.

أما الموقف العثماني فقد أصبح معادياً لنشاط محمد علي باشا خلال هذه المرحلة واتضح ذلك من خلال رسائل ولاة العراق العثمانيين إلى الإمام فيصل ابن تركي والتي يحثونه فيها على مجابهة حملات والي مصر، وعدم عقد الصلح معها، ووعدوه بتقديم الدعم الذي يحتاجه، معلنين أنهم سيقومون بصد تلك الحملات

واجتذاب جنودها إلى صفوفهم وتجنيدهم ضد محمد علي باشا من جديد، وإذا كانت وعود ولاة العراق العثمانيين بدعم الإمام فيصل بن تركي بالجنود والأسلحة لم تجد طريقها للتنفيذ إلا أنها كشفت عن حقيقة العداء العثماني لوالي مصر وقواته لتصبح الدولة العثمانية القوة المناوئة للدولة السعودية الثانية سابقاً تعمل ضد حليفها محمد علي باشا إلى جانب الدولة السعودية الثانية.

ولقد حاول قادة محمد علي باشا الاستفادة من دعم ومساندة أمراء البلدان والقبائل في نجد بنفس وسائل الترغيب والترهيب السابقة، حيث رتبت المخصصات المالية للبعض بينما تم التنكيل بالبعض الآخر؛ ليكون الخيار المتاح أمامهم هو التعاون مع الحملات أو التعرض للعقاب البدني الذي يصل إلى القتل، إضافة إلى مصادرة الأموال، على مستوى الأفراد ومستوى البلدان، ولذا كان بقاء بعض أمراء البلدان في مناصبهم مرتبطاً بدعمهم للحملات، كما اتضح إبان حملة إسماعيل بك التي أعادت أسرة آل علي لإمارة جبل شمر مكافأة لترحيب زعيمها عيسى بن علي بالحملة، في وقت رأى خورشيد باشا بعد سنة واحدة فقط أن مصلحة حملات محمد علي باشا تقتضي عودة الأمير عبد الله بن رشيد لإمارة الإقليم؛ وذلك للإستفادة منه في دعم الحملة وتزويدها بالجمال، كما قام جنود الحملات بهدم أسوار البلدان والعمل على سلب خيراتها وتطويع منتجاتها الزراعية لخدمة الحملات سواء عن طريق ماأطلق عليه

مسمى الزكاة أو باهبات والأعطيات التي يرغمون المزارعين على تقديمها ودعم الحملات بها أو عن طريق الشراء بأسعار زهيدة وغير مدفوعة، إضافة إلى المماطلة والتسويف في دفع أجرة أصحاب الجمال الذين أرغموا على نقل معدات الحملات وذخائرها.

وعلى الرغم من تلك الإجراءات التعسفية الظالمة إلا أن الرفض للحملة اتضح علناً في كثير من بلدان نجد كما أن العلماء نددوا بالحملات، وحاولوا تجنيب المجتمع الاختلاط بجنودها، فأصدروا فتاوى مفادها أن زواج أحد أولئك الجنود من نساء المجتمع في نجد لو حدث يعتبر باطلاً، وللولي الحق في فسخ العقد (١)، وذلك لأنه جاء تحت الإكراه والتهديد وسطوة الاحتلال، إضافة إلى ذلك فإن كثيراً من القبائل القاطنة على طريق الحملات قامت بهجمات بطولية ضد القوافل الممونة لها واستولت على ماتحمله، كما استولت على الرسائل المتبادلة بين قادة الحملات والمشرفين عليها في الحجاز ومصر، مما أثار متاعب كثيرة أمامها، وعطل مهامها، ليتضح أن القضاء على الدولة السعودية الثانية أمر لم يكن سهل التحقيق فرغم كثرة القوات التي أرسلها محمد علي باشا إلى نجد مزودة بأحدث الأسلحة للقيام بهذه المهمة إلا أن قادته مكثوا قرابة الثلاث سنوات دون إنجازها، ولجؤوا أكثر من مرة إلى المفاوضات السلمية مع

---

(١) عبد الرحمن بن قاسم: المصدر السابق، ٧/٢٤٠ .

الإمام فيصل بن تركي الذي تحمل مسؤولية الدفاع عن بلاده بشتى الوسائل.

وإذا كانت حملة خورشيد باشا قد تمكنت في نهاية الأمر من إنهاء الولاية الأولى للإمام فيصل بن تركي إلا أنها فشلت بملء الفراغ السياسي الذي تركه رحيله إلى مصر، مما جعل البلاد تعاني من انعدام السلطة وانتشار الفوضى في أرجائها، ورغم إعلان قادة تلك الحملة تعيين خالد بن سعود أميراً في نجد إلا أن الوثائق التاريخية المعاصرة كشفت مدى ضعف إدارته للبلاد، وعدم قدرته على اتخاذ القرارات بحرية واستقلالية، حيث تعرض للتعنيف والتوبيخ من قبل والي مصر بسبب بعض مايتخذه من قرارات لاتوافق رغبات وأهواء ذلك الوالي؛ الأمر الذي جعل السلطة الحقيقية بيد محمد علي باشا وقادته.

وجاءت نهاية هذه المرحلة من مراحل عداء القوى المناوئة للدولة السعودية الثانية سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م حين تأزم الموقف بين الدولة العثمانية ومحمد علي باشا بشكل اتخذ حرباً ضارية بين الجانبين هُدِّدت بها استقلالية الدولة العثمانية، وأوشكت عاصمتها على السقوط بيد والي مصر؛ الأمر الذي جعل القوى الدولية وعلى رأسها بريطانيا ذات الأهداف والمطامع في المناطق التي وصل إليها نفوذ والي مصر خاصة الخليج العربي تتحرك لاحتواء الموقف، ومن هنا فإن بريطانيا وبعد أن كانت إبان حملة إبراهيم باشا على الدرعية تسعى للتعاون مع محمد علي باشا أصبحت تعمل وتؤلب

الموقف الدولي ضده، الأمر الذي جعل موقفه حرجاً وبدأ بإصدار أوامر الانسحاب من أراضي الدولة السعودية الثانية، وحين أثمرت جهود بريطانيا عن عقد معاهدة لندن كان ذلك كفيلاً بسحب قوات محمد علي باشا من أراضي الدولة السعودية الثانية بشكل رسمي، وحينئذ تم تعيين خالد بن سعود حاكماً على نجد من قبل والي مصر الذي فشل بالحفاظ على سيطرته في تلك المنطقة، لتبدأ **المرحلة الثالثة** من مراحل تكالب القوى المناوئة ضد الدولة السعودية الثانية والتي شهدت الإطاحة بقوة محمد علي باشا نهائياً فعاد إلى ماكان عليه خلال المرحلة الأولى حيث أصبح والياً تابعاً للسلطان العثماني، إلا أنه في هذه المرحلة الأخيرة لم يعد له نشاط عسكري يذكر، وعادت السيطرة العثمانية على الأوضاع السياسيه في الجزيرة العربية، وهذا ماأدركه الأمير خالد بن سعود الذي بادر بالتقرب إلى العثمانيين عن طريق والي جدة وأمير مكة وقام بالإيعاز إلى كثير من أعيان ووجهاء نجد والأحساء ليكتبوا خطابات التأييد له ويطلبون من السلطات العثمانية تعيينه أميراً عليهم، وأخيراً نجح باستصدار فرمان سلطاني بتعيينه أميراً في نجد من قبل السلطان العثماني، ورغم ذلك لم يجد خالد ابن سعود أي دعم أو مساعدة من قبل العثمانيين حين تعرض للإبعاد من منصبه على يد عبد الله بن ثنيان والذي لقي الدعم العثماني بمجرد وصوله للإمارة وقيامه بإرسال الرسائل باسمه وباسم أعيان ووجهاء نجد الذين سبق أن أيدوا خالد بن سعود إلى

الولاة العثمانيين معلنة الطاعة والـولاء، ممايدل على أن الدولـة العثمانيـة لم تعبأ بمـن يحكم نجد خلال تلك الفترة طالما أظهر الولاء والطاعة، ودعا للسلطان العثمـاني على المنابـر.

وقد كشفت الوثائق التاريخية أن السياسة العثمانية هدفت إلى استخدام الإمـام فيصل بن تركي المقيم في مصر كورقة ضغط لضمان ولاء خالد بن سعود وطاعته، لذا فقد كانت تلوح بإخراجه من مصـر وإعادتـه للحكـم في نجـد إن لـزم الأمـر، وحينمـا استولى عبد ا لله بن ثنيان على السلطة ظهر للسلطات العثمانية عدم تطابق سياسته مع ماتريده الأمر الذي جعل والي جدة عثمان باشـا يهتـم بـأمر الإمـام فيصـل بـن تركـي المقيم في مصر، ويبذل جهوداً كبيرة لإقناع السلطان العثمـاني بإخراج الإمـام فيصـل من سجنه، وإعادته إلى الحكم في نجد، مشيراً إلى إمكانية ضمان موقـف الإمـام فيصـل عن طريق إبقاء أسرته كرهائن في الحجاز، بجانب مـاأكده الإمـام فيصـل بـن تركـي في رسائله لذلك الوالي عن عزمه علـى نهـج سياسـة وديـة تجاه الدولـة العثمانيـة بمجـرد تسلمه إمارة نجد، وكما كشفت الوثائق التاريخية فإن والي جدة تـابع خطـوات الإمـام فيصل بن تركي منذ خروجه من سجنه بمصر حتى تسلمه الإمارة رغم معارضـة أمـراء الحجاز والصدر الأعظم لهذا التوجه، وبالفعل فقد أوفى الإمام فيصـل بوعـده، وأعلـن سياسة جديدة تقوم على الاعتراف بالسيادة العثمانية؛ رغبة منه بحماية بلاده من عداء

تلك القوة المناوئة، ولأنه أدرك صعوبة خوض المواجهة العسكرية ضدها، ومن جانبها فإن الدولة العثمانية بادلته الود فأصدرت فرمان تعيينه أميراً على نجد "قائمقام"، فأصبح يعمل على بناء دولته من الداخل وتحصين مراكزها الرئيسية، واستمر في العمل على تقوية روابطه مع الدولة العثمانية حيث نجح بالحصول على تأييدها له في حماية أطراف بلاده من الاعتداءات الخارجية، كما عمل على التعاون مع ولاتها في العراق ضد بعض القبائل التي أعلنت التمرد حتى تم وقفها عند حدها، واستمر تعاونه مع ولاتها في مصر وحرص على كسب ودهم، وفي نفس الوقت انتهج سياسة متوازنة فرفض دعم حملاتهم ضد أتباعه في عسير، ويمكن القول أن تحركات الإمام تركي بن عبد الله وابنه الإمام فيصل من بعده لم تكن خروجاً على السلطان العثماني والخلافة الإسلامية كما تروج القوى المناوئة بقدر ماكان سعياً إلى الإصلاح الداخلي للبلاد في ظل انشغال الخلافة بسعة رقعتها وكثرة أعدائها وتزايد مشاكلها.

أما أمراء الحجاز فقد أبدوا موقفاً معارضاً لعودة الإمام فيصل بن تركي من مصر وتسلمه السلطة في بلاده، حيث تبين الوثائق التاريخية أن محمد بن عون عارض مساعي عثمان باشا لإتمام هذا الأمر، وحين تمكن الإمام فيصل من العودة اقترح محمد ابن عون فكرة تقسيم نجد بين ثلاثة أمراء هم الإمام فيصل بن تركي، وخالد بن سعود الذي اقترح إعطاءه حكم القصيم، وعبد الله بن رشيد أميراً على جبل شمر، غير أن

اقتراحه هذا لم يجد التأييد من السلطان العثماني نظراً لما سيؤدي إليه ذلك الاقتراح من كثرة المصاريف المالية والعسكرية، وماسينشأ عنه من فتن بين بلدان نجد، خاصة أن الإمام فيصل بن تركي قد تعهد بإبراز الولاء للدولة العثمانية حسب اتفاقه مسبقاً مع والي جدة عثمان باشا، ولذا صرف النظر عنه، وتم إعلان الإمام فيصل بن تركي حاكماً في نجد من قبل الدولة العثمانية.

وحين عزل والي جدة عثمان باشا من منصبه وتولى رائف بك ولاية جدة جاءت توجهاته السياسية مطابقة لتوجهات محمد بن عون، وعادت فكرة تقسيم نجد إلى ثلاثة أقسام للظهور، وطرحت رسمياً أمام السلطات العثمانية لوضعها موضع التنفيذ، وإزاء ذلك لم يلبث محمد بن عون أن شن حملة عسكرية ضد الدولة السعودية الثانية استهدفت القصيم وذلك من أجل سلخها من أراضي تلك الدولة وإسناد إمارتها لخالد بن سعود المصاحب للحملة وهذا هو سبب الحملة الرئيسي الذي بينته الوثائق التاريخية وأكدته للمرة الأولى، غير أن تلك الحملة لم تحقق هدفها الذي قدمت من أجله رغم ما أوليت من اهتمام أمراء الحجاز والولاة العثمانيين وعادت من حيث أتت، بعد أن ثبت لقادتها مدى ماوصلت إليه الدولة السعودية الثانية من قوة وقدرة على الحفاظ على بلدانها، رغم أنه لم يمض على عودة الإمام فيصل بن تركي وبداية حكمه الجديد سوى ثلاث سنوات فقط، ومن هنا بدأت علاقات أمراء الحجاز مع

الدولة السعودية الثانية بالتحسن دون اكتراث بما واجهها من مواقف ناجمة عن محاولة بعض الخارجين عن طاعة الدولة السعودية اللجوء للحجاز، وحث أمرائها على شن هجمات عسكرية ضد تلك الدولة، واستمر تحسن العلاقات بين الجانبين طوال إمارة محمد بن عون .

وتبين الوثائق التاريخية أن عبد الله بن محمد بن عون الذي خلف والده في إمارة مكة المكرمة حاول التدخل في شؤون الدولة السعودية الثانية عن طريق دعم أمير عنيزة عبد الله بن سليم ضد قوات الدولة السعودية خاصة حين أرسل أمير عنيزة طلبات النجدة لابن عون بشكل أوضحته تلك الوثائق، إلا أن حزم قادة الدولة السعودية الثانية ووقوفهم بصلابة أمام تلك المحاولات وتهديدهم برفع الأمر إلى السلطان العثماني، إضافة إلى النوايا الحسنة التي أبداها عبيد بن رشيد ومحاولة توسطه للصلح بين قادة الدولة السعودية وأمير عنيزة قد أوقفت محاولات عبد الله بن عون تلك، والذي طلبت منه السلطات العثمانية عدم التدخل بهذا الشأن، وأوكلت مهمة الوساطة بين الإمام فيصل بن تركي وأمير عنيزة إلى محافظ المدينة المنورة العثماني، ورغم ذلك الحدث فقد شهدت الفترة التالية تحسن العلاقات بين الدولة السعودية الثانية وأمراء الحجاز فتمكن الإمام فيصل بن تركي بحكمة متناهية من كسب ود القوى المناوئة لدولته، خاصة أنه لم يبق منها سوى الدولة العثمانية وأمراء الحجاز في

ظل أفول قوة محمد علي باشا وأمراء بني خالد، وقد نجح الإمام فيصل بالفعل من التخلص من مضايقاتها، والعمل على البناء، فشهدت تلك الحقبة أوج ازدهار الدولة السعودية الثانية وقوتها، فلم تتعرض لعدوان من قبل تلك القوى خلال تلك المرحلة.

وبوفاة الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٦م بدأت **المرحلة الأخيرة** من مراحل تكالب القوى المناوئة ضد الدولة السعودية الثانية حيث عاد النشاط العثماني المناوىء ضدها ممثلاً بولاة العراق عبر **وسيلتين** إحداهما تقوم على الاحتلال العسكري والذي تمثل بتجريد حملة عسكرية بقيادة نافذ باشا تمكنت من الاستيلاء على الأحساء مستغلة الخلاف بين أبناء الإمام فيصل بن تركي، والعمل تحت مظلة حماية الحاكم الشرعي الإمام عبد ا لله بن فيصل، وبالاستفادة من دعم القوى الأخرى المناوئة للدولة السعودية الثانية وعلى رأسها قوة أمراء بني خالد التي عادت للظهور من جديد محاولة الاستفادة من تلك الحملة للحصول على إمارة الأحساء، ولذا فقد عملوا مابوسعهم لمساندة الحملة ودعمها، غير أن جهودهم ذهبت سدى ولم يتحقق لهم ماأرادوا، إذ مالبث العثمانيون أن تفردوا بالأمر وأصبح أمراء بني خالد في هامش الأحداث لينتهي نشاطهم المناوىء للدولة السعودية الثانية.

أما الوسيلة الثانية فقد اتخذها العثمانيون للتدخل في شؤون الدولة السعودية الثانية عن طريق نجد التي رأوا صعوبة التقدم العسكري إليها فعملوا على دعم قوة

أمير جبل شمر محمد بن عبد ا لله بن رشيد، وحثه على التحرك لتقويض مابقي من أجزاء الدولة السعودية مستغلاً ظروفها السيئة، وتحت نفس المظلة التي تذرع بها العثمانيون للتدخل، فغدت الدولة السعودية الثانية محاطة بالقوى المناوئة من جديد، وعمت بلدانها الفرقة والخلافات والنزاعات العسكرية، فلم يعد باستطاعتها الصمود ضد القوى المناوئة التي تعمل للإطاحة بها، في ظل اختلاف حكامها، وعجزهم عن الاتحاد ضد تلك القوى، وختمت تلك المرحلة بنهاية الدولة السعودية الثانية لعوامل أوجزها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود رحمه ا لله ببلاغة متناهية في: عدم استتباب الأمر للإمام عبد ا لله بن فيصل بن تركي لأسباب تعود في مجملها إلى النزاعات الداخلية وظهور قوة محمد بن رشيد الطامع في نجد[١].

وهكذا تبين لنا أن القوى المناوئة للدولة السعودية الثانية قد عايشت الأحداث السياسية منذ سنة ١٢٣٤هـ - ١٨١٨م وهي البدايات الأولى لمحاولات إقامة وحدة سياسية جديدة في نجد تحل محل الدولة السعودية الأولى واستمرت في العمل المتزايد لإسقاط الدولة السعودية الثانية التي نجح الإمام تركي بن عبد ا لله بإقامتها متحدياً عداء تلك القوى، ثم تراوح موقف تلك القوى بين الظهور والاختفاء عبر المراحل

---

(١) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص١٠١. وقد جاء في حديث الملك عبد العزيز رحمه ا لله للريحاني: "لم يستقم الأمر لعبد ا لله لثلاثة أسباب: أولاً: وجود أبناء أخيه في الخرج يحرضون القبائل عليه، ثانياً: مناصرته لآل عليان أمراء القصيم السابقين على أعدائهم آل مهنا الحاكمين في ذلك الحين...، ثالثاً: ظهور محمد بن رشيد الطامع بحكم نجد...".

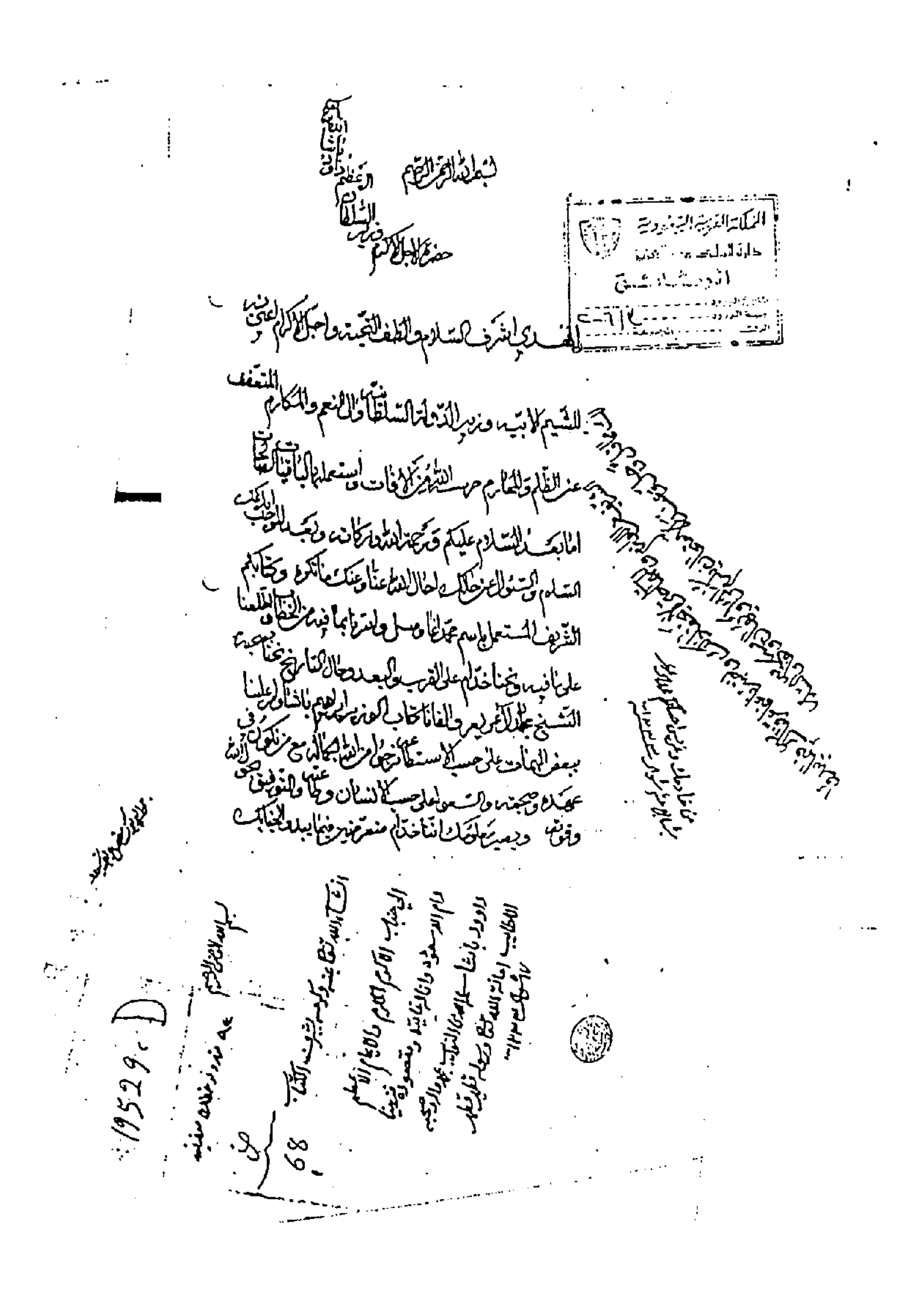
الزمنية المختلفة حتى عادت مجتمعة مرة أخرى للعمل لتحقيق نفس الهدف بعد أن رأت الفرصة سانحة لها إثر وفاة الإمام فيصل بن تركي، وظلت تعمل بشتى الوسائل حتى تمكنت باستغلال الأوضاع الداخلية من إسقاط الدولة السعودية الثانية سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، على أن توقف نشاط أي قوة من تلك القوى المناوئة لفترة من الزمن خلال تلك المراحل لايعني انتهاء عدائها للدولة السعودية الثانية بقدر ماكان انعكاساً لظروف خاصة بتلك القوى أوجبت عليها التوقف لالتقاط الأنفاس ومعاودة العداء، أو اتخاذ تكتيك سياسي عسكري مختلف تمليه الظروف السياسية والعسكرية الطارئة.

الملاحق

فهــرس الملاحــق

تابع ـ فهرس الملاحق

ملحق رقم (١) *


بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاجل الاكرم

اهدي اشرف السلام والطف التحية واجمل الاكرام

للشيم الابية وزير الدولة السلطانية ولي النعم والمكارم المتعفف

عن الظلم والمحارم

اما بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

* رسالة من محمد بن عريعر أحد أمراء بني خالد إلى داود باشا والي بغداد في شوال سنة ١٢٣٣هـ يبلغه فيها استعداده وأخيه ماجد بن عريعر لمساعدة قوات الدولة العثمانية المحاصرة للدرعية بقيادة إبراهيم باشا الذي أرسل إليهما رسالة بهذا الخصوص.

المصدر: دارة الملك عبد العزيز ، وثائق عثمانية: ٣/٦-٢.

ملحق رقم (٢) *

* ترجمة مقدمة للسلطان العثماني لرسالة بعثها محمد بن عريعر إلى داود باشا حول الأحـداث في نجـد، وقد بين فيها أن محمد بن مشاري بن معمر قد جمع الناس من حوله وبـدأ تحركاتـه معلنـاً أن مـن لم ينضم إليه فهو مرتد، وأن ماجد بن عريعر قام بشن حملة ضده بمساعدة من بعض أمراء بلدان نجد في الخرج والرياض وحريملاء.. غير أن تلك الحملة لم تحقق النجاح بسبب القحـط الـذي تشـهده نجـد، الأمر الذي أدى إلى تخلي أعوان ماجد بن عريعر عنه، وفشل الحملة.

المصدر: Hatti - Humayaun: No. 19532

ملحق رقم (٣) *

* مكاتبة إلى رستم أفندي أمين جمرك جدة حول صدور التوجيهات إلى حسين بك محافظ المدينة المنورة بالنيابة للعمل على القضاء على مشاري بن سعود وتحركاته في نجد، وضرورة الاستعداد اللازم لإنفاذ حملة عسكرية لهذا الغرض، وقد وجه محمد علي باشا بضرورة دعم الحملة بالأموال اللازمة من خزينتي جدة والمدينة المنورة، ٢٣ صفر ١٢٣٦هـ.

المصدر: معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (٥٥) .

ملحق رقم (٤) *

* تسجيل لرسالة محررة من محمد علي باشا إلى وكيل محافظ المدينة المنورة بشأن حملة عبوش أغا وتحركه إلى نجد، واستصحابه لغانم بن مضيان من حرب وابن مخلف من عنزة وحدوث النزاع بينهما...، وأن ابن معمر حينما قبض على مشاري بن سعود لم يسلمه في البداية إلى قوات محمد علي باشا بل سلمه وديعة لدى أمير سدوس، ثم قام تركي بن عبد الله بالمطالبة بإطلاق سراحه، غير أن ابن معمر سلمه إلى (ممش أغا) أحد قادة عبوش أغا، مما دفع بتركي بن عبد الله إلى قتل ابن معمر وابنه، فقام عبوش أغا بقتل مشاري بن سعود في عنيزة..، ٢٦ جماد الثانية ١٢٣٦هـ.

المصدر: معية تركي: دفتر (٧) وثيقة (١٥٦).

ملحق رقم (٥) *

٢٨

[illegible]

* تسجيل لرسالة من محمد علي باشا إلى محافظ المدينة المنورة بالنيابة حول ضرورة العمل على دعم حامية الرياض بقيادة أبي علي المغربي وجاء في الرسالة: "جاءت عريضة من أبو علي أغا رئيس المغاربة ذكر فيها أنه مقيم مع من معه من الجنود بقرية الرياض في نجد منذ محرم ١٢٣٩هـ، وأنه لم يبق معه شيء من الذخيرة والجبخانة والنقود، فإما أن تنظروا في طريقة لجلب ذلك إلى المدينة، أو أن تمدوهم بمقدار مايكفي من الذخيرة والجبخانة من شونة المدينة، ونقود كافية من خزانة المدينة، وتخصيص عساكر يشرفون على إيصالها، والخلاصة لابد من ضمان سلامة وراحة أبو علي وجنوده..) ١٥ شعبان ١٢٤٠هـ.

المصدر: معية تركي: دفتر (٢١) وثيقة (٣٨).

ملحق رقم (٦) *

* تسجيل لمكاتبة من محمد علي باشا إلى الصدر الأعظم حول عدم موافقته على تعيين الإمام تركي ابن عبد الله حاكماً في نجد من قبل الدولة العثمانية حسب طلبه الذي تقدم به إلى والي بغداد داود باشا، وقد علل محمد علي باشا رفضه بعدم توفر الصفات اللازمة التي يرغبها في الإمام تركي والتي بموجبها يمكن ضمان طاعته وانصياعه لأوامر الدولة العثمانية، حيث يتوقع محمد علي أن الإمام تركي ابن عبد الله سيبادر بالاستقلال بحكم نجد بعيداً عن الدولة العثمانية، ١٦ ذي الحجة ١٢٤١هـ.

المصدر: معية تركي : دفتر (٢٢)، وثيقة (٤٠٥) .

ملحق رقم (٧) *

* مكاتبة من الديوان الخديوي إلى الأغا خزينة دار حول قطع مرتب الأمير فيصل بن تركي بعد هروبه من مصر: "بما أن فيصل بن تركي ... قد هرب اقتضى قطع مرتبه وقدره ١٦٠ قرشاً، اعتباراً من أول جمادى الآخرة ١٢٤٢هـ، فالمأمول أن تتفضلوا بالاهتمام بأمر قطع المرتب على الوجه المذكور.."، ٢٨ شعبان ١٢٤٢هـ.

المصدر: ديوان خديوي : دفتر (٧٣١) وثيقة (٤٣٣).

ملحق رقم (٨) *

٧٨٤

---

* مكاتبة من محمد علي باشا إلى محافظ مكة المكرمة خورشيد بك بشأن ضرورة ترتيب معاش كاف لمشاري بن عبد الرحمن الذي سبق أن عاد من مصر، (وكان آنذاك في الحجاز بعد فراره من خاله الإمام تركي بن عبد الله في أعقاب اكتشاف محاولته للإنقلاب عليه)، ١٩ شعبان ١٢٤٧هـ.

المصدر: معية تركي : دفتر (٤٠) وثيقة (٧٨٤).

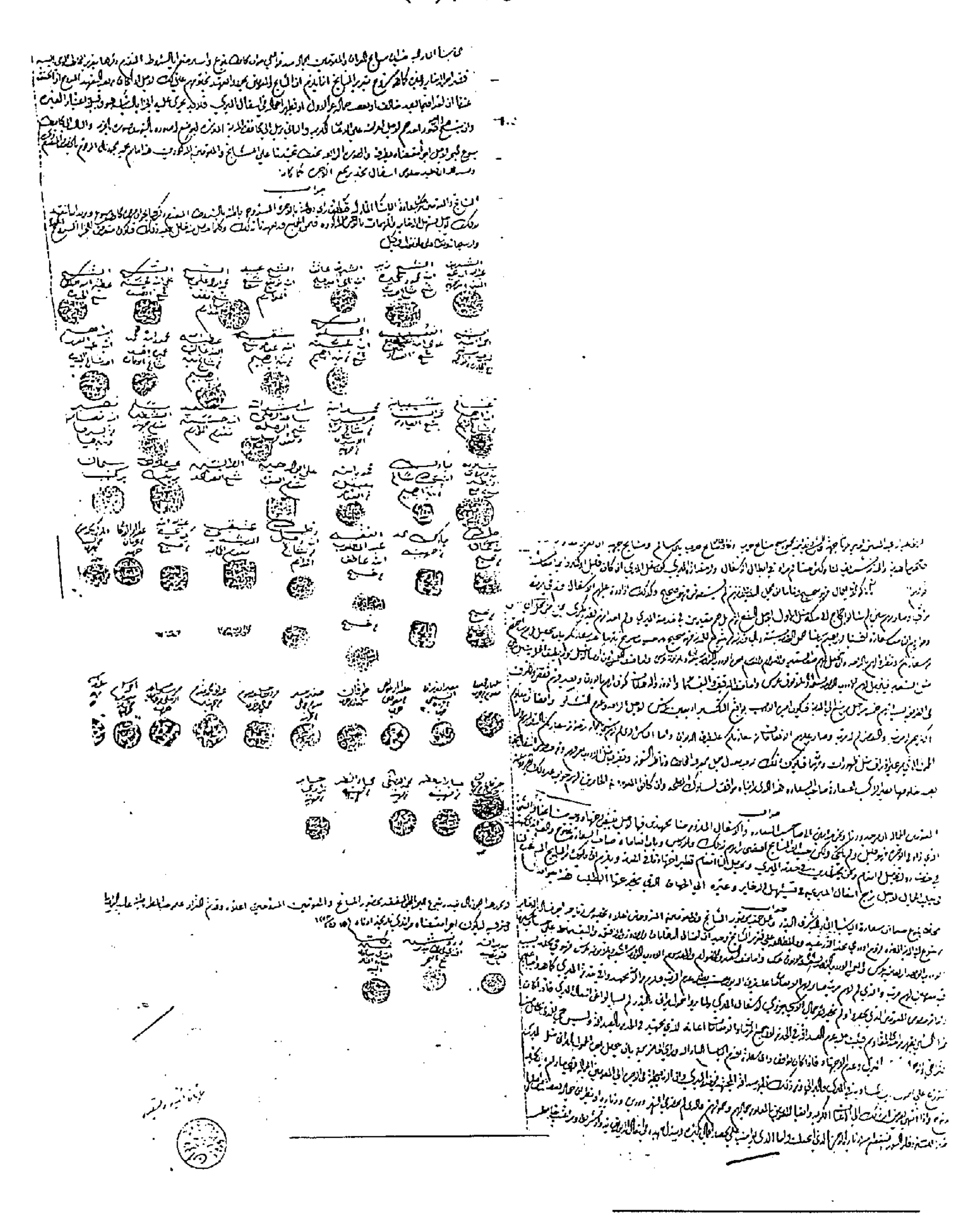
ملحق رقم (٩) *

---

* من الديوان الخديوي إلى المهردار حول التقرير الذي كتبه محافظ المدينة المنورة سليمان أغا عن الشيخ عجيل بن حمود وكونه خالد بن سعود الذي هرب من مصر عن طريق السويس، ووصوله إلى ينبع، ثم إلى نجد، وأن تركي بن عبد الله قد قبض عليه وسجنه، ولكنه هرب ثم جاء إلى المدينة المنورة فقبض عليه وأرسل إلى مصر..، غير أن الأمر اتضح بخلاف ماذكره والي المدينة، وأن خالداً لايزال في مصر وأن الشخص هو (عجيل) وهو مرسل بمهمة من مشايخ عنزة وأعوانهم، وقد تم إبلاغ محافظ المدينة المنورة بذلك. ٢٦ شوال ١٢٤٧هـ .

المصدر: خديوي تركي: دفتر (٧٨٠) وثيقة (٤٦٤).

ملحق رقم (١٠) *



---

* صورة الاتفاقية الموقعة بين زعماء القبائل في الحجاز وخورشيد باشا حول زيادة أجرة الجمال التي تقوم بنقل معدات وذخائر حملة خورشيد باشا إلى نجد، وقد وقع الاتفاقية من جانب محمد علي باشا كل من خورشيد باشا ومحافظ ينبع درويش أفندي والبكباشي حسين أفندي معاون خورشيد باشا، ١٥ رمضان ١٢٥٣هـ.

المصدر: محافظ الحجاز : محفظة (٢) وثيقة (١١١) .

ملحق رقم (١١) *

نجد سرعسكرينه

نجد اميرى خالد بكك بوندن اقدمجه ميرالايلق رتبه‌سى احسان بيورلديغنه اقتضا
ايدن نشانك طرفلرينه كوندرلمش ده قديدن اوزرلرنده بولنان بر قطعه قائممقام نشانك
استرضاسنه ارساليله قيودينك تنزيلى اصول جاريدن بولنمش اولمغله اولوجهله
نشان مذكورك ميرموى اليهدن جلبى وديوان خديويه ارساله همت لازم كلديكى
اشعار اولنمشدر

كنار
ميرموى اليهك زمتنده اولان برقطعه ملازم ثانى نشانى دخى اولديغى
استرضاسى طرفندن بلديرلمش اولمغله بو نشانك دخى برابرجه ارساله همت
ايلمه‌سى تحشيه قلندى

---

* حول المكاتبة المرسلة من الديوان الخديوي إلى خورشيد باشا بسحب نيشان رتبة القائمقامية ووسام رتبة الملازم الثاني الممنوحتين إلى خالد بن سعود وذلك لمنحه رتبة الميرالاي حسب الإجراءات المتبعة، وقد رد خورشيد باشا بأن نيشان القائمقامية قد فقده خالد بن سعود في معركة الحلوة، وقد كتب الديوان إلى خورشيد باشا بخصم قيمة ذلك النيشان من استحقاقات خالد بن سعود المادية، ١١ رجب ١٢٥٥هـ .

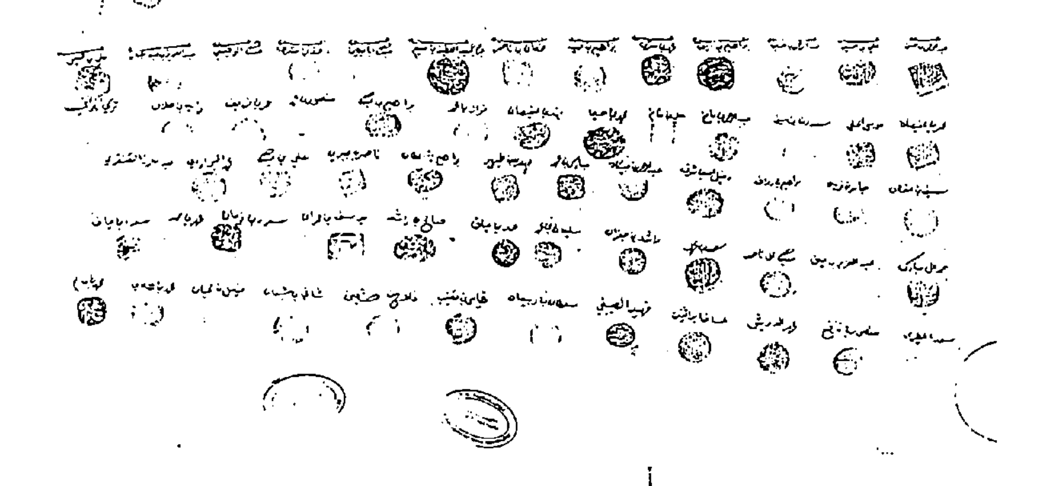
المصدر: خديوي تركي: دفتر (٨٥٥) بند متفرقات.

ملحق رقم (١٢) *

* رسالة من الإمام فيصل بن تركي إلى والي جدة عثمان باشا يطلب منه بذل مساعيه لدى السلطات العثمانية لإخراجه من سجنه بمصر، ويختمها بالدعاء للسلطان العثماني، ٢٣ ربيع الأول ١٢٥٨هـ .

المصدر: I-mesaili - Muh: no. 1798. c.

ملحق رقم (١٣) *



المعروض الى حضرة الوزير المعظم والمشير المفخم افندينا والي جدة عثمان باشا حفظه الله تعالى آمين

---

* خطاب باسم عبد الله بن ثنيان مذيل بتوقيع مجموعة كبيرة من أمراء بلدان وقبائل نجد وعلمائها موجه إلى والي جدة عثمان باشا يشتكون فيه من حكم خالد بن سعود ويبلغونه برفض الأهالي له، غرة جمادى الأولى ١٢٥٨هـ.

المصدر: I-mesaili - Muh: no. 1798. A.

ملحق رقم (١٤) *

* خطاب من والي جدة عثمان باشا إلى الصدر الأعظم حول رغبته بتعيين فيصل بن تركي أميراً في نجد "... خالد بك (ابن سعود) فر إلى الأحساء هرباً من ابن ثنيان.. والشيخ فيصل محبوس في مصر وقد وعد بإبقاء أقاربه رهائن في مصر مقابل طاعته للسلطان وعودته للإمارة.. والأمير عبد الله بن ثنيان يذكر أنه سيطيع السلطان ولكنه إن أخلف وعده يحتاج إلى عساكر وتكاليف لإخضاعه، وأثناء ذلك أتت رسالة جديدة من فيصل.. ونحن نرغب بتعيين فيصل على إمارة نجد لأنه.. عرف العربان والعشائر واختلط معهم ولذا فإنه سيتمكن من إخضاعهم..." ، ٢٤ جماد الآخرة ١٢٥٨هـ.

المصدر: .I-mesaili - Muh: no. 1798. D

ملحق رقم (١٥) *

* خطاب من والي جدة عثمان باشا إلى الصدر الأعظم حول وضع نجد بعد تعيين عبد الله بن ثنيان أميراً فيها وخطورة قرار اقتطاع القصيم من إمارته.. "... ومع عدم إحالة المنطقة (القصيم) إلى الشيخ المشار إليه (عبد الله بن ثنيان) فإنه تحصل غائلة، وبناء على التشاور مع أمير مكة وأرباب الوقوف فإنه رغم أن .. القصيم وإن كانت أصلاً في عهدة أمير نجد إلا أنها لم تدرج في الأمر السلطاني لإمارته.. فإنه وبعد ورود تعهده تحال إليه إدارة المنطقة.." ٤ شوال ١٢٥٨هـ.

المصدر: I-mesaili - Muh: no. 1799. E.

ملحق رقم (١٦) *

[illegible]

* من عثمان باشا والي جدة إلى الصدر الأعظم حول خروج الإمام فيصل بن تركي من مصر ووضع ابن ثنيان وخالد بن سعود: "... إن أمير نجد الأسبق فيصل الذي كان محبوساً في قلعة مصر صار مسموعاً أنه فر من السجن.. وجاء إلى جبل شمر والتجا إلى شيخ الجبل، وأعلن أنه وجهت إليه إمارة نجد من قبل السلطنة السنية، وأنه جاء بترخيص والي مصر.. وأشعر أنه سيأتي إلي مع أخ شيخ الجبل، ويناقش الموضوع معي ويعطي سند أنه يخدم الدولة.. وأن الشيخ فيصل من سنين طويلة وهو بالإمارة وأن الأهالي كانوا مرتاحين منه..".

"إن ابن ثنيان الذي نصب أميراً بالأمر السامي.. يعامل الأهالي معاملة حسنة.. وأن خالد بك.. ذهب إلى الأحساء.. إلا أنه ظهر مع رجاله الثلاثة أو الأربعة والتجأ إلى القصيم وطلب من الصدارة إمداده بالمدافع وإقامته بإمارة نجد إلا أن مساعدته ستكلف مصاريف كثيرة.. دون فائدة.. وسيكون من المناسب إقامته حالياً في القصيم، إلا أن ظهور فيصل أدى إلى عدم المعرفة للتصرف في الأمور..."، ١٥ ربيع الأول ١٢٥٩هـ.

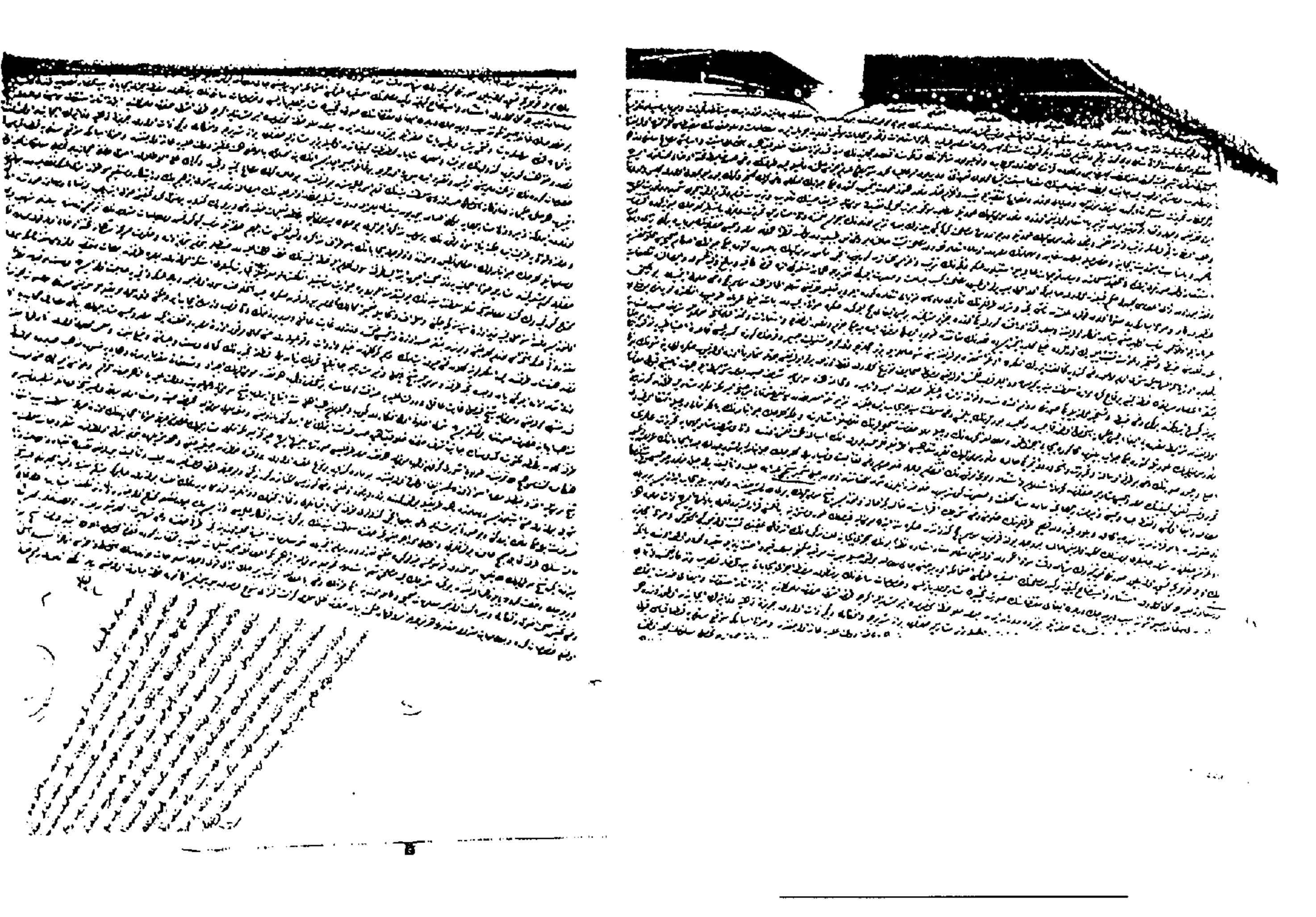
المصدر: I-mesaili - Muh: no. 2433. B.

ملحق رقم (١٧) *

* رسالة من عثمان باشا إلى الصدر الأعظم حول وضع نجد وتعيين الإمام فيصل حاكماً عليها ومخالفة الصدر الأعظم وأمير مكة لذلك الأمر، وبيان مدى التكاليف اللازمة لقتال الإمام فيصل إن رغب السلطان العثماني بذلك: "بالبحث عن وصول المعروضات التي أرسلتها سابقاً ولاحقاً عن إحالة إمارة نجد إلى عهدة الشيخ فيصل أو إزالته بإرسال العساكر.. والقبض عليه، أو إقامة شخص آخر من قبل الدولة، وبيان محاذير ومحسنات كل منها، وإرسال الرأي الموافق من قبلكم... حيث أنكم وسيادة الشريف خالفتموني في رأيي حول الشيخ فيصل، وبناء على بعض مطالعاتكم حول مماطلته.. مع أن الشريف المشار إليه يفضل دفع مضرته كلياً.. وقد أرسل إلي سابقاً ألفي فرانسه، وهذه المرة مع حجاج نجد وبمناسبة الحج أرسل ألف فرانسه، وأرسل أيضاً إلى شريف مكة ٤ جمال و٤ خيول هدية له وطلب مني خلعته وأمر تعيينه.. كما وصل من زكوات نجد نفس المقدار وإن كان رفع المبلغ إلى عشرة الآف أو خمسة الآف على الأقل من الممكن إرسال فرمان تعيينه وإرسال خلعته وهذا يعرض على السلطنة السنية للنظر فيه.. وإلى الآن لم يتبين أنه يخرج على الدولة.. وإذا كان المراد العالي تعين إرسال آلاياً واحداً من العساكر النظامية وألف نفر من الخيالة النظامية وألف نفر من المشاة من الشام، مع إرسال أرزاقهم الكافية لمدة سنة.. مع ذخائرهم ومدافعهم.. كما يحتاج إلى جمال لبعد المسافة بين المدينة ونجد لنقل أمتعتهم وأقواتهم، والعربان يأخذون نصف الأجرة مقدما والنصف الآخر عند إيصال المنقولات، وبذلك يسهل القبض على فيصل.."، ٥ محرم ١٢٦١هـ.

المصدر: I-mesaili - muh: 2439. B.

ملحق رقم (١٨) *



* عرض من الصدر الأعظم إلى السلطان العثماني حول وضع نجد بموجب آراء والي جدة محمد رائف بك وأمير مكة محمد بن عون: ".. أن والي جدة وأمير مكة.. لم يظهرا صعوبة وكلفة في موضوع نجد وفي خلاصة آرائهم فإن عبد الله شيخ جبل شمر يجلب وتفرز الجبل من سيطرة الشيخ فيصل ويتم إلحاقها بالمدينة المنورة، وتحال إمارة القصيم التي هي من بلاد نجد إلى خالد بك من أقارب الشيخ فيصل، وبهذه الصورة فإن منطقة الشيخ فيصل تقل، وإذا أراد أن يحارب فإنهم يتحاربون مع بعضهم، وبهذا الشكل فإن الأمور ستوضع في نصابها، وبعد مرور موسم الحج ينظر إلى طور وحركات الشيخ فيصل..." ٢٠ شوال ١٢٦٢هـ.

وقد شرح السلطان العثماني على العرض مبيناً أهمية الحجاز وضرورة الحفاظ على الحرمين بشكل أكبر من أي موضوع آخر، رغم مناسبة الآراء المقدمة من أمير مكة ووالي جدة بخصوص نجد، ٢٧ شوال ١٢٦٢هـ.

المصدر: I-mesaili - muh: 1800. C.

ملحق رقم (١٩) *

* رسالة من الأمير محمد بن عون بعد حملته على نجد سنة ١٢٦٣هـ إلى الصدر الأعظم حول تعيين شخص مختص بشؤون نجد ومحرر لخطاباتها في الحجاز: "... و لله الحمد والمنة تمت السيطرة على أمور نجد.. وقد أخبرنا محمد أشرف بك المسؤول عن شؤون نجد واليمن كثيرا من الأمور الهامة في مسالة نجد واليمن، وبين أهمية وجود محرر للخطابات المتعلقة بشؤون نجد بحيث يكون ملماً بأمور مشكلة نجد.. وقد وافقنا على ترشيح توفيق أفندي الموظف بديوان أمارة مكة المكرمة ومعاون الرئيس (رئيس ديواني) ومرتبته الثالثة، وذلك لأنه من أرباب الدراية بأحوال نجد، ومصالح الحجاز، ولديه إلمام بمعلومات واسعة.. كما أوضح محمد أشرف بك في رسالته.." ٢٧ رمضان ١٢٦٣هـ.
المصدر: HR- MKT: Dosya no: 18. vesika No: 55.

ملحق رقم (٢٠) *

الشريف عبدالله بن محمد بن عون

---

* رسالة الأمير عبد الله بن فيصل بن تركي إلى أمير مكة المكرمة عبد الله بن محمد بن عون والتي عاتبه فيها على تدخله في شؤون الدولة السعودية الثانية، ملوحا برفع الأمر إلى السلطان العثماني لاتخاذ مايراه إن لم يتوقف ابن عون عن تدخله، ٢٩ رمضان ١٢٧٩هـ.

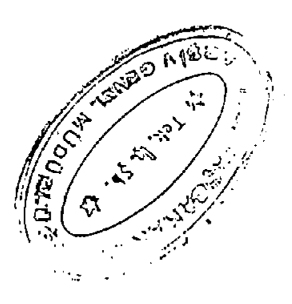
المصدر: I-Dahiliye: No. 34428. A.

ملحق رقم (٢١) *

٥

مقام صدارت عظمایه ٩ كانون ثانى سنه ٨٦ تاريخيله بغداد ولايتندن وارد اولان تلغرافنامه نك صورتيدر صح

نجد قائممقامی عبدالله الفیصل حضرتلرینک برادری سعود بو دفعه مسقط طرفلرینه طوپلادیغی عسکر واجنبی معاونتیله کلوب بصره کورفزنده واقع قطیف والحسا طرفلرینه
کتمکدری فقط اکثرینک اوزرینه عبدالله الفیصل برادری محمد ایله اوزرلرینه کوندردیکی عسکر مغلوب ودرتیوز نفردن زیاده سی مقتول اولدقدن صکره متصرفنا عبدالله
بالذات عسکر اوزرینه کیتمه‌لرده اوده بو یولده جبل شمر طرفلرینه فقط عبدالله جلبنه تشبث اولنارده برقوه کافیه ایله خصمی اوزرینه سوقله اوزرینه
سعودالدنه قورتاریلمسی چاره سنه باقلیه‌جق اولورسه مسئله یمن مسئله‌سندن زیاده کسب اهمیت ایده‌جکی خبر ویریلیور



---

* برقية واردة من بغداد إلى الصدر الأعظم حول النزاع بين الإمام عبد الله بن فيصل بن تركي وأخيه سعود: "...جمع سعود أخو قائمقام نجد عبد الله الفيصل الجنود من قطر وبمعاونة الأجانب واتجه نحو القطيف والحسا... فأرسل عبد الله الفيصل أخاه محمد وأربعمائة جندي قتل أكثرهم.. وقد طلب عبد الله جلب قوة كافية للهجوم على الخصم قبل أن يفلت من اليد، وتؤكد الأخبار أنه إذا أفلت من اليد فإن القضية تكسب أهمية أكبر من القضية اليمنية.." ٩ كانون ثاني ١٢٨٦هـ (رومي)

المصدر: I-MEC-MEH. Dahiliye: No 1667.

ملحق رقم (٢٢)*

تلغرافنامه

---

* جزء من برقية مرسلة من محمد نافذ باشا قائد الحملة العثمانية على الأحساء إلى بغداد حول مسيرة حملته والتي يوضح أنها تمكنت من السيطرة على قلعة "عنك" على بعد ساعة واحدة من القطيف، حيث حوصرت حتى الصباح دون إطلاق نار، وحين رأى اتباع سعود بن فيصل كثرة الجنود استسلموا، ودخلت الحملة إلى القلعة، وتم الاستيلاء على مافيها من ذخائر وأسلحة.. ثم توجهت الحملة إلى الدمام، فهرب أميرها عبد العزيز بن سعود السديري ليلاً، وتم إنذار أتباع سعود ابن فيصل بضرورة التسليم وإطلاق سراح محمد بن فيصل المحبوس لديهم، وقد أصر طحنون المسؤول عن القلعة على عدم التسليم إلا بعد معرفة مصير القطيف وحين علم باستسلامها قام بإطلاق سراح محمد ابن فيصل، وسلم مفتاح قلعة الدمام، فدخلها الجنود ورفعوا العلم العثماني، وأطلقت إحدى وعشرون طلقة مدفعية، وتم تأمين الأهالي، والاستيلاء على مافي القلعة من أسلحة، وتركت فيها سريتين للحفاظ عليها، ثم عادت الحملة بصحبة محمد بن فيصل إلى القطيف، حزيران ١٢٨٧ (رومي).

المصدر: I-Dahilye: No. 44196 .

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق:

(أ) الأرشيف العثماني في استانبول (Basbakanlik Osmanli Arsivi):

Hatt-i Humayan:

19532 - 19541 - 19557 - 19557.A - 19557.B - 19557.C - 19642- 19676 - 23133 .

HR. MKT:

18/55 - 19/5

Gevdet - Dahiliye:

1735 - 1986 - 2235 .

A.MKT:

127/35 - 132/10

I-Dahiliye:

34428 - 44196 x 5

I-Mesaili-Muh:

1798 - 1799 - 1800 - 1807 - 1808 - 2430 - 2431 - 2433- 2437 - 2439 .

BEO.V:

D:200.V:21 - D:227.V:21 - D:228.V:-.

I-MEC-MEH. Dahiliye:

1667x5 - 1669.

Defter - Ayniyat:

D:871. S. Y: 210 - 213 .

(ب) دار الوثائق القومية في القاهرة:

١) دفاتر معية تركي :

دفتر (٣) : ١١٣ .

دفتر (٤): ٣ - ١٢٧ - ١٥٤ - ١٨٠ - ٢٣٩ -٢٧٨ - ٤٩٩ .

دفتر (٦): ٢٤٩ - ٢٦٦ - ٥٥٦ .

دفتر (٧): ٣٧ - ٥٠ - ٥٢ - ٥٥ - ٨٩ - ١١١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٦ - ١٦٠ - ١٦١ - ٢٢٠ - ٢٢١ .

دفتر (١٠): ٤٦ - ٨٤ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩٢ - ٢٨٧ - ٣٢٦ - ٣٥٢ .

دفتر (١٢): ٨٥٠ .

٥) محافظ بحر برا:

محفظة (٥): ٩٦ .

محفظة (٦): ٣ - ٣٠ - ١٠٤ .

محفظة (٧): ٧٢ - ٧٣ - ١١٢ - ١١٨ .

محفظة (٨): ٧٤ .

محفظة (٩): ٦٦ .

محفظة (١١): ٧٥ .

محفظة (١٣): ٢ - ٦٤ .

محفظة (١٦): ٥٧ - ١١٧ - ١١٩ .

محفظة (١٩): ٢ .

٦) محافظ عابدين :

محفظة (٢): ٢٠ .

محفظة (١٦٧): ١٦٣ حمراء.

محفظة (٢١٢): ٩٩ .

محفظة (٢١٤): ٢٢٠ .

محفظة (٢٥٠): ٣٩٥ .

محفظة (٢٥٥): ١/٥٦ - ٢/٥٦ .

محفظة (٢٦٢): ١٣ - ٥٤ حمراء - ٩٠ حمراء - ٩٨ - ٢١٨ .

محفظة (٢٦٤): ٢٠٨ زرقاء - ٢٦١ حمراء .

محفظة (٢٦٦): ٦ أصلية - ٨٩ حمراء (٤ أصلية) - ١٨١ حمراء (٤٣ أصلية) .

محفظة (٢٦٧): ٣٧ حمراء (٢ أصلية)-٤٤ حمراء (٨ أصلية)-٤٨ حمراء (٩ أصلية).

٧) محافظ الحجاز :

محفظة(١): ٣ - ١٩ حمراء - ٢٨ حمراء - ٣٦ حمراء - ٥٥ حمراء - ٦٦ حمراء - ٦٩ حمراء - ٦٩ قديم - ٧٣ حمراء - ٧٧ حمراء - ٨٤ حمراء - ٨٦ حمراء - ٩٣ حمراء - ١٠٤ حمراء - ١٠٧ حمراء - ١٠٨ حمراء - دون رقم.

محفظة (٢): ٤ حمراء – ٤٢ حمراء – ٩٤ حمراء – ١٠٦ حمراء – ١١١ حمراء – ١٣١ حمراء – ١٦٦ حمراء – ١٧٣ حمراء – ١٨٦ حمراء – ١٨٩ حمراء – ٣٥٠.

محفظة (٣): ٦١ حمراء – ٢٢٩ حمراء – ٢٦٦ حمراء – ٢٩٣ حمراء – ٣٤٦ حمراء – ٣٦٩ – ٣٧٢ .

محفظة (٤) : ٣٧ حمراء – ٣٨ حمراء – ٩٤ حمراء – ١٠٨ حمراء – ١٣٥ حمراء – ١٤٥ حمراء – ٢٢٥ زرقاء– ٢٣٦ حمراء – ٢٤٠زرقاء – ٢٤١ زرقاء – ٢٧١ زرقاء – ٢٧٣ زرقاء.

محفظة (٥): ٥ حمراء – ٢٥ حمراء – ٤٨ حمراء – ٦٣ حمراء – ٦٤ حمراء – ٧٦ حمراء – ٨٧ حمراء – ١٧٢ حمراء – ١٩٥ حمراء – ٢٦٤ حمراء.

محفظة (٦): ٥ حمراء مكرر– ٢١ حمراء – ٢٢ حمراء – ٢٩ حمراء – ٣٠ حمراء – ٥٢ أصلي قديم – ٧٨ حمراء – ٧٩ حمراء – ٨٥ حمراء – ٩١ حمراء – ١٠٨ حمراء – ١١٣حمراء – ١٢١ أصلي.

محفظة (٧): ٦ حمراء – ٦ حمراء مكرر – ٧ حمراء – ١٨ حمراء – ٣٠ حمراء – ٤٥ حمراء – ٧٥ حمراء – ٧٩ حمراء – ٨١ حمراء – ٩٨ حمراء – ١٤٧ حمراء – ١٥٦ حمراء – ١٥٧حمراء.

محفظة (٨): ٤ حمراء – ٧ حمراء – دون رقم (إرادة ٢١) – ١٥ حمراء – ١٧ حمراء – ٣٣ حمراء – ٤٤ حمراء – ٥٨ حمراء – ٧٥ حمراء – ٧٧ حمراء – ٩٧ حمراء.

محفظة (٩): ٧ حمراء – ١١ حمراء – ١٦ حمراء – ١٠٤ حمراء – ١١٤ حمراء – ١٣١ حمراء – ١٣٣ حمراء – ١٧٤ حمراء – ١٨١ حمراء – ٢٣٧ حمراء.

محفظة (١٠): ٢٦ حمراء – ٢٨ حمراء – ٣٤ حمراء – ٦٠ حمراء – ٨٨ حمراء – ٩٠ حمراء – ١٠٤ حمراء – ١٠٦ حمراء – ١١٢ حمراء – ١٣٨ حمراء – ١٥٧ حمراء – ٢١٩ حمراء .

محفظة (١١): ٣٦ حمراء – ٤١ حمراء – ٥٨ – ١٤٩ حمراء – ٢٠٥ حمراء – ٢٥٠ حمراء – ٢٥٢ حمراء .

محفظة (١٢) : ١٣٦ حمراء.

(ج) دارة الملك عبد العزيز بالرياض:

١) وثائق وطنية : ٩٣٦ ، ٩٣٩ .

٢) وثائق عثمانية :

٢/١ : ٩٥، ٩٧، ١٠٣، ١٠٤، ٢٥١ .

٢/١: ٢٩ ، ٥٣، ٥٧ ، ٦٢ .

٣/١: ١، ٥، ٦، ٧، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥ .

٥/١: ٧٤، ٧٧، ٧٩، ٩٢، ١٧٦، ٢٢٣ .

٢/٢ك: ١٠٢، ١٢٢ .

٢/٤: ٤، ٨، ١٠، ١٧.

٢/٦: ١٧ .

٣/٦: ١، ٢، ٣.

٣/٨: ١، ٢، ٣، ٤ .

(د) وثائق أخرى:

وثيقة محلية مصورة من مشروع جمع التراث بجمعية أشيقر الخيرية حول الصلح بين أمراء أشيقر (دون تصنيف).

ثانياً: المخطوطات :

- البسام ، عبد الله بن محمد: تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق، كتب بخط نور الدين شريبة في شهر جمادى الآخرة من سنة ١٣٧٥هـ، نسخة متداولة.
- الذكير، مقبل بن عبد العزيز: العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية. نسخة مصورة من مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، رقم (٥٧٠).
- ــــــــــــــ: (تاريخ مقبل الذكير) المسمى: مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود. مكتبة الحرم المكي الشريف، رقم (٩٩)، ودارة الملك عبد العزيز بالرياض رقم (١٦٠٠٦).

- ابن ضويان، إبراهيم بن محمد: تاريخ ابن ضويان. كتب بخط صالح السلمان في ذي القعدة ١٣٧٩هـ نسخة متداولة.
- القاضي، إبراهيم بن محمد: تاريخ إبراهيم القاضي، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، رقم (٤٥٤).
- مؤلف مجهول: مخطوط في تاريخ نجد كتب على الورقة الأولى مال عبد الله ابن سليمان بن عياف. أشيقر: جمعية أشيقر الخيرية، مشروع جمع التراث.
- ابن مطلق، مطلق بن صالح: شذا الند في تاريخ نجد (٧٣٨-١٣٥٦هـ) كتب بخط أحمد علي، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة.
- ابن ناصر، عبد الرحمن بن محمد: عنوان السعد والمجد فيما استظرف من أخبار الحجاز ونجد. الرياض: دارة الملك عبد العزيز، رقم (٣).

ثالثاً: المصادر المنشورة:

(أ) المصادر العربية :

- ابن بشر، عثمان بن عبد الله: عنوان المجد في تاريخ نجد. تحقيق عبد الرحمن آل الشيخ. ط٣، الرياض: وزارة المعارف، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- الجبرتي، عبد الرحمن: عجائب الآثار في التراجم والأخبار. بيروت: دار الجيل، د.ت.ن.
- الحلواني، أمين حسن: خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق (مختصر مطالع السعود للشيخ عثمان بن سند) تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب، القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٧١هـ.
- الحنبلي، راشد بن علي: مثير الوجد في أنساب ملوك نجد. تحقيق عبد الواحد راغب. ط١، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- دحلان، أحمد زيني: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام. ط١، القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٥هـ.
- الرجبي، خليل بن أحمد: تاريخ الوزير محمد علي باشا. تحقيق دانيال كريسيليوس

وآخرين، ط١. القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- الرويشد، عبد الرحمن: رسائل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ. الرياض: مؤسسة الجزيرة، د.ت.ن.
- طوسون، عمر: الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- ابن عيسى، إبراهيم بن صالح: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد. الرياض: دار اليمامة، د.ت.ن.
- ــــــــــــــ: عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر. تحقيق عبد الرحمن آل الشيخ. ط٣، الرياض: وزارة المعارف، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- ابن غنام، حسين: روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام. ط١، القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.
- الفاخري، محمد بن عمر: الأخبار النجدية. دراسة وتحقيق عبد الله الشبل. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ت.ن.
- ابن قاسم، عبد الرحمن: الدرر السنية في الأجوبة النجدية. ط٢، الرياض: دار الإفتاء، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
- ابن لعبون، حمد بن محمد: تاريخ حمد بن محمد بن لعبون. ط٢، الطائف: مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ.
- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية. ج٣، رسائل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ. ط١، طبع على نفقة جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله، القاهرة: مطبعة المنار، ١٣٤٤هـ.
- ابن مشرف، أحمد بن علي: ديوان ابن مشرف. الرياض: دار الشبل، د.ت.ن.
- مؤلف مجهول: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب. تحقيق: عبد الرحمن آل الشيخ. الرياض: دار الملك عبد العزيز، د.ت.ن.

- النبهاني، محمد بن خليفة: التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، ط١، بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(ب) المصادر المعربة :

- بلي، لويس: رحلة إلى الرياض. ترجمة وتحقيق عبد الرحمن الشيخ وعويضه الجهني، الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١١هـ.
- بوركهارت، جوهان لودفيج: مواد لتاريخ الوهابيين. ترجمة عبد الله العثيمين، ط١، الرياض: شركة العبيكان للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- تاميزيه، موريس: رحلة في بلاد العرب (الحملة المصرية على عسير ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م) ترجمة وتعليق محمد آل زلفه، ط١، الرياض: مطابع الشريف، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- سادلير، ج فورستر: رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م، ترجمة أنس الرفاعي، تحقيق سعود العجمي، ط١، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- صبري، أيوب باشا: مرآة جزيرة العرب. ترجمة أحمد فؤاد متولي والصفاقيسي أحمد المرسي، ط١، الرياض: دار الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- فالين، جورج أوغست: صور من شمالي جزيرة العرب. ترجمة سمير شلبي، بيروت: أوراق لبنانية، ١٩٧١م.
- نولده، إدوارد: الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر. ترجمة عوض البادي، ط١، د.م.ن، دار بلاد العرب، ١٩٩٧م.

(ج) المصادر الغيرمعربة :

- جودت باشا، أحمد: تاريخ جودت. ايكنجي طبعي، درسعادت: مطبعة عثمانية، ١٣٠٩هـ. (باللغة العثمانية ذات الحروف العربية).

- لطفي أفندي، أحمد: تاريخ لطفي. درسعادت: صباح مطبعي سي، ناشري عبد الرحمن شرف، ١٣٢٨هـ (باللغة العثمانية ذات الحروف العربية).

رابعاً: المراجع المنشورة:

(أ) المراجع العربية :

- إبراهيم، سيد محمد: تاريخ المملكة العربية السعودية. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني: صراع الأمراء. ط١، لندن: دار الساقي، ١٩٩٠م.
- ـــــــــــــــ: نجديون وراء الحدود (العقيلات). ط١، لندن: دار الساقي، ١٩٩١م.
- أبو علية، عبد الفتاح حسن: تاريخ الدولة السعودية الثانية. ط٥، الرياض، دار المريخ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- ـــــــــــــــ: دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر. الرياض: دار المريخ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- ـــــــــــــــ: دراسة حول المخطوط التركي (حجاز سياحتنامة). الرياض: دار المريخ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- ـــــــــــــــ: محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى. ط٢، الرياض: دار المريخ، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- الأحسائي، محمد بن عبد القادر: تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد. ط٢، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- أحمد، إبراهيم خليل: تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني. الموصل: جامعة الموصل، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله: الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته. ط٣، الرياض: مكتبة دار السلام، ١٤١٢هـ.
- البسام، حياة محمد: أعمال رحمة بن جابر البحرية في الخليج العربي بين القرصنة والانتقام. ط١، الرياض: دار الشبل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

- البسام، عبد الله بن عبد الرحمن: علماء نجد خلال ستة قرون. ط١، مكة المكرمة: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٣٩٨هـ.
- ابن بليهد، محمد بن عبد الله: صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار. ط٣، الرياض: مرامر للطباعة، ١٤١٨هـ.
- الجاسر، حمد: جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد. ط٢، الرياض: دار اليمامة، ١٤٠٩هـ.
- ــــــــــ: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (شمال المملكة). الرياض: دار اليمامة، د.ت.ن.
- ــــــــــ: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (المقدمة-مختصر). ط١، الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- ــــــــــ: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (المنطقة الشرقية). الرياض: دار اليمامة، د.ت.ن.
- جبر، مصطفى النحاس: آل سعود في الجزيرة العربية. ط١، القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- الجنيدل، سعد بن عبد الله: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (عالية نجد). الرياض: دار اليمامة، د.ت.ن.
- الحاتم، عبد الله بن خالد: خيار مايلتقط من الشعر النبط. ط٣، الكويت: ذات السلاسل، ١٩٨١م.
- الحربي، فائز بن موسى: من أخبار القبائل في نجد. ط١، الرياض: دار البدراني للنشر، ١٤١٥هـ.
- حسون، علي: تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية. ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- الحلواني، سعد بدير: تعمير المدينة المنورة (١٨١٢-١٨٤٠م). ط١، القاهرة: مطبعة الحسين، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- ــــــــــ: العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن التاسع عشر، ط١،

د.م.ن، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

- حمزة، فؤاد: البلاد العربية السعودية، ط٢، الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
- ابن خميس، عبد الله: الدرعية العاصمة الأولى. ط٢، الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- ــــــــــــ: المجاز بين اليمامة والحجاز. ط٤، الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- ــــــــــــ: معجم اليمامة. ط٢. الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- درويش، مديحة: تاريخ الدولة السعودية. ط٦، جدة: دار الشروق، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- الدسوقي، محمد كمال: الدولة العثمانية والمسألة الشرقية. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٧٦م.
- الرافعي، عبد الرحمن: عصر محمد علي. ط٥، القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- الربيعان، يحيى: راكان بن حثلين. ط١، الكويت: شركة الربيعان، ١٩٩٥م.
- الرشيد، ضاري بن فهيد: نبذة تاريخية عن نجد. كتبها وديع البستاني، الرياض: دار اليمامة، د.ت.ن.
- الرشيد، عبد العزيز: تاريخ الكويت. بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.ن.
- الروقي، عايض: حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية ١٢٤٧-١٢٥٥هـ/ ١٨٣١-١٨٣٩م مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤١٤هـ.
- الريحاني، أمين: تاريخ نجد الحديث. ط٦، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٨م.
- الزركلي، خير الدين: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز. ط٣. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٥م.

- ــــــــــــــــ: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز. ط٤. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.
- السباعي، أحمد: تاريخ مكة. ط٧، مكة المكرمة: مطابع الصفا، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- السعدون، خالد: العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩-١٣٤١هـ/ ١٩٠٢-١٩٢٢م. الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- السعدي، حصة أحمد: الدولة السعودية الثانية وبلاد غرب الخليج وجنوبه ١٢٥٦-١٣٠٩هـ. ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- آل سعود، سعود بن هذلول: تاريخ ملوك آل سعود. ط١. الرياض: مطابع الرياض، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.
- آل سعود، موضي بنت منصور بن عبد العزيز: الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت. ط١، جدة: مكتبة تهامة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- سعيد، أمين: تاريخ الدولة السعودية من محمد بن سعود إلى عبد الرحمن الفيصل ١١٥٨-١٣٠٧هـ، بيروت: دار الكاتب العربي، د.ت.ن.
- السلمان، محمد بن عبد الله: الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية. ط١، عنيزة: المطابع الوطنية للأوفست، ١٤٠٧-١٤٠٨هـ.
- شاكر، محمود: التاريخ الإسلامي (الدولة العثمانية). ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- ــــــــــــــــ: شبه الجزيرة العربية (نجد). بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
- شاميّه، جبران: آل سعود ماضيهم ومستقبلهم. لندن: مطابع رياض الريس، ١٩٨٦م.

- الشايع، عبد الله محمد: نظرات في معاجم البلدان. الرياض: مرامر للطباعة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- الشباط، عبد الله بن أحمد: صفحات من تاريخ الأحساء. ط١، الخبر: الدار الوطنية الجديدة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- شلبي، أحمد. موسوعة التاريخ الإسلامي. ط٥، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٢م.
- الشيخ، رأفت: في تاريخ العرب الحديث. ط٤، القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٣م.
- آل الشيخ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف: مشاهير علماء نجد وغيرهم. ط١، الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- الصالح، نورية محمد: علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني ١٨٦٦-١٩٠٢م، ط١، الكويت: دار ذات السلاسل، ١٩٧٧م.
- صبري، محمد: تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث. ط١، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- الظاهري، أبو عبد الرحمن بن عقيل: العجمان وزعيمهم راكان بن حثلين. ط٢، الكويت: ذات السلاسل، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- ــــــــــــ: مسائل من تاريخ الجزيرة العربية.ط٣، الرياض: دار الأصالة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- عبد الرحيم، عبد الرحيم عبد الرحمن: الدولة السعودية الأولى. ط٥، القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- ــــــــــــ: محمد علي وشبه الجزيرة العربية. ط٢، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- ــــــــــــ: من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي. المجلد الأول ١٢٣٤-١٢٥٦هـ. الدوحة: دار المتنبي، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- العبد اللطيف، عبد العزيز: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ط١، د.م.ن: دار الوطن، ١٤١٢هـ.
- العبودي، محمد بن ناصر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (بلاد القصيم). الرياض: دار اليمامة، د.ت.
- ابن عبيد، إبراهيم: تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان. ط١، الرياض: مطابع النور، د.ت.ن.
- العثيمين، عبد الله بن صالح: بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية. ط٢، الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- ــــــــــ: تاريخ المملكة العربية السعودية. ج١، ط٨، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- ــــــــــ: تاريخ المملكة العربية السعودية.ج٢، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- ــــــــــ: محاضرات وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية. ط١، د.م.ن: مكتبة التوبة، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- ــــــــــ: نشأة إمارة آل رشيد. ط١، الرياض: جامعة الرياض، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- العجلاني، منير: الإمام تركي بن عبد الله بطل نجد ومحررها ومؤسس الدولة السعودية الثانية. الرياض: دار الشبل، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- ــــــــــ: عهد الإمام سعود الكبير. ط١، الرياض: دار الشبل، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- ــــــــــ: عهد الإمام فيصل بن تركي. ط١، بيروت: دار النفائس، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- العريفي، فهد بن علي: حائل "ضمن سلسلة هذه بلادنا" ط١، الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، ١٤١٢هـ.
- عسة، أحمد: معجزة فوق الرمال. ط١، بيروت: المطابع الأهلية اللبنانية، ١٩٦٥م.

- عطار، أحمد عبد الغفور: صقر الجزيرة. ط٣، د.م.ن، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- العقاد، صلاح: التيارات السياسية في الخليج العربي. القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٩١م.
- العقيلي، محمد أحمد: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ط١، أبها: نادي أبها الأدبي، ١٤٠٤هـ.
- علي، أحمد: آل سعود. ط٢، الرياض: دار الشبل، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- آل عمر، سعيد بن عمر: تاريخ المملكة العربية السعودية في دليل الخليج، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- عمر، عمر عبد العزيز: دراسات في تاريخ العرب الحديث المعاصر. بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٠م.
- العمري، عمر صالح: التطور السياسي للبحرين ١٢١٥-١٣٠٩هـ. ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- العيدروس، محمد حسن: تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر. ط١، القاهرة: عين للدراسات والبحوث، ١٩٩٦م.
- ــــــــــــ: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر. ط١، القاهرة: عين للدراسات والبحوث، ١٩٩٦م.
- ــــــــــــ: السياسة العثمانية تجاه الخليج العربي. ط١، ابو ظبي: دار المتنبي للطباعة والنشر، د.ت.ن.
- العيسى، محمد بن فهد: الدرعية، قاعدة الدولة السعودية الأولى. ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٦م.
- الغنام، سليمان محمد: قراءة جديدة في سياسة محمد علي باشا التوسعية ١٨١١-١٨٤٠م. ط١، جدة: مكتبة تهامة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- فتال، عبد الوهاب: عثمان المضايفي (عهد سعود الكبير). الرياض: دارة الملك عبد العزيز، د.ت.ن.
- قاسم، جمال زكريا: الخليج العربي ١٥٠٧-١٨٤٠م. القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت.ن.

- القاضي، صالح بن عثمان: تاريخ نجد وحوادثها. ط١، د.م.ن، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- القاضي، محمد بن عثمان: الموسوعة في تاريخ نجد. ط٢، د.م.ن، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- قلعجي، قدري: عودة البطل. بيروت: دار الكاتب العربي، د.ت.ن.
- القويعي، عقيل بن ضيف الله: أقوال ومسائل في أخبار منطقة حائل. ط٢، حائل: مطابع النهضة الوطنية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- كشك، محمد جلال: السعوديون والحل الإسلامي. ط٣، د.م.ن، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- المانع، محمد بن عبد الله: نبذة في تاريخ عنيزة. ملحق بكتاب بعض الحوادث لإبراهيم بن عيسى. الرياض: دار اليمامة، د.ت.ن.
- متولي، أحمد فؤاد: آل سعود والشام في عهد الدولة السعودية الأولى على ضوء الوثائق التركية. القاهرة: دار الزهراء، ١٩٩١/١٤١١هـ.
- المختار، صلاح الدين: تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها. بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.ن.
- المسلم، إبراهيم: العقيلات. ط٢، الرياض: مكتبة العقيلات، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- منسي، عبد الله سراج: المواجهة العثمانية البريطانية في الخليج العربي ١٨٦٩-١٩١٤م. د.م.ن، ١٤١٤هـ/ ١٩٨٤م.
- منسي، محمود حسن: تاريخ الشرق العربي الحديث. القاهرة: دار الوزان، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- الموسوعة العربية الميسرة، بيروت: دار نهضة لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- نبراوي، فتحية ومهنا، محمد: الخليج العربي. الاسكندرية: منشأة المعارف، د.ت.ن.
- نخلة، محمد عرابي: تاريخ الأحساء السياسي ١٨١٨-١٩١٣م. الكويت: ذات السلاسل، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- نوار، عبد العزيز: تاريخ العراق الحديث. القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.

- هريدي، محمد عبد اللطيف: تاريخ شبه الجزيرة العربية من المصادر التركية العثمانية. القاهرة: دار الزهراء، د.ت.ن.
- وهبة، حافظ: جزيرة العرب في القرن العشرين. ط١، د.م.ن، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.
- الوهبي، عبد الكريم بن عبد الله: بنو خالد وعلاقتهم بنجد ١١٨٠-١٢٠٨هـ. ط١، الرياض: دار ثقيف، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

(ب) المراجع المعربة:

- إنغام، بروس: قبيلة المظفير. ترجمة وتعليق عطية الظفيري، ط٢، د.م.ن، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- بيرين، جاكلين: اكتشاف جزيرة العرب. ترجمة قدري قلعجي. بيروت: دار الكاتب العربي، د.ت.ن.
- رنوفان، بيير: تاريخ العلاقات الدولية. ترجمة جلال يحيى. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨م.
- سيديو، ل.أ: تاريخ العرب العام. ترجمة عادل زعيتر. ط١، د.م.ن، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- فاسيليف، الكسي: تاريخ العربية السعودية، ط١، بيروت: شركة المطبوعات، ١٩٩٥م.
- فلبي، هاري سانت جون: تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ترجمة عمر الديسراوي. بيروت: المكتبة الأهلية، د.ت.ن.
- ـــــــــــــ: تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ترجمة عمر الديسراوي. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- كيلي، جون.ب: الحدود الشرقية للجزيرة العربية. ترجمة محمد أمين عبد الله. الكويت: مكتبة الأمل، ١٩٦٨م.
- لوريمر، ج.ج: دليل الخليج (القسم التاريخي) الجزء الثالث. ترجمة ديوان حاكم قطر، د.م.ن، د.ت.ن.

- المانع، محمد بن عبد الله: توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة عبد الله العثيمين. ط١، الدمام: مطابع المطوع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- مكلو غلن، لزلي: ابن سعود مؤسس مملكة. ترجمة محمد شيا، ط١، بيروت: شركة المطبوعات، ١٩٩٥م.
- ميشان، بنوا: عبد العزيز آل سعود، سيرة بطل ومولد أمة. ترجمة عبد الفتاح ياسين، بيروت: دار الكاتب العربي، د.ت.ن.

(ج) المراجع الغير معربة:

- AL-Amr, Saleh. Muhammad: The Hejaz Under Ottoman Rul 1869-1914. Riyad University Puplications 1978.
- Philby, H.ST.John: Saudi Arabia. Beirut: Lebanon Bookshop. 1968.
- Winder, R. Bayly: Saudi Arabia In The Nineteenth, Centery. New York: Martin's Press. 1965

خامساً: الرسائل العلمية:

(أ) الرسائل العربية :

- الجابري، مستور محمد: علاقة آل سعود بالدولة العثمانية (١٣٠٩-١٣٣٧هـ) رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- جاسم، نجاة عبد القادر: العثمانيون وشمال شبه جزيرة العرب (١٨٤٠-١٩٠٩م) رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٧٦م.
- الخريصي، فهد بن صالح: منطقة شقراء (دراسة في جغرافية المدن). رسالة ماجستير. قسم التاريخ. كلية العلوم الاجتماعية. جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، ١٤٠٧هـ.

- الدالي، طه حسين: أوضاع مصر في عهد عباس الأول (١٨٤٨ - ١٨٥٤م) رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩١م.
- الدهش، أحمد صالح: موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العثمانية على الدولة السعودية حتى عام ١٢٣٣هـ، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والحضارة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ-١٤٠٦هـ.
- رشوان، مالك محمد: سياسة محمد علي باشا في شبه الجزيرة العربية (١٢٢٦-١٢٥٦هـ) رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٩٧٨م.
- السعيّد، دلال محمد: علاقات الدولة السعودية الثانية بمشيخات الخليج خلال الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي (١٢٥٩-١٢٨٢هـ)، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- الصواف، فائق بكر: العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز (١٢٩٣-١٣٣٤هـ). رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- العوهلي، هناء أيوب: الأحوال السياسية في الفترة الأولى من حكم الإمام فيصل ابن تركي (١٢٥٠-١٢٥٤هـ) رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- الهطلاني، مضاوي حمد: الفترة الثانية لحكم الإمام فيصل بن تركي آل سعود (١٢٥٩-١٢٨٢هـ). رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية التربية للبنات بالرياض، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

(ب) الغير عربية:

- EL-Batrik, Abdel-Hamid: Turkish And Egyptian Rule In Arabia 1810-1841. Thesis For The degree of Ph.D, University of London, 1947.

سادسا: الأبحاث والدوريات:

(أ) العربية:

- أبو عبد العزيز: "حول تاريخ آل رشيد". مجلة العرب، ج٩-١٠، س١٠، ربيع الأول-ربيع الثاني ١٣٩٦هـ/ مارس إبريل ١٩٧٦م، ص ص ٧٨٩-٧٩٦.
- البطريق، عبد الحميد: "إبراهيم باشا في بلاد العرب" ضمن كتاب: ذكرى البطل الفاتح. القاهرة: مكتبة مدبولي ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ص ٣-٣١.
- الثنيان، محمد ثنيان: "انقضاض عنيزة على جند خورشيد باشا وحصاره لها" مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ص ٢٤٧-٢٨٠.
- الخصوصي، بدر الدين عباس: "محمد علي باشا والخليج العربي ١٨٣٨-١٨٤٠م" مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت، ع٥، يونيو ١٩٧٤م، جمادى الأولى ١٣٩٤هـ، ص ص ٩٩-١٣٢.
- الدخيل، سليمان: "أمراء آل سعود في جزيرة العرب" مجلة لغة العرب، ج٦، س٣، محرم ١٣٣٢هـ/ تشرين ثاني ١٩١٣م، ص ص ٢٩٦-٣٠١.
- ــــــــــ: "جزيرة العرب" مجلة لغة العرب،ج٥، س٣، ذي الحجة ١٣٣١هـ/ تشرين ثاني ١٩١٣م، ص ص ٢٢٥-٢٣٢.
- الروقي، عايض بن خزام: "علاقات الدولة السعودية الأولى بولاة الدولة العثمانية في العراق والشام" مجلة المؤرخ العربي، مجلد١، ع٥، مارس ١٩٩٧م، ص ص ٤٣٣-٤٦٧.
- السلمان، محمد بن عبد الله: "الآثار الاجتماعية لسقوط الدرعية" مجلة الحرس الوطني،

س١٣، ع١٢٢، ربيع الآخر ١٤١٣هـ، اكتوبر ١٩٩٢م، ص ص ٣٠-٣٤.

- ـــــــــــــــ: "معركة عنيزة ضد حملة خورشيد" مجلة العرب، س٢٢، ع٩-١٠، ربيع الأول - ربيع الثاني ١٤٠٨هـ/ نوفمبر - ديسمبر ١٩٨٧م، ص ص ٦٢٤-٦٣٠.
- ـــــــــــــــ: "الوجود الأجنبي في نجد ١٢٣٥-١٣٢٤هـ" مجلة العرب، ج١-٢، س٢٩، رجب - شعبان، ص ص٤-٢١.
- ـــــــــــــــ: "الوجود الأجنبي في نجد ١٢٣٥-١٣٢٤هـ" مجلة العرب، ج٣-٤، س٢٩، رمضان-شوال ١٤١٤هـ/ مارس- أبريل ١٩٩٤م، ص ص ١٥٦-١٦٩.
- الشويعر، محمد بن سعد: "مشاري بن سعود" مجلة القافلة، ع١، مجلد ٣٧، محرم ١٤٠٩هـ/ اغسطس - سبتمبر ١٩٨٨م، ص ص ١٨-٢١.
- ـــــــــــــــ: "من النظم التأريخي - أرجوزة أحمد بن دعيج" مجلة الدارة، س٨، ع٤ رجب ١٤٠٣هـ/ أبريل ١٩٨٣م، ص ص ١٦٢-١٧٩.
- عباس، السيد أحمد مرسي: "حقائق جديدة عن حرب الدرعية" مجلة الدارة، س٣، ع٣، شوال ١٣٩٧هـ/ سبتمبر ١٩٧٧م، ص ص ٦٦-٨١.
- العثيمين، عبد الله بن صالح: "الشعر النبطي مصدراً لتاريخ نجد" ضمن كتاب: مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ج١، الرياض: جامعة الرياض، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ص ٣٧٧-٣٩٦.
- العجلاني، منير: "أوائل أخبار تركي بن عبد الله(١)" المجلة العربية، ع١٢، س٣، ربيع الثاني ١٤٠٠هـ/ مارس ١٩٨٠م، ص ص ٤-٦.
- ـــــــــــــــ:"أوائل أخبار تركي بن عبد الله(٢)" المجلة العربية، ع١، س٤، جمادى الثانية ١٤٠٠هـ، ص ص ١١٥-١١٧.
- العقاد، صلاح: "الحملة المصرية في شبه جزيرة العرب ١٨١١-١٨١٨م" مجلة

دراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، س٢، ع٦، أبريل ١٩٧٦م، ربيع الثاني ١٣٩٦هـ، ص ص ١٠٧-١٢١.

- قاسم، جمال زكريا: "الدوافع السياسية لرحلات الأوربيين إلى نجد والحجاز خلال القرن ١٩ وأوائل القرن ٢٠م" ضمن كتاب: مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ج٢، الرياض: جامعة الرياض، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ص ٩-٢٨.

(ب) المعربة:

- موزل، الويس: "تاريخ بيت ابن رشيد" مجلة العرب، ج٧-٨، س١٠، محرم-صفر ١٣٩٦هـ/ يناير-فبراير ١٩٧٦م، ص ص ٥٥٦-٥٨٩.
- ــــــــــ: "تاريخ الدولة السعودية" مجلة العرب، ج٣-٤، س١١، رمضان - شوال ١٣٩٦هـ/ سبتمبر - أكتوبر ١٩٧٦م، ص ص ٢٠٦-٢٨١.